التبيان في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة

أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المتوفى سنة ٤٦٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث





تأليف

شيخ الطائفة

أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره

المتوفى سنة ٤٦٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

الطوسي ، محمّد بن الحسن ، ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق .
التبيان في تفسير القرآن / أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ؛ تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم.
٣٠ ج.
الفهرسة طبق نظام فيپا.
المصادر بالهامش.
١ ـ تفاسير شيعية . ألف : الطوسي ، محمّد بن الحسن ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق.
ب: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (قم) . ج : عنوان .

BP ٩٤ / ٢ ١٣٨٨ ت ٩ ط	٢٩٧ / ١٧٢٦
الرقم في المكتبة الوطنية الإيرانية	١٨٧٣٨٩٢

شابِك (ردمك) ٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / دورة ٣٠ جزءاً احتمالاً

ISBN 978 - 964 - 319 - 328 - 7 / 30 VOLS.

شابِك (ردمك) ٤ ـ ٣٢٩ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / ج ١

ISBN 978 - 964 - 319 - 329 - 4 / VOL.1

الكتاب :	التّبيان في تفسير القرآن / ج ١
المؤلّف :	الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي
تحقيق ونشر :	مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم
الطبعة :	الأولىٰ ـ ربيع الأوّل ـ ١٤٣١ هـ
الفلم والألواح الحسّاسة (الزينك) :	تيزهوش ـ قم
المطبعة :	ستارة ـ قم
الكمّية :	٣٠٠٠ نسخة
السعر :	٣٥٠٠٠ ريال


بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
قم المقدّسة: شارع الشهيد فاطمي (دورشهر) زقاق ٩ رقم ١ ـ ٣
ص. ب ٣٧١٨٥/٩٩٦ هاتف: ٥ ـ ٧٧٣٠٠٠١ فاكس: ٧٧٣٠٠٢٠

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء وسيّد المرسلين محمّد وآله الغرر الميامين.

ما كان يدور بخلد قريش وصناديدها ـ بل الدنيا بأسرها ـ أن ينطلق يتيمٌ شبه مغمور برسالة سماوية تطيح بجبروتها وتمرّغ أُنوف أقطابها بوحل الذلّ والهزيمة، وتطحن آلهتها طحن الرحا فتذروها ذرو الريح الهشيم في يومٍ عاصف، محلّقاً ألقاً علىٰ جنحان أنبل وأكمل بلاغ ربّاني لم ولن تشهده البشرية أبداً، بلاغ شاد به علىٰ أطلال العروش الهاوية أسمىٰ حضارة وأرقىٰ منظومة قيَمية غزت العقول والقلوب علىٰ السواء.

إنّه الفكر الخلّاب ذو الإحاطة الرائعة والبصائر الفذّة والأُطر الأنيقة والمفاهيم العميقة والاستقطاب الساحر والتأقلم السريع والتجسّد الوضّاء، القاصد ذات الإنسان، المخترق لبّه وخفاياه، أحاسيسه وحناياه، لينتشله من حضيض البهيمية شطر شوامخ العزّ والسعادة السرمدية، دون ابتسارٍ من حرّياته المشروعة وأهدافه الجادّة، فغدا رائد الطامح وملاذ التائه ودليل الحائر وكهف البائس وبَرّ الخائف ومركب النجاة.

وما كانت الإحن والأضغان والمتاعب والويلات لتحول بين الرسول الخاتم صلّى الله عليه وآله وبلوغ المرام، فلقد أرساها ـ كما أرادها ربّ العالمين ـ علىٰ مرافئ الفخر والمجد علياءَ شمّاء، متلألئةً بضياء أنوار السماء، كاشفةً دياجير العادات المقيتة والعصبيات القبلية والنعرات الجاهلية والأعراف البالية والمفاهيم الخاوية، فاتحةً آفاقاً رحبة وسبلاً واسعةً لنهضة شاملة تنقل

الأُمّة نقلةً نوعيةً تأريخيةً من واقع التخلّف والاضطهاد إلىٰ التطوّر ونعيم الدارين .

وإذ ألكمﷺ أفواه الرفض ودفع بترّهات النفاق والضلالة والتشكيك إلىٰ مهاوي العزلة والخسران المبين ، وجابه فنون البلاغة والفصاحة والبيان المزدهرة آنذاك ـ لاسيّما ثقافة الشعر والأدب ـ مجابهةً منحته نياشين النصر بكلّ فخر واعتزاز ، وانقادت له الألباب والمشاعر بكل انتماءاتها وطبقاتها وألوانها ؛ فلأجل عدم نطقهﷺ عن الهوىٰ ، بل عن وحيٍ يوحىٰ ، فلا غرو أن يصدر من ثغره الشريف ما هو الأبلغ الأفصح والأسلَم الأصحّ والأبين الأحكم ، صادراً سماوياً مشبعاً بعلوم الأمس والساعة والغد ، بالمعرفة النابضة والثقافة الحيّة ، وبالنظم والقوانين والمناهج والأنساق التي **﴿تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها﴾**[1] .

إنّها شجرة الدين المباركة ، شجرة الإسلام الحنيف ، غاية الإعجاز الإلهي ، التي تجسّدت بالألفاظ الربّانية المقدّسة ، النازلة علىٰ صدر المصطفىٰ الأمجدﷺ . إنّه القرآن الكريم .

انطلق السراج المنيرﷺ بمعجزته الخالدة ومظهر التحدّي الإلهي ، الذكر الحكيم ، الفرقان المقدّس ، الكتاب العزيز الذي **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾**[2] ، انطلق براية الحقّ خفّاقةً علىٰ كلّ المعمورة ، بملاكٍ وضابط وميزان واحد : **﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[3] ، فذابت الحواجز وزالت الفوارق وتساوىٰ العبد والحرّ ، الأسود والأبيض ، الفقير والغني ، العربي والأعجمي ، فصار الكلّ ينشد الكمال والفلاح بنهجٍ واحد وصراطٍ واحد .

---

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٢٥ .

(٢) سورة فصّلت ٤١ : ٤٢ .

(٣) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

إذن ، كيف لا يكون محمّد صلى الله عليه وآله خير شهيد لخير دين علىٰ خير أُمّة ، ولا يكون متمّماً لمكارم الأخلاق ، وهو الذي صرّح فيه النص القرآني : ﴿وإنّك لعلىٰ خلق عظيم﴾[1] ؟ !

إنّ أساس بعثة النبي الأكرم وغاية رسالة الإسلام تتلخّص في قوله تعالىٰ : ﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[2] .

ادّعاءٌ هامّ وخطير وكبير ، لكن الذي يثلج الصدور ويُطَمْئن العقول والقلوب صدور القرآن الكريم من قيادة الكون الكبرىٰ ، من لدن الله الواحد الصمد ، فكان الحجّة التامّة الثاقبة .

فلابُدّ له حينئذٍ أن يجيب عن سؤال الحياة الكبير من خلال نسقه الأتمّ الأصحّ المتجاوز عقبة الزمان والمكان .

إلىٰ ذلك ، تفرّده بخصائص ، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

ـ إنّه ليس سند المسلمين ومعجزة دينهم السماوي فحسب ، بل سند البشرية طرّاً ؛ كونه الناسخ لجميع الأديان والرسالات الإلهية السابقة عليه ولكلّ ما جاء في كتبها المقدّسة .

ـ اعتماده الخطاب المتجانس شرعياً وفكرياً وأخلاقياً واجتماعياً وتأريخياً ، علىٰ غايةٍ من : الإحاطة والتكاملية ، قوة النسق ومتانة المنهج ، عمق المفاهيم وسعة آفاقها ، جمال المفردة المتجلّي بروعة الصياغة وانسيابية الألحان ، ذروة النظم والإتقان البلاغي ، البيان والحكمة المنقطعي النظير . كلّ ذلك بلا أدنىٰ تهافت ونقص ، بالحجّة البالغة والدليل القاطع .

ـ الكمّ الهائل من المادّة العلمية المعرفية المتنوّعة المودعة فيه .

ـ تجاوزه عقبة الزمان والمكان بإمكانية تكيّف مفاهيمه وعلومه وقيمه

---

(١) سورة القلم ٦٨ : ٤ .

(٢) سورة الإسراء ١٧ : ٩ .

مع مراحل تطوّر الحياة البشرية ونموّها على مختلف الأصعدة.

ـ منسّق حياة الفرد أسرياً ومجتمعياً وأُممياً.

ـ تناغم الإنسان بفطرته السليمة مع ألحانه ومفرداته ومعانيه، لاسيّما حينما تهامس القلب والعقل، الروح والحنايا، خاشعاً بإزائها أيّ خشوع.

فلا عجب حينئذٍ لمّا تصرّح إحصائيات بيبلوغرافيا علوم القرآن الكريم: إنّ أكثر من عشرة آلاف أثر قد دوّن في معارفه وفنونه وسائر جوانبه.

إنّ تميّز القرآن الكريم بالخصائص التي أشرنا لبعضها جعلت من نصّه الشريف خاطفاً للأضواء، خاضعاً لمختلف مراحل البحث والدراسة والتحليل والتفسير؛ فكان الخوض فيه وفي لججه بمثابة صراع للحصول على نتائج من شأنها أن تعيّن مسير الإنسان ونهج حياته ومصيره.

لذلك بات تفسير القرآن الكريم من أخطر المهام وأشقّها وأصعبها، لاسيّما وأنّه في صدر علومه وفنونه، والرقم الأول في حسم الحوارالعامّ أو الخاصّ.

والاختلاف ـ تبعاً لتلوّن الانتماء العَقَدي والفكري والثقافي ـ طبيعي في فهم آيات القرآن الكريم وطريقة تلقّيها، مضافاً إلى تباين القرّاء الأُول في قراءاتهم لنصّه المبارك.

وتأسيساً على ذلك تجسّدت الحاجة الملحّة والضرورة القصوى إلى خوض غماره من جهة بيان معاني آياته وقراءاتها وحججها وإعرابها ونظمها وشأن نزولها وفضائلها وتأويلاتها والبحوث المرتبطة بها... وهذا ما يدوم بدوام رواشح القرآن الكريم ومنابعه التي لا تجفّ وبطون علومه التي تبقى عميقة مهما ولجها الوالجون، وتظلّ أسراره خافية لا تكشف إلّا لذوي المعايير الخاصّة وأصحاب الهمم العالية والأنظار الثاقبة والعقول الوهّاجة التي تشعّ إيماناً وإخلاصاً وولاءً.

التبيان في تفسير القرآن

دواعي التأليف :

يقول الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسيقدس سره (٣٨٥ هـ ـ ٤٦٠ هـ) في معرض إشارته إلىٰ الدواعي والأسباب التي حدت به لتأليف تفسير التبيان :

فإنّ الذي حملني علىٰ الشروع في عمل هذا الكتاب أنّي لم أجد أحداً من أصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ من عمل كتاباً يحتوي علىٰ تفسير جميع القرآن ، ويشتمل علىٰ فنونه ومعانيه ، وإنّما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه ونقله وانتهىٰ إليه في الكتب المروية في الحديث ، ولم يتعرّض أحدٌ منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج إليه .

فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأُمّة بين مُطيلٍ في جمع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه ، كالطبري وغيره ، وبين مُقْصرٍ اقتصر علىٰ ذكر غريبه ومعاني ألفاظه .

وسلك الباقون المتوسّطون في ذلك مسلك ما قويتْ فيه منّتهم وتركوا ما لا معرفة لهم به . .

فإنّ الزجّاج والفرّاء ومن أشبههما من النحويين أفرغوا وسعهم فيما يتعلّق بالإعراب والتصريف .

ومفضّل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللُّغة واشتقاق الألفاظ .

والمتكلّمين ـ كأبي علي الجبّائي وغيره ـ صرفوا همّتهم إلىٰ ما يتعلّق بالمعاني الكلامية .

ومنهم من أضاف إلىٰ ذلك : الكلام في فنون عامّة ، فأدخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء ، كالبلخي وغيره .

وأصلحُ من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً: محمّد بن بحر أبو مسلم الأصفهاني وعلي بن عيسىٰ الرّماني، فإنّ كتابيهما أصلحُ ما صُنّف في هذا المعنىٰ، غير أنّهما أطالا الخطب فيه، وأوردا فيه كثيراً ممّا لا يحتاج إليه.

وسمعتُ جماعةً من أصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ يرغبون في كتاب مقتصد يشتمل علىٰ جميع فنون علم القرآن، من القراءات، والمعاني، والإعراب، والكلام علىٰ المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبّرة والمشبّهة والمجسّمة وغيرهم، وذكر ما يختصّ أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه علىٰ صحّة مذاهبهم في أُصول الديانات وفروعها.

وأنا ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ أشرع في ذلك علىٰ وجه الإيجاز والاختصار، ولكلّ فنّ من فنونه، ولا أُطيل فيملّه الناظر فيه، ولا أختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

وأُقدّم أمام ذلك فصلاً يشتمل علىٰ جمل لابُدّ من معرفتها دون استيفائها؛ فإنّ لاستيفاء الكلام فيها مواضع هي أليق به.

ومن الله استمدّ المعونة واستهديه إلىٰ طريق الرشاد، بمنّه وقدرته إن شاء الله تعالىٰ[١]. انتهى.

* * *

وقد التزم الشيخ رحمه الله بما اختطّه ورسمه لتفسيره من منهج وخطوط عريضة، ولم يتجاوزها وبقي متقيّداً بها في كتابة الجليل هذا..

وكما قيل، فإنّه جاء حافلاً جامعاً شاملاً لمختلف أبعاد الكلام حول

---

(١) محمّد بن الحسن الطوسي، التبيان ج ١ ص ٧ ـ ١٢ (طبع وتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام).

القرآن، لغةً وأدباً، قراءةً ونحواً، تفسيراً وتأويلاً، فقهاً وكلاماً... بحيث لم يترك جانباً من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد إلّا وبحث عنه بحثاً وافياً، في وجازة وإيفاء بيان.

ويحظىٰ هذا الكتاب بقوّة ومتانة وقدرة علمية فائقة، شأنه شأن أيّ كتاب جاء تأليفه في سنين عالية من حياة المؤلّف؛ حيث يبدو من إرجاعات الشيخ قدس سره فيه إلىٰ كتبه الفقهية والأُصولية والكلاميّة أنّه كتبه متأخّراً عن سائر كتبه في سائر العلوم.

وبحقّ، فإنّ هذا التفسير قد حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحدّ ذاك الوقت، والتي كانت أكثرها مختصرات تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، ممّا أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكلّ ما ذكره المفسّرون من قبل، وحاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

إنّ تفسير التبيان وسط مستوعب، يضمّ محاسن مَن تقدّمه، يهمل فضول الكلام، فظهر بأحسن ترتيب وأجمل تأليف[١].

ممّا قيل في التبيان والشيخ قدس سره:

ـ وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن، واجتهدوا في إبراز مكنونه وإظهار مصونه، وألّفوا فيه كتباً جمّة غاصوا في كثير منها إلىٰ أعماق لججه، وشقّقوا الشعر في إيضاح حججه، وحقّقوا في تنقيح أبوابه وتغلغل شعابه..

إلّا أنّ أصحابنا رضي الله عنهم لم يدوّنوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني

---

(١) محمّد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ج ٢ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ (طبعة الجامعة الرضوية ـ مشهد المقدّسة)، بتصرّف.

وكشف الأسرار إلّا ما جمعه الشيخ الأجلّ السعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي قدّس الله روحه من كتاب التبيان، فإنّه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحقّ ويلوح عليه رواء الصدق، قد تضمّن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللّغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها، ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القدوة أستضئ بأنواره، وأطأ مواقع آثاره[١].

- كتاب جليل عديم النظير في التفاسير[٢].
- صاحب التفسير الكبير[٣].
- التفسير المشهور[٤].
- التفسير الكثير[٥].
- قد برز في القرن الخامس الهجري عدّة رجال في التفسير، منهم: شيخ الطائفة الإمامية وفقيهها الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب [التبيان] الجامع لكلّ علوم القرآن[٦].
- إنّ الشيخ المحقّق محمّد بن إدريس العجلي مع كثرة وقائعه مع الشيخ في أكثر كتبه، يقف عند تبيانه ويعترف بعظم شأن هذا الكتاب واستحكام بنيانه[٧].

---

(١) الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج ١ ص ١٠ (طبعة صيدا). هذا، وتضطلع مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث حالياً بتحقيق هذا الأثر النفيس.

(٢) بحر العلوم، الرجال، ج ٣ ص ٢٢٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥ ص ٢٥.

(٤) العاني، مقدّمة دمية القصر، ج ١ ص ٢٥.

(٥) السيوطي، طبقات المفسّرين، ص ٢٩.

(٦) الشرباصي، قصّة التفسير، ص ٩٠.

(٧) بحر العلوم، الرجال، ج ٣ ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

ـ وإذا نظرنا في مؤلّفاته ـ أي الشيخ قدس سره ـ في التفسير لم يسعنا إلّا الإعجاب بغزارة إنتاجه، لاسيّما إذا تأمّلنا فيما وصلنا من الأخبار الخاصّة بكتابه الكبير التبيان في تفسير القرآن(١).

ـ إنّ عصر الشيخ الطوسي كان عصر حضارةٍ وتفوّقٍ وعلم، وكذلك كان عصر نوابغ وعلماء، فكان لابُدّ له وهو العبقري أن يدخل كلّ بيتٍ ويتعرّف إلىٰ ما فيه عندما كان في سنّ التلقّي والتعلّم عند شيوخه وأساتذته، وكان كلّ شيءٍ يلقىٰ إليه باللُّغة العربية.

وكان أساتذته من فصحاء العصر والناطقين الخالدين، فقد درس الفقه والأُصول والتفسير وعلم الكلام بأعجز بيانٍ وأبدع أُسلوب، فكان لابُدّ لهذا أن يؤثّر في نفسه وأن ينعكس هذا التأثير في مؤلّفاته أيضاً...

فهذا التفسير المعروف بـ: التبيان، لم يخل منه سببٌ من أسباب البيان، نجد فيه البيت الشعري الجميل، والمثل السائر اللطيف، والقصّة الفنّية المعبّرة، ومباحث في اللُّغة والنحو، وطرائف من الأدب، لم يوردها الشيخ للّهو واللعب، وإنّما استعان بها علىٰ تأييده فكرة أو إيضاح معنى...

يضاف إلىٰ ذلك أيضاً: إنّ عبارة الطوسي لها حلاوتها ووقعها وتأثيرها في النفس؛ لأنّها تدّخر طاقةً كبيرةً من انفعال صاحبها، وهذا الانفعال العميق هووجود المفسِّر وأصله الذي تجرّد عن كلّ محسوس؛ ليستغرق في جمال القرآن ويغيب في معانيه التي لا تعرف النهاية.

فمن كلّ جوانبه هو طيّبٌ حلوٌ يأخذ الإنسان عن نفسه ويغيب به حيث يغيب، حتىٰ أنّه في تفسير آيات الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث وما إليها لا ينسىٰ ما في الآيات من جمالٍ وإبداع، بل يشير إليها من حيث اللُّغة والسبك والأُسلوب والفقه، ويدلّل علىٰ حكمة الإسلام في

---

(١) مقالة في مجلة رسالة الإسلام المصرية، العدد ١، السنة السابعة، ص ٤٦.

تحريم هذا وتحليل ذاك ببيانٍ لا تنقضي لذّته ولا تنتهي روعته.

ويتفرّد «تبيان» الطوسي بمزيّتين قد لا نرىٰ لهما أثراً في بقية مؤلّفاته، وهاتان المزيّتان هما:

الرصف المتتابع للعبارات الممتلئة بالمعاني الدقيقة، حتىٰ ليخيّل للقارئ أنّه أمام كتاب أدبي.

والثانية: الحسّ النفسي المتدفّق والشعور الباطني العميق لأسرار الكتاب الكريم.

ولا عجب إذا رأينا هاتين المزيّتين في التفسير؛ لأنّ القرآن فيه غيب الغيوب ومعجز التأويل والتنزيل والتحليل.

ولا عجب أيضاً فالطوسي عبقريٌّ عظيمٌ في نفسه كلّ استعدادٍ لتقبّل الإشراق وعكسه علىٰ من دونه، فهو عندما يقرأ الآية أو يقف عندها يستغرق فيها، وينسىٰ عند جمالها وجلالها نفسه ومَن حوله من الكائنات، ويكتب ممّا يحسّه ويشاهده من جمال الحقيقة، ويطفر قلمه فيسيل إبداعاً وإعجازاً قلّما توفّرا لمفسّرٍ آخر من المفسّرين الأعلام.

إنّ هذا المفسّر الكبير والفقيه العلم قد أمات الشيطان في نفسه وأضعف الحسّ المادّي لكي يتفرّغ لاستقبال تجلّيات الله وإشراق أنوار الحقيقة العظمىٰ علىٰ ذاته، فلا ترىٰ بينه وبينها عائقاً، ولا ترىٰ عند غيره هذا الاستعداد الذي تراه عنده، ومن يقرأ تفسيره لآية النور التي تدلّ علىٰ قدرة القادر وجماله وجلاله يرىٰ الشيخ الطوسي وقد أصبح رمزاً في الوجود وخيالاً يلوح من بعيد وظلّاً للحقيقة الأحدية التي يقوم كلّ شيء بسرّها وروحها[1].

ـ وكانت ثقافته ـ أي الشيخ قدس سره ـ وآراؤه موضع احترام القوم في

---

(١) صالح عضيمة، فنّ التعبير عند الطوسي، الذكرىٰ الألفية للشيخ الطوسي، ج ٢ ص ٦٠٥ ـ ٦٢٠ (مطبوعات كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية ـ مشهد ١٩٧٥ م).

عصره وبعد عصره، فقد أثنوا عليه وعوّلوا علىٰ تصانيفه، فقد أخذ العلم علىٰ جماعة عرفوا بالجمع والإحاطة، فكان مثلهم في الجمع والإحاطة.

علىٰ أنّه لم يكن متعصّباً ولا مقلّداً، وإنّما كان حرّ الفكر مستقلّ الرأي، مع سماحة في النفس ونبل في الخلق.

وأمّا أسلوبه فأُسلوب العالم المتّزن الطويل النفس، والخبير بأساليب الحوار والجدل، يعرض المسألة بإيجاز، ويورد أحسن ما قيل فيها من الآراء والحجج، ثم ينقد ويقوّم ويضعّف وينقض أو يقوّي ويستحسن.

ويمتاز الطوسي بالدقّة والأمانة في النقل والرواية، فلا يذكر شاهداً إلّا معزوّاً إلىٰ قائله، ولا خبراً إلّا مصحوباً بسنده، اللّهمّ إلّا ما ذهل عن حافظته.

وحسبنا دليلاً علىٰ دقّته وأمانته تأليفه القيّم: التبيان في تفسير القرآن الكريم. ففي هذا التفسير نرىٰ الطوسي بكلّ صوره العلمية، ففيه صورة الطوسي المحدّث والفقيه والأُصولي والكلامي، والطوسي الأديب النحوي اللغوي المرهف الحسّ الذوّاق لجمال النصوص القرآنية من جميع نواحيها.

ومن أحبّ أن يشاهد الصورة الحقيقية التي تمثّل جميع جوانب حياة الطوسي الثقافية فلينظر إلىٰ التبيان.

إنّ تفسير التبيان للشيخ الطوسي يعدّ نموذجاً ومثلاً واضحاً لمقدرة الطوسي العلمية والثقافية؛ إذ إنّه يمثّل بصورة رفيعة الثقافات التي اكتسبها خلال الأعوام التي مرّت في حياته[١].

ـ قد تحاشىٰ الشيخ بقدر وسعه وطاقته من أن يجعل تفسيره لفرقة أو طائفة خاصّة فيكون مظهراً خاصّاً للعصبية الطائفية، وبهذا السبب قد جاء

---

(١) مرتضىٰ آية الله زادة الشيرازي، عرض للاتجاه اللّغوي في تفسير التبيان، الذكرىٰ الألفية للشيخ الطوسي، ج ٢ ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ (مطبوعات كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية مشهد ١٩٧٥ م).

تفسيره هذا كنزاً ثميناً للحقائق العلمية والمعارف الدينية. وحقّ لكلّ من يريد فهم القرآن والتدبّر في معانيه من أيّ فرقة كان أن يستفيد من هذا التفسير الجليل علىٰ قدر استطاعته وأهليته[1].

منهج الشيخ قدس سره في التبيان

قال الشيخ قدس سره:

ولا ينبغي لأحدٍ أن ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصّلاً، أو يقلّد أحداً من المفسّرين، إلّا أن يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتّباعه لمكان الإجماع.

لأنّ من المفسّرين من حُمدت طرائقه ومُدحت مذاهبه، كابن عبّاس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم.

ومنهم من ذُمّت مذاهبه، كأبي صالح والسدّي والكلبي وغيرهم. هذا في الطبقة الأُولىٰ.

وأمّا المتأخّرون فكلّ واحد منهم نصر مذهبه، وتأوّل علىٰ ما يطابق أصله.

ولا يجوز لأحد أن يقلّد أحداً منهم، بل ينبغي أن يرجع إلىٰ الأدلّة الصحيحة: إمّا العقلية، أو الشرعية، من إجماعٍ عليه، أو نقلٍ متواتر به، عمّن يجب اتّباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبرٍ واحد، وخاصّة إذا كان ممّا طريقه العلم.

ومتىٰ ما كان التأويل ممّا يحتاج إلىٰ شاهدٍ من اللّغة، فلا يقبل من

---

(١) سعيد أحمد أكبرآبادي، الشيخ الطوسي ومنهجه في تفسير القرآن، الذكرىٰ الألفية للشيخ الطوسي ج ٢ : ٣٧٩ (مطبوعات كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية ـ مشهد ١٩٧٥).

الشاهد إلّا ما كان معلوماً بين أهل اللُّغة، شائعاً بينهم.

فأمّا ما طريقه الآحاد من الروايات الشاردة أو الألفاظ النادرة، فإنّه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً علىٰ كتاب الله، وينبغي أن يتوقّف فيه ويذكر مايحتمله، ولا يقطع علىٰ المراد منه بعينه، فإنّه متىٰ قطع بالمراد كان مخطئاً وإن أصاب الحقّ[١]. انتهى.

* * *

بناءً علىٰ ذلك يمكن القول: إنّ الشيخ قدس سره قد صاغ منهجيةً ورسم خطوطاً عريضةً لتفسيره لم يقفز عليها ولم يغفلها، فبقي ملتزماً بها ومحافظاً عليها في أثره النفيس هذا.

وتتلخّص الأُطر العامّة لمنهجه قدس سره في التبيان بما يلي:

١ ـ البحث عن اسم السورة، والإتيان بأقوال عديدة بدلائلها وبراهينها روايةً ولغةً، ثمّ يستأثر منها قولاً أو يأتي برأي جديد من عند نفسه ويبيّن وجوه ترجيحه.

٢ ـ الإشارة إلىٰ عدد آيات السورة، وإلىٰ الاختلاف الحاصل بين القرّاء في العدد إن وجد.

٣ ـ بيان المكّي والمدني من الآيات في كلّ سورة، مع ذكر أسماء بعض المفسّرين وآرائهم بذلك، كما يبيّن قدس سره الأقوال المختلفة في كون الآيات مكّية أم مدنية.

٤ ـ الإشارة في أوائل السور أحياناً إلىٰ وجود النسخ وعدمه.

٥ ـ شرح الكلمات اللُّغوية وأُصولها وتصاريفها، ويستشهد علىٰ ما يقول بالشعر العربي مرّة بعد مرّة.

---

(١) محمّد بن الحسن الطوسي، التبيان، ج ١ ص ٢٤ ـ ٢٦ (طبع وتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام).

٦ ـ تقديم سلسلة من الآراء في بيان أسباب نـزول الآيـة ، مـحاولاً التوسّع فيما هو الأقرب منها إلىٰ الصحّة .

٧ ـ تقطيع السورة الواحدة إلىٰ مقاطع ، كلّ مقطع يحتوي علىٰ آيـة واحدة غالباً ، ثم يقطّع الآية الواحدة إلىٰ عدّة مقاطع أيضاً .

٨ ـ ذكر القراءات المختلفة بمعانيها النازلة عليها وبوجوهها ، وكثيراً ما يورد القراءات التي لا تعتمد علىٰ قول الأئمّة الذين يعتبر قولهم حـجّة عنده وعند علماء القراءة ، ثمّ يتبع برأيه في آخر الأمر موجّهاً بالدليل . ولكنّه أجاز القراءة بأيٍّ من القراءات المشهورة ، ولم يعترّض علىٰواحدةٍ منها .

٩ ـ شرح الكلمات اللُّغوية وأُصولها وتصاريفها ، وذكر آراء اللُّغويين والاختلافات الواردة فيها ، وقد يردّ علىٰ بعضها ، ويرجّح البعض الآخـر ، كما ويطرح رأياً خاصّاً به مخالفاً بذلك الآراء المطروحة . وقد يستعينقدس سره بذكر الآراء اللُّغوية لكشف المقصود من الآية ولبيان المعنىٰ المستودع فيها .

١٠ ـ ذكر الإعراب وآراء النحاة ما يعينه علىٰ استيضاح معنىٰ الآيـة وفهم المراد منها ، وهو في هذا المجال يـناقش آراء الـنحاة ، ويـردّ عـلىٰ بعضهم ، وقد يرجّح آراء البعض الآخر ، كما يورد أحياناً آراءً خاصّة به .

١١ ـ الشعر ليس له أهمّية خاصّة في تـفسير الشيخقدس سره ، وإن أكـثر الاستشهاد به ، كما وأنّه لا يرقىٰ لأن يكون حجّة لإثبات حقيقة دينية ، وإنّما يذكره لتأكيد المعنىٰ ، أو تأييداً لاستعمال لغوي ضمن السياق القرآني ، وقد لا يذكر أسماء الشعراء الذين يستشهد بشعرهم . علماً بأنّه لا يـستشهد إلّا بأشعار القدماء من العصر الجاهلي والصدر الأول .

١٢ ـ الاستفادة من عددٍ من الأمثال التي قالتها العرب في استيضاح بعض المعاني أو المفاهيم ، بلا إكثار منها .

١٣ ـ عدم الإسهاب في الكلام حول البلاغة ، ولعلّهقدس سره كان يشير إليها أحياناً دون عناية مشهودة .

١٤ ـ معنىٰ الآية وتفسيرها يورده علىٰ النحو التالي : يذكر أولاً الأقوال المأثورة عمّن سلف ، أو الأحاديث المروية عن النبيّ صلى الله عليه وآله أو أهل البيت عليهم السلام أو الصحابة أو من دونهم من التابعين ، بأسانيدها . ثمّ يتحاكم بين الروايات إن كانت متعارضة بعضها ببعض ، ويتكلّم عن الأحكام الفقهية التي يمكن استنباطها من الآية المتعلّقة بها بشيء من التفصيل والإسهاب .

كما واستعان قدس سره في تفسير الآيات بذكر آيات أُخرىٰ ؛ ليفسّر بعضها بالبعض الآخر ، طبقاً لمبدأ تفسير القرآن بالقرآن .

واستفاد من السياق والنظم بين الآيات لاستجلاء الكثير من المعاني من خلال ربط الآيات القرآنية بما قبلها من آيات كريمة .

وقد أكثر قدس سره من ذكر آراء المفسّرين ، ففنّد بعضها وناقش البعض الآخر ، ليردّ ما يردّ عن بيّنة ، ويقبل ما يقبل عن بيّنة ، وكان أحياناً يخالف جمهور المفسّرين داعماً رأيه بالدليل والبرهان .

١٥ ـ الردّ علىٰ أهل الكتاب ومناقشتهم في معتقداتهم ، كمناقشته قدس سره لأصحاب المدارس الكلامية من الإسلاميين ، واعتراضه علىٰ الكثير من مقولاتهم ، كما هو الحال في ردّه المعتزلة والأشاعرة والخوارج والمجبّرة والمشبّهة والمجسّمة والقائلين بأن المعارف ضرورية ، وغيرهم . كما وذاد بقوّة ومتانة كبيرتين عن الإمامية ومعتقداتهم .

١٦ ـ تجنّب التكرار المملّ والاختصار المخلّ ، وكذلك الإسهاب من غير ضرورة ، وبهذا كان قدس سره معتدلاً مقتصداً في كلّ ما طرح .

وبذلك يحقّ لنا القول : إنّه قدس سره قد رفد المكتبة الإسلامية والمعاقل العلمية والثقافية بمشروع ملتزم طبق الضوابط والمعايير التخصّصية الدقيقة ، بتفسيرٍ ذي خطوط عامّة ومنهج واضح ، راعىٰ فيه ما اشترطه قدس سره من الأدلّة الصحيحة العقلية والشرعية ، أساسه النقد والمحاكمة والترجيح .

الشيخ الطوسي في سطور

هو الشيخ محمّد بن الحسن بن عليّ، أبو جعفر الطوسي، نسبة إلىٰ طوس من مدن خراسان، يلقّب بشيخ الطائفة، وبالشيخ علىٰ الإطلاق.

وُلِدَ في طوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥، ومن الطبيعي أن يكون قدّس سرّه قد أخذ أوّليّات علومه فيها، حتّىٰ بلغ الثالثة والعشرين من عمره الشريف.

هاجر إلىٰ بغداد، التي كانت آنذاك ملتقىٰ رجال العلم والفكر، وقد أرّخ دخوله إلىٰ بغداد في كتابه الغيبة عند التحدّث عن قبر عثمان بن سعيد رحمه الله، قائلاً: فكنّا ندخل إليه ونزوره مشاهرةً... ومن وقت دخولي إلىٰ بغداد وهي سنة ثمان وأربعمائة.

حيث كانت زعامة الشيعة الإماميّة فيها للشيخ المفيد (٣٣٨ ـ ٤١٣ هـ)، وقد تتلمذ عليه الشيخ الطوسي مدّة خمس سنوات، شرع خلالها بتأليف كتابه تهذيب الأحكام، وهو ابن خمس وعشرين سنة، شرح فيه كتاب المقنعة لشيخه المفيد.

اختصّ بعد وفاة شيخه المفيد بالسيّد المرتضىٰ ـ علم الهدىٰ ـ طيلة ثلاث عشرة سنة ـ وفيها كتب: تلخيص الشافي، بسط فيه المسائل التي وردت في كتاب الشافي لأُستاذه الشريف المرتضىٰ، والرجال، والفهرست ـ إلىٰ أن توفّي السيّد رحمه الله لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة ٤٣٦ هـ.

تصدّىٰ للزعامة الدينيّة بعد وفاة أُستاذه علم الهدىٰ، وبقي بعده في بغداد اثنتي عشرة سنة.

كان قدّس سرّه شيخ الإماميّة ووجههم، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقه والأُصول،

والكلام والأدب؛ ممّا حدا بالخليفة العبّاسي ـ القائم بأمر الله ـ أن يجعل له كرسي الكلام والإفادة، وما كانوا يسمحون به وقتذاك إلّا لوحيد عصره. والظاهر أنّ اهتمام الخليفة العبّاسي بالشيخ الطوسي أثار حفيظة البعض، فسعوا به لدىٰ الخليفة القائم، واتّهموه بأنّه تناول الصحابة بما لا يُليق بهم في كتابه المصباح وفي دعاء يوم عاشوراء: **اللّهم خصّ أنت أوّل ظالم باللّعن منّي**... إلىٰ آخره، فدعىٰ الخليفة الشيخ والكتاب، فلمّا حضر الشيخ ووقف علىٰ القصّة ألهمه الله تعالىٰ أن قال: ليس المراد من هذه الفقرات ما ظنّته السُّعاة، بل المراد بالأوّل: قابيل قاتل هابيل، وهو أوّل من سنّ القتل والظلم، وبالثاني: عاقر ناقة صالح، وبالثالث: قاتل يحيىٰ بن زكريا قتله لأجل بغيّ من بغايا بني إسرائيل، وبالرابع: عبدالرحمن بن ملجم قاتل عليّ ابن أبي طالب عليه‌السلام، فلمّا سمع الخليفة بيان الشيخ وتأويله؛ قَبِلَ منه ورفع شأنه.

بلغت عدّة تلامذته إلىٰ ثلاثمائة مجتهد من الخاصّة، ومن العامّة ما لا يحصىٰ عددهم.

لم يفتأ الشيخ حتّىٰ ثارت الفتن، واشتدّ أوارها عند دخول أوّل ملوك السلاجقة ـ طغرل بيك ـ بغداد فأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي، وتوسّعت الفتنة حتّىٰ اتّجهت إلىٰ شيخ الطائفة وأصحابه، فأحرقوا كتبه وكرسيّه الذي كان يجلس عليه للكلام.

عندما رأىٰ الشيخ رحمه‌الله اتّساع الفتنة؛ هاجر إلىٰ النجف الأشرف لائذاً بجوار مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام، وصيّرها مركزاً للعلم، وجامعة للشيعة الإماميّة.

وأمّا مصنّفاته: فقد دوّنها هو قدس‌سره في كتابه الفهرست، في آخر حرف

الميم قائلاً: له مصنّفات منها: كتاب تهذيب الأحكام، وهو يشتمل علىٰ عدّة كتب... [وذكر الكتب التي يحتوي عليها التهذيب].

وله كتاب الاستبصار في ما اختلف من الأخبار، وهو يشتمل علىٰ عدّة كتب تهذيب الأحكام، غير أنّ هذا الكتاب مقصور علىٰ ذكر ما اختلف من الأخبار، والأوّل يجمع الخلاف والوفاق.

وله كتاب النهاية في مجرّد الفقه والفتاوىٰ، وهو يشتمل علىٰ عدّة كتب تهذيب الأحكام.

وله كتاب المفصح في الإمامة.

وله كتاب تلخيص كتاب الشافي.

وله مختصر ما لا يسع المكلّف الإخلال به.

وله كتاب العدّة في أُصول الفقه.

وله كتاب الرجال: من روىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله، والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، ومن تأخّر عنهم.

وله هذا الكتاب، وهو فهرست كتب الشيعة وأُصولهم وأسماء المصنّفين منهم وأصحاب الأُصول والكتب وأسماء من صُنِّف لهم وليس منهم.

وله مسائل الخلاف مع الكلّ في الفقه.

وله كتاب المبسوط في الفقه المجرّد الكبير، يشتمل علىٰ ثمانين كتاباً في فروع الفقه كلّها لم يُصنَّف مثله.

وله كتاب ما يعلّل وما لا يعلّل.

وله مقدّمة في المدخل إلىٰ علم الكلام، لم يُعمل مثلها.

وله شرح المقدّمة.

وله كتاب الجمل والعقود في العبادات مختصر.

وله مسألة في الأحوال، مليحة.

وله الإيجاز في الفرائض مختصر.

وله مسألة في العمل بخبر الواحد.

وله شرح ما يتعلّق بالأُصول من جمل العلم والعمل.

وله مسألة في تحريم الفقاع.

وله المسائل الجنبلائيّة، أربع وعشرون مسألة.

وله المسائل الرجبيّة في تفسير آي من القرآن.

وله المسائل الدمشقيّة، اثنتا عشرة رسالة.

وله كتاب التبيان في تفسير القرآن، لم يُعمل مثله.

وله المسائل الرازيّة في الوعيد.

وله المسائل في الفرق بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام.

وله المسائل الحلبيّة.

وله النقض علىٰ ابن شاذان في مسألة الغار.

وله مختصر في عمل يوم وليلة.

وله مناسك الحجّ مجرّد العمل والأدعيّة.

وله مسائل ابن البرّاج.

وكتاب مصباح المتهجّد في عمل السنة.

وكتاب أنيس الوحيد، مجموع.

وكتاب الاقتصاد في ما يجب علىٰ العباد.

وكتاب مختصر المصباح في عمل السنة.

والمسائل الإلياسيّة، مائة مسألة في فنون مختلفة.

ومختصر أخبار المختار.

وكتاب الغيبة.

والمسائل الحائريّة، نحو من ثلاثمائة مسألة.

وكتاب هداية المسترشد وبصيرة المتعبّد.

وله اختيار الرجال.

وكتاب المجالس في الأخبار.

وله مسألة في وجوب الجزية علىٰ اليهود والمنتمين إلىٰ الجبابرة.

وله كتاب مقتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما.

وله كتاب في الأُصول كبير، خرج منه الكلام في التوحيد وبعض الكلام في العدل.

والمسائل القميّة. انتهىٰ ما ذكرهﺗﺘﺘﺘﺘﺘﺘﺘ في كتابه الفهرست.

وفاته ومدفنه:

اختلف الرواة في تحديد سنة وفاته، فذكر البعض أنّه توفّي سنة ٤٥٨ هـ، وذكر البعض الآخر سنة ٤٥٩ هـ، واعتبرها آخرون سنة ٤٦١ هـ، إلّا أنّ ما تؤكّده المصادر الموثوقة أنّ وفاته كانت سنة ٤٦٠ هـ؛ إذ المعروف أنّه عاش بعد وفاة أُستاذه الشريف المرتضىٰ (ت ٤٣٦ هـ): أربعاً وعشرين سنة، وبما أنّه ولد سنة ٣٨٥؛ فقد عمّرﷺ خمس وسبعين سنة.

تولّىٰ غسله عدّة من تلامذته منهم: الحسن بن مهدي السليقي، والذي نُقِلَ قوله: تولّيت أنا، والشيخ أبو محمّد الحسن بن عبدالواحد زربي، والشيخ أبوالحسن اللؤلؤي غسله في تلك الليلة ودفنه.

وقد وري جثمانه الثرىٰ في بيته، والذي تحوّل إلىٰ مسجد يحمل اسمه، وأصبح من المزارات المعروفة في مدينة النجف الأشرف.

وأخيراً نقول: بما أنّ ترجمة شيخ الطائفة قطوفها دانية لمن رامها؛ آثرنا ذكرها بصورة مختصرة، سيراً علىٰ سُنّة التحقيق، مع ذكر مصادر ذكرت فيها ترجمة الشيخ الطوسي، ومن أراد المزيد فليراجعها.

من مصادر الترجمة :

الفهرست ـ ترجم لنفسه في آخر حرف الميم ـ: ٧١٤/٤٤٧، رجال النجاسي: ١٠٦٨/٤٠٣، رجال ابن داوُد: ١٣٥٥/١٦٩، خلاصة الأقوال: ٨٤٥/٢٤٩، تعليقة الشهيد الثاني على الخلاصة: ٧٠، معالم العلماء: ٧٦٦/١١٤، نقد الرجال ٤: ٤٦٠٠/١٧٩، جامع الرواة ٢: ٩٥، الوجيزة للمجلسي: ١٦٤٣/١٥٦، الفوائد الرجاليّة ٣: ٢٢٧، منتهىٰ المقال ٦: ٢٥٧٢/٢٠، خاتمة المستدرك ٢١: ١٦٦، تنقيح المقال ٣: ١٠٥٦٣/١٠٤، تأسيس الشيعة: ٣١٣، رياض العلماء ٧: ١٥٨ و١٨٨، روضات الجنّات ٦: ٥٨٠/٢١٦، الكنىٰ والألقاب ٢: ٤١٤/٣٨٧، الفوائد الرضوية ٢: ٧٤٨، سماء المقال ١: ١٠٤، الذريعة ١: ١٩١٢/٣٦٥ و٣: ١١٩٧/٣٢٨ و٤: ٢٢٦٣/٥٠٤ و٧: ١١٣٧/٢٣٥ وغيرها، معجم رجال الحديث ١٦: ١٠٥٢٦/٢٥٧، مع علماء النجف الأشرف ١: ٩٦، معجم المفسّرين ٢: ٥١٤، تاريخ العلماء: ٥١١، وكتاب الشيخ الطوسي للسيّد حسن عيسىٰ الحكيم.

الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠: ٥٨، المنتظم لابن الجوزي ١٦: ٣٣٩٥/١١٠، سير أعلام النبلاء ١٨: ١٥٥/٣٣٤، الوافي بالوفيات ٢: ٨٠٩/٣٤٩، طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٤: ٣١٥/١٢٦، البداية والنهاية لابن كثير ١٣: ٩٧، لسان الميزان ٦: ٧٢٩٩/٥٢، طبقات المفسّرين للسيوطي: ٩١/٨٠، تاريخ آداب اللّغة العربية لجرجي زيدان ١٣: ١٠٢، دائرة المعارف الإسلاميّة ١٥: ٣٧٦.

النسخ المعتمدة :

نسخة «ع» :

وتبدأ من الآية ١٢١ من سورة آل عمران ، وتنتهي بالآية ٥٠ من سورة المائدة .

وهي نسخة نفيسة جداً ، كتبت في القرن الخامس الهجري ، عليها بلاغ مقابلة بخطّ المصنّف الشيخ الطوسي تَدَّسِّرُهُ لفظه :

«قرأ عليَّ الشيخ أبو الوفاء عبدالجبار بن عبدالله المقرئ الرازي أدام الله عزّه هذا الجزء من أوّله إلى آخره . وسمع جميعه الشيخ أبو محمّد الحسن بن الحسين بن بابويه القمّي ، وولدي أبو علي الحسن بن محمّد ، وكتب محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي في شهر ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين وأربعمائة» .

وبلاغ آخر بخط الشيخ أبي الوفاء المذكور ، لفظه :

«قرأ عليّ ولدي أبو القاسم عليّ بن عبدالجبار وفقه الله هذا الجزء من أوّله إلى آخره ، وسمع السيّد أبو الفضل داعي بن عليّ بن الحسين الحسيني أدام الله تأييده . كتبه أبو الوفاء عبدالجبار بن عبدالله بن عليّ المقرئ بخطّه بتاريخ سلخ جمادى الأُولى سنة أربع وتسعين وأربعمائة حامداً لله مصلّياً على سيدنا محمّد وآله . . بإذنه وروايته عن مصنّفه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» .

وفي نهاية النسخة جاء : فرغ من قراءته علي بن الفتح الواعظ الجرجاني على صاحب الاجل المفيد حرس الله ظلّه غرّة رجب عظم الله بركته سنة ثلاث وخمسمائة وقابلت نسختي بهذا الأصل على قدر الإمكان ، كتبه علي بن الفتح الواعظ .

وكذا:

قرأ علي بن أحمد بن محمّد... أوله إلى آخره.. وكذلك الشيخ الفقيه العالم علي بن الفتح الواعظ الجرجاني أدام الله...

وهي مصوّرة محفوظة في مركز إحياء التراث الإسلامي، قم برقم ١١، عن أصلها المحفوظ في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي، برقم ٨٣.

نسخة «ط»:

وتبدأ من الآية ٤٣ من سورة المائدة، وإلى الآية ٧٤ من سورة الأنعام.

صُوِّرت عن الفلم المحفوظ في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم: ٦١٤٧، كما جاء في فهرست أفلام المكتبة المركزية ومركز أسناد جامعة طهران ٣: ٢٤٢. وهو عن أصله المحفوظ في خزانة مكتبة فخر الدين نصيري برقم ٦٠٣، حسب ما جاء في آخرها.

ومن المؤسف وجود نقص في أوّلها حدود سبع صفحات، وكتبت بخطّ جديد يعود للقرن الثامن أو التاسع.

وجاء في آخرها ما لفظه:

«...وكتب هبة الله بن عليّ بن محمّد المالكي الكاتب في العشر الآخر من رجب سنة سبع وسبعين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغريّ على ساكنه السلام للسيّد الأجل العالم... أبي المحاسن إسماعيل بن عقيل الحسيني السيلفي... أمتعه الله به».

نسخة «ح»:

وتبدأ من أواخر تفسير الآية ١٥٠ من سورة البقرة **﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ...﴾** عند قول الشيخ: يعني أرى لها داراً ورماداً... الرابع: قال قطرب.

وتنتهي بنهاية تفسير الآية ٩٥ من سورة آل عمران قوله تعالى: **﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا...﴾** عند قوله: فيما كان عليه إبراهيم من الشرع.

في عدة مواضع منها بلاغ مقابلة نصّه:

«بلغ معارضة بنسخة الأصل المقروءة على مصنّفه رحمه الله تعالى».

وجاء في نهايتها بلاغ مقابلة نصّه:

«قوبلت هذه المجلّدة بحمد الله ومنّه بغيرها في مجالس آخرها التاسع عشر من شوّال سنة خمس ماية».

ومن المؤسف أنّها مجهولة الناسخ.

وهي من محفوظات خزانة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مؤسسة الشيخ الأميني صاحب الغدير قدس سره برقم عام ١٧١ وتسلسل مخزني ١/٦/١٥١.

نسخة «ت»:

وتبدأ من أواخر تفسير الآية ١٠ من سورة الأنفال، وتنتهي بأواخر تفسير الآية ٨٧ من سورة هود.

يظهر من قرائن الخط أنّها تعود للقرن الخامس، وهي بخطّ ردئ بخطّ الكاتب: عزيزي بن المحسن بغدادي في ذي قعدة ٨٦... (وباقي التاريخ مبتور).

وفي بداية الجزء الثامن عليها إعلام تملّك للنسخة الأصل باسم عليّ

ابن الحسين بن محمّد بن إبراهيم البدني.

وآخر يدلّ على أنّ مالك النسخة هو الخواجة صلاح الدين ظهير الإسلام شيخ الأئمة محمّد بن منكا بن أبي علي الاسترآبادي في سنة ٥٣٨هـ.

وهي مصوّرة عن أصلها المحفوظ في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي قدس سره، برقم ٣٦٦٥.

نسخة «ر»:

يعود تأريخها إلى القرن الخامس الهجري، حسب ما جاء في تعريفها في فهرست خزانة مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي ١٠: ٧ ت ٣٦٠٧، على أنّ خطّها ليس بذاك الجميل.

وتحوي مقاطع من تفسير سور متفرّقة، وكأنّ يداً عبثت بها فقدّمت وأخّرت، واقتطعت، وأتلفت منها. في هوامشها بعض الحواشي والتصحيحات، وقد اعتبرناها نسخة مساعدة حين الاحتياج إليها.

نسخة «خ»:

يظهر من قرائن الخطّ والكتابة والورق أنّها نسخة نفيسة؛ لإرتقاء تاريخها ـ حسب القرائن ـ لحدود أواخر القرن الخامس أو بدايات السادس.

أضف أنها قريبة الخط من النسخ: «المؤرخة مثل: «ع، ت، م» اذن هي نسخة نفيسة.

ولكن المؤسف له كثرة وجود السقوط المتفرّقة، وكأنّ يداً عبثت بها فقدّمت وأخرت بعض الصفحات، وألحقت أُخرى بغيرها، ولعلّ ذلك نشأ عند تجليدها.

وهي من محفوظات خزانة مكتبة آية الله العظمى السيّد الحكيم قدس سره العامة في النجف الأشرف برقم ٢٣٠٤ مخطوط.

نسخة «م»:

وتبدأ بالآية ٤٤ من سورة هود، وتنتهي بنهاية تفسير الآية ٦٢ من سورة الكهف. المحفوظة من مكتبة الملك برقم ١٧٤.

بخط محمّد بن محمّد بن علي.. في آخر شعبان ٥٦٦ نسخة مسّتها الرطوبة.

وهي نسخة نفيسة جدّاً، كتبت بتاريخ آخر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة، كتبها محمّد بن محمّد... على نسخة أصل مقروءة على الشيخ المصنّف قدس سره، وعليها عدّة بلاغات إنهاء القراءة ـ حسب ما ذكره الأستاذ دانش پژوه في تعريفها في فهرست أفلام المكتبة المركزية لجامعة طهران: ٢٩٥٠ ـ منها ما نصّه:

«قرأ عليّ الشيخ أبو الوفاء عبدالجبار بن عبدالله المقرئ الرازي أدام الله عزّه هذا الجزء من أوّله إلى آخره... وولدي أبو عليّ الحسن بن محمّد. وكتب محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي في شهر ربيع الأوّل سنة ٤٥٥هـ».

وآخر بخط الشيخ أبي الوفاء المذكور أعلاه، ممّا جاء في آخره:

«كتبه أبوهما عبدالجبار بن عبدالله بخطّه بتاريخ رجب سنة... وخمسمائة».

وآخر بلاغ تملُّك وشراء ممّا جاء فيه: «...في يوم الجمعة منتصف ربيع الأوّل سنة ٥٠٣هـ في نوبة أضعف خلق الله ابن نصر بن علوي بن سليمان بن يحيى بن جعفر بن أحمد بن محمّد...».

وبلاغ قراءة جاء فيه:

«فرغ من قراءته علي بن الفتح الواعظ الجرجاني على صاحبه الأجل المفيد حرس الله ظلّه غرّة رجب عظّم الله بركته سنة ثلث وخمسمائة، وقابلت نسختي بهذا الأصل على قدر الإمكان...» الخ.

نسخة «ي»:

وتبدأ من الآية ١٣٦ من سورة البقرة، وتنتهي بالآية ١٢٠ من سورة آل عمران.

جاء في آخرها:

«تمّ الجزء الثاني، ويتلوه الجزء الثالث: تفسير قوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ**﴾. سورة آل عمران: ١٢١.

ووافق الفراغ من نسخه في شهور سنة سبع وستين وخمسمائة، كتبه عليّ بن حمزة بن محمّد بن أحمد بن شهريار الخازن لمشهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمّد النبي وآله الطاهرين».

وفي بعض الصفحات جاءت عبارت: «بلغ عرضاً بنسخة المؤلّف» و«بلغ مقابلة بالأصل بخط المصنّف».

وجاء أيضاً بعده وبنفس الخطّ ما يلي:

«قوبل بنسخة الأصل بخط مصنّفه رحمة الله عليه في شهور سنة ثلاث وسبعين.... وخمسمائة.... والحمد لله ربّ العالمين».

وهي مصوّرة عن أصلها المحفوظ بمكتبة برستون في امريكا، عنها مصوّرة في مركز إحياء التراث الإسلامي ـ قم برقم ٣٢٩ كما جاء في فهرست النسخ المصورة للمركز ١: ٣٨٨.

نسخة «ك» :

وهي الجزء الخامس من تجزئة المصنّف .

وتبدأ من بداية تفسير سورة الصافّات ، وتنتهي بنهاية تفسير سورة الناس .

ويبدو أنّه سقط من أخير الكتاب مقدار نصف صفحة يحوي ذكر العدّ البصريّ والمدنيّ والمكّي والكوفيّ للآيات ، وعدّ ما نزل بمكّة والمدينة ، ومجموع سور القرآن ، وعدد كلماته وحروفه ونقطه .

وقد جاء في الصفحة الأُولى (العنوان) :

«ملك للحسين بن محمّد بن عبدالقاهر بن محمّد بن عبدالله بن يحيى بن الوكيل المعروف بابن السطوي نفعه الله به . ابتدأ بنسخه لنفسه يوم الجمعة السابع من شهر ربيع الآخر من سنة أربع وتسعين وخمسمائة حامداً ومصلّياً على رسوله وأهل بيته» .

كما جاء في آخر النسخة ما يلي :

«فرغ الحسين بن محمّد بن عبدالقاهر بن محمّد بن عبدالله بن يحيى ابن الوكيل المعروف بابن السطوي من كتابة هذا الجزء الخامس لنفسه، وبتمامه تمّ كتاب التبيان بكرة السبت حادي عشر صفر من سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وصلّى الله على سيدنا محمّد النبيّ وأهل بيته الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً» .

وهذه مصوّرة عن أصلها المحفوظ في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بمدينة تريم في اليمن ، برقم ٢٥ حصلنا عليها بواسطة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمعهد المخطوطات العربية ـ الكويت .

نسخة «ص» :

وتبدأ من تفسير الآية ١١ من سورة الذاريات ، وتنتهي بنهاية الكتاب .

جاء في آخرها بلاغان ، الأوّل لفظه :

«ووافق الفراغ من عمله يوم العشرين والواحد من رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، ووافق الفراغ من تبييضه يوم الأحد الرابع عشر من جمادى الآخرة من سنة أربع وأربعين وأربعمائة» .

وبعده جاءت فِقرةٌ فيها عدّ الآيات في البصري والمدني الأوّل والكوفي ، والمدني الأخير . وعدد ما نزل بمكة والمدينة . وعدّ السور ، وكلمات القرآن ، وحروفه ، ونقاطه .

ثمّ بعد ذلك جاء البلاغ الثاني وهو بلاغ الكتابة ، لفظه :

«تمّ الجزء التاسع من كتاب التبيان في تفسير القرآن ، وهو آخر الكتاب ، ووافق الفراغ من نسخه في يوم السبت سادس عشرين جمادى الأولىٰ من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . وكتب محمّد بن عليّ محمّد بن الحسن بن حيدر حامداً مصليّاً على نبيّه المصطفى محمّد وآله الطاهرين» .

وهي مصوّرة عن أصلها المحفوظ في مكتبة حراجي أوغلو في تركيا برقم ١٨٢٢ .

نسخة «ش» :

وهي الجزء الرابع من تجزئة المصنّف ، وتبدأ من الآية ٥٣ من سورة النحل ، وتنتهي بالآية ٨٣ من سورة يس وهي آخرها .

وقد جاء في صفحة العنوان ما يلي :

«ملك للحسين بن محمّد بن عبدالقاهر بن محمّد بن عبدالله بن يحيى بن الوكيل المعروف بابن السطوي نفعه الله به . ابتدأ بنسخه لنفسه

يوم الجمعة سابع شهر رمضان من سنة ثلث وتسعين وخمسمائة حامداً لله ومصلّياً على رسوله وأهل بيته».

وجاء في آخره ما نصه:

«آخر المجلدة الرابعة من كتاب التبيان ويتلوه في الجزء الخامس سورة الصافات، والحمد لله ربّ العالمين وصلوته على محمّد النبيّ وآله الطاهرين وسلم تسليماً. فرغ من نسخه ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الأوّل من سنة أربع وتسعين وخمسمائة».

والنسخة مصوّرة عن أصلها المحفوظ في مكتبة مدرسة نور بخش في مدينة بروجرد.

نسخة «ؤ»:

نسخة كاملة للتفسير من أوّله وإلى آخره. إلّا أنّها متأخّرة؛ إذ يعود تاريخ إكمال الجزء السادس إلى ٨/ ذي الحجّة/ ١٠٨٧هـ.

والذي يجبر ذلك أنّها مقابلة على نسخة أُخرى؛ حيث عليها بلاغات مقابلة في مواضع عدّة، وجاء في آخرها ما نصّه:

«بلغ مقابلة وتصحيحاً بحسب... إلّا ما زاغ عنه البصر...».

وهي مصوّرة عن أصلها المحفوظ في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيّد الحكيم قدّس سرّه في النجف الأشرف، برقم ٥٠٧ مخطوط.

نسخة «هـ»:

وهي وإن كانت متأخّرة إلّا أنّها تكسب أهميّة؛ لأنّ كاتبها أحد الأُدباء الفضلاء، ومن القضاة المعروفين، وعضو المجمع العلمي العراقي، صاحب المؤلّفات، والتي منها الطليعة من شعراء الشيعة وغيرها، وهو العلّامة

الحجّة الشيخ محمّد بن الشيخ طاهر السماوي، المتوفّى ١٣٧٠هـ.

فقد جاء في آخرها ما لفظه:

«استنسخها لنفسه بنفسه محمّد بن الشيخ طاهر السماوي عن نسخة سقيمة قام هو بتصحيح ما استنسخه قدر الإمكان بتاريخ ١٣٧٥هـ»، والجزء الأخير منها تاريخه ١٣٥٩هـ.

وبغض النظر عن تأخّرها فلكمالها وكون الكاتب عالم فاضل أديب؛ اعْتُمِدَت كمؤيّدة للأُخريات في مواردها.

صُوِّرت عن أصلها المحفوظ في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيّد الحكيم قدس سره في النجف الأشرف. وهي بالأرقام ٦٧٧ ـ ٦٨٣ مخطوط.

النسخة الحجرية:

وقد اعْتُمِدَت لحين الحصول على النسخ الخطيّة للجزء الأوّل متمثّلة بالنسخ: (خ، ؤ، هـ، س) ذكرناها هنا؛ للاعتماد عليها في بعض الموارد للتأييد.

ويبدو أنّها هي الأصل للطبعة الحروفية الأُولى.

وتقع بجزأين، كتبت بقلم مؤيد الأطباء محمّد عليّ البختياري الأصل الطهراني الموطن الكربلائي المسكن، عام ١٣٣٠هـ.

مصوّرة عن أصلها المحفوظ في خزانة المكتبة الرضوية (آستانة قدس) في مشهد، برقم ١٩٢٣٨ و١٩٢٤١.

منهجيّة التحقيق :

تصدّت مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق هذا السفر النفيس طبقاً لمنهجها في أسلوب العمل الجماعي . وعانت صعوبات كبيرة في الحصول على مصورات مخطوطاته ، ساهم في تذليلها الاستقراء والمتابعة الدائمتين . وكلمّا يمرّ الوقت كانت تتفتّح آفاق واسعة على صعيد اقتناء مصورات جديدة.

ولابدّ أن نشير إلى عاملين ساهما بكل فاعليّة في توفّر هذه المصورات:

أحدهما : دعم وإسناد العلّامة المحقّق حجة الإسلام والمسلمين السيد عبدالعزيز الطباطبائي قدس سره سواء بتقديم ما لديه من المصورات أو الإرشاد إلى غيرها .

ثانيهما : تغيّر الأوضاع القائمة في العراق وسقوط النظام الاستبدادي ، ممّا أوجد فرصة الوصول إلى مكتبات النجف الأشرف والحصول على مصورات ثمينة جدّاً ، منها ما عليها بلاغ مقابلة يعود تأريخها إلى سنة ٥٢٢ هـ ، وغيرها . ولقد تركت المخطوطات المقتناة مؤخّراً أثراً إيجابياً على نوع العمل وكيفيته .

هذا ، ولسنا بصدد تقوية أو تبرير داعي العمل على هذا السفر الشريف ؛ إذ مشروع التفسير عموماً وكتاب التبيان خصوصاً يعدّ من المشاريع التي توليها المؤسّسة غاية الأهمية؛ لمكانة القرآن الكريم وعلومه في فكر المسلمين وثقافتهم .

ولابدّ أن نشير إلى نماذج من الاختلافات الحاسمة والسقوطات المربكة الموجودة في الطبعة السابقة التي عالجناها أثناء عملنا . والآتي هو ثبتٌ بما يخصّ الجزء الأول فقط . علماً أنّ سائر الأجزاء على هذا المنوال إن لم تكن أكثر من حيث الاختلافات والسقوطات .

الطبعة السابقة	طبعة المؤسسة	صفحة
المتمرد شيطاناً	المتمرّد من كلّ شيء شيطاناً	٧٠
القرضي والقرطي والفرضي	القُطَعِي	٧٥
إنّه إله للجماد	إنّه ليس باله للجماد	٨٦
كما يقول للنظير	كما يقول النظير للنظير	١٠١
أشد	أسوء	١٦٩
والهاء ﴿فيه﴾	والهاء في ﴿فيه﴾	١٧٠
هذا كتاب هدى..... ويحتمل أن يكون رفعاً بأنّه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو هدى لأنّ الكلام الأوّل قد تمّ ويحتمل أن يكون رفعه على قولك ذلك الكتاب لا ريب كأنك قلت: هذا الكتاب حق	هذا ذلك الكتاب هدى ويحتمل أنْ يكون رفعاً من وجوه: أوّلها: أنْ يكون خبراً بعد خبر كأنّه قال: هذا ذلك الكتاب هدًى، أي: قد جَمَعَ أنّه الكتابُ الذي وُعِدوا به وأنّه هدًى. كما يقولون: هذا حُلْوٌ حامضٌ؛ يريدون أنّه قد جمع الطَّعْمين. وثانياً: أنْ يكون رفعاً بأنّه خبرُ ابتداءٍ محذوف، وتقديره: هو هدىً. ثمّ قال بعد ذلك: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وثالثها: أنْ يكون الكلام قد تمّ عند ﴿رَيْبَ﴾، وابتدأ بقوله: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ فكأنّه قال ذلك الكتاب حقّاً؛ لأنّ ﴿لَا رَيْبَ﴾ بمعنى حقّ،	١٧١-١٧٢
بالإيمان أن يكونوا مأمورين بأبطال ما علم الله أليس	بالإيمان، فيقال لهم أيقولون مأمورون أن يجهلوه؟ فما قالوه قلنا مثله، ثم يقال: أليس	٢٠٣

و﴿من عليها﴾ والهمزة نحو قوله	و﴿من عُليها﴾ والهاء نحو قوله: ﴿من همزات﴾ والحاء نحو قوله ﴿من حليّهم﴾	٢١١
غير أُناس، وإلّا لقيل في التصغير	غير أُناس (وأنّه سمع العرب تصغّره «نويس» من الناس، وأنّ الأصل لو كان أُناس لقيل في التصغير	٢١٤
الشعيرة والشعير	الشَّعر والشَّعير	٢٢٣
لمّا رجع عليهم	لمّا رجع ضرره عليهم	٢٤٤
قال: الجرمي	قال: الضَّبّي	٢٤٥
وروى السوخردي عن زيد بن إسماعيل	وروى السوسنجردي عن زيد عن ابن إسماعيل	٢٤٩
ناراً يكنى به	ناراً والميم يكنّى به	٢٥٩
الذي جعله مثلاً	الذي مثَّل الله تعالى بــه جماعة المنافقين بالواحد جعله مثلاً	٢٥٩
والحائل: العير	والحائل: المتغيِّر	٢٦٥
المسلمون ويُوَّلدونهم ويقاسمونهم	المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم	٢٦٦
والإيمان لأنّه ما فعل بهم	والإيمان؛ لا أنّه فعل بهم	٢٧٢
رواه أبو خالد عن ابن عباس	رواه أبو الجلد. عنه ابن عباس	٢٧٨
مارواه أبو خالد عن ابن عباس	ما رواه أبو الجلد عنه ابن عباس	٢٧٩
لعلّك ترشد وإدخاله لعلّ	لعلّك ترشد ليس أنّه من ذلك في شكّ، وإنّما يريد إقبَله ترشد وإدخاله «لعلّ»	٢٩٤

شكل الكرة وقوله ﴿وانتم تعلمون	شكل الكرة ولا ندفع أن يكون في أبعاضها مواضع مبسوطة، وكيف يدفع ذلك عاقل؟! ومعلوم ضرورةً بسط مواضع كثيرة من الأرض، فاستقرار الماء في الموضع الذي استقرّ فيه إنّما هو لما فيه من البسط، وذلك لا ينافي أن يكون لجميعها شكل الكرة). وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.	٣٠٣
هو عن النظير والجنس...	هو من النظم والجنس...	٣٠٥
ونشأ معهم ولم يفارقهم	ونشأ معهم ولم يغب عنهم ولم يفارقهم	
المراد به متشابهاً في اللّون	المراد: أوتو به متشابهاً في اللون	
والمنظر	والنظر	٣٢٠
المثل بمثله يقال أي ضرب	المثل تمثيله يقال من أي ضرب	٣٢٧
أي ما هو أعظم منها وقيل في الصغر والقلة	يعني ما هو أعظم منها على قول قتادة وابن جريح، وقيل فما فوقها في الصغر والقلّة	٣٣٠
والواحد والجمع	والواحد والتثنية والجمع	٣٤٥
أن تكون راجعة إلى اسم الله تعالى	أن تكون راجعة إلى العهد ويحتمل أن تكون راجعة إلى اسم الله تعالى	٣٤٥
وقال قوم أراد كل معصية	وقال قوم أراد نقض العهد. وقال قوم أراد كلَّ معصية	٣٤٦
ثمّ سبعاً بغير استوائه	ثمّ سواها سبعاً بعد استوائه	٣٥٨

❊ ❊ ❊

هذا، وبما أنّ عصر الشيخ المصنفتَيِّئُ - القرن الخامس الهجري - من العصور المتقدّمة، مضافاً إلىٰ ما تعرّضت له المكتبات من حملات الجهل والعصبية التي أتلفت الكثير من المصادر والمراجع النفيسة، تجدنا نعاني حالياً من فقدان تلك المصادر إلّا القليل منها، الأمر الذي ترك آثاره السلبية علىٰ الأعمال العلمية، لا سيّما مجالنا مجال التحقيق.

ومع كلّ ذلك، فقد بذلت إدارة المؤسسة جهداً لتوفير ما يمكن توفيره من المصادر رغم الصعوبات والمعاناة، وهو أحد أسباب التأخير في صدور العمل وطول مدّته.

وقد انبثقت اللِّجان المختصة لتحقيق الكتاب طبق منهج المؤسسة القائم علىٰ أُسلوب العمل الجماعي، وهي:

١ ـ لجنة المقابلة:

وظيفتها: مقابلة المخطوطات الموجودة مع المطبوع وتثبيت الاختلافات سواء الموجودة بينها أو بينها وبين المطبوع.

قام بمهمتها: أصحاب الفضيلة والإخوة الأماجد: الحاج عزالدين عبدالملك، السيد ناصر طبيبي، الشيخ محمد صداقت، الشيخ علاء مصطفىٰ، صاحب ناصر سعيد الباقر.

٢ ـ لجنة التخريج:

وظيفتها: تخريج الأحاديث والأقوال الفقهية، الكلامية، التفسيرية، الأدبيّة، القراءات، الشواهد الشعريّة، التي تعرّض لها المصنّف بالتصريح أو الإشارة.

قام بمهمتها : صاحبا الفضيلة: الشيخ محمد ميرزائي، الشيخ محمد طسوجي، الأخ الماجد عبدالكريم الحسيني.

٣ ـ لجنة التدقيق :

وظيفتها : مراجعة التخريجات ، والعمل علىٰ إكمال النواقص وحذف الزوائد إن وجدت .

قام بمهمتها : فضيلة الشيخ علي شريعتي، الأخ الماجد السيد ناصر الحلو.

٤ ـ لجنة المراجعة اللغوية :

وظيفتها فحص النصّ بما فيه من شواهد وأمثال وغيرهما وضبطه نحوياً وإعرابياً وعروضياً .

قام بمهمتها : الأُستاذ الفاضل ثامر العسّاف.

٥ ـ لجنة تقويم النصّ وضبطه :

وهي من أهم مراحل العمل ، حيث يجري بها توزيع النّص بما يتناسب واحتياج العبارة، وتجريده من الأخطاء العلمية واللّغوية والفنيّة ، بالاستعانة بسائر المراحل السابقة من المقابلة والاستخراج والتّدقيق والضّبط الرجالي وغيرها . وفي الهامش فضاء رحب يشار فيه إلىٰ اختلاف النّسخ والراجح والمرجوح منها ، وثبت الجمل والعبارات البيانية، وشرح الكلمات الغامضة ونظائرها .

قام بمهمتها : العلّامة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد علي الخراساني،

والذي بذل جهداً وعناءً كبيرين في مراجعة الكتاب وضبط أسانيده وهوامشه، وكذلك الإشراف علىٰ مراحل العمل وتنسيق المساعي وتوحيدها ضمن إطار المنهجية المقرّرة.

ونجد لزاماً تقديم الشكر والتقدير لسماحة آية الله الشيخ مصطفىٰ الهرندي ؛ لما أبداه من ملاحظات قيّمة أثناء مطالعته الكتاب.

هذا ، وينبغي التنبيه على أُمور هي خلاصة ما تمّ عمله من خلال اللّجان المذكورة :

١ ـ إنّنا لا ندّعي أنّ ما ذكر من المصادر هي مصادر المؤلِّف ، اللّهم إلّا التي ذكرها المصنِّف ، وفي موردنا فقد اعتمد الشيخ المصنِّف مصادر ـ فعلاً هي أثر بعد عين كما أسلفنا ـ حاولنا جاهدين أن لاندعها دون تخريج ، ولو بالوسائط المتأخّرة ، فبعضها أمكن ، والآخر استحال ؛ لأسباب لا تخفى ، منها : إنّ الكتب الحاكية عن مصادر المؤلّف تنقل ذلك من كتاب التبيان ذاته.

٢ ـ استشهد الشيخ المصنِّف بأبيات من الشعر القديم حاولنا في الموارد غير المنسوبة إرجاعها إلى قائليها ـ بالاعتماد على الدواوين أو الموسوعات الشعريّة المتوفّرة المعتمدة في هذا المجال ـ وقد تحمّلنا في سبيل ذلك عناءً ؛ إذ الطبعات المتوفّرة بعضها تخالف روايتها مورد الشاهد للمصنِّف ، ممّا استدعى بذل مزيد من الجهد للحصول على الرواية التي توافق نقل الشيخ ﷺ. إلى ذلك: شرحنا غوامض مفرداتها، ومنحنا كل بيت شعري رقماً يقارنه حيثما ذكر؛ منعاً للتكرار وتيسيراً للفهرسة.

كما أشرنا إلى الاختلافات الموجودة بين رواية الشيخ المصنّف والمصدر، داعمين في الوقت ذاته رواية الشيخ المصنّف.

٣ ـ اعتمد الشيخ المصنِّف على مصادر لغويّة متقدّمة منها : العين

للخليل الفراهيدي، ويبدو أنّ النسخة التي كانت بتصرّف الشيخ أصحّ وأكمل من المطبوعة المتوفّرة[١]، وعليه رأينا من المناسب دعم الموارد اللُّغويّة بمصادر متعدّدة؛ سدّاً للحاجة وحتّى لا يبقى المورد دون مرجع يعضده.

٤ ـ تعرّض الشيخ المصنّف خاطفاً لموارد كلاميّة عقائدية وجدنا من الأفضل توضيحها مختصراً، والإحالة على مصادر للتوسعة، ولليسر ذكرنا جملة من المصادر المختلفة قديمها وحديثها.

٥ ـ سلكنا في ضبط وترجمة الأعلام الواردة في المتن جانب الاختصار إلّا ما شذّ، وكثيراً ما ترد مصحّفة ممّا سبّب مصاعب في تشخيص العَلَم المراد.

٦ ـ بذلنا الجهد في ضبط القراءات بالاعتماد على مصادرها الأولية ـ حسب المتوفّر ـ إلّا الشاذّ القليل؛ لعدم توفّر مصادرها، ممّا اضطرّنا أحياناً إلى الاعتماد على مصادر التفسير المتأخرة عن زمن المصنّف، في ضبطها.

٧ ـ أشار الشيخ المصنّف قدّس سرّه إلى جملة آراء لم نهتد إلّا إلى القليل جدّاً من مصادرها، وذلك مثل: آراء أبي مسلم الأصفهاني، المفضّل بن سلمة، الرّماني و...، وانظر ما تقدّم في الأمر الأوّل.

٨ ـ طبق المنهج المقرّر، فإنّ المبنىٰ عموماً وهنا خصوصاً هو: دعم ما ذكره الشيخ المصنّف قدّس سرّه من آراء سواء تبنّاها أم لا، وذلك بذكر مصادرها الأوّلية حتّى الإمكان، ومع التعذّر ـ كما هو الغالب ـ لم نلحظ القدم في ذكر

---

(١) ولا بأس بالإشارة إلى الاستدراك على العين المنشور في مجلة البلاغ الكاظمية عدد ٦ من السنة ٧ ص ٢٧، ومجلة المورد البغدادية مجلّد ١ عدد ١ ـ ٢ ص ١٩٨، وكان كتاب التبيان من أهم مصادره.

المصدر، لئلّا يبقى المورد دون دعم مصدريّ.

٩ ـ المعايير العلميّة والضرورات التخصصية حاضرةً بكلّ وضوح في كافة مشاريعنا وفي هذا المشروع على وجه الخصوص، منها: ملاحظة حاجة العمل من الإشارات والبيانات والمصادر بغضّ النظر عن الانتماءات والاتجاهات الدينية والمذهبية.

١٠ ـ حاولنا جهد الإمكان الإشارة إلى من يعنيهم الشيخ المصنّف في موارد الردود التي يردّ بها على آرائهم، وقد وفقّنا في بعضها دون البعض الآخر.

١١ ـ وضعت في الطبعة السابقة للتفسير بعض العناوين مثل: القراءة، المعنى، اللّغة، الإعراب، الحجة..... وبما أنّها لم ترد أصلاً في شيء من النسخ المعتمدة، ولاشتراك الموارد غالباً في أكثر من عنوان لذا جرى حذفها.

١٢ ـ بما أن العمل في تحقيق هذا التفسير الجليل طويل الأمد ويحتاج لفترة زمنية طويلة؛ لذا آثرنا إلحاق آخر كلّ جزء بعض الفهارس الهامّة لتيسير الاستفادة منه، على أمل إعداد فهارس فنية وعلمية كاملة بعد إكمال المشروع.

سائليه تبارك وتعالىٰ قبول هذا الجهد المتواضع بواسع فضله وعظيم منّه.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين وآله النّجباء الطاهرين.

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث



صورة غلاف النسخة «ع»

بسم الله الرحمن الرحيم

وحسبنا الله ونعم الوكيل

قوله تعالى: وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال

والله سميع عليم

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ع»

يبغي بغياً إذا طلبه والبغاة هم الذين يطلبون التأمّر على الناس بغير
والقراس بغير حق والبغي فاجرة لأنها تطلب الفاحشة ومنه قوله وبغى
عليهم لينصرنه الله أي من طلب عليه الاستعلاء بالظلم وقوله ومن أحسن من
الله حكماً نصب على التمييز أي فصلاً بين الحق والباطل من غير محاباة ولا مقاربة
ثم إنه لا يجوز للحاكم أن يحابي في الحكم بأن يعمل على ما يهواه بل إنما يوجبه العدل
ومن يكون حكم أحسن من حكم بأن يكون أولى منه وأفضل منه وكذا لو حكم بما وافق
هواه كان ما خالف هواه أحسن مما يوافقه وقوله لقوم يوقنون معناه
عند قوم يوقنون بالله وبحكمه فأقيمت اللام مقام عند فهذا قول أي علمه
جائز إذا تقاربت المعاني ولم يقع اللبس لأن حروف الصفات يقوم بعضها
مقام بعض تتلوه في الجزء الرابع

قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله
لا يهدي القوم الظالمين

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين
حسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ع»

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ط»

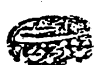
صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ط»

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ح»

اذا كان الشرائع بحسب المصالح فكيف رغب في شريعة الاسلام بانها ملة
ابرهيم عليه السلام قلنا لان المصالح اذا وافقت ما يميل اليه النفس و يتقبله
العقل بغير كلفة كانت احرى بالرغبة كما انها اذا وافقت الغنى بدلا من الفقر
كانت اعظم في النعمة وكان المشركون يميلون الى اتباع ملة ابرهيم فلذلك
خوطبوا بذلك والحنيف المستقيم الدين الذي على شريعة ابرهيم في حجه و
نسكه وطيب ماكله وتلك الشريعة هي الحنيفية واصل الحنف الاستقامة
وانما وصف المائل القدم باحنف تفاولا بها وقيل اصله الميل وانما قيل
الحنيف معنى المائل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع ع

تمت المجلدة الثانية من التفسير ويتلوه في المجلدة الثالثة
قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
وهدى للعالمين

والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد النبي واله الطيبين الطاهرين
وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير



قوبلت [illegible] المجلدة [illegible]
[illegible] في مجالس آخرها التاسع عشر
من شوال سنة خمس [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «ح»

الجزء الثاني من كتاب التبيان
في تفسير القرآن تأليف الشيخ الجليل
الامام أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي
الطوسي رحمه الله وقدس روحه

على الله توكلت

علي بن محمد بن ابراهيم

صورة غلاف النسخة «ت»

الذي كان بهم قال لا [illegible] انقدر ان يدمر على جميع المشركين بمنى كما اهلك جبريل [illegible] قوم لوط وروى
عن ابن مسعود انها [illegible] ساله ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة
قال هم غلبونا لا انتم وقوله ان الله عزيز حكيم يعني قادر لا يغالب حكيم في افعاله [illegible]
في الانفال ١١ قوله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام الآية
قرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بفتح اليا وسكون الغين وبالف مخفف وقرا اهل المدينة بضم اليا وسكون الغين
وكسر الشين مخففا غير الف الباقون بضم اليا وفتح الغين وتشديد الشين وكسرها من غير الف وكلهم
نصب النعاس الا ابن كثير وابا عمرو فانهما رفعاه وحجة من فتح اليا قوله امنة نعاسا يغشى فلما اسند الفعل
الى النعاس او الامنة التي هي النعاس كذلك هاهنا ومن قرا بضم اليا وتشديد الشين [illegible]
قال الله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال فغشاها ما غشى وقال كانما اغشيت [illegible]
ان اسمه ما بعده لانه قال وينزل عليكم من السما ما فكما ان ينزل مسند الى اسم الله كذلك يغشي ويغشيه
[illegible] فكان النعاس [illegible]
[illegible] النعاس [illegible] قبل النوم [illegible]
[illegible] نعسان والامنة [illegible] تقول [illegible] امنا واماناوامنة [illegible]
[illegible] وقوله وينزل عليكم من السما ماء يعني مطرا [illegible]
[illegible] رجز الشيطان قال ابن عباس [illegible] وسوسة الشيطان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وسوسة الشيطان [illegible] الاقدام [illegible]
[illegible] ويثبت به الاقدام [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من نسخة «ت»

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ت»

نموذج لاحد بلاغات المقابلة في النسخة «ت»

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ر»

في مثل فانما دعا اليها مثل ما دعت له ومن تبعه امرهما بان يزداد من الرعا
لمثل ما سلف وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور معناه ليخرجكم من الجهل
الى معرفته فشبه الجهل بالظلمات والمعرفة بالنور وانما شبه العلم بالنور
لانه يقود الى الجنة فهو كالنور والكفر يقود الى النار ليعود منها وقال ابن زيد
معناه ليخرجكم من الضلالة الى الهدى ثم اخبر تعالى انه كان بالمؤمنين رحيما حين قبل توبتهم
وخلصهم من العقاب الى الثواب بما لطف لهم في فعله وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام
اي يحيي بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بان يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات
والفوز بنعيم الثواب ولقاء الله لقاء ثوابه لانه بمنزلة قوله فاعقبهم نفاقا في — لا رؤيته
قلوبهم الى يوم يلقونه وبمنزلة قول النبي عليه السلام من حلف على يمين كاذبة ليقتطع
بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان والاخلاف ان هو لا يرون الله ٢١٨
وقوله واعد لهم اجرا كريما اي ثوابا جزيلا ثم خاطب النبي عليه السلام فقال يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اي شاهدا على امتك فيما يفعلونه
من طاعة او معصية وايمان او كفر ليشهد لهم يوم القيامة وعليهم فيجازيهم
بحسبه ومبشرا لهم بالجنة وثواب الابد ان اطاعوني واجتنبوا معصيتي ونذيرا
اي مخوفا من النار وعقاب الابد ان داموا على المعاصي وترك الواجبات وداعيا الى
وبعثناك داعيا لهم ندعوهم الى الله والاقرار بوحدانيته وامتثال ما امرهم به والانتهاء
عما نهاهم عنه وسراجا منيرا اي انت بمنزلة السراج الذي يهتدي به الخلق والمنير
هو الذي يصدر النور من جهته اما بفعله واما لانه سبب له فالقمر منير والسراج

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ر»

يوجب علماً فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن
تأويلها ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين فإن
ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه ورواياتنا متناصرة
بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد
من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه
عمل عليه وما خالفه تجنب ولم يلتفت إليه وقد روي عن النبي صلى الله
عليه رواية لا يدفعها أحد أنه قال إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم
بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا
علي الحوض وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمرنا
بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به كما أن أهل البيت ومن يجب
اتباع قوله حاصل في كل وقت وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته
فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه ونترك ما سواه. واعلم
أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر
الصحيح عن النبي أو عن الأئمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي
صلى الله عليه وآله وأن القول فيه بالرأي لا يجوز وروت العامة
ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال من فسر القرآن برأيه

صورة الصفحة الأولى من نسخة «خ»

نبتت على جميع ما تنبته الأرض وليس المراد ذلك وإنما أرادوا البعض
كأنهم قالوا الخروج لنا بعض ما تنبته الأرض فأنواع التي ثابت مناب
البعض حيث قام مقامه ومن الناس من قال إن من هاهنا زائدة وأنها
تجري مجرى قولهم ما جاءني من أحد والصحيح أنها لا تزاد في الإيجاب
وإنما تزاد في النفي ولأن المعلوم أنهم ما أرادوا جميع ما تنبته الأرض وجرى
ذلك مجرى قول القائل أصبت اليوم عند فلان من الطعام يريد أصبت شيئا
منه وقوله يخرج جزم لأنه جواب الأمر والبقل والقثاء معروف وفي
القثاء لغتان ضم القاف وكسرها والكسر أجود وهي لغة القرآن وإنما
ذكر الله تعالى هذه الألفاظ وإن لم يكن لائقة بفصاحة القرآن على
وجه الحكاية عنهم وأما الفوم فقال ابن عباس وأبو جعفر الباقر
عليه السلام وقتادة والسدي إنه الحنطة وأنشد ابن عباس قول
أحيحة بن الجلاح

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال الفراء والكسائي والأزهري هو الحنطة والخبز تقول العرب
فوموا لنا بالتشديد أي اختبزوا لنا وقال قوم هو الحبوب التي تخبز
وهي مأثور وقال مجاهد وعطاء وابن زيد إنه الخبز وفي قراءة ابن مسعود

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «خ»

من اول سورة هود الى آخر سورة الكهف

١/٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] على الله

قوله: وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر

واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين آية بلا خلاف

حكى الله تعالى في هذه الآية قصة نوح وقومه وما جرى [illegible] الاجابة

التي لا [illegible] ولا يقاربها فصاحة لان قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك

اخبار منه عن اذهاب الماء عن وجه الارض في اوحى مدة [illegible]

قال لها ابلعي فابتلعت والبلع في اللغة اجراء الشيء في الحلق الى الجوف فكانت

الارض [illegible] حتى صار في بطنها قال الفراء يقال بلعت وبلعت [illegible]

[illegible] وقوله ويا سماء اقلعي [illegible] السحاب وقطع

المطر في اسرع وقت [illegible] قال لها اقلعي فاقلعت والاقلاع [illegible]

من اصله حتى لا يبقى له [illegible] اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء

منه واقلع عن [illegible] وقوله وغيض الماء اي اذهب به عن وجه

الارض يقال غاض الماء يغيض غيضاً اذا ذهب في الارض وقوله وقضي الامر معناه

اوقع الهلاك بقوم نوح على تمام والقضاء [illegible] على تمام واحكام وقوله

واستوت على الجودي يعني السفينة استوت على جبل معروف [illegible] قال الزجاج

[illegible] وقال غيره [illegible] الموصل [illegible]

وقيل ان الجودي [illegible]

[illegible] وقيل بعداً للقوم الظالمين معناه ابعدهم الله

من الخير [illegible] على وجه الدعاء ويجوز ان يكون الله تعالى [illegible] ذلك

[illegible] دعوا عليهم بذلك وهو منصوب على المصدر

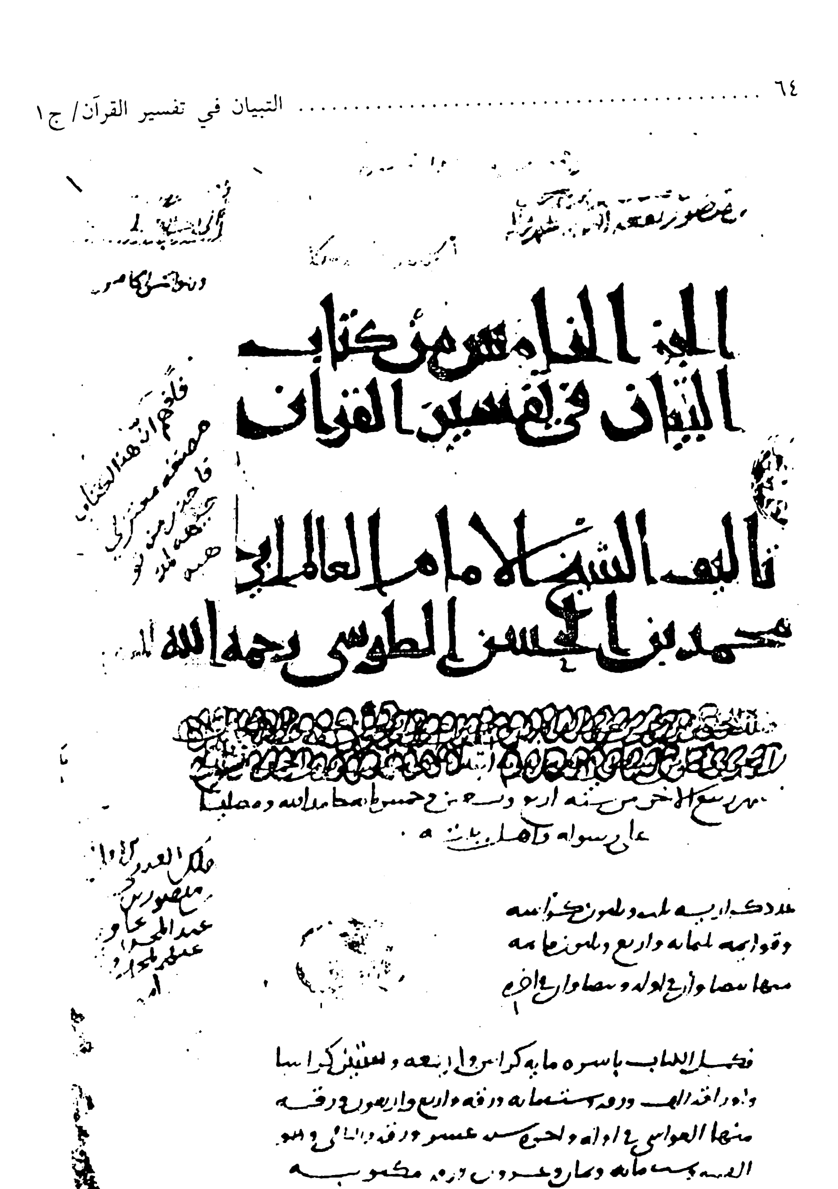
صورة الصفحة الأولى من نسخة «م»



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «م»

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ي»

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ي»



الجزء الثاني من كتاب
التبيان في تفسير القرآن
تأليف الشيخ الامام العالم أبي
محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله

صورة الغلاف من النسخة «ك»

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد

سورة والصافات

مكية في قول قتادة ومجاهد والحسن ليس فيها ناسخ ولا منسوخ

وهي مائة واثنتان وثمانون آية بصري وآيات ... فيما عداه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات

ذكرا إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب

المشارق إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل

شيطان مارد لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب

دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب

عشر آيات بلا خلاف ⁂ أدغم أبو عمرو إذا أدرج وحمزة التاء في الصاد

والزاي والذال ... من قوله والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا

لقرب مخرجيهما إذا كانا من كلمتين ووافقه حمزة في جميع ذلك ...

... الحرف ساكنا وهو الألف لأن مخارجها متقاربة. وقرأ ابن كثير

وأبو عمرو ونافع بزينة الكواكب على الإضافة وهو إضافة إلى المفعول ويحتمل

أنه مضاف إلى الفاعل والمعنى بزينتها الكواكب غير أنه لم يقرأ بالرفع ...

... جائز وقرأ أبو بكر عن عاصم بزينة منونا الكواكب نصبا بمعنى

بتزييننا الكواكب. الباقون بزينة منونا الكواكب خفضا على البدل وهو بدل

الشيء من غيره وهو هو بعينه لأن الزينة هي الكواكب وهو بدل المعرفة من النكرة

ومثله قوله لنسفعا بالناصية ناصية فأبدل النكرة من المعرفة. وقرأ الكسائي

وحمزة وخلف وحفص عن عاصم لا يسمعون بالتشديد وأصله يتسمعون فأدغم

التاء في السين الباقون لا يسمعون بالتخفيف لأن معنى تسمعت إلى فلان وسمعت

... وإنما يقولون سمعت فلانا بمعنى أدركت كلامه ...

... ذكرت ذلك ... وقال ابن عباس كانوا لا يسمعون ولا يسمعون

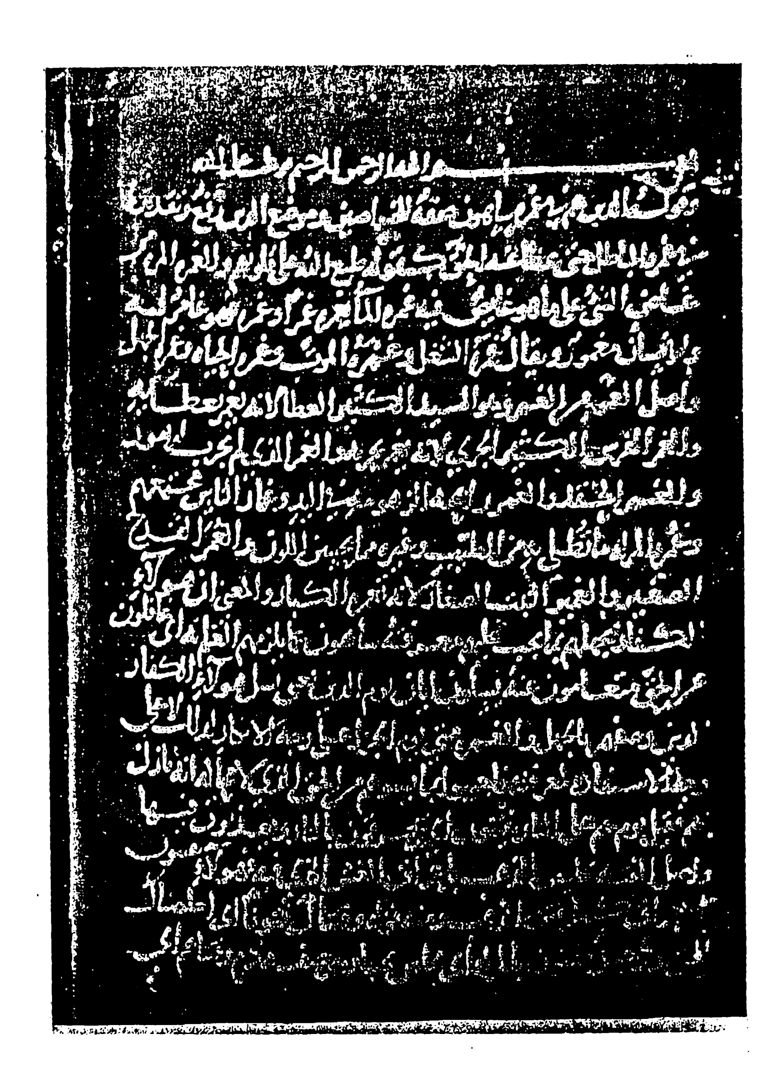
هذه أقسام من الله تعالى بالأشياء التي ذكرها ... أن يقسم بما شاء

من خلقه وليس لخلقه أن يحلفوا إلا بالله تعالى ...

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ك»

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ك»



صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ص»

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ص»



أوّل المخطوطة «ش»

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

قوله سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى للخلق إن جميع النعم التي بكم ولكم من صحة في جسم وسعة في رزق أو ولد وكل ذلك من عند الله ومن جهته خلقه لها أو تمكينكم من الانتفاع بها والثاني قوله فمن الله فيه معناه قولان أحدهما أن يكون ما بمعنى الذي وفيه شبه الجزاء كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ويقول القائل ما لك فهو لي ويجوز أن يقول ما لك فهو لي لأنه خبر ليس على طريق الجزاء والقول الثاني على حذف الفعل وتقديره وما يكن بكم من نعمة فمن الله وقوله إذا مسكم الضر فإليه تجأرون معناه متى لحقكم ضر وبلاء وسوء حال تضرعون إلى الله تعالى بالدعاء وهو قول مجاهد وأصل ذلك من جؤار الثور يقال جأر الثور يجأر جؤارا إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الأعشى:

وما أيبلي على هيكل بناه وصلب فيه وصارا

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقال عدي بن زيد:

إنني والله فاقبل حلفي بأبيل كلما صلى جأر

وقوله ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون إخبار منه تعالى أنه إذا كشف ضر من جأر إليه وخضع له ورفع البلاء عنه بصرف طائفة من الناس يشركون بربهم في العبادة جهلا منهم بربهم ومقابلة النعمة التي هي كشف الضر بمعصية الشرك وهذا غاية الجهل وقوله ليكفروا بما آتيناهم أي ليكفروا بما آتاهم الله من النعم علیهم ورزقناهم ومعنى اللام في ليكفروا الباري عما هو بمنزلة العلة التي يقع لأجلها الفعل لأنهم بمنزلة من أشرك في العبادة ليكفروا بما أوتي من النعمة كأنه لا غرض له في شركه إلا هذا مع أن شركه في العبادة يوجب كفر النعمة بتضييع حقها فالواجب في هذا ترك الكفر إلى الشكر لله تعالى وقوله فتمتعوا فسوف تعلمون تهديد منه تعالى لأن المعنى تمتعوا بما فيه معصية الله تعالى فسوف تعلمون عاقبة أمركم من العقاب الذي ينزل بكم وحذف لدلالة الكلام عليه وهو أبلغ.

قوله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ش»

[illegible]

[illegible]

قال البلخي يريد ... أي ... ومعناه ... عن نفي القدرة على

الإعادة وعمود ذلك مما ... التوبيخ الذي ... على

الموعظة ... والله ... يوم القيامة

لكم والله سواه فيما بينكم على قبح أعمالكم من الطاعة

والمعاصي بالثواب والعقاب

آخر المجلد الرابع من كتاب التبيان ويتلوه في الجزء الخامس

سورة الصافات والحمد لله رب العالمين وصلواته على

محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما فرغ من نسخه ليلة

الجمعة ثالث شهر ربيع الأول من سنة أربع وتسعين وخمسمائة

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ش»

الجزء الأول من التبيان

في تفسير القرآن تصنيف الشيخ السعيد العالم أبي جعفر الطوسي رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله اعترافاً بتوحيده وإخلاصاً لربوبيته وإقراراً بجزيل نعمه وإذعاناً لعظيم منته وشكراً على
جميل مواهبه وكريم فواضله وصلى الله على خيرته من خلقه محمد وآله الطاهرين من عترته والطيبين
من ذريته وسلم تسليماً. أما بعد فإن الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب أني لم أجد أحداً
من أصحابنا قديماً وحديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه وإنما سلك
جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك
وتفسير ما يحتاج إليه فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة بين مطيل في جمع معانيه واستيعاب ما
قيل فيه من فنونه كالطبري وغيره وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ومعاني ألفاظه وسلك الباقون المتوسطون
في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا ما لا معرفة لهم به فإن الزجاج والفراء ومن أشبههما من النحويين أفرغوا
وسعهم فيما يتعلق بالإعراب والتصريف ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة واشتقاق الألفاظ والمتكلمين
كأبي علي الجبائي وغيره صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية ومنهم من أضاف إلى ذلك الكلام في
فنون علمه فأدخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء كالبلخي وغيره وأصلح من سلك في
ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الأصفهاني وعلي بن عيسى الرماني فإن كتابيهما أصلح ما
صنف في هذا المعنى غير أنهما أطالا الخطب فيه وأوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج إليه وسمعت جماعة من أصحابنا
قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والإعراب و
الكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ؤ»

يفلح الظالم فالكافر بذلك أولى على أن الكافر يسمى ظالما يجوز
أن يكون عني به أنه لا يفلح الظالمون الذين هم الكافرون كما قال
والظالمون هم الكافرون وقال إن الشرك لظلم عظيم

قوله تعالى:

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما
كان لله فهو يصل إلى شركائهم
ساء ما يحكمون آية بلا خلاف

قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي في الموضعين الباقون بفتحها وفي الزعم
ثلاث لغات الفتح والضم والكسر مثل فتك وفتك وفتك وود وود
وود ولم يقرأ بالكسر أحد فالفتح لغة أهل الحجاز والضم
لغة تميم والكسر لغة بعض قيس أخبر الله تعالى عن الكفار
الذين تقدم وصفهم أنهم جعلوا من شيء من أموالهم لله وشيئا لشركائهم تقربا
إليها من جملة ما خلقه الله وأخبر بعد أن الذرء هو الخلق على وجه الاختراع
وأصله الظهور ومنه ملح ذرآني وذرآني لظهور بياضه والذرأة
ظهور الشيب قال الراجز:

وقد علتني ذرأة بادي بدي ورثية تنهض في تشددي

يقال ذرأ الله الخلق يذرأهم ذرءا وذروا ويقال ذرئت لحيته ذرءا إذا
شابت ومنه طعنه فأذراه أي رماه إذا ألقاه وذرت الريح التراب تذروه
إذا أثارته وذرية كأنه [illegible] والحرث الزرع والحرث الأرض

تم الجزء السادس من التبيان وهو من قوله تعالى في سورة المائدة
إنما وليكم الله إلى قوله في سورة الأنعام ساء ما يحكمون ويتلوه
الجزء السابع إن شاء الله ووقع الفراغ من ذلك في اليوم الثامن
من شهر [illegible] من سنة [illegible]
[illegible] ظاهرا وباطنا [illegible]
[illegible] الحمد لله رب
العالمين

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ؤ»

هذا الجزء الاول من التبيان
في تفسير القرآن
للشيخ الجليل
السعيد ابي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اعترافاً بتوحيده، واخلاصاً لربوبيته، واقراراً بجزيل نعمه، واذعاناً
لعظيم منته، وشكراً على جميل مواهبه وكريم فواضله، وصلى الله على خير من خلقه
محمد والطاهرين من عترته، والطيبين من اسرته، وسلم تسليماً. اما بعد
فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم اجد احداً من اصحابنا قديماً
وحديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه، وانما
سلك جماعة منهم في جمع ما رواه ونقله وانتهى اليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرض
احد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج اليه، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من
علماء الامة بين مطيل في جمع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري
وغيره، وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ومعاني الفاظه، وسلك الباقون المتوسطون
في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم، وتركوا ما لا معرفة لهم به، فان الزجاج والفراء ومن
اشبههما من النحويين افرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب والتصريف، ومفضل بن سلمة
وغيره استكثروا من علم اللغة واشتقاق الالفاظ، والمتكلمين كابي علي الجبائي وغيره
صرفوا همتهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية، ومنهم من اضاف الى ذلك الكلام في فنون علمه
فادخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء كالبلخي وغيره، واصلح
من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً محمد بن بحر ابو مسلم الاصفهاني وعلي بن عيسى
الرماني، فان كتابيهما اصلح ما صنف في هذا المعنى، غير انهما اطالا الخطب فيه، واوردا فيه
كثيراً مما لا يحتاج اليه، وسمعت جماعة من اصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد
يشتمل على جميع فنون علم القرآن من القراءات والمعاني والاعراب والكلام على المتشابه
والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وانواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم
وذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة على صحة مذاهبهم في اصول الديانات
وفروعها

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «هـ»

منعهم من جواز النسخ مما في التوراة مما يدل على جواز ذلك وامتناعهم من العمل بما تقدم به ٢٦٥
البشارة في التوراة من اتباع النبي الامي عليه السلام مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان
١ لما دلت عليه المعجزة من نبوة عيسى عليه السلام ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع اقرارهم بنبوة موسى عليه السلام من
اجل المعجزة الى غير ذلك من انواع التناقض والتناقض في النصرانية مثل قولهم اب وابن وروح القدس
اله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب اله والابن اله وروح القدس اله فاذا قيل لهم
فهؤلاء ثلاثة آلهة امتنعوا من ذلك الى ما يصفون به البارئ تعالى مما يوجب الحاجة والحدث ويقولون مع
ذلك انه قديم ولم يزل الى غير ذلك من مناقضاتهم التي لا تحصى كثرة وهي موجودة في الكتب عليهم نبهنا
على جملها. فاما الحنيفية فهي الاستقامة وانما قيل للذي يقبل باحدى قدميه على الاخرى احنف تفاؤلا
بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا بالفوز والنجاة وهو قول الرياشي وابن قتيبة واهل اللغة
وقال الزجاج اصله الميل وابراهيم مائل الى دين الاسلام فهو حنيف. وقيل العادل الى دين غير اليهودية
والنصرانية. وقال ابو حاتم قلت للاصمعي من اين عرف في الجاهلية الحنيف فقال لانه من عدل عن دين
اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم وكذلك كل من حج البيت كانوا يسمونه حنيفا وكانوا اذا ارادوا الحج
قالوا هلم نتحنف. وقال صاحب العين الحنف ميل في صدر القدم يقال رجل احنف ورجل حنف [illegible]
الاحنف تحنف كانه به قالت حاضنته وهي ترقصه والله لولا حنف برجله ما كان في صبيانكم كمثله
والحنيف المسلم الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة ابراهيم وكان حنيفا مسلما. وقال بعضهم الحنيف
كل من اسلم لأمر الله ولم يلتو في شيء والجمع حنفاء. وقال بعضهم قيل حنيف لانه تحنف عن الاديان
كلها اي مال الى الحق. وفي الحديث احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة وهي ملة ابراهيم عليه السلام لا حرج فيها
ولا ضيق. واصل الباب الحنف الميل. ونصب ملة ابراهيم يحتمل اربعة اوجه احدها ان كونوا هودا او نصارى
قد تضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية فعطف به على المعنى. الثاني على الحال فكانه قال بل نتبع ملة ابراهيم
في الاول عطف وفي الثاني حال. والثالث على معنى بل اهل ملة ابراهيم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
كقوله تعالى واسأل القرية. والرابع على الاغراء. تم الجزء الاول من التبيان وهو من اول الفاتحة الى آخر سورة البقرة
وما كان من المشركين ويتلوه الجزء الثاني ان شاء الله قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل

وكتبه [illegible] محمد بن الشيخ طاهر السماوي عفي عنه على نسخة [illegible] كتبت في السابع والعشرين من شوال
سنة [illegible] وصححه [illegible] واعاده الى الصحيح وفرغ منه في تاسع عشر ذي القعدة
لسنة الف وثلثمائة وسبع وخمسين في داره بالنجف حامدا مصليا مسلما

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «هـ»

بسم الله تعالى شأنه
هذا هو الجزء الأول
من التبيان في تفسير القرآن تصنيف الشيخ
العالم السعيد شيخ الطائفة المحقة أبي
جعفر الطوسي قدّس سرّه ونوّر الله
تربته الزكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اعترافاً بتوحيده وإخلاصاً لربوبيته وإقراراً بجزيل نعمه وإذعاناً لعظيم منته وشكراً على جميل
مواهبه وكريم فوائده وإفضاله وصلى الله على خيرته من خلقه محمد والطاهرين من عترته والطيبين من أرومته
أما بعد فإن الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب أني لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً وحديثاً
من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه وإنما سلك جماعة منهم في جميع ما رووه
ونقلوه وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج إليه
فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة بين مطيل في جميع معانيه واستيعاب ما قيل فيه
من فنونه كالطبري وغيره وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ومعاني ألفاظه وسلك الباقون المتوسطون
في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا ما لا معرفة لهم به فإن الزجاج والفراء ومن أشبههما
من النحويين أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالإعراب والتصريف ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا
من علم اللغة واشتقاق الألفاظ والمتكلمين كأبي علي الجبائي وغيره صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية
ومنهم من أضاف إلى ذلك الكلام في فنون علمه فأدخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف
الفقهاء كالبلخي وغيره وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الأصفهاني وعلي
ابن عيسى الرماني فإن كتابيهما أصلح ما صنف في هذا المعنى غير أنهما أطالا الخطب فيه وأوردا فيه كثيراً مما
لا يحتاج إليه وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد يشتمل على جميع
فنون القرآن من القراءات والمعاني والإعراب والكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحدين فيه
وأنواع

صورة الصفحة الأُولى من النسخة الحجرية

يُنقل عنها الحال الجليلة مُغبطة عليها وقيل رفع بعضهم فوق بعض في الرزق والعقل وفي درجات بجميل القصة ثلثة
اشيا احدها ان يقع موقع المصدر كانه قال رفعة فوق رفعة الثاني الى درجات فحذفت الى كما حذفت في قولهم
دخلت البيت اي الى البيت الثالث ان يكون مفعولا من قولك ارفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا
وكسوته ثوبا . ليبلوكم فيما آتاكم اي ضلنا بكم لنختبركم فيما اعطيناكم والتقدير لا يبتلي خلقه ليعلم ما لم يكن
عالما به لانه عالم بالاشيا قبل كونها وانما قال ذلك ليعامل معاملة الذي يبلوا ظاهرة في العدل
وانتفاء من الظلم . ان ربك سريع العقاب انما وصف نفسه بانه سريع الحساب مع وصفه نفسه بالامهال
ومع ان عقابه في الاخرة من حيث ان كان كل آت قريب فهو اذا سريع وقد يكون سريع العقاب عن استحقه
في دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته

تم المجلد الاول من التبيان الذي هو تفسير للقرآن بعون الله الملك المنان
من الحمد الى آخر سورة الانعام ويتلوه المجلد الثاني ...
الاقل ... محمد علي ...
الاصل طهراني الوطن ...
السكنى ... سنة ١٣٠٣

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الحجرية

التبيان

في

تفسير القرآن





تأليف

شيخ الطائفة
أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره
المتوفى سنة ٤٦٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث


بسم الله الرحمن الرحيم


تقديم المصنِّف

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد للّٰه اعترافاً بتوحيده، وإخلاصاً لربوبيّته، وإقراراً بجزيل نعمه، وإذعاناً لعظيم منّته، وشكراً علىٰ جميع[1] مواهبه، وكريم فواضله.

وصلّىٰ اللّٰه علىٰ خيرته من خلقه محمّد والطاهرين من عترته، والطيبين من أُرومته، وسلّم تسليما.

أمّا بعد، فإنّ الذي حملني علىٰ الشروع في عمل هذا الكتاب أنّي لم أجد أحداً من أصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ من عمل كتاباً يحتوي علىٰ تفسير جميع القرآن، ويشتمل علىٰ فنون معانيه. وإنّما سلك جماعة منهم في جمع[2] ما رواه ونقله وانتهىٰ إليه في الكتب المرويّة في الحديث، ولم يتعرّض أحدٌ منهم لاستيفاء ذلك، وتفسير ما يحتاج إليه[3].

---

(١) في نسختي: هـ، ؤ: جميل.

(٢) في نسختي: هـ، ؤ: جميع.

(٣) من المعلوم أنّ طريقة القدماء في التفسير ـ وإلىٰ عصر الشيخ المصنّف ﷺ ـ كانت

فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأُمّة، بين مُطيلٍ في جمع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه، كالطبريّ[١] وغيره.

وبين مُقْصرٍ اقتصر علىٰ ذكر غريبه، ومعاني ألفاظه.

وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويتْ فيه منتهم[٢]

مقتصرة غالباً علىٰ الجنبة الروائية، أو ما يصطلح عليه بـ(التفسير بالمأثور)، ولم تشمل جميع ما يحتاجه التفسير من علوم أُخرىٰ، كاللغة والإعراب والمعاني والكلام علىٰ العقائد و...

فلعلمائنا ـ قدس اللّٰه أرواحهم ـ قبل زمن الشيخ تفاسير كثيرة وصل إلينا غير واحد منها، مثلاً: تفسير العياشيّ، وعليّ بن إبراهيم، وجزء من النعماني. والكثير الكثير منها مفقود، أو قابع في زوايا خزانات دور الكتب، لا يعرف عنه شيء.

وأمّا بعد عصره ﷺ وإلىٰ يومنا فهي تُعدّ بالمئات بين تفسير كامل وناقص ولجزء ولآية، وبعض منها مختص بفنٍّ من العلم، والآخر جامع لفنون شتىٰ، وحتىٰ التفسير بالحروف المهملة.

ولكن ـ مع الأسف ـ قد فُقِد من هذا التراث أكثره؛ نتيجة لما دهم المسلمين والبلاد الإسلامية من حوادث ونكبات ونوائب وفتن ـ انظر: معجم البلدان ١: ٥٤٣ (بين السورين) ـ ولا ننس ما للمستشرقين من سعي ـ حينما غزت جيوشهم البلاد الإسلامية ومنذ العقد الثالث عشر ـ لجمع هذا التراث ونقله إلىٰ خزائنهم.

للتوسعة انظر: الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة حرف التاء، مفسّران شيعه، طبقات مفسّران شيعه، كتابنامه بزرك قرآن كريم، وغيرها.

(١) محمّد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطَّبريّ، الشَّافعيّ، مفسّر مشارك في علوم شتى، له: تاريخ الأمم والملوك، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن وغيرها. توفّي عام: ٣١٠ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الشافعية، لابن القاضي ١: ١٠٠ ت ٤٦، طبقات المفسّرين، للدّاوديّ ٢: ١١٠ ت ٤٦٨، سيَر أعلام النبلاء ١٤: ٢٦٧ ت ١٧٥ ومصادره.

(٢) المُـنّة: من الأضداد، يراد منها القوّة ـ كما هنا ـ والضعف. فالمراد: حسب ما

وتركوا ما لا معرفة لهم به.

فإنّ الزَّجّاج[(١)] والفَرّاء[(٢)] ـ ومن أشبههما من النحويين ـ أفرغوا وسعهم في ما يتعلّق بالإعراب والتصريف.

ومفضل بن سلمة[(٣)] وغيره استكثروا من علم اللّغة، واشتقاق الألفاظ.

والمتكلِّمين ـ كأبي عليٍّ الجُبَّائيّ[(٤)] وغيره ـ صَرفوا همّتهم إلىٰ

↵ توصّلت إليه معرفتهم وقدرتهم العلمية.

تهذيب اللغة ١٥: ٤٧١، الأضداد للأنباريّ: ١٥٥ ت ٩٥، الأضداد في كلام العرب ٢: ٦١٨، الاضداد للتوَّزيّ (ضمن ثلاثة نصوص في الاضداد): ٨٠.

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن السريّ بن سُهيل الحنبليّ، له معاني القرآن وإعرابه، توفّي سنة: ٣١١ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات المفسّرين، للدّاوديّ ١: ٩ ت ١٠، تاريخ بغداد ٦: ٨٩ ت ٣١٢٦، سيَر أعلام النبلاء ١٤: ٣٦٠ ت ٢٠٩ ومصادره.

(٢) أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبدالله الدّيلميّ، له: معاني القرآن. توفي سنة: ٢٠٧ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات المفسّرين، للدّاوديّ ٢: ٣٦٧ ت ٦٨١، سيَر أعلام النبلاء ١٠: ١١٨ ت ١٢، ومصادره.

(٣) أبو طالب الضَّبِّيّ الشّافعيّ، لغويّ نحويّ مفسّر، من بيت علم، فأبوه سَلَمة وولده أبو الطَّيّب محمّد من العلماء والفقهاء. تلَمَّذ علىٰ ثَعْلَب وابن الأعرابيّ وغيرهما. له في التفسير: ضياء القلوب، معاني القرآن. وفي اللّغة: البارع والاشتقاق وغيرهما، توفّي عام: ٢٩٠هـ.

له ترجمة في: طبقات المفسّرين للدّاوديّ ٢: ٣٢٨ ت ٦٣٩، إنباه الرواة ٣: ٣٠٥ ت ٧٦٥، سيَر أعلام النبلاء ١٤: ٣٦٢ ت ٢١٢ ومصادرهما.

(٤) بضم الجيم، محمّد بن عبدالوهّاب بن سلّام البصريّ، أحد أئمة المعتزلة، إليه تنسب الجُبّائية منهم، له: تفسير القرآن، توفّي عام: ٣٠٣هـ.

↵

ما يتعلّق بالمعاني الكلاميّة.

ومنهم من أضاف إلىٰ ذلك الكلام في فنون عامة، فأدخل فيه ما لا يليق به، من بسط فروع الفقه، واختلاف الفقهاء، كالبلخي[1] وغيره.

وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً، محمّد بن بحر أبو مسلم الأصفهانيّ[2]. وعليّ بن عيسىٰ الرُّمّانيّ[3]، فإنّ كتابيهما أصلح ما صُنِّفَ في هذا المعنىٰ، غير أنّهما أطالا الخطب فيه، وأوردا فيه كثيراً ممّا لا يحتاج إليه.

وسمعت جماعةً من أصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ يرغبون في كتاب مقتصد يشتمل علىٰ جميع فنون علم القرآن، من القراءات، والمعاني، والإعراب، والكلام علىٰ المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه،

انظر: طبقات المعتزلة: ٨٠، طبقات المفسّرين، للدّاوديّ ٢: ١٩١ ت ٥٢٩، سيَر أعلام النبلاء ١٤: ١٨٣ ت ١٠٢ ومصادره، سعد السعود: ٢٨٨.

(١) عبداللّه بن أحمد بن محمود الكعبيّ، الشهير بالبَلْخي، أبو القاسم، من أئمّة المعتزلة، وإليه تنسب الكعبية منهم، له: تفسير جامع علم القرآن، وقد كانت لدى السيّد ابن طاووس ﷺ نسخة منه وينقل عنه في كتابه سعد السعود: ١٩٢ـ ٢٠٩. مات سنة: ٣١٩ هـ.

انظر: طبقات المفسّرين ١: ٢٢٩ ت ٢١٦، سيَر أعلام النبلاء ١٤: ٣١٣ ت ٢٠٤ و١٥: ٢٥٥ ت ٢٠٧، معجم المفسّرين لنويهض ١: ٣٠٣، ومصادرهم.

(٢) المعتزليّ، له: جامع التأويل لمحكم التنزيل مخطوط، وغيره. توفي عام: ٣٢٢ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات المفسّرين ٢: ١٠٩ ت ٤٦٦، معجم المفسّرين، لنويهض ٢: ٤٩٨.

(٣) ابن علي الأخشيدي، أبو الحسن الرُّمّانيّ النّحويّ المعتزليّ، له: التفسير (الجامع الكبير)، النكت في إعجاز القرآن، معاني القرآن، وغيرها، توفّي عام: ٣٨٤ هـ.

انظر: طبقات المفسّرين ١: ٤٢٣ ت ٣٦٥، سيَر أعلام النبلاء ١٦: ٥٣٣ ت ٣٩٠، ومصادره.

وأنواع المبطلين: كالمجبّرة، والمشبّهة والمجسّمة[1] وغيرهم، وذكر

---

(١) المُجَبِّرَة أو الجَبْرِيّة: فرقة ظهرت أوائل أيام الحكم الأُموي، منادية: إنّ الإنسان مجبور في جميع شؤونه، ولا حول له ولا قوة ولا اختيار، ولا قدرة له مؤثرة ولا كاسبة. وكلّ ما يصدر منه فهو بمشيئة الباري تعالىٰ وإرادته، حالُه حال الماء الجاري علىٰ وجه الأرض.

وقد ساعدت هذه الآراء وأمثالها علىٰ انتشار الظلم والفساد والمعصية؛ لتعلُّل مرتكبيها بأنّها من الباري تعالىٰ وبإرادته، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً.

ومن هنا تظهر أصابع الحكّام في اختراع وتقوية ونشر هذه الآراء.

وقد افترقت إلىٰ فرقٍ كفّر المسلمون أغلبها بناءً علىٰ شدة وضعف المعتقد لديها.

قيل: إنّ فكرة الجبر ليست عربية وإنّما تلقاها جهم بن صفوان مولى بني راسب عن الجعد بن درهمْ عن يهوديٍّ.

من فرقهم:

الجهميّة: أتباع جهم بن صفوان، وهم أكثرهم.

النجارية: أتباع محمّد بن الحسين النجار.

الصفائيّة، وغيرها.

* المشبّهة أو الحلولية: فرقة شبّهوا الباري عزّ وجلّ بالمخلوقات، ومثّلوه بالحادث علىٰ اختلاف في الطريقة، منهم مشبهة الحشوية والكرّامية.

ولهم آراء مضحكة، عزّ وتعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً.

* المُجَسِّمَة: فرقة قالوا بالتجسيم، أي: أنّه تعالىٰ جسم له أبعاد وصورة، وأنّه مركب من لحم ودم وعظم، وذهب البعض منهم إلىٰ أنّه كصورة شاب أمرد جميل، أو أنّه نور يسطع ويلمع، أو...

والملاحظ أنّ التجسيم هو رأي كبار أئمة العامة، وبه أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من جوامعهم.

وللمزيد عن هذه المذاهب انظر:

العدل والتوحيد للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد): ٢٥٥، مقالات

☜

ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه علىٰ صحة مذاهبهم في أُصول الديانات وفروعها.

وأنا ـ إن شاء اللّٰه تعالىٰ ـ أشرع في ذلك علىٰ وجه الإيجاز والاختصار ولكلِّ فنٍ من فنونه، ولا أُطيل فيملّه الناظر فيه، ولا اختصر اختصاراً يقصر فَهمُه عن معانيه، وأُقدِّم أمام ذلك فصلاً يشتمل علىٰ ذكر جملٍ لا بدّ من معرفتها دون استيفائها، فإنّ لاستيفاء الكلام فيها مواضع هي أليق به.

ومن اللّٰه أستمدُّ المعونة، وأستهديه إلىٰ طريق الرشاد، بمنّه وقدرته إنْ شاء اللّٰه تعالىٰ.

↰ الاسلاميّين: ٢٢١، ٢٠٧، وانظر الفهرس، الفرق بين الفرق: ٢٢٥، أُصول الدين للبغدادي: ٣٣٧، الانتصار لأبي الحسين: ٢٤، ٦٩، تقريب المعارف: ٤٠٩، الفِصَلْ في الملل والاهواء والنحل: انظر الفهرس، التبصير في الدين: ١١٩، التمهيد لقواعد التوحيد: ٥٩، المعتمد في أُصول الدين: ٢٩٧، شرح المواقف ٨: ٢٥، تبصرة العوام: ٧٥، شرح العقيدة الطحاوية ٢: ٧٩١ و٧٩٧، والبدء والتاريخ ٥: ١٣٩، أحسن التقاسيم: ١٢٦، النقض: ٤٧٠، ٤٩٠، الفرق المفترقة: ٧٦، كشاف اصطلاحات الفنون: انظرها حسب حروفها، موسوعة الفرق الإسلامية: انظر الفهرس، موسوعة الفرق والجماعات: انظر الفهرس، دائرة المعارف الإسلامية ٦: ٢٨٢.

وانظر مقال: مقولة جسم لا كالاجسام، المنشور في مجلة «تراثنا» العدد ١٩، السنة الخامسة ص ٧ ـ ١٠٧.


مقدِّمة التفسير
وفيها فصلان:

فصل

في ذكر جمل لا بدّ من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن

اعلم أنّ القرآن معجزة عظيمة على صدق النبيّ ﷺ؛ بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها. غير أنّ الكلامَ في إعجازه، وجهة إعجازه، واختلاف الناس فيه، لا يليق بهذا الكتاب؛ لأنّه يتعلق بالكلام في الأُصول، وقد ذكره علماء أهل التوحيد، وأطنبوا فيه، واستوفوه غاية الاستيفاء. وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل[1]، لا يليق بهذا الموضع؛ لأنّ استيفاءه يخرج به عن الغرض، واختصاره لا يأتي على المطلوب، فالإحالة عليه أولى.

والمقصود من هذا الكتاب: علم معانيه، وفنون أغراضه.

وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فممّا لا يليق به أيضاً؛ لأنّ: الزيادة فيه مجمع على بطلانه. والنقصان منه. فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين

---

(١) تمهيد الأُصول: ٣١٥ وما بعدها، والتمهيدُ شرحٌ للقسم النظريّ من جمل العلم والعمل للسيد المرتضى ﷺ، وانظر لبحث إعجاز القرآن الكريم: الذخيرة: ٣٦٠ وما بعدها، أوائل المقالات: ٧٠، الكافي للحلبي: ٧٢، رسائل الشريف المرتضى ٤: ٢٩٣، كنز الفوائد ١: ١٧٤ وغيرها.

خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضىٰ رحمه الله[1][2]، وهو الظاهر في الروايات.

غير أنّه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثيرٍ من آي القرآن، ونَقل شيءٍ منه من موضع إلىٰ موضع.

طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولىٰ الإعراض عنها، وترك التشاغل بها؛ لأنّه يمكنُ تأويلها. ولو صحّت لما كان ذلك طعناً علىٰ ما هو موجود بين الدَّفتين، فإنّ ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأُمّة ولا يدفعه.

ورواياتنا متناصرة بالحث علىٰ قراءته والتمسّك بما فيه، وردِّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه، فما وافَقَهُ عمل عليه، وما خالفه تجنب ولم يلتفت إليه[3].

---

(١) السيّد المرتضىٰ، علم الهدىٰ، أبو القاسم، عليّ بن الحسين بن موسىٰ، فقيه الإمامية، ومتكلِّمُهُمْ، إليه انتهت الرئاسة بعد شيخه المفيد قدس سره، عالم مشارك في علوم عدّة، تشهد له مؤلّفاته فيها، منها: الأمالي، الفصول المختارة، الشافي، الانتصار، جمل العلم والعمل و... (فسلامٌ عليه يومَ وُلِدَ ويَوْمَ مات ويوم يبعث حيّاً). ولد عام: ٣٥٥، وتوفّي عام: ٤٣٦ هـ.

ترجمته في أغلب كتب التراجم، منها: المنتظم ١٥: ٢٩٤ ت ٣٢٥٧، معجم الادباء ١٣: ١٤٦ ت ١٩، تاريخ بغداد ١١: ٤٠٢ ت ٦٢٨٨، روضات الجنات ٤: ٢٩٤ ت ٤٠٠، ومقدمات كتبه.

(٢) جملُ العلم والعمل، القسم النظري (ضمن تمهيد الأُصول): ٣١٥.

(٣) انظر: تفسير العياشيّ ١: ٨٢ باب ترك الرواية التي بخلافْ القرآن، الكافي ١: ٥٥ باب الأخذ بالسنّة، من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٠ ح ١٥٥٧، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٠ ح ٤٥، المحاسن: ٢٢٠، ٢٢٦ ح ١٢٨ ـ ١٣٢ و ١٥٠، تهذيب الأحكام ٧: ٢٧٥ ح ١١٦٩، الاستبصار ١: ١٩٠ ح ٦٦٨ و٣: ٢٨٨ ح ١٠١٧ و١٠١٨، الاحتجاج: ٤٤٧.

وقد روي عن النبيّ ﷺ رواية لا يدفعها أحد، أنّه قال: (إنّي مخلّف فِيكُمُ الثَّقَلَينِ، ما إن تمسّكتم بِهما لن تضلّوا: كتابَ اللّه وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض)[1].

---

(١) عُدّ الحديث الشريف هذا (حديث الثقلين) من الأحاديث القطعيّة الصدُور، وقد رزق شهرةً فاقت الحدّ ممّا أغنىٰ عن تعقب مصادره ورواته، فقد روته السنّة قبل الشيعة، واعترفت به العامة قبل الخاصة، وحفظه الكبير بل الصغير، والعالم والجاهل.

وقد اختُلف في نقل لفظه بما لا يؤثر علىٰ معناه ومفاده الأمر الذي لا يمكن أن يكون منشأً وسبباً لما يرومه البعض من تأويلات زائفة، أو فراراً عما ألزم منطوقُه ومضمونُه المسلمين.

وهذا الاختلاف في لفظ الحديث ـ ولأيّ سبب كان ـ لخير شاهد علىٰ أنّ النبيّ الأكرمﷺ قد نطق بمفاده، وفي عدة مواطن ومناسبات مختلفة، ينظمها وحدة المعنىٰ والمراد والغرض.

وأيضاً فإنّ تعدد الرواة ـ بل وكثرتهم ـ شاهد لتعدّد تلك المواطن حتىٰ انبرىٰ غير واحد من الحفّاظ لجمع طرقه في كتاب مفرد.

هذا مع ما للحكم والسياسة من عَقْلِ ألسنة المحدِّثين وحبس أقلام الكتّاب والمؤلفين، ومع ذلك فقد اشتهر وانتشر حتىٰ جاوز حدّ التواتر إلىٰ المسلّمات.

لمزيد الاطلاع والمعرفة انظر للمثال: الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٩٤، مسند أحمد ابن حنبل ٣: ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩، و٤: ٣٦٧، سنن الدارميّ ٢: ٤٣٢، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ ت ٢٤٠٨، المعرفة والتاريخ ١: ٥٣٦ و٥٣٧، تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١١١، سنن الترمذيّ ٥: ٦٦٣ ت ٣٧٨٨، الخصائص للنّسائيّ: ٧٠ ت ٧٤، مسند أبي يعلىٰ الموصليّ ٢: ٢٩٧ و٣٠٣ ت ١٠٢١ و١٠٢٧، المعجم الصغير ١: ١٣٥، المعجم الكبير ٥: ١٥٣ و١٥٤ ت ٤٩٢١ ـ ٤٩٢٣ و١٨٦ ت ٥٠٤٠، زين الفتىٰ في شرح سورة هل أتىٰ ٢: ٢٦٨، المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩ ـ ١١٠، حلية الأولياء ١: ٣٥٥، السنن الكبرىٰ ١٠: ١١٤، مصابيح السُّنة ٤: ١٩٠ ت ٤٨١٦، معالم التنزيل ١: ٥١٧، التفسير الكبير للرّازيّ ٨: ١٧٣، أُسد الغابة ١: ٤٩٠ ت ١١٦٥ و٣: ١١٤ ت ٢٩٠٥، تذكرة الخواص: ٢٩٠ ب١٢، شرح ابن أبي الحديد ٦:

وهذا يدلّ على أنّه موجودٌ في كلّ عصر؛ لأنه لا يجوزُ أنْ يأمرنا بالتّمسك بما لا يُقدر على التمسّك به. كما أنّ أهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتّباع قوله، حاصلٌ في كلّ وقت.

وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي أنْ نتشاغل بتفسيرهِ، وبيانِ معانيه، ونترك ما سواه.

واعلم أنّ الرواية ظاهرة في أخبار أَصحابنا بأنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وعن الأئمّة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ القول فيه بالرأي لا يجوز[1].

← ٣٧٥، كفاية الطالب: ٥٣ ب١، ذخائر العقبىٰ: ١٦، تفسير غرائب القرآن للنيسابوريّ ٢: ٢٢٥، فرائد السمطين ٢: ٢٣٤ ب ٤٦، البداية والنهاية ٣: ٢٠٩، الفصول المهمة ٤٠، إحياء الميت للسيوطيّ: ٣٨ جواهر العقدين في فضل الشرفين ١: ٨٦ و٩٢، الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٨ ومصادره، كنز العمال ١: ١٨٥ ت ٩٤٤.

وإن شئت الوقوف علىٰ طرف من ألفاظه وطرقه فراجع:

غاية المرام للسيد البحرانيّ ٢: ٣٠٤ب ٢٨ وما بعدها لطرق العامة، و٢: ٣٢١ ب ٢٩ وما بعدها لطرق الخاصة، عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين للسيد حامد حسين الهنديّ، والأجزاء الخمسة الأولىٰ من خلاصته: نفحات الأزهار للسيّد الميلاني، ملحقات إحقاق الحق للسيد المرعشيّ النجفيّ ٩: ٣٠٩ و١٨: ٢٦١، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق عاشور ١: ١٦٢ ت ١٧١ فقد ذكر في هامشه حشداً من المصادر، الغدير للشيخ الأمينيّ ١: ٢١، وانظر الفهرست: على ضفاف الغدير: ٢٣٥، المراجعات: ٨٦ هامش المراجعة ٨، حديث الثقلين تواتره فقهه للسيّد الميلانيّ، أهل البيت في المكتبة العربية (فصلية تراثنا العدد ١٤ لسنة ١٤٠٩ ص: ٨٤) للسيد الطباطبائيّ وغيرها كثير جداً وفي هذا كفاية لذوي الفهم والإيمان.

(١) للمثال انظر: كمال الدين ١: ٢٨٤ ح ٣٧، تفسير العياشيّ ١: ٩٠ باب علم الأئـمّة عليهم السلام بالتأويل، و٢٩٣ ح٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، الكافي ١: ١٦٦ ح١، وتفسير النعمانيّ (ضمن بحار الأنوار) ٩٣: ٢.

وروىٰ العامة ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (من فسّر القرآن برأيه وأصاب الحقّ، فقد أخطأ)(١).

وكره جماعةٌ من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي: كسعيد بن المسيِّب(٢) وعبِيدة السلمانيّ(٣)، ونافع(٤)، والقاسم بن محمّد(٥)،

---

(١) لعلّه مروي بالمعنى، انظر: الجامع الصحيح ٥: ١٠٠ ح٢٩٥٢، سنن أبي داود ٣: ٣٢٠ ح ٣٦٥٢، فضائل القرآن للنسائيّ ٧٧ رقم ١١، وكمال الدين ١: ٢٥٧ قطعة من ح١، وقد تعرض للبحث أغلب المفسّرين من الطرفين في مقدّماتهم، منهم: العياشيّ في تفسيره ١: ٩٥ باب من فسّر القرآن برأيه، والطّبريّ في جامع البيان ١: ٧٩، والماورديّ في النكت والعيون ١: ٣٤، والنّيسابوريّ في الوسيط ١: ٤٨، والقرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن ١: ٣١.

(٢) سعيد بن المسيِّب بن حزن المخزوميّ، أبو محمّد القَرشيّ، يُعدّ في كبار التابعين، روىٰ عن: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وابن عبّاس و... وعنه: الزّهريّ، وقتادة وعطاء و... عدّ من حواريّ الإمام السجاد عليه السلام، توفّي عام: ٩٥هـ.

تنقيح المقال ٢: ٣٠ ت ٤٨٧٠، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٢١٧ ت ٨٨، ومصادره.

(٣) عَبِيدَة بن عمرو السَّلمانيّ، نسبة إلىٰ جدهم سلمان بن ناجية، روىٰ عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ وعُدّ من خاصة أصحابه ـ وابن مسعود، وعنه: النَّخعيّ والشّعبيّ وابن سيرين وغيرهم. توفي عام: ٧٢هـ.

انظر: تنقيح المقال ٢: ٢٤٢ ت ٧٧٠١، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٤٠ ت ٩، ومصادره.

(٤) لعله: نافع بن جبر بن مطعم بن عديّ، أبو محمّد النّوفليّ المدنيّ روىٰ عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام والعباس وغيرهم، وعنه: الزُّهريّ وعمرو بن دينار وغيرهم. توفّي عام: ٩٩ هـ.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ٤: ٥٤١.

(٥) في النسخ: محمّد بن القاسم. وليس بصحيح؛ لأنّه ليس من التابعين ولا من فقهاء المدينة.

وسالم بن عبداللّه[١]، وغيرهم.

وروي عن عائشةَ[٢] أنّها قالت: لم يَكنْ النبيّ [صلّى اللّه عليه وآله] يفسر القرآن إلّا بعد أنْ يأتيَ به جبرائيل عليه السلام[٣].

والذي نقول في ذلك: إنّه لا يجوز أنْ يكون في كلام اللّه تعالىٰ وكلام نبيّه ﷺ تناقضٌ وتضادّ. وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا**

انظر: معجم المفسّرين ١: ٤٣٥.

والصحيح المثبت، وهو القاسم بن محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة، يُعدّ في أصحاب الإمام السجاد والباقر عليهما السلام، روىٰ عن عائشة وقد ربّي في حجرها، وعن ابن عبّاس وغيرهم. وعنه روىٰ الشعبيّ وابنه عبدالرحمن ونافع العمريّ. توفّي عام: ١٠٢ هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: تنقيح المقال ٢: ٢٣ (من أبواب القاف) ت ٩٥٩٧، طبقات الفقهاء: ٤١، سيَر أعلام النبلاء ٥: ٥٣ ت ١٨.

(١) سالم بن عبداللّه بن عمر بن الخطّاب، روىٰ عن أبيه، وعائشة، وأبي هريرة وغيرهم، وعنه الزهريّ وصالح بن كيسان و...، توفّي عام: ١٠٦هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ٤: ٤٥٧ ت ١٧٦ ومصادره.

(٢) عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، زوج النبيّ الأكرم ﷺ، أشهر من أن تُعرّف بشيء، لها مواقف مشهورة مشهودة بعد وفاته ﷺ مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وولده عليهما السلام وعثمان، ماتت عام: ٥٧ هـ، ودفنت في البقيع.

ترجمتها في أغلب كتب التأريخ والتراجم، للمثال: سيَر أعلام النبلاء ٢: ١٣٥ ت١٩ ومصادره، وانظر: أحاديث أُم المؤمنين عائشة، للسيد العسكريّ، تنقيح المقال ٣: ٨٨ من قسم النساء والكنىٰ.

(٣) رواه جمع منهم: الموصليّ في المسند ٨: ٢٣ ح٤٥٢٨، والهيثميّ في مجمع الزوائد ٦: ٣٠٣، والطبريّ في جامع البيان ١: ٢٩، وعنه ابن كثير في تفسيره ١: ١٤، وفي الجميع باختلاف.

عَرَبِيّاً ﴾[١]، وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٢]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[٣]، وقال: فيه ﴿ تِبْيَٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٤]، وقال: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[٥].

فكيف يجوز أنْ يصفه: بأنّه عربيّ مبينٌ، وأنّه بلسان قومه، وأنّه بيانٌ للناس؛ ولا يفهم بظاهره شيءٌ؟ وهل ذلك إلّا وصف له باللُّغز والمعمّىٰ الذي لا يفهم المراد به إلّا بعد تفسيره وبيانه؟ وذلك منزّه عنه القرآن.

وقد مدح اللّه تعالىٰ أقواماً علىٰ استخراج معاني القرآن فقال: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٦].

وقال في قوم يذمُّهم حيث لم يتدبّروا القرآن، ولم يتفكّروا في معانيه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٧].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: (إنّي مُخلِّفٌ فيكُمُ الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي)[٨] فبيّن أنّ الكتاب حجّة، كما أنّ العترة حجّة. وكيف يكونُ حجةً ما لا يفهم به شيء؟.

---

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٢.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ١٩٥.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤.

(٤) سورة النحل ١٦: ٨٩.

(٥) سورة الأنعام ٦: ٣٨.

(٦) سورة النساء ٤: ٨٣.

(٧) سورة محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧: ٢٤.

(٨) تقدّمت الإشارة إليه في صفحة: ١٧، الهامش ١.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: (إذا جاءكم عنّي حديثٌ، فاعرضوه علىٰ كتابِ اللّٰه، فما وافق كتاب اللّٰه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط)[1]؛ وروي مثل ذلك عن أئمتنا عليهم السلام[2]؛ وكيف يمكن العرض علىٰ كتاب اللّٰه وهو لا يفهم به شيءٌ؟!

وكلّ ذلك يدلّ علىٰ أنّ ظاهر هذه الأخبار متروك.

والذي نقولُ: إنّ معاني القرآن علىٰ أربعة أقسامٍ:

أحدها: ما اختصَّ اللّٰه تعالىٰ بالعلم به، فلا يجوز لأحدٍ تكلّف القول فيه، ولا تعاطي معرفته، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ**﴾[3]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ**﴾[4] إلىٰ آخرها.

فتعاطي معرفة ما اختص اللّٰه تعالىٰ بالعلم به خطأ.

وثانيها: ما يكون ظاهره مطابقاً لمعناه، فكلّ من عرف اللّغة التي خوطب بها عرف معناها، مثل قوله تعالىٰ: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[5]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ**﴾[6]، وغير ذلك.

---

(١) الرسالة للشافعيّ: ٢٢٤/٦١٧، المعجم الكبير٢: ٩٧/١٤٢٩، أحكام الاحكام ٢: ٥٢٦، جامع بيان العلم وفضله ٢: ٤٢٨/٢٠٦٧، المحصول ٣: ٩١، الإحكام في أُصول الأحكام ٢: ٢٠٦ و٢٠٧، التحصيل ١: ٣٩٢، وج٢: ١٤٢، انظر مجمع الزوائد ١: ١٧٠، كشف الخفاء ١: ٨٩/٢٢٠. وفي المصادر باختلاف.

(٢) انظر صفحة ١٦ الهامش ٣.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٨٧.

(٤) سورة لقمان ٣١: ٣٤.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٥١.

(٦) سورة التوحيد ١١٢: ١.

وثالثها : ما هو مجملٌ لا ينبىءُ ظاهره عن المراد به مفصّلاً . مثل قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1] ، ومثل قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾[4] ، وما أشبه ذلك .

فإنّ تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتِها ، وتفصيل مناسك الحجّ وشروطه ، ومقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجُه إلّا ببيان النبيّ ﷺ ووحي من جهة اللّه تعالىٰ .

فتكلّف القول في ذلك خطأ ممنوع منه ، ويمكن أنْ تكون الأخبار متناولة له .

ورابعها : ما كان اللّفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عليهما ، ويمكن أنْ يكون كلّ واحدٍ منهما مراداً .

فإنّه لا ينْبغي أنْ يقدم أحد فيقول : إنّ مراد اللّه فيه بعض ما يحتمل إلّا بقول نبيٍّ أو إمام معصوم ؛ بل ينبغي أن يقول : إنّ الظاهر محتمل لأُمورٍ ، وكلّ واحد يجوز أنْ يكون مراداً علىٰ التفصيل ، واللّه أعلمْ بما أراد .

ومتىٰ كان اللّفظ مشتركاً بين شيئين ، أو ما زاد عليهما ، ودلّ الدّليل علىٰ أنّه لا يجوز أن يريد إلّا وجهاً واحداً ، جاز أن يقال : إنّه هو المراد .

---

(١) متكررة ففي سورة البقرة ٢: ٤٣، ٨٣، ١١٠ وفي سورة النساء ٤: ٧٧ وفي سورة الحجّ ٢٢: ٧٨ وفي سورة النور ٢٤: ٥٦ وفي سورة المجادلة ٥٨: ١٣ وفي سورة المزّمل ٧٣: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٩٧.

(٣) سورة الأنعام ٦: ١٤١.

(٤) سورة المعارج ٧٠: ٢٤.

ومتىٰ قسّمنا هذه الأقسام، نكون قد قبلنا هذه الأخبار ولم نردّها علىٰ وجهٍ يوحشُ نقلتها والمُتمسكين بها، ولا منعنا بذلكَ من الكلام في تأويل الآي جملةً.

ولا ينبغي لأحدٍ أنْ ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصلاً، أو يقلّد أحداً من المفسّرين، إلّا أنْ يكونَ التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتّباعه لمكان الإجماع.

لأنّ من المفسّرين من حمدت طرائقه، ومدحت مذاهبه، كابن عبّاس (١)، والحسن (٢)، وقَتادة (٣)، ومجاهد (٤) وغيرهم.

---

(١) عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطلب الهاشميّ، أبو العباس، أشهر من أن يُعرّف، صحب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذَ عنه وولي له، جُمع له ما روي عنه في الغريب والتفسير. توفي سنة: ٦٨ هـ.

انظر: طبقات المفسّرين للدّاوديّ ١: ٢٣٩ ت ٢٢٤، معجم المفسّرين ١: ٣١٠، تنقيح المقال ٢: ١٩١ ت٦٩٢١، سيَر أعلام النبلاء ٣: ٣٣١ ت٥١ ومصادره وانظر: ابن عبّاس ومكانته في التفسير لحجتي، وموسوعة ابن عبّاس للسيّد الخرسان ففيها غنى عن الجميع.

(٢) الحسن بن يسار البصريّ، أبو سعيد، له: كتاب تفسيرٍ مبثوثٍ في ثنايا تفسير الثعلبيّ والطبريّ. وله: نزولُ القرآن، والعدد في القرآن. وجُمع له ما تفرق من تفسيره. توفي سنة: ١١٠ هـ.

انظر: طبقات المفسّرين ١: ١٥٠ ت ١٤٤، معجم المفسّرين ١: ١٤٨.

(٣) قَتادةُ ـ بفتح القاف ـ بن دعامة السدوسي، أبو الخطّاب، عدّ في المفسّرين، ومع أنّه كان يدلّس في الحديث فقد احتج بحديثه، له تفسير القرآن، مبثوث في ثنايا تفسير الطبريّ، وله غير ذلك. توفي في واسط بالطاعون عام: ١١٨ هـ.

انظر: طبقات المفسّرين ٢: ٤٧ ت ٤١٥، معجم المفسّرين ١: ٤٣٥.

(٤) مجاهد بن جبر المكيّ، أبو الحجاج، اشتهر بالتفسير ـ خصوصاً ـ بالرأي، وقد ←

ومنهم من ذمّت مذاهبه، كأبي صالح[١]، والسُّدِّي[٢]، والكَلْبي[٣] وغيرهم. هذا في الطبقة الأولىٰ.

فأمّا المتأخرون فكلّ واحدٍ منهم نصر مذهبه، وتأوّل علىٰ ما يطابق أصله.

ولا يجوز لأحدٍ أنْ يقلّد أحداً منهم، بل يَنبغي أنْ يرجع إلىٰ الأدلّة الصحيحة: إمّا العقليّة أو الشرعيّة، من: إجماعٍ عليه، أو نقلٍ متواترٍ به عمّن يجب اتّباع قولهِ، ولا يقبل في ذلك خبر واحدٍ، وخاصّةً إذا كان ممّا طريقه العلم.

اعتمد الطبريّ تفسيره وبثه في جوانب من تفسيره، ونقل عنه البخاريّ في جامعهِ وغيره. توفي عام: ١٠٤ هـ.

انظر: معجم المفسِّرين ٢: ٤٦٢، غاية النهاية ٢: ٤١ ت ٢٦٥٩، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٤٤٩ ت ١٧٥، ومصادره.

(١) مشترك بين متعاصرين. والمراد هنا: باذام أو باذان مولىٰ أُم هانئ بنت أبي طالب، مشهورٌ بكنية (أبو صالح) ذمّه أغلب من ترجم له.

انظر: تهذيب الكمال ٤: ٦ ت ٦٣٦، ومصادره.

(٢) السُّدِّي، بضم السين وكسر الدال المهملتين المشدّدتين، نسبة إلىٰ سُدّة الجامع أو اسم موضع غيره، مشترك بين: الكبير إسماعيل بن عبدالرحمن؛ والصغير ـ وهو المراد هنا ـ محمّد بن مروان بن عبداللّٰه، يروي عن جملة منهم: محمّد بن السائب الكلبيّ، ضعّفه بل كذّبه أغلبُ من ترجَمَ له. وهذا قرينة علىٰ إرادة الشيخ المؤلّف له. توفي سنة: ١٨٦هـ.

انظر: الأنساب للسمعانيّ ٧: ٦٢، تهذيب الكمال ٢٦: ٣٩٢ ت٥٥٩٧، طبقات المفسِّرين ٢: ٢٥٥ ت٥٨٣، ومصادرهما.

(٣) الكَلْبيّ، محمّد بن السائب بن بشر الكَلْبيّ، أبو نضر، اشتهر بالنسب والتفسير اتُّهم وضُعّفَ. له تفسير الآي الذي نزل في أقوام بعينهم. توفي سنة: ١٤٦ هـ.

انظر: طبقات المفسرين ٢: ١٤٩ ت ٤٩١، معجم المفسرين ٢: ٥٣٠، ومصادرهما.

ومتىٰ ما كان التأويل ممّا يحتاجُ إلىٰ شاهدٍ من اللّغة، فلا يقبل من الشاهد إلّا ما كان معلوماً بين أهل اللّغة، شائعاً بينهم.

فأمّا ما طريقه الآحاد من الروايات الشاردة، أو الألفاظ النادرة، فإنّه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً علىٰ كتاب اللّه.

وينبغي أنْ يَتوقف فيه ويذكُر ما يحتملُه، ولا يقطع علىٰ المراد منه بعينه، فإنّه متىٰ قَطع علىٰ المراد كان مخطئاً، وإنْ أصاب الحق، كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله [١]؛ لأنّه قال ذلك تخميناً وحدساً، ولم يصدر ذلك عن حجّة قاطعة، وذلك باطل بالاتفاق.

واعلموا أنّ المعروف من مذهب أصحابنا، والشائع من أخبارهم ورواياتهم، أنّ القرآن نزل بحرف واحد، علىٰ نبيّ واحد[٢]، غير أنّهم أجمعوا علىٰ جواز القراءة بما يتداوله القرّاء، وأنّ الإنسان مخيّر بأيّ قراءة شاء قرأ.

وكرهوا تجريد قراءة بعينها؛ بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القرّاء، ولم يبلغوا بذلك حدّ التحريم والحظر.

وروىٰ المخالفون لنا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (نزل القرآن علىٰ سبعة أحرفٍ كُلُّها شافٍ كافٍ)، وفي بعضها: (علىٰ سبعة أبواب)[٣] وكثرت في

---

(١) تقدّم في صفحة ١٩، الهامش ١.

(٢) بهذا المضمون روايات، منها: في الكافي ٢: ٤٦٢ ح١٢، التنزيل والتحريف للسياريّ: ورقة ١، وغيرهما، وانظر: اعتقادات الصدوق (ضمن شرح الباب الحادي عشر): ٩٤.

(٣) طرقه وألفاظه مختلفة، انظر: المصنَّف لابن أبي شيبة ١٠: ٥١٦ ت ١٠١٦٧، ←

ذلك رواياتهم، ولا معنىٰ للتشاغل بإيرادها.

واختلفوا في تأويل الخبر:

فاختار قوم أنّ معناه علىٰ سبعة معانٍ: أمرٌ، ونهيٌ، ووعدٌ، ووعيدٌ، وجدلٌ، وقصصٌ، وأَمْثال.

وروىٰ ابن مسعود[1] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (نَزلَ القرآنُ علىٰ سبعة أحرفٍ: زجرٌ، وأمرٌ؛ وحلالٌ، وحرامٌ؛ ومحكمٌ، ومتشابهٌ؛ وأَمْثال).

وروىٰ أبو قلابة[2] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (نَزلَ القرآنُ علىٰ سبعة أحرفٍ: أَمرٌ، وزجرٌ؛ وترغيبٌ، وترهيبٌ؛ وجدلٌ؛ وقصصٌ، وأمثالٌ)[3].

✍ مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٤٥ و٥: ٤١ و٥١ و١٢٢ و١٢٤، سنن أبي داود ٢: ٧٦ ح١٤٧٧، تأويل مشكل القرآن: ٣٣، سنن النسائيّ ٢: ١٥٣، مشكل الآثار ٤: باب بيان مشكل ما روي من قوله: أُنزل القرآن....، الانصاف للباقلانيّ: ١١٨، المستدرك للحاكم ١: ٥٥٣، السنن الكبرىٰ ٢: ٣٨٤. وقد تكلّم على هذا ابن عبدالبرّ في كتابيه التمهيد ٨: ٢٧٢ وما بعدها، والاستذكار ٨: ٢٧ ت ٤٤٧ وما بعدها باستيعاب وتفصيل.

(١) عبداللّٰه بن مسعود بن غافل الهذليّ، أبو عبدالرحمن، المشهور بابن أُمّ عبد، من القرّاء المشهورين، والمفسِّرين الأوائل، ولي لعمر بن الخطاب ـ إبان حكومته ـ بيت المال في الكوفة. لم يُذكر له مُؤَلَّف وإنّما آراؤه وتفسيره مبثوث في بطون التفاسير وكتب الحديث. توفي عام: ٣٢ هـ.

انظر: معجم المفسّرين ١: ٣٢٧، غاية النهاية للجزريّ ١:٤٥٨، سيَر أعلام النبلاء ١: ٤٦١ ت ٨٧، ومصادره.

(٢) عبداللّٰه بن زيد بن عامر ـ عمر ـ أبو قلابة الجَرْميّ، روىٰ عن جمع، وعنه كثير، أدرك حكومة عمر بن عبدالعزيز، سكن دمشق وفيها توفي عام: ١٠٤هـ، وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته في: تاريخ دمشق ٢٨: ٢٨٣ ت ٣٣٠٢، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٤٦٨ ت ١٧٨، ومصادره.

(٣) للروايتين راجع: مشكل الآثار ٤: ١٨١، المستدرك وتلخيصه للذهبيّ ١: ٥٥٣، النكت والعيون للماورديّ ١: ٢٩، فتح الباري ٩: ٢٦، الاحسان في ترتيب صحيح ابن حبّان ٢: ٦٢ ت ٧٤٢، وانظر صفحة ٢٦ الهامش ٣.

وقال آخرون: نزل القرآن على سبعة أحرفٍ، أي: سبع لغاتٍ مختلفة، ممّا لا يغيرُ حكماً في تحليلٍ وتحريمٍ، مثل: هلُمّ وتعال: من لغات مختلفة، ومعانيها مؤتلفة.

وكانوا مخيّرين في أوّل الاسلام في أن يقرأوا بما شاءُوا منها. ثمّ أجمعوا على أحدها، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً عمّا أعرضوا عنه.

وقال آخرون: نزل على سبع لغاتٍ من اللّغات الفصيحةِ؛ لأنّ القبائل بعضها أفصح من بعضٍ، وهو الذي اختاره الطبريّ[١].

وقال بعضهم: هي على سبعة أوجهٍ من اللغات، متفرقةٌ في القرآن؛ لأنّه لا يوجدُ حرفٌ قُرِىءَ على سبعةِ أوجه[٢].

وقال بعضهم: وجه الاختلاف في القراءات سبعةٌ:

أوّلها: اختلاف إعراب الكلمة أو حركة بنائها، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيِّر معناها، نحو قوله: **﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾** بالرفع والنصب[٣]، [و] **﴿وهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾**[٤] بالنصب والنون

---

(١) في تفسيره جامع البيان ١: ١٦.

(٢) على كثرة ما بأيدينا من المصادر لم نجد من نسب الاقوال إلىٰ قائل بعينه. اُنظر: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلّام: ٢٠٠ باب ٥٢، جامع البيان ١: ٩، تأويل مشكل القرآن: ٣٣، بستان العارفين في تنبيه الغافلين: ٣٥٩، الإنصاف للباقلانيّ: ١٧٩، النكت والعيون للماورديّ ١: ٢٨ الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ١: ٤١، ولاحظ: علوم القرآن عند المفسّرين ٢: ١٢٧، فقد جمع فيه الشيء الكثير من الأقوال والآراء.

(٣) أي: أطْهَرُ، أطْهَرَ. سورة هود ١١: ٧٨.

(٤) سورة سبأ ٣٤: ١٧.

﴿وَهلْ يُجَازَى إلَّا الْكَفُورُ﴾ بالياء والرفع، [و] ﴿بِالْبُخْلِ﴾[١] ﴿بالْبَخْلِ﴾ برفع الباء ونصبها. و﴿مَيْسَرَةٍ﴾[٢] و﴿مَيْسُرَةٍ﴾ بنصب السين ورفعها.

والثاني : الاختلاف في إعرابِ الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب مثل قوله: ﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[٣] علىٰ الدعاء، و﴿رَبُّنَا بـٰعَدَ بَـيْنَ أَسْـفَارِنَا﴾ عـلىٰ الخـبر، و ﴿إِذْ تَـلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾[٤] بالتشديد، [و] ﴿تَلِقُونَهُ﴾ بكسر اللّام والتخفيف.

والثالث : الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[٥] بالزاي المعجمة، وبالراء الغير معجمة.

والرابع : الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها ولا يغيّر معناها نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾[٦] و(إلّا زِقْية). و (كالصوف المنفوش) و﴿كَالْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ ﴾[٧].

والخامس : الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَطَلْـحٍ مَّنْضُودٍ ﴾[٨] (وطلع).

---

(١) سورة النساء ٤: ٣٧، سورة الحديد ٥٧: ٢٤.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٨٠.

(٣) سورة سبأ ٣٤: ١٧.

(٤) سورة النور ٢٤: ١٥.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٥٩.

(٦) سورة يس ٣٦: ٢٩ و٤٩ و٥٣، وسورة ص ٣٨: ١٥.

(٧) سورة القارعة ١٠١: ٥.

(٨) سورة الواقعة ٥٦: ٢٩.

والسادس : الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالىٰ: ﴿ **وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ** ﴾[١] **(وجاءت سكرة الحق بالموت)**.

والسابع : الاختلاف بالزيادةِ والنُقصان نحو قوله تعالىٰ : ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾[٢] **(وما عملت أيديهم)** بإسقاط الهاءِ وإثباتها. ونحو قوله تعالىٰ : ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ**﴾[٣]: **(فإنّ اللّه الغني الحميد)**. في سورة الحديد[٤].

وهذا الخبر عندنا ـ وإنْ كانَ خبراً واحداً ـ لا يجب العمل به.

فالوجه الأخير أملح الوجوه؛ علىٰ ما روي عنهم عليهم‌السلام من جواز القراءة بما اخْتلف القرّاء فيه[٥].

وأمّا القول الأوّل فهو علىٰ ما تضمنه؛ لأنّ تأويل القرآن لايخرج عن أحد الأقسام السبعة: إمّا أمرٌ، أو نهيٌ، أو وعدٌ، أو وعيدٌ، أو خبرٌ، أو قصصٌ، أو مثلٌ. وهو الذي ذكره أصحابنا في أقسام تفسير القرآن[٦].

فأمّا ما روي عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال: (ما نزلَ من القرآنِ من آية إلّا ولها ظهر وبطن)، وقد رواه أيضاً أصحابنا عن الأئمّة عليهم‌السلام[٧] فإنّه يحتمل وجوهاً:

---

(١) سورة ق ٥٠: ١٩.

(٢) سورة يس ٣٦: ٣٥.

(٣) سورة الحديد ٥٧: ٢٤.

(٤) إضافةً لِما تقدّم في صفحة ٢٨ هامش ٢، انظر: المحرر الوجيز١: ٢١ ومابعدها، النشر في القراءات العشر ١: ١٩، وما بعدها.

(٥) كثيرة متفرّقة، للمثال انظر: الكافي ٢: ٤٦٢ ح٢٣، بصائر الدرجات: ٢١٣ ح٣، الخصال: ٣٥٨ ح٤٤.

(٦) الآيات الناسخة والمنسوخة للسيد الشريف المرتضىٰ: ٤٩، وانظر: بحار الأنوار ٩٣: ٤.

(٧) قريب منها جداً في تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١: ٩ وفضائل القرآن ☜

أحدها: ما روي في أخبارنا عن الصادقين عليهما السلام ـ وحكي ذلك عن أبي عبيد[١] ـ أنّ المراد بذلك القصص بأخبار هلاك الأوّلين وباطنها عظة للآخرين[٢].

والثاني: ما حكي عن ابن مسعود أنّه قال: ما من آية إلّا وقد عمل بها قوم ولها قوم يعملون بها[٣].

والثالث: معناه: أنّ ظاهرَها لفظُها، وباطنَها تأويلها، ذكره الطّبريّ واختاره البَلْخيّ[٤].

والرابع: ما قاله الحسن البصريّ: إنّكَ إذا فتّشتَ عن باطنها وقسته

لأبي عبيد: ٤٢ ـ ٤٣ ومجمع الزوائد ٧: ١٥٢، وانظر: شرح السنّة للبغويّ ٣: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
وهكذا في: المحاسن: ٢٧٠ ح ٣٦٠، ٣٠٠ ح٥ وتفسير العياشيّ ١: ٨٥ باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن...، ومعاني الأخبار: ٥٢٩، وبصائر الدرجات: ٢١٦، ٢٢٣ ح٧ و٢، الكافي ١: ٣٧٤ قطعة من ح١٠ و٢: ٥٩٨ قطعة من ح٢، وانظر بحار الأنوار ٩٣: ٣ وما بعدها. وانظر شرح الحديث في المجازات النبوية: ٢٥١ ت ٢٠٠.

(١) أبو عُبيد، القاسم بن سَلّام الروميّ الأنصاري ـ مولاهم ـ البغداديّ، أخذ القراءة عن الكسائيّ والبَلْخيّ وغيرهم، ورواها عنه خلق. عدّ في طبقة الشافعيّ وأحمد. له: الأموال، فضائل القرآن وغيرها. توفي عام: ٢٢٤ هـ.
له ترجمة في: طبقات القرّاء ١: ١٩٩ ت ١٠٤، وفيات الأعيان ٤: ٦٠ ت ٥٣٤، ومصادرهما.

(٢) انظر تفسير العياشيّ ١: ٨٥ باب تفسير الناسخ والمنسوخ و...، بصائر الدرجات: ٢١٦ ح٧، وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٤١ ب٦ ح١ و١١. وانظر مصادر الهامش: «٧» المتقدّم في الصفحة: ٣٠.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد: ٤٣ ب٦ ح٧، وتفسير النكت والعيون للماورديّ ١: ٤١، صحيح ابن حبّان، تحقيق الأرنؤوط ١: ٢٧٦ ت ٧٥ ومصادره.

(٤) تفسير جامع البيان ١: ٢٥. وفي تفسير النكت والعيون ١: ٤١ نسبه إلىٰ الجاحظ، وانظر الإتقان للسيوطيّ ٤: ٢٢٥.

على ظاهرها وقفت على معناها[1].

واعلم أنّ جميع أقسام القرآن لا تخلو من ستة: محكم، ومتشابه؛ وناسخ، ومنسوخ؛ وخاص، وعام.

فالمحكم: ما أنبأ لفظه عن معناهُ من غير اعتبار أمرٍ ينضمُّ إليه، سواءٌ كان اللّفظ لغوياً أو عرفياً. ولا يحتاجُ إلى ضروبٍ من التأويل. وذلك نحو قوله: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[2]، وقوله: ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ**﴾[3]، وقوله: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾[4]، وقوله: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾[5]، وقوله: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[6]، وقوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[7] ونظائر ذلك.

والمتشابه: ما كان المراد به لا يعرف بظاهره، بل يحتاج إلى دليلٍ. وذلك ما كان محتملاً لأُمورٍ كثيرةٍ أو أمرين، ولا يجوز أنْ يكون الجميع مراداً، فإنّه من باب المتشابه.

وإنّما سمّي متشابهاً؛ لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد، وذلك نحو

---

(١) إضافة لما تقدّم انظر: الموافقات للشاطبيّ ٣: ٣٨٢.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٨٦.

(٣) سورة الأنعام ٦: ١٥١.

(٤) سورة التوحيد ١١٢: ١.

(٥) سورة التوحيد ١١٢: ٣ ـ ٤.

(٦) سورة فصّلت ٤١: ٤٦.

(٧) سورة الذاريات ٥١: ٥٦.

قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ﴾[١]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[٢]، وقوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[٣]، وقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾[٤]، وقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[٥] ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٦]، ونظائر ذلك من الآي التي المراد منها غير ظاهرها.

فإن قيل: هلّا كان القرآن كلُّه محكماً يستغنىٰ بظاهره عن تكلّف ما يدلّ علىٰ المراد منه، حتّىٰ دَخَلَتْ علىٰ كثيرٍ من المخالفين للحقّ شبهةٌ فيه، وتمسّكوا بظاهره علىٰ ما يعتقدونه من الباطل. أتقولون: إنّ ذلك لم يكن مقدوراً له تعالىٰ ؟! فهذا هو القول بتعجيزه! أو تقولون: هو مقدورٌ له، ولم يفعل ذلك، فَلِمَ لم يفعله ؟.

قيل: الجواب علىٰ ذلك من وجهين:

أحدهما: إنّ خطاب اللّه تعالىٰ ـ مع ما فيه من الفوائد ـ المصلحة معتبرةٌ في ألفاظه، فلا يمتنع أن تكون المصلحة الدينية تعلّقت بأنْ يستعمل الألفاظ المحتملَة، ويجعل الطريقَ إلىٰ معرفة المراد به ضرباً من الاستدلال؛ ولهذه العلة أطال في موضع وأسهب، واخْتصر في آخر وأوجز، واقتصر في ذكر قصةٍ في موضع، وأعادها في موضع آخر.

---

(١) سورة الزُمر ٣٩: ٥٦.

(٢) سورة الزُّمر ٣٩: ٦٧.

(٣) سورة القمر ٥٤: ١٤.

(٤) سورة الرَّعد ١٣: ٢٧، وفي سورة فاطر ٣٥: ٨.

(٥) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ٢٣.

(٦) سورة التوبة ٩: ٨٧.

واخْتلفتْ أيضاً مقادير الفصاحة فيه، وتفاضلت مواضع منه بعضه علىٰ بعض.

والجواب الثاني: إنّ اللّٰه تعالىٰ إنّما خلق عباده تعريضاً لثوابه، وكلّفهم؛ لينالوا أعلىٰ المراتب وأشرفها، ولو كان القرآن كلُّه محكماً لا يحتمل التأويل ولا يمكن فيه الاختلاف؛ لسقطت المحنة، وبطل التّفاضل، وتساوت المنازل ولم تَبِنْ منزلة العلماء من غيرهم.

وأنزل اللّٰه القرآن بعضه متشابهاً؛ ليعمل أهل العقل فيه أفكارهم، ويتوصّلوا ـ بتكلّف المشاقّ والنظر والاستدلال ـ إلىٰ فهم المراد، فيستحقوا به عظيمَ المنزلة وعالي الرتبة.

فإن قيل: كيف تقولون: إنّ القرآن فيه محكمٌ ومتشابهٌ، وقد وصفهُ اللّٰه تعالىٰ بأنّه أجمع محكم في موضع ووصفه في مواضع أُخر بأنّه متشابه، وذكر في موضع آخر أنَّ بعضه محكمٌ، وبعضه متشابه كما زعمتم. وذلك نحو قوله: ﴿ **الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ** ﴾[1]، وقال في موضع آخر: ﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً** ﴾[2]، وقال في موضع آخر: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ** ﴾[3]، وهل هذا إلّا ظاهر التناقض؟.

قلنا: لا تناقض في ذلك؛ لأنّ وَصفه بأنّه محكم كلُّه، المراد به أنّه بحيث لايتطرّق عليه الفساد والتناقض والاختلاف والتباين والتعارض؛ بل

---

(١) سورة هود ١١: ١.

(٢) سورة الزُّمر ٣٩: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٧.

لا شيء منه إلّا وهو في غاية الإحكام إمّا بظاهره أو بدليله، علىٰ وجه لا مجال للطاعنين عليه.

ووصفه بأنّه متشابهٌ، معناه أنّه يشبه بعضه بعضاً في باب الإحكام الذي أشرنا إليه، وأنّه لا خلل فيه ولا تباين ولا تضادّ ولا تناقض.

ووصفه بأنّ بعضَهُ محكمٌ، وبعضه متشابه ما أشرنا إليه، من أنّ بعضه ما يُفهم المراد بظاهره فيُسمّىٰ محكماً، ومنه ما يشتبه المراد منه بغيره، وإنْ كان علىٰ المراد والحقّ منه دليلٌ.

فلا تناقض في ذلك بحال.

وأمّا الناسخ: فهو كلُّ دليلٍ شرعيّ يدلّ علىٰ زوالِ مثلِ الحكم الثابت بالنصّ الأوّل في المستقبَل، علىٰ وجهٍ لولاه لكانَ ثابتاً بالنصّ الأوّل مع تراخيه عنه.

اعتبرنا «دليل الشرع»؛ لأنّ دليل العقل إذا دلّ علىٰ زوال مثل الحكم الثابت بالنّص الأوّل لا يُسمّىٰ نسخاً. ألا ترىٰ أنّ المكلّف للعبادات إذا عجز أو زال عقله زالت عنه العبادة بحكم العقل؛ ولا يسمّىٰ ذلك الدليل ناسخاً؟

واعتبرنا «زوال مثل الحكم»، ولم نعتبر الحكم نفسه؛ لأنّه لا يجوز أن ينسخ نفس ما أمر به؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلىٰ البداء.

وإنّما اعتبرنا «أنّ يكون الحكم ثابتاً بنصّ شرعي»؛ لأنّ ما ثبت بالعقل إذا أزاله الشرع لا يسمّىٰ بأنّه نسخ حكم العقل، ألا ترىٰ أنّ الصلاة والطواف لولا الشرع لكان قبيحاً فعله في العقل، وإذا ورد الشرع بهما لا يقال: نسخ حكم العقل؟

واعتبرنا «مع تراخيه عنه»؛ لأنّ ما يقترنُ به لا يسمّىٰ ناسخاً، وربّما يكون: تخصيصاً ـ إن كان اللّفظ عاماً ـ أو مقيّداً، إنْ كان اللّفظ خاصّاً. ألا ترىٰ أنّه لو قال: أُقتلوا المشركين إلّا اليهود. لم يكنْ قوله: إلّا اليهود نسخاً لقوله: أُقتلوا المشركين؟ وكذا لو قال: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[1] فقيّد بهذه الغاية، لا يقال لما بعدها أنّه نسخٌ. وكذلك لمّا قال في آية الزنى: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[2] لا يقال لما زاد عليهِ منسوخٌ؛ لأنّه مقيّد في اللفظ.

والنسخُ يصحُّ دخولُه في الأمر والنهي بلا خلافٍ.

والخبر إن تناول ما يصحُّ تغييره عن صفته جاز دخول النسخ فيه؛ لأنّه في معنى الأمر. ألا ترى أنّ قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[3] خبرٌ، وقوله: ﴿والمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾[4] أيضاً خبرٌ، وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً﴾[5] خبرٌ، ومع ذلك يصحّ دخول النسخ فيه.

فأمّا ما لا يصحّ تغييره عن صفته فلا يصحّ دخول النسخ فيه، نحو الإخبارُ عن صفات اللّه تعالىٰ ـ وصفات الأجناس ـ لمّا لمْ يصحَّ عليه التغيير، لم يصحَّ فيه النسخ؛ حيث إنّ العبارة بالإخبار عنه بأنّه قادرٌ، عالمٌ، سميعٌ، بصيرٌ، لا يصحّ النسخ فيه؛ لأنّه يمتنعُ دخولُ النسخ في الأخبار

---

(١) سورة التوبة ٩: ٢.

(٢) سورة النور ٢٤: ٢.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٩٧.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٢٨.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٩٧.

إنْ[١] كان المخبر به[٢] لا يصحّ تغييره في نفسه .

ولا يخلو النسخ في القرآن من أقسامٍ ثلاثة :

أحدها : نسخُ حكمهِ دونَ لفظه ، كآية العدّة في المتَوَفّىٰ عنها زوجها المتضمنةُ للسنة[٣] ، فإنّ الحكم منسوخٌ والتّلاوةُ باقيةٌ . وكآية النّجوى[٤] ، وآية وجوب ثبات الواحد للعشرة[٥] ، فإنّ الحكم مرتفعٌ ، والتلاوة باقيةٌ .

وهذا يبطل قول منْ منع جواز النسخ في القرآن ؛ لأنّ الموجود بخلافه .

والثاني : ما نُسخَ لفظهُ دونَ حكْمه ، كآيةِ الرجمِ ، فإنّ وجوبَ الرَّجم علىٰ المحصن لا خلافَ فيه ، والآية التي كانت متضمنةً له منسوخة بلا خلاف وهي قوله : (والشيخُ والشيخةُ إذا زَنيا فارْجموهُما ألبتّةَ ، فإنّهما قضيا الشهوة جزاءً بما كسبا نكالاً من اللّٰه واللّٰه عزيز حكيم)[٦] .

---

(١) من قوله : حيث إنّ ، في النسخ «خ ، ؤ ، هـ» هكذا : غير إنّ العبارة بالاخبار عنه ..... يصح دخول النسخ فيه ؛ لأنّه لا يمتنع ..... وان كان المخبر لا يصح .... ، وهي كما ترى لا يمكن المساعدة عليها .

(٢) في النسخ ، والحجرية : «المُخبر» ، وأضاف «به» استظهاراً أي «المخبر به» . وفي الهامش «الخبر» كذلك . وأمّا «س» و«ل» فناقصتان .

والظاهر أنّ المُثبت هو الذي يُطمأنّ علىٰ صحته بقرينة السياق .

(٣) الآية : ٢٤٠ من سورة البقرة : ٢ .

(٤) الآية : ١٢ من سورة المجادلة : ٥٨ .

(٥) الآية : ٦٥ من سورة الأنفال : ٨ .

(٦) إذ روي أنّها كانت في سورة النور : ٢٤ ، راجع : الموطأ ٢ : ٨٢٤ ت ١٠ ، مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٨٣ ، سنن الدارميّ ٢ : ١٧٩ ، سنن ابن ماجة ٢ : ٨٥٣ ت ٢٥٥٣ ، المستدرك للحاكم ٤ : ٣٦٠ ، سنن البيهقيّ ٨ : ٢١١ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٨٦ .

وانظر : من لا يحضره الفقيه ٤ : ١٧ ت ٣٢ ، علل الشرائع ٢ : ٥٤٠ ب ٣٢٦ ح ١٣ ، ١٤ ، الذريعة للسيد المرتضىٰ ١ : ٤٢٩ ، تهذيب الأحكام ١٠ : ٣ ت ٧ .

والثالث: ما نسخ لفظه وحكمه، وذلك نحو ما رواه المخالفون عن عائشة: أنّه كان فيما أنزل اللّه: (أنَّ عشرَ رضعاتٍ تحرّمنَ)، ونسخ ذلك بخمسٍ[1]. فنسخت التلاوةُ والحكم.

وأمّا الكلامُ في شرائط النسخ، وما يصحُّ منها وما لا يصحُّ، وما يصحُّ أنْ ينسخَ به القرآن، وما لا يصحّ أنْ ينسخ به. فقد ذكرناه في كتاب العدّة في أُصول الفقه[2]، ولا يليق ذلك بهذا المكان.

وحكى البَلْخيّ في كتاب التفسير فقال: قال قومٌ ـ ليسوا ممّن يعتبرون ولكنّهم من الأُمّةِ علىٰ حال ـ: إنّ الأئمّة المنصوص عليهم بزعمهم مفوضٌ إليهم نسخ القرآن وتبديله، وتجاوز بعضهم حتّىٰ خرج من الدّين بقوله: إنّ النسخ قد يجوز علىٰ وجه البداء؛ وهو: أن يأمر اللّه عزّ وجلّ ـ عندهم ـ بالشيء وهو لا يريد في وقتِ أمرِه به أنْ يغيّره ولا يبدله، ثمّ يبدو له فيغيّره ويبدله وينسخُه؛ لأنّه عندهم لا يعلم الشيء حتّىٰ يكون؛ إلّا ما يقدّره فيعلمه علم تقديرٍ؛ وتعجرفوا فزعموا أنّ ما نزل بالمدينة ناسخٌ لما

---

(١) في النسخه «ؤ» والحجرية: «عشرة» ولا مورد لها ظاهراً. أمّا أوّلاً: فلعدم قائل من فقهاء العامة به. وأمّا ثانياً: فإنّ المصادر المتطرّقة لذلك لم يرد فيها إلّا الخمس.

انظر للمثال: الموطأ ٢: ٦٠٨ ت ١٧، فضائل القرآن للبجليّ: ١٥٣، سنن الدارميّ ٢: ١٥٧، سنن ابن ماجة ٢: ٨٥٤ ت ٢٥٥٣، سنن الترمذيّ ٣: ٤٥٦ ت ١١٥٠، مشكل الآثار للطحاويّ ٣: ٦، سنن الدارقطنيّ ٤: ١٨١ ت ٣٠، شرح اللمع للشيرازيّ ١: ٤٨٩، المستصفىٰ للغزّاليّ ٢: ٣٥، بذل النظر: ٣٣٠، الناسخ والمنسوخ لابن العربيّ المعافريّ ١: ٢٠٦، نواسخ القرآن لابن الجَوزيّ: ٢٧، الإحكام للآمديّ ٣: ١٠٢.

(٢) عدة الأُصول للشيخ الطوسيّ ٢: ٤٨٥، الباب السابع. وراجع الذريعة للسيد المرتضىٰ ١: ٤٢٩.

نزل بمكة(١).

وأظنّ أنه عنى بهذا القول أصحابنا الإماميّة؛ لأنّه ليس في الأُمّة من يقول بالنصّ علىٰ الأئمّة عليهم السلام سواهُم.

فإنْ كان عناهم فجميعُ ما حكاهُ عنهم باطلٌ وكذب عليهم؛ لأنّهم لايجيزون النسخ علىٰ أحد من الأئمّة عليهم السلام. ولا فيهم أحدٌ يقولُ بحدوث العلم.

وإنّما يُحكى عن بعضٍ من تقدّم من شيوخ المعتزلة كالنظّام(٢) والجاحظ(٣) وغيرِهما، وذلك باطلٌ.

---

(١) تفسير البَلْخيّ، والمسمّىٰ: جامع علم القرآن: مخطوط.

(٢) النظّام، أبو إسحاق، إبراهيم بن سيّار، مولى آل الحارث الضبعيّ، المتكلّم، من شيوخ المعتزلة، عدّ في السادسة منهم، إليه تنسب النظّامية، له آراء تفرّد بها وكُفِّر بها ولما ارتكبه حتىٰ وصف أنّه: يغدو علىٰ سكر ويروح علىٰ سكر، حتىٰ أنّه نُسبَ إلىٰ البَرهَمية -المنكرين للنبوّة والبعث- ويخفي ذلك، آراءه - بل فضائحه - مبثوثة في الكتب مثل الفَرق بين الفِرَق: ١٣١ ت ٩٣، ومذاهب الإسلاميين ١: ١٩٨، والمطالب العالية من العلم الإلٰهيّ؛ متفرّقة حسب مواضعها. له مؤلّفات منها: الطفرة، الوعيد، حركات أهل الجنّة و... مات - قيل: سكراناً - في عام: بضع وعشرين ومئتين.

انظر: طبقات المعتزلة: ٤٩، تاريخ بغداد ٦: ٩٧ ت ٣١٣١، تأويل مختلف الحديث :٢٥، سيَر أعلام النبلاء ١٠: ٥٤١ ت ١٧٢، ومصادره.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب البصريّ المعتزليّ، عدّ في السابعة منهم، وإليه الجاحظية منهم تنسب، أخذ عن النظّام وكفىٰ، كان متبحراً ذو فنون وأدب، قال الذهبيّ: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر، قال ثعلب: ليس بثقة وقال: ابن قتيبة: من أكذب الأُمّة وأوضعهم لحديث، وانصرهم لباطل، له مصنّفات، منها: الحيوان، البيان والتبيين، ومجموعة رسائل وغيرها. توفي عام: ٢٥٥ هـ.

ترجمته في: طبقات المعتزلة: ٦٧، تأويل مختلف الحديث ٥٧، وفيّات الأعيان ٣: ٤٧٠ ت ٥٠٦، سيَر أعلام النبلاء ١١: ٥٢٦ ت ١٤٩، ومصادره.

وكذلك لا يقولون: إنّ المتأخّر ينسخُ المتقدّم إلّا بالشرط الذي يقوله جميع من أجاز النسخ، وهو: أنْ يكون بينهما تضادّ وتنافٍ لا يمكن الجمع بينهما، وأمّا علىٰ خلاف ذلك فلا يقولهُ محصِّل منهم[1].

---

(١) الإمامة، البداء، النسخ، الشفاعة، العلم، الحدوث و...

مصطلحات كغيرها من المصطلحات العلمية لها معانيها الخاصة بها لدىٰ الشيعة الإمامية الاثني عشريّة، غير معانيها اللغويّة، ولعلّها غير المعاني التي لدىٰ الآخرين.

وأمّا ما يفهمه الآخرون ـ أو قُلْ: ما يريدون إظهار فهمه ـ ويرومون تحميله علىٰ الطائفة فهو خارجٌ عن نطاق مسؤوليّتهم.

فكثيراً ما نرىٰ اختراع معنىٰ وتصوير مفهوم لمصطلح نابع من مبتكرات ودوافع الآخرين يرومون إلصاقه بالشيعة اعتماداً علىٰ ما ذكره سلفهم في مصنّفاتهم، ومن دون تمحيص ومراجعة؛ وهو بعيد عن مراد الشيعة؛ بل إنّهم لا يعرفون، ولم تخطر علىٰ بال أحدٍ منهم هذه المعاني.

والخوض في غمار هذه الأُمور يطول ولا يحتمله هذا التعليق، فالإحالة علىٰ المصادر أولىٰ؛ كي لا يذهب دعاة العلم وحملة الألقاب ـ التي هي علىٰ الجهل أدلّ ـ إلىٰ اعتماد مصادر الخصوم ويكونوا كحاطبي ليل، فيغدو خَبْطهم مضحكاً؛ بل مبكياً نتيجة انحطاطهم العلميّ هذا.

انظر علىٰ المثال لا الاستقصاء:

أوائل المقالات.

والإفصاح ـ للشيخ المفيد ت: ٤١٣ هـ.

الذريعة إلىٰ أُصول الشيعة.

والذخيرة.

والشافي في الإمامة.

ورسائل الشريف المرتضىٰ ـ للسيد المرتضىٰ ت: ٤٣٦ هـ.

تقريب المعارف ـ لأبي الصلاح الحلبيّ ت: ٤٤٧ هـ.

تمهيد الأُصول.

والعدّة.

←

والوجه في تكرير القِصّة بعد القصّة في القرآن، أنّ رسول اللّه ﷺ كان يبعث إلىٰ القبائلِ المتفرّقة بالسُّوَر المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مكرّرة، لوقعت قصّةُ موسىٰ إلىٰ قوم وقصّةُ عيسىٰ إلىٰ آخرين، وقصّة نوحٍ إلىٰ قوم آخرين، فأراد اللّه بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كلِّ سمعٍ، ويثبّتها في كلِّ قلب،

↩ وتلخيص الشافي ـ للشيخ الطوسيّ ت: ٤٦٠ هـ.
المنقذ من التقليد ـ للرازيّ ت: أوائل القرن السابع الهجري.
البداء ـ للشيخ البلاغيّ ت: ١٠٨٥ هـ.
حقّ اليقين ـ لشبّر ت: ١٢٤٢ هـ.
دلائل الصدق ـ للشيخ محمّد حسن المظفّر ت: ١٣٧٥ هـ.
الإمامة ـ للشيخ مهدي السماويّ ت: ١٩٧٩م.
أصل الشيعة وأُصولها ـ لكاشف الغطاء ت: ١٣٧٣ هـ.
المراجعات ـ للسيّد شرف الدين العامليّ ت: ١٣٧٧ هـ.
عقائد الإمامية ـ للشيخ محمّد رضا المظفّر ت: ١٣٨٣.
الميزان في تفسير القرآن ـ للسيّد محمّد حسين الطباطبائي ت: ١٤٠٢.
البداء ـ للسيّد الخوئيّ ت: ١٤١٣ هـ.
ومن كتب المعاصرين:
الإسلام والشيعة الإماميّة ـ للدكتور محمود الشهابيّ الخراسانيّ.
النسخ والبداء في الكتاب والسنّة.
ومحاضرات في الإلهيّات.
ومفاهيم القرآن.
وبحوث في الملل والنحل ـ للشيخ السبحانيّ.
نشأة الشيعة الإمامية ـ لنبيلة عبدالمنعم.
ونفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار.
والإمامة في أهم الكتب الكلامية. للسيّد عليّ الحسينيّ الميلانيّ.
وغيرها كثير كثير لا يسع المجال لعدّها.

ويزيد الحاضرين في الإفهام.

وتكرار الكلام من جنسٍ واحد، وبعضه يجزىء عن بعض ـ كتكراره في: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[١]، وسورة المرسلات[٢]، والرحمن[٣] ـ فالوجه فيه أنّ القرآن نزل بلسان القوم، ومذهبهم في التكرار ـ إرادةً للتوكيد وزيادةً في الإفهام ـ معروف، كما أنّ من مذهبهم الإيجاز والاختصار إرادة للتخفيف، وذلك أنّ إفْنان المتكلّم والخطيبِ في الفنون، وخروجه من شيءٍ إلىٰ شيء أحسن من اقتصاره والمقام علىٰ فنٍّ واحد.

وقد يقول القائل: واللّٰه لا أفعله ثمّ واللّٰه لا أفعله، إذا أراد التوكيد، كما يقول: واللّٰه أفعله بحذف لا إذا أراد الإيجاز. قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً﴾[٥]، وقال اللّٰه تعالىٰ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾[٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[٧] كلُّ هذا يراد به التوكِيد.

وقد يقول القائل لغيره: اعجل اعجل. وللرامي: ارمِ ارمِ. قال الشاعر:

---

(١) إشارة إلى الآيات: ٣، ٥ من سورة الكافرون: ١٠٩.

(٢) إشارة إلى الآيات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩ من سورة المرسلات: ٧٧.

(٣) إشارة إلى تكرار الآية: ١٣ من سورة الرحمن: ٥٥.

(٤) سورة التكاثر ١٠٢: ٣ ـ ٤.

(٥) سورة الانشراح ٩٤: ٥ ـ ٦.

(٦) سورة القيامة ٧٥: ٣٤ ـ ٣٥.

(٧) سورة الانفطار ٨٢: ١٧ ـ ١٨.

كَـــمْ نِـــعْمَةٍ كـانَتْ لَـ ـكُمْ، كَـمْ، كَـمْ، وَكَـمْ[١] [١]

وقال آخر:

هَـــلّا سَألْتَ جُـموعَ كِـنْـ ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوا: أينَ أينا؟[٢] [٢]

وقال عوف بن الخرع[٣]:

فَكـادَتْ فَـزارَةُ تَـصْلىٰ بِـنا فَأَوْلىٰ فَـزارَةُ، أَوْلىٰ فَـزار[٤] [٣]

فأمّا تكرار معنىً واحدٍ بلفظين مختلفين؛ كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ

(١) الرجزُ لم ينسبْ لقائل لدى كلّ من اسْتَشهَد به، انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ١٧٧، تأويل مُشكِل القرآن: ٢٣٦، أمالي المرتضىٰ ١: ١٢١، والصناعتين: ٢١٢. ولم نعثر علىٰ قائِله مع كثرةِ التتبّع.

المعنىٰ: واضح، والشاهدُ فيه أوضح: وهو تكرار «كم».

(٢) سادسُ بيت من قصيدةٍ لعَبِيد بن الأبرص، مخاطباً امْرئ القيس ومُفتخراً عليه بقوة قبيلته علىٰ كندة حينما انهزموا في الحرب أمامهم ومُهدِداً له. ومطلعها:

يـاذا المُخَوِّفُنا بِقتـ ـلِ أَبِيه إذلالاً وَحَيْنا

انظر، الديوان: ١٤١. والهامش الآتي برقم: ٣.

المعنىٰ: واضح، والشاهد فيه: تكرار «أيْنَ، أينا».

(٣) عَوْف بن عطية بن عمرو بن الخَرِع التيميّ، شاعر مُجيد، فارس مشهور، جاهليٌّ، عدَّ من الثامنة فيهم، أكثر شعره في الفخر والوصف خصوصاً للناقة والخمرة.

انظر: طبقات فحول الشعراء ١: ١٥٩ ت ٢٠١، معجم الشعراء الجاهليّين: ٢٨٠.

(٤) بيت من قصيدة يفتخر فيها ويعدد بعض مواقف قومه.

المعنىٰ: يهدد الشاعر بني فَزارَةَ ويتوعدُهم بالويل والثبور.

الشاهد: تكرار «فأولىٰ فَزارةَ».

استشهد بالبيت جمع، وذكر قصيدته آخرون، انظر: الكتاب ٢: ٢٤٢، تأويل مشكل القرآن: ٢٣٦، المدخل لعلم التفسير: ٣٠٠ ت ٣١٠، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ١٨٦ ت ٤٧٧. المفضّليّات: ٤١٢ ق١٢٤، شرح التبريزي لديوان الحماسة ٣: ١٦٥٤ ق١٢٤، منتهى الطلب ١: ٤٠٠ ق٤٩.

آلرَّحِيمِ ﴾[١]، وقوله: ﴿نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوٰيهُمْ ﴾[٢] والنجوىٰ هو: السرّ؛ فالوجه فيه أيضاً ما ذكرناه من أنّ عادةَ القوم تكرير معنىً واحد بلفظين مختلفين؛ اتّساعاً في اللّغة.

كقول الشاعر:

.... كذباً وميناً[٣] [٤]

وهما بمعنىً واحد. وقول الآخر:

---

(١) سورة الفاتحة ١: ٣. وكذا البسملات في المصحف.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٨٠.

(٣) ورد هذا المقطع في بيتين لدىٰ شاعرين جاهليين.

فقد ورد في قصيدةٍ للشاعر عَدِّي بن زيد بن أيوب العباديّ التميميّ شاعرٌ جاهِلِيّ نَصْرانيّ أنشدها في غدر الزَّباءُ بجُذَيْمَة مطلعها:

ألا (يا) أيُّها المُثري المُزجّي ... أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطِبِ الأوَّلينا؟!

وتمام البيت:

فَقَدَّمَتِ الأدِيمَ لِراهِشِيهِ ... وألفىٰ قَوْلَها كَذِباً وَمِينْا

والشاهد فيه: «كذباً ومينا» وهما بمعنىً واحد، انظر: العين ٨: ٣٨٨، جمهرة اللّغة ٢: ٩٩٣، «مَيَنَ» فيهما.

انظر المقطوعة في: مجموع شعرهِ في ديوان عَدِيّ بن زيد العباديّ: ١٨١ ت ١٣٨ ب ١٠، والمستقصىٰ ١: ٢٤٣ رقم ١٠٣٦، وطبقات فحول الشعراء ١: ٧٦ رقم ٩٦ و١٣٧ ت ١٦٥ و١٧٠، والأغاني ٢: ٩٧، والأوائل للعسكري: ٦٢.

وورد أيضاً في جملة القصيدة المتقدمة في صفحة ٤٣ الهامش ٢ لعَبِيد بن الأبرص وتمامه:

أَزَعَمْتَ أَنَكَ قَدْ قَتَلْ ... ـتَ سَراتَنا كَذِباً ومِينا

انظر: الديوان: ١٤١ وتاريخ اليعقوبيّ ١: ٢١٨، شعراء النصرانية: ٥٩٩، الأغاني ٢٢: ٨٣، طبقات الشعراء ١: ١٣٧ ت ١٦٣ و١٦٧، مختار من الشعر الجاهليّ ٢: ٨٧مقطوعة ٣٢، الحماسة الشجرية ١: ١١٦ ت ٨٤ .

لَـمياءُ فـي شَـفَتيها حُـوّةٌ لَـعَسٌ   وفي اللِّثاتِ وفي أَنْـيابِها شَـنَبُ[١]   [٥]

واللُّمى: سوادٌ في الشفتين. والحُوّةُ، واللَّـعْسُ: كـلاهما سـواد فـي الشفتين، وكرّر لاختلاف اللفظ. والشَّنَبُ: تحزّزٌ في الأنـياب كـالمِنْشار، وهو نعت لها[٢].

ورحمان ورحيم، سنُبيّن القول فيهما فيما بعد[٣].

وقوله: ﴿**فَـغَشَّىٰهَا مَـا غَشَّـىٰ**﴾[٤]، وقـوله: ﴿**فَـغَشِيَهُم مِّـنَ ٱلْـيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾[٥]، وقوله: ﴿**وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**﴾[٦] علىٰ ما قلناهُ من التوكيد، كما يقول القائل: كلّمته بلساني، ونظرت إليه بعيني؛ ويقال: بين زيد وبين عمرو، وإنّما البين واحد، والمراد بين زيد وعمرو. وقال الشاعر

---

(١) البيت لذي الرُّمَّة في شرح الديوان: ١: ٤١ ب ١٩.

وذو الرُّمّـة، غَـيْلان بـن عُـقْبَة العَـدَويّ المُـضَريّ، أبـو الحـارث، شـاعر إسـلاميّ شهير، عفى لقبه علىٰ اسمه.

والرُّمّة: القطعة من الحبل، وصفها مطلع بلوغه وإنشاده فلُقِّب بها.

ولد حدود عام ٧٧هـ، وتوفّي عام: ١١٧ هـ.

انـظر: طبقات فـحول الشـعراء ٢: ٥٤٩، الأغـاني ١٨: ١، خـزانـة الأدب للـبغدادي ١: ١٠٦ ش ٨، ولاحظ: ذو الرُّمَّةِ شاعر الصحراء لحسن نصر اللّه، ومقدمة الديوان.

(٢) انـظر: العـين ٨: ٣٤٤، الصـحاح ٦: ٢٤٨٥ مـادة «لَـمى». وتـهذيب اللّـغة ٢: ٩٧ و٥: ٢٩٣، مـادتي «لعس، وحـوى» و١١: ٣٧٩ الصـحاح ١: ١٥٨، ولسـان العـرب ١: ٥٠٧، مادة «شنب»، والديوان ١: ٥٠.

(٣) يأتي ضمن تفسير الآية ١ صحيفة: ٨٨.

(٤) سورة النجم ٥٣: ٥٤.

(٥) سورة طه ٢٠: ٧٨.

(٦) سورة الأنعام ٦: ٣٨.

أوس بن حَجَر[١]:

ألمْ تُكْسَفِ الشَّمسُ ـ شَمْسُ النـها   رِ ـ مَـعَ النَـجْمِ والقَـمَرِ الواجِبِ[٢] [٦]

والشمس لا تكونُ إلّا بالنهار، فأكّد.

ذكرنا هذه الجملة تنبيهاً علىٰ الجواب عمّا لم نذكرهُ، ولعلّنا نستوفيه فيما بعد إذا جرىٰ ما يقتضي ذكره.

ولولا عنادُ الملحدين وتعجرفهم لما احتيج إلى الاحتجاج بالشعر وغيره لشيء من المشتبه في القرآن؛ لأنّ غاية ذلك أن يستشهد عليه ببيت شعر جاهليّ، أو لفظ منقولٍ عن بعض الأعراب، أو مثلٍ سائرٍ عن بعضِ أهل البادية. ولا تكون منزلة النبيّ صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه من ذلك ـ أقلّ من منزلة واحدٍ من هؤلاء. ولا ينقص عن رتبة النابغة الجَعديّ[٣]؛ وكعب بن

---

(١) أَوْس بن حَجَر التميميّ أبو شُرَيْح، شاعرٌ جاهليّ من كبار شعراء تميم في الطبقة الثالثة، يُقرن بالحُطيئة والنابغة الجَعديّ. وقد عمّر طويلاً، توفّي عام: ٦٣٠ م.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ١: ٢٠٢ ت ١٠، الأغاني ١١: ٧٠، طبقات الشعراء لابن سلّام ١: ٩٧ وغيرها.

(٢) مطلع قصيدة يرثي بها فَضالة بن كِلْدَة.

والشاهد فيه: ما أفاده الشيخ المصنّف من قوله: الشمس شمس النهار.

وقد ورد البيت في الديوان: ١٠، وبعض المصادر برواية ثانية هي:

ألم تُكْسَفِ الشَّمس والبدر والـ   ـكـواكب للـجبل الواجب

ومعه لا يبقىٰ محل للشاهد إلّا دعوىٰ الجمع بين ما يطلع في الليل والنهار، وهو بعيد عن مورد الاستشهاد.

وقد أورده كما في المتن: الحَمَويّ في إرشاد الاريب ١٨: ١٦٩، وقبله قُدامة ابن جعفر (م: ٣٢٧) في كتابه نقد الشعر: ١٢٢.

(٣) يطلق النابغ والنابغة علىٰ من لم يكن في الأصل شاعراً، ولم يرث طبع الشعر من أبيه، والنوابغ كثيرون.

زهير[(١)(٢)] وغيرهم !!!.

ومن طرائف الأُمور أنّ المخالف إذا ورد عليه شعر منْ ذكرناه ومن هو دونهم سكنتْ نفسه واطمأنّ قلبه، وهو لا يرضىٰ بقول محمّد بن عبدالله ابن عبد المطّلب صلى الله عليه وآله وسلم !!. ومهما شكّ الناس في نبوّته فلا مرية في

وهنا المراد: أبو ليلىٰ، قيس بن عبدالله الجَعْدِيّ ـ وقيل: حيّان بن قيس، وقيل: حبّان ـ أحد فحول الشعراء المخضرمين، أدرك الإسلام ووفد علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وأسلم وحسن إسلامه، وصحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحارب إلىٰ جنبه في صفين، ووفد علىٰ ابن الزبير إبّان حكمه، اختلف في عمره فقيل: ١٢٠ سنة، وقيل: ٢٣٠ سنة، وقد عدّ في المعمّرين.

له ترجمة في: أمالي المرتضىٰ ١: ٢٦٣، أعيان الشيعة ٦: ٢٥٩ مطولة، معجم الشعراء: ١٩٥، الأغاني ٥: ١.

(١) في الأصل زهير بن كعب، ومع كثرة التتبّع لم نعثر علىٰ شاعر بهذا الاسم.

(٢) أبو عقبة، كعب بن زهير بن أبي سُلمى المزنيّ، من فحول الشعراء المخضرمين، صاحب البردة وكفىٰ، فقد مدح النبيّ الأكرم معتذراً إليه بعصماء مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يفد مكبول

فأكرمه النبيّ الكريم بُردَته ومنها جاءت التسمية، أسلم وحسن إسلامه، وصحب أهل البيت عليهم السلام ومدح أمير المؤمنين عليه السلام بقصيدته التي يقول بها:

صِهْرُ النبيِّ وَخَيْرُ النّاس مُفْتخَراً ... فكُلُّ مَنْ رامَهُ بالفَخْرِ مَفْخُورُ

صَلّى الطَهورُ مَعَ الأُمّيِّ أَوَّلَهُمْ ... قَبْلَ العِبادِ وَرَبُّ النّاسِ مَكْفُورُ

ومدح سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

مَسَحَ النَبِيّ جَبِينَهُ ... فَلَهُ بَياضٌ فِي الخدُودِ

وَبِوَجْهِهِ دَيْباجَةٌ ... كَرَم النُبوّةِ والجدُودِ

توفي عام: ٢٤ هـ، وقيل غير ذلك.

له ترجمة في معجم الشعراء للمرزبانيّ: ٢٣٠، الأغاني ١٧: ٨٢، الشعر والشعراء ١: ١٥٤ ت ٣، أعيان الشيعة ٩: ٢٩، الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ١٣٩ ت ٢٢٩، وانظر مقدمة الديوان بقلم حنّا نصر الحتّيّ.

نسبه وفصاحته، فإنّه نشأ بين قومه الذين هُم الغاية القصوىٰ في الفصاحة، ويرجع إليهم في معرفة اللّغة.

ولو كان المشركون من قريش وغيرهم وجدوا متعلَّقاً عليه في اللّحن أو الغَلطْ أو المناقضة لتعلّقوا به، وجعلوه حجّةً وذريعةً إلىٰ إطفاء نوره وإبطال أمره، واسْتغنوا بذلك عن تكلّف ما تكلّفوه من المشاقّ في بذل النفوس والأموال. ولو فعلوا ذلك لظهر واشتهر.

ولكنّ حبّ الإلحاد والاستثقال لتحمّل العبادات، والميل إلىٰ الفواحش أعماهم وأصمّهم.

ولا يدفع أحدٌ من الملحدين ـ وإنْ جحدوا نبوّتَهُ صلى الله عليه وآله ـ أنّه أتى بهذا القرآن، وجعله حُجّةً لنفسه، وقرأه علىٰ العرب. وقد علمنا أنّه ليس بأدْوَنِ الجماعة في الفصاحة. فكيف يجوزُ أنْ يحتجَّ بشعر الشعراء عليه؛ ولا يجوزُ أنْ يحتجَّ بقوله عليهم؟! وهل هذا إلّا عنادٌ محض، وعصبيةٌ صرف؟

وإنّما يَحْتَّجُ علماء الموحدين بشعرِ الشُّعراء وكلام البلغاء، اتّساعاً في العلم، وقطعاً للشَغَب، وإزاحةً للعلّة، وإلّا فكان يجب ألّا يلتفت إلىٰ جميع ما يطعن عليه؛ لأنّهم ليسوا بأنْ يجعلوا عياراً عليه بأولىٰ من أنْ يجعل هو عليه السلام عياراً عليهم.

وروي عن ابن مسعود، أنّه قال: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آياتٍ لم يجاوزهنّ حتىٰ يعرف معانيهنّ، والعمل بهنّ[١].

---

(١) انظر القول بتفاوت لا يخلّ في: المستدرك للحاكم ١: ٥٥٧، شعب الإيمان ٢: ٣٣٠ ح١٩٥٣، التلخيص للذهبيّ ١: ٥٥٧، تاريخ دمشق ٣٣: ١٤٢، ومختصره ⇐

وروي أنّه: استعمل عليٌّ عليه‌السلام عبدالله بن عبّاس على الحجّ فخطب خطبةً لو سمعها الترك والروم لأسلموا. ثمّ قرأ عليهم سورة النور ـ وروي: سورة البقرة ـ ففسّرها. فقال رجل: لو سمعتْ هذا الديلم لأسْلَمت[1].

ويروى عن سعيد بن جبير[2]، أنّه قال: من قَرأ القرآن ثمّ لمْ يفسِّره كان كالأعمى أو الأعرابيّ[3].

لابن منظور ١٤: ٥٩.

وانظر من التفاسير: تفسير كتاب الله العزيز لهود ١: ٧١، جامع البيان ١: ٢٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤.

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٢: ٣١٢، الإصابة ٤: ٩٣، تفسير القرآن العظيم ١: ٥.

(٢) سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسديّ، أبو محمّد الوالبيّ، الحافظ، المقرئ، المفسّر، الشهيد. عدّ في أصحاب الإمام السجاد عليه‌السلام. روىٰ عن جمع كثير، وعنه أكثر.

استشهد علىٰ يد جزّار بني أُمية الحجّاج لعنه الله: عام ٩٥ هـ.

انظر: رجال الشيخ: ٩٠ ت ٢، تنقيح المقال ٢:٢٥ ت ٤٨١٩، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٣٢١ ت ١١٦، ومصادره.

(٣) هكذا النصّ ـ في جامع البيان ١: ٢٨ ـ والنسخ عدا «ؤ» ففيه: كالأعجمي، ولعل السياق والمعنى يقتضيها.

فصل
في ذكر أسامي القرآن، وتسمية السور والآيات

القرآن

سمّىٰ اللهُ تعالىٰ القُرآن بأربعة أسماءٍ:

سمّاهُ **قُرآناً**، في قَولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً﴾[1]، وفي قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[2]، وغير ذلك من الآي.

وسمّاهُ **فُرقاناً**، في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيراً﴾[3].

وسمّاه **الكتاب**، في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً﴾[4].

وسمّاه **الذِّكْر**، في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ﴾[5].

وتسميتهُ بالقُرآن تحتمل أمرين:

أحدهما: ما روُي عن ابن عبّاس، أنّه قال: هو مصدرُ قَرَأْتُ قُرآناً،

---

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٨٥.

(٣) سورة الفرقان ٢٥: ١.

(٤) سورة الكهف ١٨: ١ ـ ٢.

(٥) سورة الحجر ١٥: ٩.

أي: تَلَوْتُه، مثل: غَفَرْتُ غُفْراناً، وكَفَرْتُ كُفْراناً.

والثاني: ما حكي عن قتادة، أنّه قال: هو مصدرُ قَرَأْتُ الشَّيءَ، إذا جَمعتَ بعضَهُ إلىٰ بعض[١]. قال عَمْرو بن كَلْثُوم[٢]:

ذِراعَـي عَـيْطَلٍ أدْمـاءَ بِكْـرٍ ... هِجانِ اللَّونِ لمْ تَقْرأ جَـنينا[٣] [٧]

أي: لَمْ تَضُمَّ جَنينَها في رَحِمِها.

وقال قُطْرُب[٤]: في معناه قولان، أحدُهما: هذا وعليه أكثر المفسّرين. وقالَ قولاً آخر معناه: لفَظْتُ به مجموعاً. وقال: معنىٰ البيت

---

(١) تجدها منسوبة وغير منسوبة في: الملاحن لابن دريد: ٩٧ ت ٣٩، تهذيب اللّغة ٩: ٢٧١، الصحاح ١: ٦٥، لسان العرب ١: ١٢٨ مادة «قرأ»، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢، غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٣، غريب السجستانيّ: ٢٩٢، وانظر: تفسير جامع البيان ١: ٣٢، النكت والعيون ١: ٢٣، التفسير الكبير ٢: ١٤.

(٢) عَمْرو بن كَلْثُوم بن مالك التغلبيّ، أبو الأسود، فارس شاعر مقدم، من أصحاب المعلّقات. توفّي حدود عام: ٦٠٠م، بعد أنْ عمّر ١٥٠ عام.

ترجمته في: معجم الشعراء للمرزبانيّ: ٦، الأغاني ١١: ٥٢، الشعر والشعراء ١: ٢٣٤ ت١٦.

(٣) الديوان: ٦٨، شرح المعلّقات العشر: ١٣٩، الملاحن لابن دريد: ٩٧ ت ٣٩، وقد اختلف في روايته كثيراً.

العَيْطَل: طويلة العنق. الأدماء: البيضاء. الهجان: البيض.

والشاهد فيه ما قاله المصنّف: أنّ «تَقْرأ» بمعنى تَضمّ.

(٤) قُطْرُب، محمّد بن المستنير بن أحمد البصريّ، أبو عليّ. عَلَم بلقبه حتىٰ عفى علىٰ اسمه، لغويٌّ، نَحْويّ، معتزليّ، له: معاني القرآن، العلل في النحو، الاشتقاق، وغيرها. توفّي ببغداد عام: ٢٠٦ هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤: ٣١٢ ت ٦٣٥، إنباه الرواة علىٰ انباء النحاة ٣: ٢١٩ ت ٧١٨، ومصادره.

أيضاً: أي لم تُلْقِه مجموعاً[١].

وتفسير ابن عبّاس أولى؛ لأنّ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾[٢] ـ الوجه المختار ـ أنْ يكون المراد: فإذا تَلوناهُ عليكَ، وبيّناه لَكَ، فاتّبع تِلاوتَهُ.

ولو حملناه علىٰ الجمع ـ علىٰ ما قال قتادة ـ لكان يَجبُ ألّا يلزم اتباع آية آية من القرآن النازلةِ في كلِّ وقتٍ، وكان يقف وجوب الاتباع علىٰ حين الجمع؛ لأنّه علّقه بذلك علىٰ هذا القول؛ لأنّه قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ يعني جمعناه ـ علىٰ ما قالوه ـ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾، وكانَ يقف وجوب الاتباع علىٰ تكامل الجميع، وذلك خلاف الإجماع، فالأوّلُ أولى.

فإن قيل: كيف يسمّي القراءَةَ قُرآنا، وإنّما هو مَقْروءٌ؟

قلنا: سُمّي بذلك كما يُسمّى المكتوبُ كتاباً، بمعنىٰ: كتابُ الكاتب.

قال الشاعرُ في صفة طلاقٍ كتَبَه لامْرأته:

تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي وَفِيها ... كِتابٌ مِثْلَ ما لَصِقَ الغِراءُ[٣] [٨]

يعني: طلاقاً مكتوباً.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجّاج ١: ١٧٠، تهذيب اللّغة ٩: ٢٧١، والزاهر ١: ١٦٧.

(٢) سورة القيامة ٧٥: ١٧ ـ ١٨.

(٣) من قصيدة طويلة للشاعر مسلم بن معبد بن طوّاف الوالبيّ، من شعراء البلاط الأُمويّ، قلّما تخلو كتب النحو من شاهد منها.

المعنىٰ والشاهد واضحان.

ترجم للشاعر، البغداديّ في خزانة الأدب ٢: ٣٠٨، الشاهد ١٣٤، وقد ذكر القصيدة ومن جملتها بيت الشاهد.

وتسميتهُ بأنّه **فُرقانٌ**؛ لأنّه يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطلِ. والفُرقانُ: هو الفَرق بين الشيئين(١).

وإنّما يقعُ الفَرقُ بين الحقّ والباطل بأدلّته الدالّة على صحّة الحقّ، وبطلان الباطل.

وتسميتُه **بالكتاب**؛ لأنّه مصدرٌ من قولك: كتبتُ كتاباً، كما تقول: قُمْتُ قياماً. وسمّي كتاباً وإنّما هو مكتوبٌ، كما قال الشاعر في البيت المتقدّم(٢).

والكتابةُ مأخوذةٌ من الجمع من قولهم: كَتَبْتُ السِّقاءَ، إذا جَمَعْتَه بالخِرَز، قال الشاعر:

لا تَأمَنَنَّ فَزارِيّاً خَلَوْتَ بهِ ... على قَلُوصِكَ واكْتُبها بأسْيارِ(٣) [٩]

---

(١) انظر: العين ٥: ١٤٨، تهذيب اللّغة ٩: ١٠٥، المحيط في اللّغة ٥: ٣٩٥، «فَرَق» فيهما.

(٢) تقدّم برقم (٨).

(٣) البيت لسالم بن شافع بن يربوع بن دارة، ودارة لقب غلب عليه من جهة أُمّه حيث شُبّهت بدارة القَمر لجمالها.

وبيت الشاهد من قصيدة يهجو بها زَميلَ بن أُمّ دينار الفزاريّ.

ويذهب البعض إلىٰ أن الشاهد مركب من بيتين يذكروهما.

وقد قتلَ الشاعرَ ـ ابن دارة ـ زميلُ بن أُمّ دينار؛ لهجوه له زمن حكومة عثمان بن عفان بهذا البيت وأمثاله.

انظر لترجمته وللشاهد: الشعر والشعراء ١: ٤٠١ ت٦٢، الإصابة ٣: ١٦١ ت ٣٦٥٢، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٢٦٥ ش ٢٠٧ و٦: ٥٣١ ش ٤٩٦، ٩: ٥٤٢ ش ٧٩٥، المعاني الكبير ١: ٥٧٩، الكامل ٢: ٩٨٨، نهاية الارب ٣: ١٦٢، الملاحن لابن دريد: ٨١، أسماء المغتالين (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١٥٦، الدرة ←

والكُتْبةُ: الخرزة. وكلُّ ما ضَمَمْتَ بعضَه إلىٰ بعض علىٰ وجهِ التقارب فقد كَتَبْتَهُ. والكَتِيبَةُ من الجيش من هذا؛ لانضمام بعضِها إلىٰ بعض[1].

وتَسميتُهُ **بالذِّكر**، يَحتمل أمرين:

أحدهما: إنّه ذِكْرٌ من اللّه تعالىٰ ذَكَّرَ بهِ عباده، فعرّفهم فيه فرائضَهُ، وحدودَهُ.

والآخر: إنّه ذِكْرٌ وشَرفٌ لمن آمن به وصدّق بما فيهِ. كقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾[2].

السورة

وأمّا السُّورَةُ ـ بغير همزٍ ـ فهي: مَنزِلَةٌ مِنْ منازل الارتفاع، ومنْ ذلك سُورُ المدينة، سمّي بذلك الحائطُ الذي يَحويها؛ لارتفاعِه عمّا يَحويه، غيرَ أنّ سُوْرَ المدينةِ لم يجمع (سُوَراً)، وسُورَةُ من القرآنِ تُجْمعُ (سُوَراً). وهذه أليق بتَسميةِ سُوَرة القرآن سُورةً. قال النابغة[3]:

الفاخرة: ٨٨.

وقد ذكره جمع من دون نسبه، منهم: الدينوريّ في عيون الأخبار ٢: ٢٢١، ابن عبدربّه في العقد الفريد ٢: ٤٦٨، ثعلب في شرحه لديوان عامر بن الطفيل: ١٠٢.

ونقل في ملحقات ديوان الأخطل: ٣٨٢ عن محاضرات الراغب الاصفهاني ١: ١٢٤ نسبته إليه.

والشاهد فيه: واكتبها، أراد به اجمع شفريها.

(١) انظر المعنىٰ في: العين ١: ٣٤١، جمهرة اللّغة ١: ٢٥٦، تهذيب اللّغة ١٠: ١٥٠، وبتفصيل لسان العرب ١: ٧٠١. «كتب» فيها.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٤٤.

(٣) أبو اُمامة، زياد بن معاوية بن حسّان الذبيانيّ، شاعر جاهليّ، اشتهر بلقبه ونسبته حتىٰ

ألمْ تَـرَ أنَّ اللّـه أعْـطاكَ سُـورَةً يُرىٰ كلَّ مَلْكٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ[1] [١٠]

يعني: منزلةً من منازل الشرف التي قَصُرت عنها الملوك.

وأمّا من همز السورة من القرآن، فإنّه أراد به: القطعة التي انفصَلَت من القرآن عمّا سواها وأُبقيت، وسُؤْرُ كلِّ شيء: بَقيَّته. يقال: أَسأَرتُ في الإناء، أي: أبقَيتُ فيه[2]، قال الأعشىٰ بن ثعلبة[3]، يصفُ امرأةً:

عفى علىٰ اسمه، عاصر المناذرة ملوك الحيرة ومدحهم. توفّي حدود عام: ٦٠٤م.

ترجمته في: الشعر والشعراء ١: ١٥٧ ت ٤، الأغاني ١١: ٣، معجم الشعراء الجاهليّين: ٣٥٦.

(١) ابدلت «سورة» إلىٰ «صورة» أي: أعطاك جمالاً وبهاءً وحسن منظر. وهذا علىٰ السخرية إذ وكما قيل إنّ الممدوح ـ وهو النعمان ـ كان قبيح المنظر. ومعه شاهد في الشعر، الديوان: ١٨.

والشاهد فيه: ما ذكره المصنّف ﵀.

وكذلك روي قوله: يُرى كلَّ. علىٰ صيغة الخطاب أي: تَرىٰ كلَّ. ولا ضير فيه.

وأما علىٰ رواية المصنّف «﵀» فهي: المنزلة والفضيلة والشرف الذي ارتفعْت إليه وكنت فوق غيرك من الملوك، وهم يَضْطَربون ويحاولون التعلُّق بها.

انظر: الديوان: ٧٢ ق ٨ ب ٩ تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، وشرح الأشعار الستة الجاهليّة للبَطَلْيَوسيّ ١: ٤٣٦.

(٢) انظر للمزيد في معنى مادة «سَوَرَ»: جمهرة اللّغة ١: ٧٢٢ ـ ٧٢٣، تهذيب اللّغة ١٣: ٤٧ ومابعده، الصحاح ٢: ٦٩٠، ولسان العرب ٤: ٣٨٦ بشيء من التوسعة.

(٣) الاعشىٰ، لقب مشترك بين عدّة، والتمييز بذكر النسب والقبيلة، وهنا الأعشىٰ الكبير، ميمون بن قيس بن جندل... بن ثعلبة، هاجر إلىٰ النبيّ ﷺ ليُسلم ويمْدَحهُ بقصيدته التي يقول فيها:

ألمْ تَغْتَمِضْ عَيْناكَ لَيْلَةَ أرْمَدا وبِتَّ كَما باتَ السَّليمَ مُسَهَّدا

فَبانَتْ وَقدْ أسْأرَتْ فـي الفُـؤآ　　دِ صَدْعاً على نأيِها مُسْتَطيرا[1] [١١]

الآية

وتسمية الآية بأنّها آية، يحتمل وجهين:

أحدهما: لأنّها علامةٌ يعرف بها تمام ما قبلها، ومنه قوله تعالىٰ: **﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنْكَ﴾**[2]؛ يعني علامةً لإجابتك دُعاءَنا.

ﻫ وكان ذلك عام الحديبية بمكة، فلقيه أبو سفيان وساومه علىٰ تأخير إسلامه إلىٰ ما بعد الهدنة علىٰ مائة ناقة حمراء، فقبضها منه ورجع إلىٰ أهله، ومات من عامه ذلك كافراً. أي سنة ٧هـ.

انظر: معجم الشعراء: ٣٢٥، الشعر والشعراء ١: ٢٥٧ ت ٢١.

(١) الديوان: ١٤٣ مقطوعة ١٢.

من مقطوعة يصف فيها امرأةً فارقته فأبقت في قلبه لوعة من وَجْدِها، مطلعها:

غَشِيْتَ لَلَيْلىٰ بِلَيْلٍ خِدُورا　　وَطالَبْتَها وَنَذَرْتَ النُذُورا

هذا والملاحظ أنّ ضبط محل الشاهد «أسأرتَ» مضطرب، ففي الديوان وجملة من المصادر عوضه: أورثت. ولا مجال للاستشهاد به.

ولكن في التفاسير مثل: جامع البيان ١: ٣٦، المحرر الوجيز ١: ٤٦، الجامع لاحكام القرآن ١٩: ١٢٨، البحر المحيط ٨: ٣٩٢، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦: ٤٤١ ورد علىٰ رواية المصنّف.

ومن لطائف الصدف أنّ للشاعر مقطوعة ثانية فيها ما يصلح للاستشهاد، ويؤيد رواية الشيخ المصنّف ﷺ وهو قوله:

بانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ في النّفسِ حاجَتها　　بَعْدَ ائتِلافِ، وَخيْرُ الوُدّ ما نَفَعا

الديوان: ١٥١ مقطوعة ١٣.

(٢) سورة المائدة ٥: ١١٤.

والآخر: إنّ الآية: القصّة والرسالة. قال كعب بن زهير:

ألا أبـلِغا هـذا المُـعرِّضَ آيـةً
أَيَقْظانَ قالَ القَوْلَ ـ إذ قال ـ أم حَلَمْ[1] [١٢]

يعني رسالة.

فيكون معنىٰ الآيات: القَصَص؛ قصّةً تَتْلو قِصّةً[2].

---

(١) الديوان صنعة العسكريّ: ٦٨.

وفيه أوّلاً: بدل «آيـة» «أنّـه»، ولا يمكن المساعدة عليه بحال؛ نظراً لإفادة المصنّف ﷺ ذلك وشرحه واستشهاده.

وثانياً: فقد ورد البيت علىٰ رواية المصنّف في الاستيعاب (هامش الإصابة) ٣: ٣٠١، وقبله في طبقات الشعراء لابن سلّام سواء طبعة ليدن عام ١٩١٣: ٢٢، أو طبعة محمود محمّد شاكر ١: ١٠٦ ت ١٢٢. وقد أفدنا منها.

(٢) أجمعت كتب التفسير علىٰ ذكر هذين المعنيين، واهملت الثاني منهما كتب اللّغة مع وروده قديماً علىٰ لسان الشعراء مثل:

الشاعر الجاهليّ حَجْل بن حَنظَلة الباهليّ، حيث يقول:

أبـلِغ مُـعاوِيَة المُـمَزَّقَ آيـةً عَنّي، فَلَسْتُ كَبَعْضِ ما يَتَقَوَّلُ

والجاهليّ سُحَيْم عبدُ بني الحَسْحاس، حيث يقول:

ألِكْني إلَيْها ـ عَمْرَكَ اللهَ يا فَتىً ـ بآيـةِ مـا جـاءَتْ إلَـيْنا تَـهادِيا

والشاعر المخضرم الهُذَلِيّ، أبو العيال، حيث يقول:

أبْـلِغْ مُعاوِيَةَ بـنَ صَـخْرٍ آيـةً يَهْوِى إليكَ بها البريدُ الأعْجَلُ

ونحوهما قول الثالث:

أتـتـني آيـة مِـنْ أُمِّ عَـمرو فكدتُ أغُصّ بالماء القُـراحِ
فَـما أنسىٰ رِسالتها وَلكـن ذَليـلٌ مـن يَـنُوءُ بـلا جَـناحِ

أضف محل الشاهد في المتن وغيرها كثير يجدها من تتبّع كتب الأدب والشعر. وقد سبق إلىٰ التنبيه إلىٰ ذلك الاستاذ محمود محمّد شاكر.

انظر لكتب الأدب: الأصمعيات: ١٣٨ ت ٤٣، ديوان الهُذَليّين ٢: ٢٥٣، شرح ←

روىٰ واثِلَةَ بن الأَسْقَع(١) أنّ النبيّ ﷺ قال: (أُعطيتُ مَكانَ التوراةِ السَّبعَ الطُّوَل. وأُعطيت مكان الزّبور المِئِينَ. وأُعطيتُ مكان الإنجيل المثاني. وفُضِّلْتُ بالمُفَصّل)(٢).

فالسبع الطُّوَل: ١ـ البقرة ٢ـ آل عمران ٣ـ النساء ٤ـ المائدة ٥ـ الأنعام ٦ـ الأعراف ٧ـ ويونس. في قول سعيد بن جبير، وروي مثل ذلك عن ابن عبّاس، قال: وسمّيت السبعَ الطوال؛ لطولها علىٰ سائر القرآن(٣).

✍ ديوان الهُذَليّين للسكريّ ١: ٤٣٣، طبقات فحول الشعراء ١: ١٠٦ ت ١٢٢ هـ ٣، وديوان سحيم: ١٩ ت ١٤.

ولكتب التفسير ـ وهي كثيرة للمثال ـ: الأشباه والنظائر للبلخيّ: ٣٠٠، مجاز القرآن لابي عبيدة ١: ٥، جامع البيان ١: ٣٦، كشف السرائر في معنىٰ الوجوه والاشباه والنظائر: ٢٦٨.

وأما لكتب اللّغة ـ للمثال ـ: العين ٨: ٤٤١، المحيط في اللّغة ١٠: ٤٧٢، الصحاح، ٦: ٢٢٧٥، معجم مقاييس اللّغة ١: ١٦٨، «آيا» فيها.

(١) واثِلَة بن الأَسْقَع بن عبْدِالعُزّى بن عَبدِ يالَيْل اللّيثيّ، أبو الاسقع، من أهل الصُّفة، شهد اليرموك وفتح دمشق وسكنها إلىٰ أن توفّي بها، روىٰ عن النبيّ ﷺ، وعنه كثيرون. توفّي بين دمشق وحمص غيلة عام: ٨٥ هـ.

راجع: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٦: ٢٣٧ ت ١٥١، الإصابة ٣: ٦٢٦ ت ٩٠٨٧، سيَر أعلام النبلاء ٣: ٥٧/٣٨٣، ومصادره.

(٢) انظرها في: مسند الطيالسيّ: ١٣٦ ت ١٠١٢، فضائل القرآن لأبي عبيد: ١١٩ ت ٣٤، مسند أحمد ٤: ١٠٧، المعجم الكبير ٢٢: ٧٦ ت ١٨٧، مشكل الآثار ٢: ١٥٤، شِعَبُ الايمان ٢: ٤٦٥ ت ٢٤١٥ و٤٨٧ ت ٢٤٨٥، مجمع الزوائد ٧: ١٥٨.

(٣) فضائل القرآن للبجليّ: ٨٩ ت ١٨١، بستان العارفين «ضمن تنبيه الغافلين»: ٣٥٠، شِعَبُ الإيمان ٢: ٤٦٦ ح ٢٤١٧ و٢٤١٨، فتح الباري ٨: ١٢٩.

وأمّا **المِئون**: فهي كلّ سورةٍ تكونُ مائة آيةٍ أو يزيد عليها شيئاً يسيراً، أو ينقصُ عنها شيئاً يسيراً[١].

وأمّا **المثاني**: فهي ماثَنَتِ المِئِين، فتلاها. فكأنّ المِئُونَ لها أوائل، وكأنّ المثاني لها ثَوانٍ.

وقيل أيضاً: إنّها سُمّيت بذلك؛ لتثنية اللّه فيها الأمثال، والحدود، والقرآن، والفرائض؛ وهو قول ابن عبّاس[٢].

وقال قوم: المثاني سورة الحمد؛ لأنّها تُثنّىٰ قراءتها في كلّ صلاةٍ، وبه قال الحسن البصريّ[٣]، وهو المروي في أخبارنا[٤]، قال الشاعر:

حَلَفْتُ بالسَّبْع اللّواتي طُوِّلَتْ ... وبِمَئِينٍ بَعْدَها قَدْ أُمْئِيَتْ [١٣]
وبِمَثانٍ ثُنِّيَتْ فَكُرِرَتْ ... وبالطَّواسِين التي قَدْ ثُلِّثَتْ
وبالحَوامِيمِ اللواتي سُبِّعَتْ ... وَبالمُفَصَّلِ اللّواتي فُصِّلَتْ[٥]

---

(١) شِعَبُ الإيمان ٢: ٤٦٥ ذيل حديث ٢٤١٥، ٨: ١٢٩، غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥.

(٢) شِعَبُ الايمان ٢: ٤٦٧ ح ٢٤٢٢، فتح الباري ٨: ١٢٩، غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥، وانظر شرح السنة ٣: ٢٤٣ باب فضل فاتحة الكتاب.

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥، تفسير كتاب اللّه العزيز للهُوّاريّ ١: ٧٤ - ٧٥، النكت والعيون ٣: ١٧٠، معالم التنزيل للبغويّ ٣: ٤١٠.

(٤) تفسير العيّاشي ١: ١٩ ح٣ و٢: ٢٤٩ ح٣٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٠٠ ذيل حديث ٥٩، الأمالي للصدوق: ٢٤٠، ٣٣٢ ح٢٥٤، تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٩ ح١١٥٧، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٥٩ ح٣٠.

(٥) رجز لم أجده عند أحد قبل أبي عبيدة في مجاز القرآن ١: ٧، ناسباً له لسليمان ولعلّه ابن يزيد العدويّ، وبعده لدى الطبريّ في جامعه ١: ٣٥، من دون نسبة ولم أجد له ذكراً فيما لدينا من كتب التراجم، إلّا أنّ الحمويّ وابن خلّكان ذكرا له أبياتاً ↲

وسمّيت **المفصّلُ** مُفَصَّلاً؛ لكثرة الفُصُول بين سورها بـ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

وسمِّي **المُفصَّل** مُحْكماً؛ لما قيل: أنّها لمْ تنسخ.

وقال أكثر أهل العلم: أوّلُ المُفصّل من سورةِ محمّد ﷺ إلىٰ سورة الناس.

وقال آخرون: من ق، إلىٰ الناس(١).

وقالت فرقةٌ ثالثةٌ: ـ وهو المحكيّ عن ابن عبّاس ـ إنّه من سُورةِ الضُحىٰ إلى الناس، وكانَ يفصلُ من الضّحى بينَ كلِّ سورتين بالتكبير، وهو قراءةُ ابن كَثِير(٢).

وُجدتْ علىٰ قبرِ سِيبَويْه بشيراز هي:

ذَهَبَ الأحبَّةُ بعدَ طول تَزاوُرِ ... ونأى المَزارُ، فأسْلَمُوك وأقْشَعُوا
تَركوك أوْحَشَ ما تَكُونَ بِقَفْرَة ... لَمْ يُؤنِسُوكَ، وكُرْبةٍ لَم يَدْفَعُوا
قُضِيَ القَضاءُ وصِرتَ صاحِبَ حُفرَةٍ ... عَنْكَ الأحبّةُ أعْرضُوا وَتَصَدّعُوا

معجم الأدباء ١٦: ١١٦، وفيات الأعيان ٣: ٤٦٤.

الإمْآء: إكمال العدّ حتىٰ يبلغ المئة، تهذيب اللّغة ١٥: ٦١٨، المحيط في اللّغة ١٠: ٤٥٦، الصحاح ٦: ٢٤٨٨، «مأي».

الطواسين: أي سورة الشعراء، والنمل، والقصص.

الحواميم: أي سورة غافر، فصّلت، الشورىٰ، الزخرف، الدخان، الجاثية، الاحقاف.

والمفصّل: علىٰ الخلاف المذكور في المتن.

(١) يلاحظ: جمال القرّاء ١: ١٧٨، البرهان في علوم القرآن ١: ٢٤٥، الاتقان في علوم القرآن١: ٢٢١، وانظر تفسير غرائب القرآن ١: ٣٣.

(٢) ابن كَثِير، عبداللّه بن كَثِير ـ بفتح الكاف وكسر الثاء، وقيل: بالضمّ ثمّ الفتح ـ الداريّ، أبو معبد القحطانيّ، قيل: إنّه من أبناء فارس الذين أرسَلَهم كسرىٰ إلىٰ

فإن قيل: ما وجهُ الحكمةِ في تفصيل القرآن على السّور؟

قيل: فيه وجوه من الصواب:

منها: إنّ القارئ إذا خرجَ من فَنٍّ إلىٰ فَنٍّ كان أحلىٰ في نفسه وأشهىٰ لقراءته.

ومنها: إنّ جعل الشيء مع شكله، وما هو أولىٰ به هو الترتيب الذي يعمل عليه.

ومنها: إنّ الإنسان قد يَضعُف عن حفظ الجميع، فيحفظ منه سورةً تامّةً ويقتصر عليها، وقد يكونُ ذلك سبباً يدعوهُ إلىٰ غيرها.

ومنها: إنّ التفصيلَ أبيَن، إذا كان الإشكال مع الاختلاط والالتباس أكثر.

ومنها: أنّ ما ترقىٰ إليه درجةً درجةً ومنزلةً منزلةً كانت القوّة عليه أشدَّ، والوصولُ إليه أسهل.

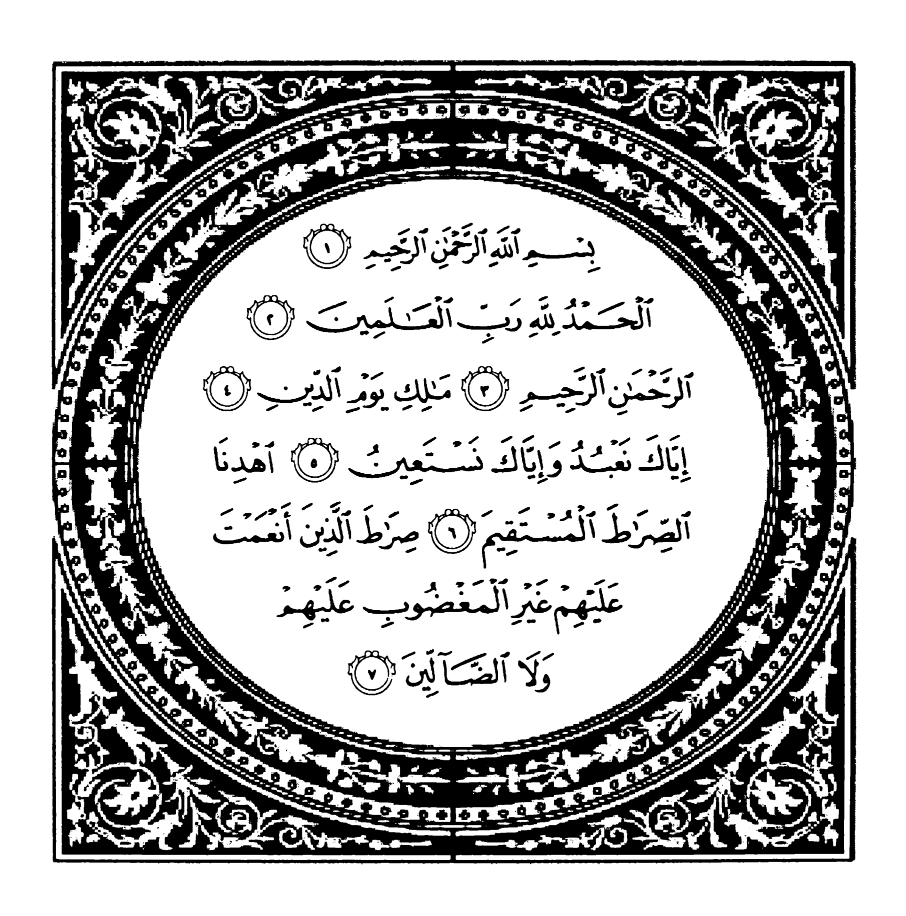
وإنّما السورةُ منزلة يُرتَفَعُ منها إلىٰ منزلةٍ.

اليمن؛ لطرد الحبشِ عنها. مات عام: ١٢٠هـ بمكة.

انظر: غاية الاختصار ١: ٢٢، غاية النهاية ١: ٤٤٣ ت ١٨٥٢.

ولقراءته انظر: التيسير في القراءات السبع: ٢٢٦، غاية الاختصار ٢: ٧١٩ ت ١٧٠٠ ـ ١٧٠٤، التلخيص في القراءات الثمان: ٤٨٨، والنشر في القراءات العشر ٢: ٤٠٥ باب التكبير وما يتعلق به، جمال القرّاء ١: ١٧٨.


تفسير
سورة الفاتحة



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

سورة الفاتحة

أسماؤُها، وسببُ تَسميتها بها:

رُويَ عن النّبيّ ﷺ أنّه سمّاها: (أُمُّ القُرآن، وفاتحةُ الكتابِ، والسّبعُ المثاني)[1].

فسُمّيت: **فاتحة الكتاب**؛ لأنّه يُفْتَتَحُ بكتابَتها المَصاحِف، وبِقِراءَتها في الصلاة، فهي فاتحة لِما يَتلوها منْ سُوَرِ القُرآن في الكتابةِ والقِراءَة.

وسُمّيت: **أُمّ القُرآن**؛ لِتَقَدّمِها علىٰ سائر القُرآن، وتُسمّي العربُ كلَّ جامعٍ أمراً أو متقدّمٍ لأمرٍ ـ إذا كانتْ له توابعَ تَتبعُه ـ: أُمّاً، فيقُولونَ للجلدة التي تَجمَعُ الدّماغ: أُمُّ الرأس، وتُسمّي لواءَ الجيش، ورايتهم ـ التي يجتمعون تحتها ـ: أُمّاً[2] ومِنْ ذلك قولُ ذي الرُّمَّة[3]:

---

(١) الموطّأ برواية الليثيّ ١: ٨٣ ح٣٧، مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢١١ و٥: ١١٤، صحيح البخاريّ ٦: ٢٠ و ٢٣١، سنن أبي داود ٢: ٧١ ح ١٤٥٧، سنن الترمذيّ ٥: ٢٩٧ ح٣١٢٤، شعب الإيمان ٢: ٤٤١ ح ٢٣٤٤ ـ ٢٣٥٦، فتح الباري ٨: ١٢٧، وانظر شرح السنة ٣: ٢٤٣ باب فضل فاتحة الكتاب، الأحاديث.

ولاحظ: البرهان في تفسير القرآن ١: ٩٤.

(٢) انظر «أَمَمَ»: في جمهرة اللّغة ١: ٦٠، تهذيب اللّغة ١٥: ٦٣١، الصحاح ٥: ١٨٦٣ وغيرها.

(٣) غيلان بن عقبة بن بهيش العدويّ، أبو الحارث، شاعر إسلاميّ فحل بدوي قح، تردّد كثيراً ←

وأسْـمَرَ قَـوّامٍ إذا نـامَ صُحْبَتي　　خَفيفِ الثّيابِ لا يُـواري له أزْرا [١٤]

عـلىٰ رَأسِـهِ أُمٌّ لنـا نَـقْتدي بِـها　　جِماعُ أُمُورٍ لا نُعاصي لهـا أمـرا[١]

يَصفُ رايةً معقودةً علىٰ قناةٍ يَجتَمِعُ تَحتَها هو وَصَحْبهُ.

وقيل: مَكّةُ أم القُرى؛ لِتقدُمِها أمامَ جَميعها، وَجَميعُها ما سواها.

وقيل: إنّما سُمّيت بذلك؛ لأنّ الأرض دُحيتْ منها فَصارتْ لجميعها أُمّاً[٢].

ومن ذلك قول حُمَيْد بن ثَوْر الهِلاليّ[٣]:

إذا كانَتِ الخَمْسُونَ أُمَّكَ لَـمْ يَكُـنْ　　لِـدائِكَ ـ إلّا أنْ تَـموتَ ـ طَبِيبُ[٤] [١٥]

علىٰ البصرة والكوفة ولعلّه تحضّر، وفي تلقيبه بذي الرُّمة أقوال، عارض بائية الكميت بمثلها، شهر بحبه لميّة المنقريّة، عدّ من عشّاق العرب، مات عام ١١٧.

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين: ١٤٧، معجم الشعراء للجبوري ٤: ١٣٤، وفيات الأعيان ٤: ١١ ت ٥٢٣.

(١) من قصيدة له تسمّىٰ: أُحجية العرب، انظر الديوان ٢: ١٥٠ ب٦٥ ـ ٦٦، بشرح الباهليّ، ورواية ثعلب وفيه وفي نسخة «ؤ»: «له» عوض لها.

المعنىٰ والشاهد واضح.

أسمر: لواء القبيلة. علىٰ رأسه: أعلىٰ الرمح.

(٢) انظر صفحه ٦٧ الهامش ٢.

(٣) حُمَيْد بن ثَوْر بن عبداللّه الهلاليّ فهو من بني عامر شاعر عاش الجاهلية وأدرك الاسلام، شهد مع المشركين حُنَيْن، ووفد بعدها علىٰ النبيّ ﷺ مسلماً.

توفي: ح٣٠ هـ، وقيل أدرك خلافة عبدالملك بن مروان.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ١: ٣٩٠ ت٥٩، الإصابة ٢: ٣٩ ت ١٨٣٠، الأغاني ٤: ٣٥٦.

(٤) بيت شعر اختلفت المصادرُ في قائلهِ: فمنهم من نسبه لحُمَيْد بن ثَوْر كالطبريّ في

لأنّ الخَمسينَ جامِعةٌ ما دُونَها من العدد، فَسمّاها أُمَّ الذي بلغها.

وسُمّيت: **السبعُ**؛ لأنّها سبعُ آيات بلا خلاف في جُملَتها.

وسُمّيت: **مثاني**؛ لأنّها تُثنّىٰ بها في كلِّ صلاةٍ فرضٍ ونفلٍ، وقيل: في كلّ ركعة.

وليس إذا سُمّيت بأنّها مثانيَ منع ذلِك من تسميةِ غيرها بالمثاني منْ سُوَرِ المئين علىٰ ما مضى القول فيه[1].

جامعه ١: ٣٧، والشيخ الطوسيّ كما في المتن، ولم نجده في ديوانه.

ومن ناسب إيّاه للحجّاج بن يُوسف التيميّ.

ومِنْ عازٍ له لأبي محمّد عبدالله بن أيوب التيميّ ـ وهو الصواب ـ شاعر عباسيّ ماجِنٌ خليعٌ، صحب إسحاق ومن قبله أباه إبراهيم الموصليّ ونادمهما.

له ترجمة في: الأغاني ٢٠: ٤٤.

هذا، ولم نجد البيت ـ علىٰ رواية المصنّف ـ إلّا في: النكت والعيون ١: ٤٦ باختلاف في الشطر الثاني، وجامع البيان ١: ٣٧. وانظر: المصابيح الساطعة الأنوار: ١٥٠ حيث رواه عن تفسير البرهان لأبي الفتح الديلميّ (مخطوط).

وأما المصادر فقد روت عوض «الخمسين» الستون والسبعون.

وعوض «أُمك» سنّك. ومعه لا يبقىٰ مجال للاستشهاد.

انظر: عيون الأخبار ٢: ٣٤٧، البيان والتبيين ٣: ١٩٥، مجموعة المعاني: ٣٠٩، المحاضرات للراغب ٢: ٣٣١.

(١) مضى في صفحة: ٦٠.

الاستعاذة

واتفقَ القُرّاءُ على التّلفظِ بـ: (**أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيم**) قَبلَ التسميةِ[1].

ومعنى ذلك: **أَعُوذُ باللَّهِ** أستَجيرُ بالله دونَ غيرِه؛ لأنّ الاسْتِعاذَةَ هي الاستجارَة.

وقوله: **مِنَ الشَّيْطانِ**؛ الشَّيْطان في اللّغة كلُّ متمرّدٍ من الجنّ والإنس والدّواب؛ ولذلك قال اللّه تعالىٰ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَٰطِينَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ**﴾[2] فَجعلَ من الإنسِ شياطينَ، كما جَعلَ من الجنّ.

وإنّما سمّي المتمرّد من كلّ شيء شيطاناً؛ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ جميعَ جنسهِ، وبُعدهِ من الخير.

وقيل: هو مُشْتقٌ منْ قَولهم: شَطَنَتْ داري من دارك، أي: بَعُدتْ، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

(١) ولكن اختلف في صيغتها، راجع للاستزادة: التذكرة في القراءات ١: ٨٣، التلخيص في القراءات الثمان: ١٣٣، غاية الاختصار ١: ٤٠٠ ت ٥٧٣ ـ ٤، وبإحاطة: النشر في القراءات العشر ١: ٢٤٣.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١١٢.

نَأَتْ بِسُعادَ عَنْكَ نَوىً شَطُونُ ، فَبانَتْ ، والفُؤادُ بِها رَهِينُ[١] [١٦]

والشَّطُونُ : البعيدُ .

فيكون «شَيْطاناً» علىٰ هذا : فَيْعالاً من شَطَنَ ، علىٰ وزن بَيْطار وغَيْداق .

قال أُميّة بن أبي الصّلت[٢] :

أَيُّما شاطِنٍ عَصاهُ عَكاهُ ثُمّ يُلقىٰ في السِّجنِ والأكبال[٣] [١٧]

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها ملك الحيرة عمر بن هند . الديوان : ٢١٨ ت٧٥ .

نَأَتْ: بَعُدَتْ. سعاد: اسم امرأة. نَوَىً: مسافة. شَطُون: بعيدة أو طويلة. بانت: انقطعت.

المعنىٰ : ابتعدت عنك سعادٌ مسافات طويلة بعيدة وانقطعت والفؤاد متعلق بها ومرتهن بها .

الشاهد : ما أفاده المصنّف ﷺ .

(٢) أبو عثمان ، أُميّةَ بن عبداللّه بن أبي ربيعة الثقفيّ ، شاعر جاهلي ، يغلب علىٰ شعره الاتجاه الحكميّ والروحانيّ ، اطّلَعَ علىٰ بعض الكتب المقدسة ، فانصرف عن الأوثان وعبادتها ، وكان مبلِّغاً لبعثة نبيٍّ ، ولمّا بعث النبيّ ﷺ لم يؤمن به حسداً منه ، وأصرّ علىٰ الكفر ؛ لِما كان من طمعه أن يكون هو النبيّ . توفي عام : ٢ ، وقيل ٨ و٩ هـ .

انظر : الشعر والشعراء ١ : ٤٥٩ ت ٨٣ ، الأغاني ٤ : ١٢٣ ، شعراء النصرانية قبل الإسلام : ٢١٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٦٦٠ .

(٣) الديوان ١٠٦ ت١١٢ ، من مقطوعة يتعرض فيها لذكر بعض الانبياء ، وانظر تخريجه وبعض الخلاف في ضبطه في : أُمية بن أبي الصلت حياته وشعره : ٢٥٨ت ٩٢ ، والمقطوعة في الديوان ط ، دار مكتبة الحياة : ٦٥ .

شاطن : المتمرِّد ، أو البعيد من الحق ، أو الشيطان . عكاه : أوثقه ، قيّده .

المعنى: إنّ النبيّ سليمان كان يوثق من يعصيه من الشياطين بالقيد ويكبّله ويسجنه.

الشاهد فيه : ما أشار إليه الشيخ ﷺ .

ولو كان مشتقّاً من شاط، لقال: شائط؛ ولمّا قال: شاطِنٍ عُلمَ أنّه مُشتقّ من شَطَنَ؛ والشَطَن: الحَبْلُ[١].

وأمّا (**الرجيم**) فهو: فَعِيلٌ بمعنى مَفْعول، كقولهم: كَفٌّ خَضِيبٌ، ولِحْية دَهينٌ، ورَجُلٌ لَعِينٌ، يُراد مَخْضوبَةٌ، ومَدْهُونَةٌ، ومَلْعُونٌ.

ومعنىٰ المرجوم[٢]: المشْتوم، فكُلُّ مشْتومٍ بقولٍ رَدِئ فهو مَرجُومٌ.

وأصلُ الرجم الرَّمْيُ بقولٍ كان أو بفعلٍ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ**﴾[٣].

ويَجوزُ أنْ يَكونَ الشَّيطانُ رَجيماً؛ لأنّ اللهَ طَرَدهُ من سَمائِهِ وَرَجَمَه بالشُهبِ الثاقبة[٤].

---

(١) للتوسع في مادة «شطن»، انظر: تهذيب اللّغة ١١: ٣١١، معجم مقاييس اللّغة ٣: ١٨٤، الصحاح ٥: ٢١٤٤، لسان العرب ١٣: ٢٣٧، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤٥٤، وغريب القرآن لابن قتيبة: ٢٣، والمجازات النبوية: ٩٤ـ ٦١، والحجة للقرّاء السبعة ٢: ٢٢.

(٢) في «خ» الملعون.

(٣) سورة مريم ١٩: ٤٦.

(٤) لمعرفة المزيد انظر «رَجَمَ» في: العين ٦: ١١٩، تهذيب اللّغة ١١: ٦٨، لسان العرب ١٢: ٢٢٦.

سورة الفاتحة

وسورة الحمد

مَكيّة في قَولِ قَتادَة

ومَدَنيّة في قولِ مُجاهِد[1]

وليس فيها ناسِخٌ ولا مَنْسوخٌ.

قوله تعالىٰ:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية (١).

عندنا آيةٌ من الحمدِ[2] ومن كلّ سورة، بدلالة إثباتهم لها

---

(١) انظر: المصنَّف للصنعانيّ ١٠: ٥٢٢ ت ١٠١٨٨ و٥٢٣ ت ١٠١٩٤، فضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٢، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٣١، النكت والعيون ١: ٤٥، تفسير كتاب اللّه العزيز للهوّاريّ ١: ٧٣، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ٧٨، بستان العارفين (ضمن تنبيه الغافلين): ٣٥٠ ـ ٣٥١، وصحيفة عليّ بن أبي طلحة: ٥٤٤ ت ١٤٦٠، فتح الباري ٨: ٥٤٨، أسباب النزول للواحديّ: ٢١ ت ١٩ وما بعده.

(٢) ومعها تكون سورة الفاتحة سبع آيات، حسب الكوفيين والمكّيين، وجمع ←

في المصاحف بالخط الذي كُتب بـه المُصحف، مع تجنُّبهم إثبات الأعشار والأخماس كذلك، وفي ذلك خلافٌ ذكرناه في خلافِ الفقهاء(١).

ولا خلافَ أنّها بعضُ آية في سورة النمل(٢).

فأمّا القُرّاء فتركَ الفَصلَ بين السُّورِ بالتسمية: حَمْزَة(٣)، وخَلَف(٤)،

كثير من الصحابة والتابعين ولعله مورد إجماع للمسلمين، وأمّا على الرأي الآخر ـ ولعلّه الشاذّ ـ فقد تركوا عدّها واعتبروا الآية الأخيرة اثنتين بالعدّ إلىٰ ﴿عَلَيْهِم﴾ آية تخلّصاً من الإجماع علىٰ أنّها سبع وتحقيقاً لرواية السبع المثاني.

(١) الخلاف ١: ٣٢٨، المسألة ٨٢. وانظر: تذكرة الفقهاء ٣: ١٣٢ مسألة ٢٢٢، مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة ٢: ٣٥٢، المصابيح الساطعة الأنوار ١: ١٤٦، الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف: لابن عبدالبر (ضمن الرسائل المنيرية).

(٢) سورة النمل ٢٧: ٣٠.

(٣) حَمْزَة بن حَبيب الزَيّات، أبو عُمَارة الكوفيّ، أخذ القراءة عن الامام الصادق عليه السلام وغيره، ولتضلعه في القراءة لقبَّ بحبر القرآن. ولد عام: ٨٠ هـ، وتوفّي عام: ١٥٦ هجرية، ودفن بحلوان.

انظر: غاية النهاية ١: ١١٩٠/٢٦١، طبقات القرّاء ١: ١١٢ ت ٤٩، سيَر أعلام النبلاء ٧: ٣٨/٩٠ ومصادره.

(٤) خَلَفْ بن هِشام بن ثَعْلَب البزّار، أبو محمّد الأسَدِيّ البغداديّ، أخذ القراءة عن جمع من المشهورين، وروىٰ عنه القراءة حشد من أعلام القرّاء. توفي عام: ٢٢٩ هـ.

انظر: غاية النهاية ١: ١٢٣٥/٢٧٢، طبقات القرّاء ١: ٢٤٥ ت ١٣٩، سيَر أعلام النبلاء ١٠: ٢٠٣/٥٧٦ ومصادره.

ويعقوب(١)، واليزيدي(٢) إلّا القُطَعِي(٣) عن سَجّادة(٤). وإلّا ابن

---

(١) يَعْقُوب بن إسْحاق بن زَيْد، أبو محمّد الحَضْرَميّ قارئ البصرة وعالم نحوها في وقته، أحد القرّاء العشرة، أخذ عن المشهورين وروىٰ عنه جمع من المعاريف. توفي عام: ٢٠٥ هـ.

انظر: طبقات القرّاء ١: ١٧٥ ت٧٩، غاية النهاية ٢: ٣٨٩١/٣٨٦، سيَر أعلام النبلاء ١٠: ٣٠/١٦٩.

(٢) يَحْيىٰ بن المُبارك بن المُغِيرة العَدَويّ، أبو محمّد البصريّ، المشهور باليَزِيدِيّ؛ لصحبة يزيد بن منصور الحِمْيَريّ خال المهديّ مؤدباً لأولاده. أخذ القراءة عن جمع من المشاهير، وله مصنّفات منها: المقصور، نوادر اللّغة. توفي عام ٢٠٢ هـ، بمرو.

انظر: غاية النهاية ٢: ٣٨٦٠/٣٧٥، طبقات القراء ١: ٦٨ ت ٧٦، سيَر أعلام النبلاء ٩: ٢١٩/٥٦٢.

(٣) في ضبط هذا اللقب بين النسخ ـ خطيّها وغيرها ـ اختلاف بين: القرطيّ، والفرضيّ، والقرضيّ، ولم تسعفنا كتب تراجم القرّاء علىٰ شيء منها.

والظاهر أنه مصحَّف عن المثبت وهو: أبو عبدالله محمّد بن يحيىٰ بن مهران القُطَعيّ، إمام مقرئ أخذ القراءة عن أبي زيد. وعنه مدين بن شعيب.

انظر: غاية النهاية ٢: ٢٧٨ ت ٣٥٣٢، غاية الاختصار ١: ٧٢ ـ ٧٤ ت٧٩٤، الموضح في وجوه القراءات ١: ١٤٤.

وهناك محمّد بن سليم بن عمرو، أبو حمزة القرظيّ، تابعيّ، روىٰ عن أبي هريرة وعائشة، ووردت عنه رواية في حروف القرآن. توفي عام: ١٠٨هـ.

والظاهر أنّ إرادة هذا بعيدة جداً من حيث الطبقة وخصوصاً رواية سجادة عنه.

انظر: غاية النهاية ٢: ٢٣٣ ت ٣٣٨٣.

(٤) سَجّادة، غُلام سَجّادة، غُلام صاحب السَّجّادة ألقاب اختُلف في المراد منها.

فقيل هو: إبراهيم بن حمّاد أبو إسحاق، أو أبو جعفر.

وقيل هو: جعفر بن حمدان، أبو محمّد، غلام سجّادة البغداديّ، مشهور من أصحاب اليزيديّ، عرض عليه القراءة.

انظر: غاية النهاية ١: ١٢ ت ٤١ و١: ١٩١ ت ٨٨٢، الموضح ١: ١٤٣، طبقات القرّاء ١: ٢٢٧ ت١٢٣ و١٦٨ ت٧٦، الغاية في القراءات العشر: ٦٦.

اللّبان[١] عن مَديَن[٢] والمعدِّل[٣]. وإلّا السوسيّ[٤] من طريق ابن حَبْش[٥].

والباقون يَفصِلونَ بالتسمية إلّا بين الأنفال والتوبة[٦].

وعندنا: إنّ منْ تَرَكَها في الصّلاة بَطلتْ صلاتُه؛ لأنّ الصلاةَ عندنا لا تَصحّ إلّا بفاتحةِ الكتاب وهي من تمامها، سواءٌ كانت الصلاةُ فرضاً أو

---

(١) ابن اللّبان بهذا اللقب لم نجده، والموجود لا تساعد عليه الطبقة.

انظر: غاية النهاية الارقام: ٦٧٠، ١٨٧٦، ٢٧٥٥.

(٢) مَدْيَن بن شُعَيْب أبو عبدالرحمن الجَمّال البصريّ، يعرف بمَرْدَوَيْه. أخذ القراءة عن عبداللّه بن محمّد اليزيديّ وغيره، وعنه روىٰ القراءة محمّد بن يعقوب المعدِّل وغيره. توفي سنة: ٣٠٠ هـ.

ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القرّاء ٢: ٢٩٢ ت ٣٥٨٤، طبقات القرّاء ١: ٣٤١ ت ٢٧٣.

(٣) مُحَمّد بن يَعْقوب بن الحجّاج، أبو العباس التيميّ البصريّ المعروف بالمعدِّل قارئ ضابط مشهور، أخذ القراءة عن جمع، وروىٰ عنه جمع. توفي بعد عام ٣٢٠هـ.

انظر: غاية النهاية في طبقات القرّاء ٢: ٢٨٢ ت ٣٥٤٢، طبقات القرّاء ١: ٣٥٧ ت ٢٨٩.

(٤) صالح بن زياد بن عبداللّه الرُّسْتُبيّ، أبو شعيب السوسيّ الرَّقيّ، مقرئ ضابط محرر أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن اليزيديّ روىٰ عنه الرّقيّ وغيره. توفي عام: ٢٦١ هـ.

انظر: طبقات القرّاء ١: ٢٢٢ ت١١٦، غاية النهاية ١: ٣٣٢ ت ١٤٤٦.

(٥) الحسين بن محمّد بن حَبْش بن حمدان، أبو عليّ الدِّينَوَريّ، مقرئ حاذق متقن، قرأ علىٰ عمران بن موسى الرُّقيّ وجمع كثير، وعليه جمع كثير، توفي عام: ٣٧٣هـ.

انظر: غاية النهاية ١: ٢٥٠ ت ١١٣٧، طبقات القرّاء ١: ٤٠٣ ت ٢٣٩.

(٦) لمزيد من الاطّلاع ينظر كتب القراءات، مثل: التذكرة في القراءات ١: ٨٣، غاية الاختصار١: ٤٠١، النشر في القراءات العشر ١: ٢٥٩، أقوىٰ العدد في معرفة العَدد، ضمن جمال القرّاء وكمال الاقراء ١: ٤٢٣.

نفلاً، وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء[١].

ومن قال: إنّها ليست من القرآن، قال: إنّ اللّه أدَّبَ نبيَّه وَعلّمه تقديمَ ذِكر اسم اللّه أمامَ جميعَ أفعالِهِ وأقوالِهِ؛ ليقْتديَ به جميعُ الخلقِ في صدور رسائلهم وأمامَ حوائِجهم. قالوا: والدليلُ على أنّها ليستْ من القرآن أنّها لو كانتْ من نفسِ الحمد لوجبَ أنْ يكون قبلها مثلُها؛ لتكونَ إحداهُما افتتاحاً للسورةِ حسبَ الواجب في سائر السور، والأُخرىٰ أوّل آيةٍ منها.

وهذا عِندَنا ليسَ بصحيحٍ؛ لأنّا قد بيّنّا أنّها آيةٌ من كلِّ سورةٍ ومع هذا لم يتقدّمها غيرُها، علىٰ أنّه لا يمتنعُ أنْ تكونَ من نفسِ التلاوة[٢]، وأَنْ تعبّدنا باستعمالِها في استفتاح جميعِ أُمورِهِ.

ومن قال: إنّ قولَه: ﴿ **ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ بعد قوله: ﴿**ٱلحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ يدلُّ علىٰ أنّ التي افتتَح بها ليستْ من الحمد، وإلّا كان يكونُ ذلك تكراراً بلا فصلِ شيءٍ من الآيات وذلك ليس بموجودٍ في شيء من القرآن.

فقوله باطل؛ لأنّه قد حصلَ الفصلُ بقوله: ﴿**ٱلحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ وقد وردَ مثلُه في: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ**﴾؛ لأنّه قال: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ**

---

(١) الخلاف ١: ٣٢٧ م٨١، وانظر: مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة ٢: ٣٥٢. وانظر: أحكام القرآن للشافعيّ: ٦٣، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٨، أحكام القرآن لابن العربيّ ١: ٢، ورسالة أحكام البسملة للفخر الرازيّ. وانظر ما تقدم: ٧٣ هـ ٢.

(٢) كذا، ولعل الأفصح: التلاوة نفسها.

دِينِ ﴾[١] فكرر آيتين بلفظٍ واحدٍ فَصلَ بَينهُما بآيةٍ واحدة.

وقدْ ذكرنا الأدلّة على صحّةِ ما ذَهبنا إليه في خلاف الفقهاء[٢].

ومنْ جَعَلها آيةً جعَلَ منْ قولهِ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخرها آية.

ومن لم يَجْعلها كذلك جعلَ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ آية.

وعندنا: أنّه يَجبُ الجَهرُ بها في ما يُجْهرُ فيه بالقراءة، ويُستحبُّ الجَهرُ بها في ما لا يُجْهرُ فيه.

وقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾:

يَقتَضي فِعلاً تتعلّقُ بهِ الباءُ، وَيجوزُ أنْ يكونَ ذلِكَ الفِعلُ قَولُه: أَبدأُ، أو أَقرأُ بسم اللّه، أو شِبهه، أو قُولوا: بسم اللّه، ولم يُذكرْ؛ لدلالةِ الكلامِ عليه.

وحُذفتِ الألف في اللفظ؛ لأنّها ألف الوصلِ تسقُطُ في الدّرج، وحُذِفتْ ههنا وَحدَها في الخطِ؛ لكثرةِ الاستعمال.

ولا تُحذَفُ في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[٤]، وما أشبه ذلك؛ لقلّة استعمالها هنا.

وذَكَرَ أبو عُبَيْدَة[٥]: أنّ «اسم» صِلةٌ، والمرادُ هو: باللّه الرحمٰن الرحيم.

---

(١) سورة الكافرون ١٠٩: تامة.

(٢) الخلاف للشيخ الطوسيّ ١: ٣٢٨، المسألة ٨٢.

(٣) سورة العلق ٩٦: ١.

(٤) سورة الواقعة ٥٦: ٧٤، ٩٦، سورة الحاقة ٦٩: ٥٢.

(٥) أبو عُبَيْدَة البصريّ، معمّر بن المثنى التيميّ نسباً، الخارجيّ معتقداً، قيل: إنّه ←

واعْتَقَدَ قومٌ لأجلِ ذلكَ أنّ الاسم هو المسمّىٰ، واستدلّوا بقول لَبِيدٌ[١]:

[١٨] إلىٰ الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السّلامِ عَليْكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدْ اعْتَذَرْ[٢]

قال: ومعناه السلامُ عَليكما، فاسْمُ السلام هو السلام[٣].

مشارك في عدة من العلوم، أخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء وابن الخطاب الأخفش ولزم الزيّات كثيراً. له: مجاز القرآن، نقائض جرير والفرزدق وغيرها. مات سنة: ٢١٠ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٣: ٢٥٢ ت ٧٢١٠، وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥ ت ٧٣١، معجم المؤلّفين ٢: ٣٠٩، ومصادره.

(١) لَبِيدُ بن رَبيعةَ بن مالك العامريُّ النجديّ، أبو عقيل، من فحول الشعراء المخضرمين وشجعانهم وأشرافهم، من أصحاب المعلّقات، قدم علىٰ النبيّ ﷺ مُسْلماً وترك الشعر، سكن الكوفة إبّان حكومة عمر بن الخطاب. عمّر طويلاً قيل: ١٥٠ عام. توفي في الكوفة وبها دفن أيام حكومة عثمان بن عفان، وقيل: حكومة معاوية.

له ترجمة في: الاستيعاب ٣: ١٣٣٥ ت ٢٢٣٣، الأغاني ١٥: ٣٦١، الشعر والشعراء ١: ٢٧٤ ت ٢٥، تأسيس الشيعة: ١٨٥.

(٢) الديوان: ٧٩.

اُختلف في توجيه البيت كثيراً حتّىٰ أصبح مثار نقاش بين العلماء.

والأغلب أنّ كلمة (اسم) هنا مقحمة.

والمعنىٰ: إنّ الشاعر يخاطب ابنتيه طالباً منهما أنّه إذا مات لا يخمشن عليه وجهاً، ولا يحلقن رأساً وإنّما يبكينه ويذكرنه في نادي قومه بصفاته الحميدة إلى عام، وهي مدة العزاء علىٰ الميت، وهكذا كان.

انظر: ابن جنّي في المنصّف ٣: ١٣٥، الخصائص ٣: ٢٩، وابن يعيش في شرح المفصّل ٣: ١٤، والبغداديّ في خزانة الأدب ٤: ٣٣٧ ت ٣٠٥.

(٣) لعلّه ناظر إلىٰ ما ذهب إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ١٦. وانظر: النكت

وهذا خطأ عظيمٌ، ذكرناهُ في شرحِ الجملِ في الأُصول[١].

ومعنىٰ قول الشاعر «ثمّ اسم السلام»: إنّه أرادَ به اسْم اللهِ تعالىٰ؛ لأنَّ السلامَ من أسماء اللّه في قوله: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[٢]، وهـذا كما قال عليه السلام: (لا تَسُبّوا الدّهرَ، فإنّ اللهَ هو الدَّهْر)[٣] أي: إنّ الله هو الفاعِلُ لما تُضِيفونَه إلىٰ الدهر وتَسبُّونَهُ لأجْلِه، ونظير ذلك أيضاً قول القائل ـ إذا سمِعَ غيرَه يشتُم زيداً وهوَ يريدُ عمراً ـ: «زيدٌ في هذا المكانِ هو عمرو» أي: هو المرادُ بالشّتمِ دُونَ زيدٍ.

ويُحتملُ أنْ يكونَ أرادَ: اسْمُ اللهِ عَليكُما، أي: الزماه، وإنّما رَفَـع؛ لأنّه أخّرَ عَلَيْكُما، كما قال الشاعر:

يـا أيّـها المائِـحُ، دَلوي دُونَكا

إنّي رَأيتُ الناسَ يَحْمِدونَكا[٤] ١٩]

والعيون ١: ٤٧، التفسير الكبير للرازيّ ١: ١٠٨، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٢٥٨، أحكام القرآن للقرطبيّ ١: ٩٨،

(١) التمهيد للشيخ الطوسيّ (شرحٌ للقسم النظريّ من جمل العلم والعمل للسيّد المرتضى): النسخة المطبوعة ناقصة. ولم نعثر عليه في مظانه من باقي كتبه، وانظر: أوائل المقالات: ١٣٦، كنز الفوائد ١: ٦٩.

(٢) سورة الحشر ٥٩: ٢٣.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٧٦٣ ح٢٢٤٦، مسند أحمد ١: ٤٩٩ و٢: ٣٩٥، ٤٩١ و٥: ٢٩٩، ٣١١، سنن البيهقيّ ٣: ٣٦٥.

(٤) رجز لم يعرف قائله بأكثر من أنّه: راجز جاهليّ من بني أُسيد بن عمرو بن تميم. وتمثلت به جارية من الأنصار تخاطب ناجية بن جُندب وهو في القليب، في غزوة الحديبيّة.

الشاهد فيه: تقديم المعمول علىٰ العامل.

والمراد: دونَكَ دَلوي.

فَكَيْفَ يكونُ الاسمُ هو المسمّىٰ؟.

وقد يَعرِفُ الاسم منْ لا يعرفُ المسمّى.

والاسمُ يكونُ مُدرَكاً وإنْ لم يُدرَكِ المسمّى.

والاسم يكتبُ في مواضع كثيرةً، والمسمّىٰ لا يكون إلّا في موضوعٍ واحد.

ولو كان الاسم هو المسمّى؛ لكان إذا قال القائل: نار، احترق لسانُه، وإذا قال: عسل، وجدَ الحلاوة في فمهِ، وذلك تجاهل.

ومن قال: إنّ ذلك تسميةٌ وليس باسم.

قوله باطل؛ لأنّ القائلَ لو قال: أكلتُ اسمَ العسلِ، لكانَ جاهلاً[1].

↲ والمائح ـ بالهمز ـ: فاعل من ماح يميح، وهو الذي ينزل البئر لملء الدلاء؛ لقلّة المياه.

والماتح ـ بالمثناة الفوقية ـ: فاعل من متح، وهو الذي يقف أعلىٰ البئر؛ لجذب الدلو.

أوردَهُ كثيرٌ، منهم: الفرّاء في معانيه ١: ٢٦٠، ٣٢٣، الزّجّاج في معاني القرآن ٢: ٣٦، والقالي في أماليه ٢: ٢٤٤، ابن عبد ربّه في عقده الفريد ٥: ٢١١، ابن يعيش في شرح المفصّل ١: ١١٧، والرضيّ في شرحه علىٰ الكافية ٣: ٨٩ ت ٤٤١، الانباريّ في انصافه: ٢٢٨ ت ١٤٣، ومن كتب اللّغة: التقفية في اللّغة: ٢٨٨، جمهرة اللّغة ١: ٥٧٤، الصحاح ١: ٤٠٨، معجم مقاييس اللّغة ٥: ٢٨٧، ولسان العرب ٢: ٦٠٩ مادة: «مَتَحَ» فيها، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٢٥، المغازي ٢: ٥٨٧.

(١) هذا من البحوث الكلامية التي شاعت في الصدر الأوّل بين المتكلمين، وطالت فيها مشاجراتهم ومساجلاتهم، وللتوسعة انظر: التفسير الكبير للفخر الرازيّ ١: ↲

وقال قوم: إنّ «اسم» ليس بصلة، والمراد أَبتدئُ بتسميةِ اللّه، فَوضعَ الاسم موضعَ المصدر، ويكونُ موضعُ «بسم» نصباً. قالوا: لأنّ العربَ تُجري المصادِرَ المُبَهمَة علىٰ أسماءٍ مختلفةٍ، كقولهم: أكرمتُ فلاناً كرامةً، وأهنتُ فلاناً هَواناً، وكلّمته كلاماً. وكان يجب أنْ يكونَ: أكرمتهُ إكراماً، وأهنتُه إهانةً، وكلّمته تكليماً. ومنه قول الشاعر:

أكُفْراً بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي؟ وَبَعْدَ عَطائكَ المِئَةَ الرِّتاعا[1]؟! [٢٠]

وقال آخر:

فإنْ كانَ هذا البُخلُ مِنْك سَجيَةً لَقدْ كُنتُ في طُولِي رَجاءِكَ أشْعبا[2] [٢١]

أراد: في إطالتي رجاءك.

فيكونُ علىٰ هذا تَقديرُ الكلامِ: أَقرأُ مبتدئاً بتسميةِ اللّه، أو أبتدئُ قِراءتي بتسمية اللّه. فجعل الاسم مكان التسميةِ.

١٠٨، تفسير القرطبيّ ١: ٩٨ وما بعده، إعراب القرآن للعكبريّ ١: ٣، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ١٥٨، المقصد الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ: ٦، مجاز القرآن ١: ١٦، أوائل المقالات: ١٣٦، كنز الفوائد ١: ٦٩، ولاحظ: البحر المحيط ١: ١٦، اللباب في علوم الكتاب ١: ١٢٤.

(١) البيت للشاعر عُمَير بن شِيَيْم ـ مصغّرين ـ أبو سعيد القُطاميّ.
والشاهد من قصيدةٍ يمدح بها زفر بن الحارث الكلابيّ، حيث فداه ومنعه من آسريه وأكرمه إبلاً رتاعاً، أي: ترعىٰ، وتأكل كيف شاءت.
والشاهد فيه قوله: عَطائك، أراد إعطائك.
انظر شرح الديوان: ٢٥٨ ب٣٨ ق١٣.

(٢) مجهول القائل. استشهد به الطبريّ في جامع البيان ١: ٣٩.
وأشعب: المعروف والمشهور بالطمع، أشهر من أن يعرّف.
والشاهد فيه ما أشار إليه المصنّف ﵀.

وهـذا أوْلىٰ؛ لأنّ المأمـورَ أن يـفتَتِحَ العِـبادُ أُمـورَهم بـتَسميةِ اللَّـه، لا بالخبرِ عن عَظمتِهِ وصفاتهِ، كما أُمروا بالتَسمية علىٰ الذبائح، والصـيدِ، والأكـل، والشرب. وكَذلكَ أُمروا بالتَّسميةِ عند افتتاحِ تـلاوةِ تَـنزيلِ اللَّـه تعالىٰ.

ولا خلافَ أنّ القائل لو قالَ عند الذباحةِ: باللَّه، ولم يقل: باسم اللَّه، لكان مُخالفاً للمأمورِ.

والاسمُ مُشتقٌّ من السُّمُوّ، وهو الرِّفْعَة. والأصل فيه سِـمْوٌ، بـالواو. وَجَمْعهُ أسْماء، مثل قِنْوٌ وأقناء، وحِنْوٌ وأحْناء. وإذا صغَّرتَه قلت: سُمَيٌّ، قال الراجز:

[٢٢] بسم الذي في كلِّ سُورَةٍ سُمُهْ(١)

---

(١) نُسب إلىٰ رجل من قضاعة تارة، وأُخرىٰ إلىٰ رجل من كلب.

والشاهد فيه قوله: «سُمُه»، وقد ورد بضمِّ السين وكسرها، استشهد بـه جمع مـن أهل اللّغة والنحو من دون نسبة، وقبله قوله:

أرْسَـلَ فِيـهـا بـازِلاً يُقَـرِّمُـهْ
وَهْوَ بها يَنْحـو طريقاً يَعْلَمُه

وفي بعض المصادر بعده:

قَـدْ وَرَدَتْ عَلى طَرِيـقٍ تَعْلَمُهْ

انـظر: نـوادر اللّـغة: ٤٦٢، العـين ٧: ٣١٨، تـهذيب اللّغة ١٣: ١١٥، معاني القرآن وإعرابـه للزجّـاج ١: ٣٩، إعـراب القـرآن للنحّاس ١: ١٦٧، التـنبيهات: ٣٤٠، الانـصاف ١: ١٦، المـتبع فـي شـرح اللـمع ١: ١١٩، الزاهـر ١: ١٤٨، المنصف لابن جني ١: ٦٠، شرح المفصل ١: ٢٤.

و«سِمُه» أيضاً، ذَكرهُ أبو زَيدٍ[١] وَغيره[٢].

وقيل: إنَّه مشتقٌ من «وَسَمْتُ» وذلك غَلطٌ؛ لأنّ ما حذف فاء الفعلِ منهُ لا تَدخلُه ألف الوصلِ: نحو عِدَةٌ ووَعْدٌ، وزِنَةٌ ووَزْنٌ، لمّا حذفت الفاءُ لم تَدخلْ عليهِ الألف. وأيضاً كان يجبُ إذا صُغِّر أنْ ترد الواوُ فيُقالُ: وُسَيْم، كما يقال وُعَيْدة ووُزَيْنة ووصُيْلَة في تصغير عدة وزنة وصلة. والأمر بخلافه[٣].

﴿اللَّه﴾:

حُكيَ عن ابن كَيسان[٤] أنّه قال: إنَّه لقبٌ فلذلكَ بدأَ به واتبع

---

(١) أبو زيد الأنصاريّ، سعيد بن أوس بن ثابت، إمام في الأدب، اختص باللغة والنوادر والغريب، له مؤلّفات كثيرة، منها: نوادر اللّغة، القوس والترس، الإبل، خلق الإنسان وغيرها. توفي عام ٢١٦ هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ٩: ٤٩٤ ت ١٨٦، ومصادره، طبقات المفسِّرين ١: ١٨٦ ت١٧٩، إنباه الرواة ٢: ٣٠ ت ٢٦٩.

(٢) انظر: نوادر اللّغة: ٤٦٢، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٦٧، معاني القرآن للزجّاج ١: ٤٠، العين ٧: ٣١٨، تهذيب اللّغة ١٣: ١١٧، الأمالي للقالي ٢: ٦٦، الانصاف ١: ٦ مسألة ١، التنبيهات لابن حمزة: ٣٤٠، المتبع في شرح اللمع ١: ١١٩.

(٣) للاستزادة في الاطلاع علىٰ الاشتقاق انظر: العين ٧: ٣١٨، تهذيب اللّغة ١٣: ١١٧، لسان العرب ١٤: ٤٠١، «سما» فيها، التنبيهات لابن حمزة: ٣٤٠، المتبع في شرح اللمع ١: ١١٨، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٢٥٥، المنصف ١: ٦٠، الإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٦ مسألة ١، الصاحبيّ: ٩٩. المخصّص ٧: ٧٤٦.

(٤) ابن كيسان، محمّد بن أحمد بن كيسان، أبو الحسن النحويّ، من الموصوفين بالفهم والعلم، له اطلاع واسع علىٰ مذهب البصريين والكوفيين في النحو، ولم يتعصب لأحدهما مع أنّه أخذ من ثعلب والمبرّد. له: المهذّب، الحقائق، غريب الحديث. توفّي عام: ٢٩٩ هـ.

ﮰ

بالرحمٰن ؛ لأنّه يختصُّه ، ثمّ بالرحيم ؛ لأنّه يُشارِكُه فيه غيره .

والصحيحُ : إنّه ليس بلقبٍ ؛ لأنّ اللقبَ إنّما يجوزُ علىٰ منْ تجوزُ عليه الغَيْبةُ والحضورُ ، وهما لا يَجوزانِ عليه . ولأنّه يُمكنُ وَصفُهُ بصفةٍ لا يُشارِكُه فيها غَيْره . ولا معنىً للّقب ؛ لأنّه عيب .

والصحيح : إنّه اسمٌ مقيّدٌ لكنّه لا يُطلقُ إلّا عَليهِ تعالىٰ .

وقِيلَ في مَعْناه قولانِ :

أحدُهما : أنّ أصْلَه «لاهٌ» كما قال الشاعر :

كَحَلْفَةٍ مِنْ أبي رَياحِ ... يَسْمَعُها لاهُهُ الكِبارُ[1] [٢٣]

فأدخل عليه الألف واللام .

والثاني : إنّ أصلهُ «إلٰهٌ» فَأُدْخلتْ عليه الألفُ واللّام ، ثمّ خُفِّفَتْ الهَمزةُ ، وأُدْغمتْ إحدىٰ اللّامين في الأُخرىٰ فقيل : اللّه[2] .

☜ راجع : سيَر أعلام النبلاء ١٦ : ٣٢٩ ت ٢٣٨ ضمن ترجمة ولده ، وإنباه الرواة ٣ : ٥٧ ت ٥٨٦ ، ومصادرهما .

(١) للأعشىٰ الكبير ، ميمون بن قيس ، الديوان ٣٣٣ برقم ٥٣ .

أبو رياح: اسم رجل من بني ضُبَيْعة كان حلف علىٰ أمرٍ. لاهه: إلٰهه. الكُبّار: العظيم.

والشاهد فيه : قوله «لاهه» .

البيت من مخلّع البسيط و(الكُبّار) تخرجه عنه ، فلعلّها (الكِبارُ) التي يستقيم معها البيت وزناً .

وقد اختلف في ضبط البيت وروايته خصوصاً المصرع الثاني .

انظر : خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ٢٦٦ ش ١٢٥ .

(٢) البحث متشعب طويل للاستزادة انظر : التوحيد : ١٩٥ ح٥ ، شأن الدعاء للحافظ الخطّابيّ ٣٠ ت١ ، تفسير أسماء اللّه الحسنى للزجّاج : ٢٥ ، العجالة في تفسير الجلالة (ضمن مجلة مجمع اللّغة العربية / دمشق) ج٢ م ٧٢ ، للخجنديّ ، الدر ☜

و«إلٰهٌ» معناه: أنَهُ يحق له العبادة، وإنّما يحقُّ له العبادة؛ لأنّه قادرٌ علىٰ خلقِ الأجسامِ وإحيائِها، والإنعامِ عَلَيْها بما يَستحقُّ بهِ العبادةَ، ولذلك يُوصفُ فيما لم يزلْ بأنّه «إلٰه».

ولا يجوزُ أنْ يكونَ إلٰهاً للأعراضِ، ولا للجوهرِ؛ لاستحالة أنْ يُنعم عليهما بما يَستحقُّ بهِ العبادةَ.

وهو إلٰهُ للأجسامِ: حيوانِها، وجمادِها؛ لأنّه قادرٌ أنْ يُنعمَ علىٰ كلِّ جسم بما معه يَستَحِقُّ العبادةَ.

وليس الإلٰه منْ يَستحقُّ العبادةَ؛ لأنّه لو كان كذلك لما وُصفَ فيما لمْ يزلْ بأنّه إلٰه؛ لأنّه لم يفعلِ الإنعام الذي يستحقُّ به العبادة.

ومَنْ قال: إنّه ليس بإله للجَماد، فقدْ أخطأ؛ لما قلناه: من أنّه عبارةٌ عَمّنْ تحق له العبادة، وهو أنّه قادر علىٰ أُصول النِّعم التي يَستحقُّ بها العبادةَ، دونَ أنْ يكُونَ عبارةً عمّن يَستحقُّ العبادةَ.

ولا يجوز أنْ يُوصفَ بهذهِ الصفة غيرُ اللّٰه.

وفي الناس منْ قال: إنّهُ مشتقٌ من الوَلَه؛ لأنّ الخلقَ يألهون إليه، أي: يفزعونَ إليه في أُمورِهمْ، فقيلَ للمألُوهِ: إلٰهٌ، كما قيل مُؤْتَمٍّ به: إمامٌ.

وقالَ بعضُهمْ: هو مشتقٌ من الوَلْهانْ. وهذا غلط؛ لأنّ الوَلْهانَ: الهَيْمان، وذلكَ لا يَجوزُ في صفاتِ اللّٰه تعالىٰ، علىٰ أنّ التصريفَ بِلزومِ الهمزةِ يَشهدُ بفسادِ هذا علىٰ ما قاله آخرون.

↵ المصون في علوم الكتاب المكنون ١: ٥٦، مشكل إعراب القرآن ١: ٧، خزانة الأدب للبغدادي ٢: ٢٦٦ ش ١٢٥، ١٠: ٣٥٥ ش ٨٦٤، شرح الرضيّ علىٰ الكافية ١: ٣٨١، المخصّص ٧: ٧٤٧، وانظر: شرح الاربعين للقاضي سعيد القميّ: ٥٤ ح١، مفاهيم القرآن للشيخ السبحانيّ ٦: ١١٠.

وقالَ قومٌ : هوَ مشتقٌ من الألوهيةِ ، التي هي العبادة . يُقالُ : فُلانٌ يتألَّه ، أي : يتعبّد ؛ قال رؤبة[1] :

لِلهِ دَرّ الغانياتِ المُدَّهِ

لمّا رأين حليي المموّه

سَبَّحنَ واسْتَرجَعْنَ مِنْ تَألُّهي[2] [٢٤]

أي : منْ تَعبُّدي . وقَرأ ابنُ عَبّاس (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)[3] ، يَعني : عِبادَتَكَ[4] . ويُقالُ : أَلَهَ اللهَ فُلانٌ إلاهَةً ، كما يُقالُ : عَبَدَه عِبادةً .

---

(١) رُؤْبَة بن العجّاج بن رؤبة البصريّ التميميّ ، أبو العجّاج ، أحد رجّاز الإسلام الشهيرين عاصر الدولتين ، له باع في اللّغة ، حتىٰ قال الخليل بن أحمد عند موته : دفنّا الشعر واللّغة والفصاحة . وأبوه مثله في الرجز ، لهما ديوان مشهور . مات في حكومة المنصور العباسيّ ، عام : ١٤٥ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٣ ت ٢٣٨ ، الأغاني ٢٠ : ٣٤٥ ، الشعر والشعراء ٢ : ٥٩٤ ت ١٠٨ .

(٢) الديوان : ١٦٥ ، ضمن مقطوعة يصف بها نفسه .

والملاحظ أنّ الشطر الثاني زيادة من نسخ كتابنا لا أثر له في الديوان المطبوع .

والمَدْهُ: المدح، ويختص بصفة الجمال والهيئة، وقيل: حضورياً. والمدح عام، وللغيبة.

انظر : العين ٤ : ٣٢ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٢٣٠ ، تثقيف اللسان : ٣٤٧ ، لسان العرب ١٣ : ٥٤٠ ، «مَده» فيها . والمُدَّهِ : المادحات .

والشاهد فيه قوله : تألّهي ، حيث هو بمعنىٰ تعبّدي وكما ذكر المصنّف ﷺ .

انظر : العين ٤ : ٩٠ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٤٢٢ ، معجم مقاييس اللّغة ١ : ١٢٧ ، لسان العرب ١٣ : ٤٦٩ ، «أله» في الجميع .

(٣) إشارة إلىٰ الآية ١٢٧ من سورة الأعراف ٧ ، وما في نسختي «ؤ ، هـ» : وإلّهتك ، بالتشديد لم نجد له مؤيداً ، ولعله من السهو .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٣٩١ ، مختصر في شواذّ القرآن : ٥٠ ، المحتسب لابن

جنّي

وقيل: إنّه مُشتقٌّ من الارتِفاعِ، يقولُ العربُ للشيءِ المرتفع: لاه، ويقولون: طَلَعَتْ لاهةٌ، أي: الشمسُ؛ وغربت أيضاً.

وقيل: وُصِفَ به تعالىٰ؛ لأنّه لا تُدرِكُه الأبصارُ.

ومعنىٰ لاهَ[1]: أي احْتَجَبَ عنّا.

قال الشاعر:

لاهِ ربّي عَنِ الخَلائِقِ طُراً ... خالِقُ الخَلْقِ لا يُرىٰ وَيَرانا[2] [٢٥]

وقيل: سُمّيَ اللّه؛ لأنّه يُولِّهُ قلوب العباد بِحُبهِ[3].

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

هما: اسمانِ مُشْتقّانِ من الرّحْمة، وهي: النِّعْمةُ «التي يُستحقُّ بها العبادة، وهُما»[4] مَوْضُوعانِ للمُبالَغَة.

وفي رَحمانَ خاصةً مُبالغة يختصُّ اللهُ بها، وقيل: إنّ تلكَ المزيّةَ منْ حيثُ فِعْلُ النِعمةِ التي يَستَحِقُّ بها العبادةَ، ولا يُشارِكُهُ في هذا المعنىٰ سِواه.

والأصل في باب فَعَلَ يَفْعَلُ، وَفعِلَ يفْعَلُ: أنْ يكونَ اسمُ الفاعلِ منهُ فاعلاً، فانْ أرادوا المبالغةَ حَملوا علىٰ (فَعْلان وفَعيل)، كما قالوا: غَضِبَ فهو غَضْبان، وسَكِرَ فهو سَكْران، إذا امتَلأ غَضَباً وسُكْراً. وكذلك قالوا:

جنّي ١: ٢٥٦، التبيان في إعراب القرآن ١: ٥٨٩، شواذّ القراءات للكرماني: ١٩٢، معالم التنزيل ٢: ٥٢٤، الأسماء والصفات: ١٨ ولاحظ مصادر الهامش ٢ صفحة ٨٥.

(١) من قوله: ومعنىٰ ولاه، ساقط من النسخة «خ».

(٢) لم نجد من استشهد به إلّا السمرقنديّ في بحر العلوم ١: ٧٦ ومن دون نسبة. والشاهد فيه قوله: «لاه» فإنّها بمعنىٰ احتجب.

(٣) للمعاني المذكورة انظر: صفحة ٨٥ هامش ٢.

(٤) الجملة المحصورة ساقطة من «خ» والسياق يستدعي الاثبات اضافة لباقي النسخ.

رَحِمَ فهو رَحْمان، وخَصّوهُ به تعالىٰ لما قلناه. وكذلك قالوا: عَلِمَ فهو عَليم، ورَحِم فهو رحيم.

وعلىٰ هذا الوجه لا يكونان للتكرار، كقولهم: نَدْمان ونَدِيم؛ بل التزايدُ فيهِ حاصلٌ والاخْتصاصُ فيه بيِّن[١].

وقيل في معنىٰ الرّحيم: لا يكلِّف عبادَهُ جميعَ ما يطيقون، فإنّ الملك لا يوصف بأنّه رحيم إذا كلَّف عبيدَهُ جميع ما يطيقونَهُ. ذكره أبو الليث[٢] [٣][٤].

وإنّما قدّمَ (الرحمٰنَ) علىٰ (الرحيم)؛ لأنّ وَصْفَهُ بالرحمٰن بمنزلةِ الاسم العَلَم، من حَيثُ لا يُوصَفُ به إلّا اللّه تعالىٰ، فصار بذلكَ كاسم العَلم في أنّهُ يجبُ تقديمه علىٰ صِفَته، وورد الأثر بذلك، روىٰ أبو سعيد الخدريّ[٥] عن النّبيﷺ: (أنّ عيسىٰ بن مريم قال: الرحمٰنُ: رحمانُ

---

(١) ردّ علىٰ أبي عُبيدة في مجاز القرآن ١: ٢١، وعلى الرّماني انظر: سعد السعود: ٤٨٧ ت ١٦١، عن تفسيره المفقود، حيث ذهبا الى ذلك.

(٢) أبو الليث السمرقنديّ، نصر بن محمّد بن إبراهيم التُّوَّزيّ البَلْخيّ الحنفيّ، فقيه مفسِّر مشارك، له مؤلّفات منها: بحر العلوم، خزانة الفقه، تنبيه الغافلين وغيرها. مات سنة: ٣٩٣ هـ.

انظر: الجواهر المضيئة ٣: ٥٤٤ ت ١٧٤٣، طبقات الداوديّ ٢: ٣٤٦ ت ٦٥٨، ومقدمة التفسير.

(٣) بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ٧٧.

(٤) الجملة من «وقيل في» ساقطة من النسخة ج.

(٥) أبو سعيد الخدريّ، سعد بن مالك بن سنان، اشتهر بكنيته ولقبه حتىٰ عفىٰ علىٰ اسمه، صحابيّ جليل، من أوائل من رجع إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، وممّن مضوا ←

الدُنيا، والرّحيم: رحيمُ الآخرة)[١].

ورُوي عن بعضِ التابعين، أنّه قال: الرحمٰنُ بجميع الخلق، والرحيمُ بالمؤمنين خاصّة[٢].

ووجهُ عموم «الرحمٰن» بجميع الخلق هو: إنشاؤه إيّاهم، وجَعْلُهمْ أحياء قادرين، وخَلْقُه فِيهم الشّهواتِ، وتمكينُهم من المشتَهيات، وتَعرِيضُهمْ بالتّكليفِ؛ لعظيم الثوابِ.

ووجهُ خصوصِ «الرحيم» بالمؤمنين: ما فَعلَ اللهُ تعالىٰ بهمْ في الدُنيا منَ الألطافِ التي لم يَفعلها للكفّار، وما يَفْعَلُه بِهم في الآخِرَةِ منْ عظيمِ الثواب، فهذا وجه الاختصاص.

وحُكي عن عطاء[٣] أنّه قال: «الرحمٰنُ» كان يختَصّ اللّه تعالىٰ به،

علىٰ منهاج نبيهم ﷺ ولم يغيّروا، شهد الخندق، وبيعة الرضوان وما بعدها. مات عام ٧٤ هـ.

ترجمته في: تنقيح المقال ٢: ١٠ ت ٤٦٣٩، ومصادره، الوافي بالوفيات ١٥: ١٤٨ ت ٢٠٠، سيَر أعلام النبلاء ٣: ١٦٨ ت ٢٨، ومصادره.

(١) حلية الأولياء ٧: ٢٥١، الكامل لابن عديّ ١: ٢٩٩، المجروحين لابن حِبّان ١: ١٢٦، الدر المنثور ١: ٢٣، الكليّات لأبي البقاء: ٤٦٧.

(٢) نسب إلىٰ: العرزميّ في جامع البيان ١: ٤٣، معاني القرآن للنحّاس ١: ٥٤، وللضحّاك في تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٨ ت ٢٠، وانظر: التوحيد: ٢٠٣ مقطع من حديث ٥، الدر المنثور ١: ٢٤.

(٣) عطاء بن أبي مسلم، أبو أيوب الخراسانيّ، السمرقنديّ، مولىٰ المهَلّب بن أبي صُفرة، كثير الإرسال، وفي سماعه عن بعض من يروي خلاف، اختلف في وثاقته، سكن دمشق وبيت المقدس. توفي بأريحا ودفن ببيت المقدس عام: ١٣٥هـ.

انظر: تاريخ دمشق ٤٠: ٤١٦ ت ٤٧٠٨، سيَر أعلام النبلاء ٦: ١٤٠ ت ٥٢، تهذيب الكمال ٢٠: ١٠٦ ت ٣٤١، ومصادرهما.

فلمّا تَسمّىٰ مُسَيْلَمة[١] بذلك صارَ «الرحمٰنُ الرحيمُ» مُخْتصّين بـه تـعالىٰ، ولا يجمعان لأحد[٢].

وهذا الذي ذكَرهُ لَيسَ بصَحِيحٍ؛ لأنّ تَسمِّي مُسَيْلَمَة بذلِكَ لا يُخرِجُ الاسمَ مِنْ أنْ يَكُونَ مُختصّاً به تعالىٰ؛ لأنّ المرادَ بذلك استحقاقُ هذِهِ الصفة وذلِك لا يَثْبُتُ لأحدٍ، كما أنّهم سمّوا أصْنامَهُم آلهة، ولمْ يَخرجْ ذلك منْ أنْ يكونَ الإلٰه يَختصُّ بالوَصْفِ به.

وَقالَ بَعْضُهم: إنّ لفظَةَ «الرحمٰن» لَيستْ عربيّة، وإنّما هـي بـبعْض اللّغات، كقوله تعالىٰ: ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾[٣] فإنّه بالرّومية[٤]، واسْتدَلّ عـلىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِـمَا تَأْمُـرُنَا﴾[٥] إنْكـاراً

---

(١) أبو ثمامة، مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفيّ، المتنبئ الكذّاب، ولد ونشأ في اليمامة في نجد، تلقّب بالرحمٰن، له أسجاع يضاهي بها ـ علىٰ زعمه ـ القرآن، قيل: إنّ اسمه مسلمة وصغّره المسلمون تحقيراً له. يوصف بأنّه: رُوَيجلُ، أُصيغر، أُخينس. قتلَ بعد أن عمّر طويلاً عام: ١٢ هـ.

سيرة ابن هشام موارده متفرقة انظر الفهرست، الأعلام ٧: ٢٢٦، ومصادره، وانظر: أعلام القرآن: ٩٠٦ وفيه حشد من المصادر.

(٢) جامع البيان: ١: ٤٤، الدر المنثور ١: ٢٤، وانظر: المخصّص ٧: ٧٦٤، لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالىٰ والصفات للرازيّ: ٤.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٣٥، سورة الشعراء ٢٦: ١٨٢.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة ١٠: ٤٧١ ح ١٠٠٢٠ و١٠٠٢٢، المعرَّب من الكلام الأعجميّ: ٢٥١، المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب: ١٠٤ ت ٩٧ ناسباً ذلك للفاريابيّ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ١٥٣، الاتقان في علوم القرآن ١: ١٢٥، فتح الباري ٨: ١٢٧، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ١: ٢٦٨، فقه اللّغة وسرّ العربية: ٣١٨.

(٥) سورة الفرقان ٢٥: ٦٠.

مِنْهم لهذا الاسم، حُكي ذلك عن ثعلب[(١)(٢)].

والصحيح أنّه معروف، واشتقاقه من الرحمة علىٰ ما بيّناه[(٣)].

قال الشَّنْفَرىٰ[(٤)]:

ألا ضَـرَبَتْ تِـلْكَ الفَـتاةُ هَـجِينَها   ألا قَضَبَ الرَّحْمٰنُ رَبّـي يَـمينَها[(٥)] [٢٦]

---

(١) والمبرّد أيضاً، وانظر إضافة لما تقدّم في الهامش «٤»: المتوكليّ: ١٢٣، ٩٥، البرهان في علوم القرآن ١: ٢٨٨، المخصّص ٧: ٧٤٦، لوامع البيّنات (شرح أسماء الله الحسنىٰ) للرازيّ: ١٦٤.

(٢) أبو العباس، أحمد بن يحيىٰ الشيباني ـ مولاهم ـ الكوفيّ، اشتهر بين الناس بلقبه ـثعلب ـ حتىٰ درس علىٰ اسمه، نحويّ، لغويّ شهير. له: المصون، اختلاف النحويين، معاني القرآن. مات عام: ٢٩١ هـ.

ترجمته في كثير من المصادر منها: إرشاد الاريب ٥: ١٠٢ ت ٢٧، إنباه الرواة ١: ١٧٣ ت ٨٥، سيَر أعلام النبلاء ١٤: ٥ ت ١، ومصادره.

(٣) تقدّم في صفحة: ٨٨.

(٤) الشَّنْفَرىٰ: قيل: لقب طغى علىٰ اسم صاحبه الذي اختلف فيه أيضاً والاكثر أنّه: ثابت بن أوس الازديّ. شاعر جاهليّ، قحطانيّ، أحد أشدّ العرب عَدْواً حتّىٰ ضرب به المثل فقيل: أعدىٰ من الشنفرىٰ. عدّ في الشعراء اللُّصوص وفتّاكهم، صاحب اللّامية التي اشتهرت بلامية العرب، مطلعها:

أقِيمُوا بَني أُمّي صِدُورَ مَطيِّكُمْ   فإنّي إلىٰ قَوْمٍ سِواكُـمْ لَأَمْـيَلُ

وبها يفخرون. وقد عدّ لها أحد عشر شرحاً. توفي حدود: ٧٠ ق. هـ.

انظر: الأغاني ٢١: ٢٠١ اسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ٢: ٢٣١، الدرة الفاخرة: ٣٠٣ ت ٤٦٣، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٣٤٠ ش ٢٢٦.

(٥) في الديوان لم يرد، وعلىٰ هذه الرواية أورده في جامع البيان ١: ٤٤ والمخصّص ١٧: ١٥٢، ومن دون نسبة، وانظر المقطوعة في الديوان: ٧٨ ق: ٢٠ ب١.

والشاهد فيه: استعمال لفظة الرحمن من قبل شاعر جاهليّ وإرادة الباري جلّ وعلا منه.

وقال سَلَامَةُ بن جَنْدَل[١] السعديّ[٢]:

عَجِلْتُمْ عَلَيْنا قَدْ عَجِلْنا عَلَيْكُمُ وَمَا يَشَا الرَّحْمٰنُ يعقِدْ وَيُطْلِقِ[٣] [٢٧]

وَحُكِيَ عن أبي عُبَيْدة أنّه قال: رحمان: ذو الرحمة، ورحيم معناه أنّه الرّاحم، وكرّر لضرب من التأكيد كما قالوا: ندمان ونديم[٤].

وإنّما قدم اسم الله؛ لأنّه الاسمُ الذي يخْتصُّ به منْ يحقُّ له العبادةَ وذكَر بعدَهُ الصفة، ولأجل ذلك أُعربت بأعرابه، وبدأ بالرحمٰن؛ لِما بيّنا أنّ فيه المبالغة.

وما رُوِيَ عن ابن عبّاس من: إنّهما اسمانِ رَقيقانِ أحُدهما أرَقُّ منْ الآخر. فالرحمٰن: الرقيق، والرحيم: العطّافُ علىٰ عبادهِ بالرّزق[٥].

---

(١) سَلَامَةُ بن جندل بن عمرو التميميّ، شاعر جاهليّ قديم فارس، معاصر لملك الحيرة عمرو بن هند، أي: في القسم الثاني من القرن السادس الميلادي.

انظر: الشعر والشعراء ١: ٢٧٢ ت ٢٤، خزانة الأدب للبغدادي ٤: ٢٧ ش ٢٥٣، شعراء النصرانيّة: ٤٨٦.

(٢) هذا هو الصحيح في نسب الشاعر: إذ هو من سعد بن زيد مناة بن تميم.

وما في النسخ الخطيّة والحروفيات والحجرية ـ من نسبته إلىٰ بني طُهَيّة ـ فلا يمكن المساعدة عليه. وإن كانوا بني أعمام مع الشاعر، إذ الطُّهويون ينتهي نسبهم إلىٰ زيد بن مناة بن تميم أيضاً.

الشعر والشعراء ١: ٢٧٢ ت ٢٤، المفضّليات ٢: ٥٦٥ ت ٢١، الأنساب ٨: ٢٧٨.

(٣) الديوان: ٤٣، باختلاف لا يخلّ بمحل الشاهد إذ الصدر فيه:

عجلتم علينا حِجَّتين عليكم ....

الشاهد فيه: استعمال كلمة الرحمٰن وارادة الخالق منه من قبل شاعر جاهليّ.

المعنىٰ: يذكّر الشاعر اعداءه انهزامهم بفضل الرحمٰن الذي يتدبر الامور. أو قل: باشاءة الرحمٰن تعالىٰ.

(٤) لعله ناظر إلىٰ حكاية أبو جعفر الطبريّ ذلك عنه في تفسيره ١: ٤٥، وانظر: مجاز القرآن ١: ٢١، وانظر صفحة ٨٩ هـ١.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ١٥٢، إعراب ثلاثين سورة من القرآن

ﻟﻪ

محمولٌ علىٰ أنّه يعودُ عليهم بالفَضْلِ بعد الفَضلِ، وبالنّعْمةِ بعد النّعمةِ؛ لأنّه تعالىٰ لا يُوصف بِرِقّة القلب(١).

ودلّت هذه الآيةُ علىٰ التوحيدِ؛ لأنّ وَصْفَه بالرحمٰن يَقْتضي مُبالَغَةً في الوَصْفِ بالرحمة علىٰ وجهٍ يَعمّ جَميعَ الخَلْقِ، وذلك لا يَقْدِرُ عليه غَير اللهِ القادر لِنَفْسه، وذلك لا يكونُ إلّا واحداً؛ ولأنّ وَصْفَهُ بالإلٰهية يفيدُ أنّه تَحقّ له العِبادَةُ، وذلك لا يكونُ إلّا للقادرِ للنفس.

وهي تدلُّ علىٰ العَدْل؛ لأنّ وَصفَهُ بالرحمة التي وَسعتْ كلَّ شيءٍ، يَعمُّ كلَّ محتاج إلىٰ الرحمةِ منْ مُؤمنٍ وكافرٍ وطفلٍ وبالغٍ منْ كلِ حيّ، وذَلَكَ يُبطلُ قولَ المجبّرة، الذين قالوا: ليس لله علىٰ الكافر نعمة.

ولأنّها صفةُ مدح تنافي وصفَه بأنّه يَخلقُ الكُفْرَ في الكافرِ ثمّ يُعذّبه عليه؛ لأنّ هذه صفةَ ذمٍّ.

قوله تعالىٰ:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ آية (٢).

أجمع القُرّاءُ علىٰ ضَمِّ الدالِ من ﴿ٱلحمدُ﴾ وكَسرِ اللام الأُولىٰ من ﴿لِلَّهِ﴾. وكان يجوزُ أنْ تُفتحَ الدالُ مع كسر اللامِ، وتُكْسَرَ الدالُ واللامُ،

لابن خالويه: ١٣، الأسماء والصفات: ٥١، شعب الايمان ٢: ٤٤٧ ت ٣٦٢، كنز العمّال ٢: ٢٩٨ ت ٤٠٥٥، تهذيب اللّغة ٥: ٥٠.

(١) ومن هنا ورد في بعض ألفاظه: إنّهما اسمان رقيقان. حيث إنّ الرقة لا مدخل لها في شيء من صفاته تعالى، وفي الحديث: «إنّ الله رفيق، يحب الرفق، ويعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العنف» لاحظ التوحيد للشيخ الصدوق ٢٠٣ ـ ٢٠٤، صحيح مسلم ٤: ٢٠٠٣ رقم ٢٥٩٣، سنن أبي داود ٤: ٢٥٤ رقم ٤٨٠٧، مسند أحمد ٤: ٨٧، وانظر: شأن الدعاء: ٣٩، الاسماء والصفات: ٥١، تأويلات أهل السنة: ١: ٤.

وتُضَمُ الدالُ واللامُ ، لكن لم يقرأ به إلّا أهْلُ البَوادي .

ومنْ نَصَب فعلىٰ المصدرِ، ومنْ كَسَرهما أتبع كسرةَ الدالِ كَسْرَةَ اللام، ومنْ ضَمّهما أتبع ضَمَّةَ اللامِ بِضمّةِ الدالِ[١] .

ونصبُ الدال لغةٌ في قريشٍ ، والحارثُ بن سامة بن لؤي .

وكَسْرُها لغةٌ في تميم وغطفان .

وضمُّها لغةٌ في ربيعةَ توهّموا أنّه حرفٌ واحدٌ ، مثل الحُلُم[٢] .

وقوله : ﴿ لِلَّهِ ﴾ :

مخفوضٌ بالإضافة .

و : ﴿ رَبِّ ﴾ :

مخفوضٌ ؛ لأنّه نعتٌ ، ويجوزُ نصبُه علىٰ الحال والنداءِ ، وما قرئ به .

و : ﴿ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ :

مخفوض بالإضافة ونونها مفتوحة ؛ لأنّها نون الجمع فَرقاً بَينها وبينَ نونُ التثنية .

وبعضُ قيس يحذفُ الألف التي قبلَ الهاء ويختلس الهاء ويشدّدها ويقصرها . أنشد بعضهم :

---

(١) لجميعها انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٤٥، إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ١: ٣٨٠، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٦٩، إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٨، المحتسب ١: ٣٨، مختصر في شواذ القرآن: ٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ٥، املاء ما منّ به الرحمٰن: ٥، إعراب القراءات الشواذ ١: ٨٧، ولاحظ تهذيب اللغة ٤: ٤٣٤ «حَمَدَ»، معجم القراءات القرآنية ١: ٥ ـ ٦، المدخل لعلم التفسير للحداديّ السمرقنديّ : ٥٣ ـ ٥٤ و٥٨، الأشباه والنظائر ١: ١٧ وما بعدها .

(٢) انظر مصادر الهامش السابق .

ألا لا بـارِكَ اللهْ فـي سـهيل ... إذا ما اللهُ باركَ في الرِّجالِ[1] [٢٨]

اختلس الأُولىٰ وأشبع الثانية . ولا يقرأ بهذا .

ومعنىٰ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ :

الشكرُ لله خالصاً دُونَ سائر ما يُعبد ، بما أَنْعمَ علىٰ عِبادِهِ مِنْ ضُروبِ النِّعمِ الدينيّةِ والدُّنيويةِ .

وقال بَعضُهم : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناءٌ عليهِ بأسمائه وصِفاتِه . وقوله : الشكرُ لله ، ثناءٌ علىٰ نِعَمهِ وأياديهِ .

والأَوّلُ أصحُّ في اللّغة ؛ لأنّ الحمدَ والشُّكرَ يُوضَعُ كلُّ واحدٍ مِنْهما مَوْضِع صاحِبهِ .

ويُقالُ أيضاً : الحمدُ لله شُكراً ، فَينَصب (شُكْراً) على المصدر ، ولو لم يَكنْ في مَعْناهُ لما نَصَبَه .

ودخولُ الألفِ واللّام فيه لفائدة الاستيعاب ، فكأنّه قال : جميعُ الحمدِ لله ؛ لأنّ التّالي مخبرٌ بذلك . ولوْ نَصبَهُ فقال : حَمْداً لله ، أفاد أنّ

---

(١) استشهد به جمع من دون نسبة منهم : ابن جنّي في المحتسب ١ : ١٨١ ، الخصائص ٣ : ١٣٤ ، وسرّ صناعة الإعراب ٢ : ٧٢١ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني : ٣٤١ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ ١ : ٣٣٢ ، وضرائر الشعر : ١٣١ ، خزانة الأدب للبغدادي ١٠ : ٣٤١ و٣٥٥ ت ٨٦٤ ، لسان العرب ١٣ : ٤٧١ ، تاج العروس ٩ : ٣٧٥ ، «أله» فيهما ، هذا والشطر الثاني في المخطوطات : إذا ما بارك الله في الرجال ، والمثبت علىٰ طبق إجماع المصادر المذكورة .

والشاهد فيه : الاختلاس «القصر» في لفظ الجلالة الأوّل إذ أصله : «أل لَ ا ه» فيحذف الألف قبل الهاء خطاً ، ويبقيها نطقاً ، ويفخّم اللّام ، ويختلس الهاء بمعنىٰ انّه لا يظهرها لفظاً فتكون: (اللّ) علىٰ عكس ما صنع في لفظ الجلالة الثاني.

القائِلَ هو الحامد فحسْب، وليسَ ذلكَ المراد، ولذلك أجمعت القرّاءُ علىٰ ضمِّ الدالِ علىٰ ما بيّناه[١]، والتقديرُ: قولوا الحمدُ لله.

وإذا كانَ الحمدُ هو الشكر، والشكرُ هو الاعتراف بالنِّعْمةِ مع ضَربٍ من التعظيم، والمدحُ ليسَ من الشُّكْرِ في شيءٍ، وإنّما هو: القولُ المنبىءُ عن عِظَمِ حالِ الممدوحِ مع القَصْدِ إليه.

﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: فأمّا «الربّ» فله معانٍ في اللّغة:

فيُسمّىٰ السيّد المطاعُ: ربّاً، قال لَبِيد بن ربيعة:

وأهْـلَكْنَ يَـوْماً رَبَّ كِنْدَةَ وابْـنَهُ   وَرَبَّ مَعَدٍّ، بَينَ خَبْتٍ وعَـرْعَرِ[٢] [٢٩]

يعني سيّد كندة.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْراً﴾[٣] يعني سيّده.

ويسمّىٰ الرجل المصلح: ربّاً، قال الفَرَزدق بن غالب[٤]:

---

(١) انظر ما تقدم في صفحة ٩٥ الهامش ١.

(٢) الديوان بشرح الطوسيّ: ٥٥.

ربَّ كندة: سيدها حِجْر. وابنه: امرئ القيس. ربَّ مَعدٍّ: سيدها حُذيفَةُ بن بدر. خبتٍ: الأرض المستوية، ولعلّه اسم موضع. عرعر: اسم بلد.

والشاهد فيه: استعمال «ربّ» بمعنىٰ السيّد المطاع في الموضعين.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٤١.

(٤) الفرزدق، أبو فراس هَمَّام بن غالب بن صعصعة الدارميّ التميميّ، من أشرافها ولعلّه أشرفها. اشتهر بلقبه حتىٰ عفىٰ علىٰ اسمه، من أبرز شعراء العصر الأمويّ، صاحب الميميّة المشهورة وبها كفىٰ له فخراً وشفيعاً والتي يقول فيها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحلّ والحرم

أنشدها بين يدي هشام بن عبدالملك أيام حكومته في قصة معروفة مشهورة ↵

كـانُوا كَسـالِئَةٍ حَـمْقاءَ إذْ حَـقَنَتْ   سِلاءَها في أدِيـمٍ غَـيرِ مَـرْبُوبِ[1] [٣٠]

يعني: غيرُ مُصْلَحٍ. ومنه قيل: فلان يَرَبُّ ضيعته، إذا كـانَ يُـحاولُ إتمامَها. و﴿ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ ﴾[2] من هذا من حيث كانوا مدّبرين لهم.

واشتقّ رَبّ من التّربية، يقال: رَبَّبْتُهُ و رَبَيَّتُهُ بمعنى واحد.

والرُّبّىٰ: الشاةُ التي وَلدتْ حديثاً؛ لأنّها تُرَبّي.

وقوله: ﴿ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾:

أي: المالِكُ لتدبيرِهم. والمالِكُ للشيء يُسمّىٰ رَبَّه.

ولا يُطلق هذا الاسم إلّا علىٰ الله تعالىٰ، فأمّا في غيره فيقيّد، فيقال: ربُّ الدارِ، وربُّ الضيعةِ.

مادحاً الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين السجاد عليه السلام.

قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ونصف أخبار الناس. ومهاجاته لجرير مشهورة معروفة. توفّي عام: ١١٤ هـ، وقيل غير ذلك.

له ترجمة في: روضات الجنات ٦: ٥ ت ٥٥١، أعيان الشيعة ١٠: ٢٦٧، وفيات الأعيان ٦: ٨٦ ت ٧٨٤، الأغاني ٢١: ٢٧٦، معجم الادباء ١٩: ٢٩٧ ت ١١٧، الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٤٠٩ ت ٣٣٠.

(١) الديوان ١: ٢٤، من قصيدة يمدح فيها عبدالملك بن مروان.

والشاهد فيه: ما أفاده الشيخ المصنّف قدس سره.

السلاء: السمن والدهن. السالئة: التي تصفّي الدهن من الشوائب. حقنت: وضعت. سلاءها: سمنها. أديم: الجلد، أو القربة منه. المربوب: المُصْلَح بالربّ فإنّه لا يفسد الدهن.

وانظر المصادر الآتية في الهامش ١ صفحة ٩٩.

(٢) إشارة إلىٰ الآيات: ٤٤، ٦٣ من سورة المائدة: ٥.

وقيل: إنّه مُشْتقٌّ من التَّرْبِيَةِ[١]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾[٢].

ومتىٰ قيل في الله: إنّه ربٌّ بمعنى أنّه سيّد، فهو من صفات ذاته.

وإذا قيل: بمعنىٰ أنّه مُدَبِّر مُصلِحٌ، فهو منْ صِفاتِ الأفعال.

و: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾:

جمعُ عالَم، وعالَم جَمعٌ لا واحدَ له من لفظه، كـالرَّهْطِ والجـيْش وغير ذلـك.

والعالَم في عُرفِ اللّغةِ: عـبارةٌ عـن الجَـماعةِ مـنَ العُـقَلاءِ؛ لأنّـهم يقولون: جاءني عالَمٌ منَ الناس، ولايقُولُونَ: جاءني عالَمٌ منَ البقر.

وفي عرفِ الناس: عبارة عن جميع المخلوقات[٣].

---

(١) للتوسعة والاستزادة في لغة واشتقاق «رب» انظر: التوحيد: ٢٠٣ مقطع من حديث ٥، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ٥٧٥، تهذيب اللّغة ١٥: ١٧٧ ـ ١٨٤، المحيط في اللّغة ١٠: ٢١١، المخصّص ٧: ٧٦٧، الصحاح ١: ١٣٠، لسان العرب ١: ٣٩٩ وما بعدها، الأضداد للسجستانيّ ـ ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ـ: ١٢٠، والأضداد للتوّزيّ ـ ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد ـ: ٩٤، الأضداد في كلام العرب للحلبيّ ١: ٣١٠.

(٢) سورة النساء ٤: ٢٣. وانظر اضافة لمصادر الهامش المتقدم: المفردات: ٣٣٦ «رب»، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ٢٨٦، المثلّث لابن السيّد البطليوسيّ ٢: ٥٩ ت ٢٨، الأضداد لابن الأنباريّ: ١٤٢ ت ٨٥، الكلّيات لأبي البقاء: ٤٦٦، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٧١، عمدة الحفاظ ٢: ٥٩.

(٣) للاطّلاع والتوسعة حول مادّة «علم» في كتب اللّغة انظر: تهذيب اللّغة ٢: ٤١٥، لسان العرب ١٢: ٤٢٠، تاج العروس ١٧: ٤٩٥ بتفصيل فيها. والعين ٢: ١٥٣، الصحاح ٥: ١٩٩١ معجم مقاييس اللّغة ٤: ١١٠، القاموس ٤: ١٥٣.

وقيل: إنّه ـ أيضاً ـ اسمٌ لكلِّ صنفٍ منَ الأصنافِ، وأَهلُ كلِّ قرن منْ كلِّ صنفٍ يُسمّىٰ عالَماً، ولذلك جُمِعَ وقيل: عالَمون لعالَمِ كلِّ زمانٍ. قال العجّاج[1]:

[٣١] فَخِنْدِفٌ هامَةُ هذا العَأْلَمِ[2]

وهذا قولُ أكثرُ المفسّرين كابن عبّاس، وسعيدِ بن جُبير، وقَتادةِ وغيرهم[3].

ومن كتب إعراب وغريب القرآن: معاني الزجّاج ١: ٤٦، غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٨، وغريب القرآن لليزيديّ: ٦١، وغريب القرآن للطريحيّ: ٥١٣.

(١) العجّاج، لقب ابو الشعثاء عبدالله الطويل بن رؤبة بن لبيد التميميّ، شاعر إسلاميّ راجز مجيد اشتهر بلقبه حتّىٰ عفىٰ علىٰ اسمه بسبب بيت قاله هو:

أوْ يَبْتَغوا إلى السّماء دَرَجاً   حتّىٰ يَعِجَ ثَخَنَنّاً من عَجْعَجا

روىٰ عن جمع، وعنه كذلك وولده رؤبه، عدّ من المعمّرين. توفي أيّام حكومة الوليد بن عبدالملك الأُمويّ.

له ترجمة في: تاريخ مدينة دمشق ٢٨: ١٢٨ ت ٣٢٩٤، الإصابة ٥: ٩١ ت ٦٣١٢، الأغاني ٢٠: ٣٤٥.

(٢) البيت ٨٨ من أرجوزة طويلة برقم ٢٤ مطلعها

يَا دارَ سَلْمَىٰ يا أسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

والشاهد فيه: إطلاق لفظ العالم وإرادة عالم زمانه.

والخِنْدِفُ: لقب أطلق علىٰ ليلى بنت حلوان زوجة اياس بن مضر حيث كانت تسير الخَنْدَفَةِ ـ نوع مشي إلىٰ التبختر قريب ـ ومهما اطلق اريد به أبناءها عمر ومدركه وعامر.

انظر: الديوان ١: ٤٦٢، وانظر لضبط كلمة «العألم» بقلب الالف همزة: سرّ صناعة الإعراب ١: ٩٠، شرح شافية ابن الحاجب للرضيّ الاسترآباديّ ٣: ٢٠٥ ت ١٦١، والمفصل للزمخشريّ: ٣٦١، وشرحه لابن يعيش ١٠: ١٢، إعراب القراءآت الشاذة ١: ٩٠ وغيرها كثير.

وراجع للنسب: الانساب للسمعانيّ ٥: ١٩٠، وجمهرة النسب للكلبيّ: ٢٠.

(٣) أُشير إليه في النكت والعيون ١: ٥٤، جامع البيان ١: ٤٨، الجامع لاحكام القرآن ١: ١٣٨ المسألة ١١، زاد المسير ١: ١٢، وانظر المجموع للنووي ٣: ٣١٦ ـ ٣١٧.

واشتقاقه من العلامَةِ؛ لأنّه عَلامَةٌ ودلالةٌ على الصانع تعالىٰ.

وقيل: إنّه مُشْتَقٌّ من العلم، علىٰ ما رَوىٰ ابنُ عبّاس قال: هم صنفٌ من الملائكةِ، الجنُّ والإنس؛ لأنّه يصحّ[1] أن يكون كلّ صنف منهم عالماً[2].

فإن قيل: كيفَ يَجوزُ أنْ يقول: الحمدُ للهِ، والقائلُ هوَ الله تعالىٰ وإنّما كان يجبُ أن يقول: الحمدُ لنا؟

قيل: العالي الرُّتْبةِ إذا خاطَبَ مَن دونَه لا يقولُ كما يقولُ النظير للنظير. ألا ترىٰ أنّ السيّد يقولُ لعبده: الواجبُ أنْ تُطِيعَ سَيِّدَك ولا تعصيه، وكذلِكَ يَقُولُ الأَبُ لابْنِهِ: يَلْزَمُكَ أَنْ تَبرَّ أَباكَ والمِنَّةُ لأَبِيكَ. والخُلفاءُ يَكْتُبونَ عن أنفسهم: إنّ أَميرَ المؤمِنينَ رَأىٰ كَيت وَكَيت؛ لِيَقعَ ذلِكَ مَوقِعَ إجلالٍ وإكرامٍ وإعظامٍ. علىٰ أنّا قدْ بيّنا أنّ المرادَ بذلكَ: قولوا الحَمْدُ لله، وحُذفَ لِدلالةِ الكَلامِ عَليهِ[3].

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية ﴿٣﴾.

هما: مخفوضان؛ لأنّهما نعت لله.

وقد مضىٰ معناهما[4].

قوله تعالىٰ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ آية ﴿٤﴾.

---

(١) في نسختي «خ، س» زيادة: لا، فتكون العبارة: لا يصلح، وفي باقي النسخ من دون «لا» وهو الصحيح. وانظر ما تقدم في: ٩٩ هـ ٣ من مصادر.

(٢) انظر الهامش ٣، صفحة ٩٩.

(٣) تقدم في صفحة: ٩٦.

(٤) مضىٰ في صفحة: ٨٨، في البسملة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٤٣، إعراب ثلاثين سورة: ١٢.

قرأ عاصِمٌ[(١)] والكِسائِيُّ[(٢)] وخَلَفُ ويَعْقوبُ: ﴿مالِكِ﴾ بألف. الباقون ﴿مَلِكِ﴾ بغير ألف؛ ولم يُمِلْ أحدٌ ألف ﴿مالك﴾؛ وَكَسرَ جَميعُهمُ الكافَ[(٣)]. ورُويَ عن الأعْمَش[(٤)] أنه فَتَحَها علىٰ النداء[(٥)].

---

(١) عاصم بن بهدلة ـ أبو النجود ـ الكوفيّ الاسديّ ـ مولاهم ـ الحنّاط، تابعيّ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة كان في النحو ضِلّيعاً. توفّي عام: ١٢٧ هـ.

غاية النهاية ١: ٣٤٦ ت ١٤٩٦، سيَر أعلام النبلاء ٥: ٢٥٦ ت ١١٩.

(٢) عليّ بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسديّ، اشتهر بلقبه الكِسائيّ حتّىٰ غمض علىٰ اسمه، لحقه من كساء أحرم به، عالم نحويّ متبحّر في اللغات والغريب، أخذ عن الإمام الصادقعليه السلام، انتهت إليه رئاسة الاقراء في الكوفة بعد الزيّات، له: قراءة تخيّرها، وله: معاني القرآن، النوادر، والحروف وغيرها. توفّي عام: ١٨٩ هـ، بأرنبُويه من قرىٰ الرّي.

انظر: غاية النهاية ١: ٥٣٥ ت ٢٢١٢، سيَر أعلام النبلاء ٩: ١٣١ ت ٤٤، طبقات القرّاء ١: ١٤٩ ت ٦٥.

(٣) سنن الترمذيّ ٥: ١٨٥ ت٢٩٢٧ و٢٩٢٨، المعجم الكبير ١٠: ١١٧ ت ١٠٦٧، المستدرك للحاكم ٢: ٢٣٢، السبعة في القراءآت: ١٠٤ إعراب القراءات السبع وعللها ١: ٤٧، الحجة للقرّاء السبعة ١: ٨، حجة القراءات: ٧٧، التذكرة في القراءات ١: ٨٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٥، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٠٠، غاية الاختصار في قراءات العشر أئمة الأمصار ٢: ٤٠٣.

وانظر: الحجة في القراءات السبع: ٦٢، مختصر في شواذّ القرآن: ٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ٦، إعراب القراءات الشواذّ ١: ٩١، تهذيب اللّغة ١٠: ٢٦٨، لسان العرب ١٠: ٤٩١ «ملك».

(٤) سُليمان بن مِهْران الأعمش، أبو محمّد الأسديّ الكاهليّ ـ مولاهم ـ الكوفيّ، أخذ القراءة عن إبراهيم النخعيّ وزرّ بن حبيش وغيرهم. وعنه روىٰ القراءة جمع منهم: حمزة الزيّات ومحمّد بن عبدالرحمٰن وغيرهم. مات عام: ١٤٨ هـ.

غاية النهاية ١: ٣١٥ ت ١٣٨٩، طبقات القرّاء ١: ٨٣ ت ٣٩، سيَر أعلام النبلاء ٦: ٢٢٦ ت ١١٠، ومصادره.

(٥) إضافة لما تقدّم في الهامش الاسبق انظر: إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٢٢، معاني ←

ورَبِيعَةُ بن نِزار يُخَفِّفونَ «مالك» ويُسقِطونَ الألِفَ، فيقولون: «مَلْك» بتسكين اللّام وفَتحِ الميم(١)، كما قال أبو النجم(٢):

تَمَشِّي المَلْكِ عَلَيْهِ حُلَلُهْ(٣) [٣٢]

والألِفُ ساقطة في الخَطِّ في القراءَتين.

والمعوّل على الأُولَتيْنِ دُونَ النصبِ وإسْكان اللّام.

ومعنىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

بإسقاطِ الألِف: أنّه المَلِكُ يَومَئذٍ لا مَلِكَ غيره، وأنّه لا يُؤتي في ذلكَ الوقتِ أحَداً المُلْكَ كما أُوتيه في الدنيا، وقَويَ ذلك بقولهِ تعالىٰ ﴿لِّمَنِ

القرآن للأخفش ١: ١٣، معاني القرآن للزجّاج ١: ٤٦، مختصر في شواذّ القرآن: ٩، إملاء ما مَنَّ به الرحمٰن ١: ٤، إعراب القراءات الشواذّ ١: ٩١، التبيان ١: ٦، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٣٥. ولم تنسب القراءة للأعمش.

(١) الاشتقاق: ٢٦، جمهرة اللّغة ٢: ٩٨١، وفي لسان العرب ١٠: ٤٩٢ من دون نسبة، «ملك» في الجميع.

(٢) أبو النجم العِجْليّ، الفضْل ـ أو المفضّل ـ بن قدامة بن عبيدالله، أحد أبرز الرجّاز في الإسلام وفي الطبقة الأولىٰ منهم، نَبغَ وعاش في العصر الأُمويّ، وأدرك حكومة هشام بن عبدالملك، وقيل بقي إلىٰ آخر دولة بني أُمية. توفي عام: ١١٤. وقيل: حدود ١٢٧ هـ.

الأغاني ١٠: ١٥٠، معجم الشعراء للمرزبانيّ: ١٨٠، معاهد التنصيص ١: ١٩.

(٣) الديوان (صنعة الاغا): ١٧٣، وانظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه: ٢٣.

المعنىٰ: يُشبِّه مشية جواده المضمر الضعيف بمشية الملك وهو في حُلّته الزاهية وشعره المتدلّي.

الشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ المصنّف ﷺ.

ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[(١)] وبأنَّه يُطابِقُ ما تقدّم من قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

ومنْ قَرأَ ﴿مالك﴾ بألف معناه: أنّه مالِكُ يومِ الدينِ والحسابِ، لا يملِكُه ولا يَليهِ سِواهُ.

والمالِكُ: هو القادرُ على التصرّفِ في مالِهِ، وأنْ يَتَصرّفَ فيه علىٰ وَجهٍ ليسَ لأحدٍ مَنْعهُ منهُ، ويوصفُ العاجزُ بأنّه مالِكٌ منْ جهةِ الحكم.

والمَلِكُ: هو القادرُ الواسِعُ القُدْرَةِ الذي لهُ السِّياسَةُ والتَّدْبير.

ويُقالُ: مَلِكٌ بَيِّنُ المُلْكِ، مضْمومَةَ المِيمِ. ومالِكٌ بَيِّنُ المَلْكِ والمِلْكِ، بِفَتْح المِيمِ وكَسْرِها. وضَمُّ المِيمِ فيهِ لُغَةٌ شاذَّةٌ ذَكَرَها أبو عليّ الفارِسيّ[(٢)(٣)].

ويُقال: طالَتْ مَمْلَكَتُهُمُ الناسَ، ومَمْلِكَتُهُمْ، بِكَسرِ اللّام وفَتْحِها، وطالَ مَلْكُه، ومِلْكُهُ، إذا طالَ رِقُّهُ. وأعْطانِي مِنْ مُلْكِهِ، ومَلْكِهِ. ولي في هذا الوادي مُلْكٌ، ومِلْكٌ، ومَلْكٌ.

ويقال: نَحنُ عَبيدُ مَمْلُكَةٍ، ولسْنا بِعَبيدِ قِنٍّ، أي: سُبِينا، لمْ نُمْلَكْ في الأصْل.

---

(١) سورة غافر ٤٠: ١٦.

(٢) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسيّ النحويّ، أبو عليّ، من مدينة فسا إحدىٰ مدن ايران، تبوّأ مكانة عالية في العلوم العربية، أخذ العلم عن السرّاج، وابن مجاهد، والزجّاج، والأخفش وامثالهم، وعنه أخذ ابن جنّي، والجوهريّ وأضرابهم. له مؤلّفات مشهورة منها: الحجة للقرّاء السبعة، التكملة، والمسائل البصريات والبغداديات والحلبيات و... توفي عام: ٣٧٧ هـ، وقيل غير ذلك.

له ترجمة في: تاريخ بغداد ٧: ٢٧٥ ت ٣٧٦٣، انباه الرواة ١: ٣٠٨ ت ١٧٨، معجم الادباء ٧: ٢٣٢ ت ٥٩، ومقدمات مؤلّفاته.

(٣) الحجة للقرّاء السبعة ١: ٩، وما بعدها.

ويقال: شَهِدْنا إِمْلاكَ فُلانٍ، ومَلْكَهُ، ولا يقال: مِلاكُهُ.

وأصْلُ المَلْك الشدّ من قولِ الشاعرِ:

مَـلَكْتُ بِـها كَـفِّي فَأَنْـهَرْتُ فَـتْقَها[1] . . . . [٣٣]

أي: شَدَدْتُ.

ومَلَكْتُ العجين، أي: شَدَدْتُ عَجْنَهُ.

ويقال: هذا مِلْكُ فُلانٍ، إذا كانَ لَهُ التَّصرّفُ فيهِ علىٰ ما بيّناه[2].

فأمّا منْ رَجّحَ قِراءَةَ «مَلِك» منْ حيثُ إنّه وَصَفَ نَفسَه بأنّه مالِكُ كلِّ شيءٍ بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فَلا فائدةَ في تَكرير ما قَدْ مَضىٰ.

فَقَدْ أبعد؛ لأنّ في القرآن له نَظائرَ تَقَدَّمَها العامُّ وذُكِرَ بَعدَ العامِّ الخاصُّ كقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ ثم قال ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾[3] فعمّم في الأوّل، ثُمّ خَصَّ ذِكْرَ الإنسانِ تَنْبِيهاً علىٰ تأمُّلِ ما فيهِ

---

(١) صدر بيت عجزه:

. . . . يَرىٰ قـائمٌ مِـنْ دُونِـها مـا وَراءَهـا

لقيس بن الخطيم ـ ثابت ـ بن عَدِيّ الأوسيّ من شعراء المدينة من بني ظَفَر، أدرك الإسلام ولم يسلم هو وأسلمت زوجته. قتل غيلة قبل الهجرة النبوية.

له ترجمة في: معجم الشعراء للمرزبانيّ: ١٩٦، الأغاني ٣: ١، أسماء المغتالين: ٢٧٤.

والشاهد فيه، قوله: «مَلَكْتُ» حيث أراد بها معنىٰ شددتُ وأحكمت. أنهرت فتقها: وسّعت محل الطعنة.

انظر الديوان: ٤٦. والمصادر في الهامش الآتي.

(٢) للضبط اللغوي لمادة «مالك» ومشتقاتها انظر: جمهرة اللّغة ٢: ٩٨١، تهذيب اللّغة ١٠: ٢٦٨، المحيط في اللّغة ٦: ٢٧٤، الصحاح ٤: ١٦٠٩، المخصّص ٢: ١٨٧، و٧: ٧٧٢، لسان العرب ١٠: ٤٩١، والفروق اللغوية: ١٤٩، المعاني الكبير ٢: ٩٧٨.

(٣) سورة العلق ٩٦: ١ ـ ٢.

منْ إتْقانِ الصنعةِ وَوُجوهِ الحِكْمةِ، كما قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[١]، ولذلك نظائِر كَثيرةٌ.

وفي الناس مَنْ قالَ: أنّ «مَلِك» أبلَغُ في المَدْحِ منْ مالِك؛ لأنّ كلَّ مَلِكٍ مالكٌ وَلَيْسَ كلُّ مالِكٍ مَلِكاً.

وقال ثعلب: إنّ مالِكَ أبلَغُ منْ مَلِك؛ لأنّه قد يكونُ المَلِكُ على من لا يُمْلَك، كما يقال: مَلِكُ العَرَب، ومَلِكُ الرُّوم، وإنْ كانَ لا يَمْلِكُهُم؛ ولا يكونُ مالِكاً إلّا على ما يُملَك.

وقال بعضهم: «مالِك» أبلغُ في مدح الخالق من «مَلِك». و«مَلِك» أبلغ في مدح المخلوقين من «مالِك»؛ لأنّ «المالِك» من المخلوقين قد يكون غير «مَلِكٍ». وإذا كان الله تعالى مالِكاً كان مَلِكاً.

والأقوى أنْ يكونَ «مَلِك» أبلغُ في المدحِ فيهِ تعالى؛ لأنّه يَنفَردُ بالمُلْكِ ويَمْلِكُ جَميعَ الأشياء، فكانَ أبلغ[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

مَجْرورٌ بالإضافةِ في القِراءتَينِ معاً[٣]، وهو من باب:

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ[٤] [٣٤]

---

(١) سورة الذاريات ٥١: ٢١.

(٢) للتوسّع في المعنى انظر: النكت والعيون ١: ٥٦، معاني القرآن للزجّاج ١: ٤٦، السبعة في القراءات: ١٠٤، إعراب القراءات السبع ١: ٤٧، الحجة للقرّاء السبعة ١: ٧، حجة القراءات: ٧٧، الكشف عن وجوه القراءات وإعرابها ١: ٢٥، اشارة الحالك في قراءة ملك ومالك، لشيخ الشريعة الأصفهاني.

(٣) أي: ملك أو مالك.

(٤) من نصب «الليلة» كسر «أهل»، ومن كسر «الليلة» نصب «أهل».

اتُّسع في الظرفِ فَنُصب نصب المفعولِ به، ثمّ أُضيفَ علىٰ هذا الحدّ.

وليسَ ذلكَ مثلَ قولهِ: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[1]؛ لأنّ الساعة مفعولٌ بها علىٰ الحقيقة، لا أنْ جُعل الظرفُ مفعولاً علىٰ السعة؛ لأنّ الظرفَ إذا جُعل مفعولاً علىٰ السعة فمعناه معنىٰ الظَّرفِ. ولو جُعل ظَرفاً لكان المعنىٰ: يَعلم في الساعة. وذلك لا يجوز؛ لأنه تعالىٰ يَعلمُ في كلِّ وقتٍ. والمعنىٰ: إنّه يعلمُ الساعةَ، أي يعرفها.

ومنْ نَصبَ[2] إنّما هرب أنْ يخرجَ منْ خطاب الغائب إلىٰ المواجَهِ في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وبعده وقيل قبله:

يا آخِذاً مالي ومالَ غَيْري

من الشواهد التي لم يعزها أحدٌ لاحدٍ علىٰ كثرة الاستشهاد به، حتّىٰ قد لا يخلو منه كتاب من كتب الادب عامة والتفسير.

والشاهد فيه: البحث في إعراب كلمة «الليلة»، حيث ذهب بعض إلىٰ النصب وجرّ «أهل»؛ للبقاء علىٰ الظرفية وفصلها بين المضاف والمضاف إليه. وآخرون ـ ومنهم المصنّف ـ إلىٰ الجر في «الليلة» والنصب في «أهل»؛ لأنها مفعول اُضيف إلىٰ فاعله اتساعاً في الظروف، و«أهل» مفعول ثاني، إذ الفعل «سرق» ممّا يتعدىٰ إلىٰ المفعول الثاني بالحرف ودونه. وهذا بناءٍ علىٰ خروج الظرف عن الظرفية بالإضافة ودخول حرف الجر عليه.

انظر: الكتاب ١: ١٧٥، أمالي الشجريّ ٢: ٥٧٧، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١: ٦٥٥، المفصّل: ٥٥، شرح المفصّل ٢: ٤٥، شرح الأبيات المشكلة الإعراب: ٢٠٥، معاني القرآن للفرّاء ٢: ٨٠، الأصول في النحو ١: ١٨٨ و١٩٥ و٢: ٢٥٥ و٣: ٤٦٤، الإيضاح في شرح المفصّل ١: ٣٢٣، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ١٠٨ ش ١٧٤ و٤: ٢٣٤ ش ٢٩١، والمطوّل: الاسناد الخبريّ، جامع الشواهد ٣: ٣٣٠.

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٨٥.

(٢) أي: يومَ.

وليس ذلك بِبَدِيعٍ ؛ لأنّه مستعمل في القرآن وفي الشعر.

قال اللهُ تعالَىٰ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[1] فَعَدَلَ عنْ خِطابِ المواجَهِ إلىٰ الكِنايةِ عن الغائب.

وقال الشاعر:

كَـذَبْتُم وَبَـيْتِ اللهِ لا تَـنْكِحُونَها بَني شابَ قَرْناها تَـصُرُّ وَتَـحْلُبُ[2] [٣٥]

وقال أبو كبير الهلاليّ[3]:

---

(١) سورة يونس ١٠: ٢٢.

(٢) لم يعرف قائله بأكثر من أنّه رجلٌ من بني أسد.

والشاهد فيه: الالتفات من المخاطب في «كَذَبْتُم» إلىٰ الغائب في «تَصُرُّ وتَحْلُبُ».

والقرنين: ضفيرتي المرأة. تصرّ: أي تشدّ ضرع الحلوبات إذا أُرسلت للرعي. تحلب: إذا رجعت مساءاً من الرعي.

يصفهم بأنّهم أبناءُ المرأة العجوز الراعية، فهم غير أكفاء.

لاحظ: مجاز القرآن ١: ٤٧ و١٠٠ رقم ٥٥، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ: ٦٥ ـ ٧٣، المقتضب ٤: ٩ و٢٢٦، الكامل ٢: ٤٩٧، الكتاب ٢: ٨٥ و٣: ٢٠٧، النكت في تفسير كتاب سيبويه: ١ إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ١: ٩٢٣، الخصائص ٢: ٣٦٧، شرح المفصّل ١: ٢٨، الصحاح ٦: ٢١٧٩، وانظر: أنوار الربيع في أنواع البديع ١: ٣٦٢ بحث الالتفات، وفي غيره من كتب البلاغة، لسان العرب ١٣: ٣٣٣ «قرن».

(٣) عامر بن حُلَيْس الهلاليّ الهُذَليّ أبو كبير، شاعر مخضرم مُقلٌّ، أسلم وأتىٰ إلىٰ النبيّ ﷺ طالباً منه ان يُحِلّ له الزنا!! فقال له النبيّ ﷺ: (أتحبّ أن يؤتىٰ إليك مثل ذلك)؟ فقال: لا. قال: (فارض لأخيك ما ترضى لنفسك). قال فادع الله أن يذهب عنّي ذلك. وإليها يشير حسّان بن ثابت في قوله:

سَالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِما سالَتْ وَلَمْ تُصِبِ

انظر: الشعر والشعراء ٢: ٦٧٠ ت١٤٣، أُسد الغابة ٥: ٢٦٢ت ٦١٨٩، ديوان الهذليّين ٢: ٨٨، ديوان حسّان بن ثابت ١: ٤٤٣ ت ٢٦٨.

يـا لَـهْفَ نَـفسِي، كـانَ جِـدَّةَ خـالدٍ   وَبَـياضُ وَجْـهِكَ للـتُّرابِ الأعْـفَرِ[1]   [٣٦]

وقال لَبيد بن ربيعة:

قـامَتْ تَشَكّـي إلَـيَّ النَّـفْسَ مُـجْهِشَةً
وَقَـدْ حَـمَلْتُكَ سَبْعاً بَـعْدَ سَـبْعِينا[2]   [٣٧]

فَرَجَعَ إلىٰ مُخاطَبَةِ نفسِه، وقد تقدّم الإخبار عنها.

وقال الكِسائيّ: التقديرُ: قولوا إيّاك نَعبدُ. فيكون علىٰ حكاية ما أُمروا به.

و «الدّينُ»: الحسابُ.

و «الدّينُ»: الجزاءُ أيضاً. قال كَعْب بن جُعَيْل[3]:

---

(١) ديوان الهذليّين ٢: ١٠٠.

والشاهد فيه: الانتقال من خطاب الغائب في «كان جدة» إلىٰ خطاب المواجه في: «وبياض وجهك».

الجدة: الشباب. الأعفر: الأبيض.

(٢) في ضبط بعض الفاظه ـ كما في نسبته إلىٰ لبيد ـ بعض الخلاف.

والشاهد فيه: الالتفات إلىٰ مخاطبة نفسه، أي: الالتفات من الغيبة إلىٰ التكلّم.

انظر الديوان: ٣٥٢، طبقات فحول الشعراء ١: ٦٠ ـ ٦١ ت قطعة ٧٣، العقد الفريد ٢: ٧٧ و٣: ٥٦، الأغاني ١٥: ٣٦٢ و١٨: ١٤٣، جمهرة اللّغة ١: ٤٧٩، الصحاح ٣: ٩٩٩، معجم مقاييس اللّغة ١: ٤٨٩، لسان العرب ٦: ٢٧٦. ولاحظ الطبقات الكبرىٰ ٦: ٢٥٥.

(٣) كَعب بن جُعَيْل بنَ قُمَيْر بن عُجْرةَ التَّغْلِبيّ، شاعر تَغْلِب في عصره، مُخَضْرَم ادرك الجاهلية والاسلام، أُمويّ النزعة والهوىٰ، صَحِبَ معاوية بن أبي سفيان، وبقي حتىٰ أدرك أيام حكومة الوليد ومدحه ومن قبله حتىٰ عُدّ شاعر أهل الشام. طَلَبَ منه يزيد بن معاوية هَجْوَ الأنصار فامتنع، ولم يمتنع من ذكر الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

←

إذا مـــا رَمَـــوْنا رَمـــيْناهُم ... وَدِنّاهُمُ فَوْقَ ما يُقْرِضُونا[١] [٣٨]

وقال آخر:

واَعْـلَمْ وأيْـقِنْ أَنَّ مُـلكَكَ زائِـلٌ ... واَعْلَمْ بأنَّ كما ما تَـدِينُ تُـدانُ[٢] [٣٩]

أمير المؤمنين سيّد المهاجرين والأنصار!!. فلنعم ما وُصف به، وقيل: هي له:

سُـمِّيتَ كـعْباً بِشَـرِّ العـظام ... وَكـان أَبُـوكَ يُسَمَّىٰ الجُـعلْ

وَكـان مَـحَلُّك مِـنْ وائِـلٍ ... مَكان القُرادِ مِنْ اُسْتِ الجَـمَلْ

توفي: حدود عام: ١٠٠ هـ.

لاحظ: تاريخ دمشق ٥٠: ١٢٦ ت ٥٨١١، طبقات فحول الشعراء ٢: ٥٧١ ت ٧٦٧، الشعر والشعراء ٢: ٦٤٨ ت١٢٩، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٤٩ ش ١٦٢.

(١) من قصيدة لكعب وصفها ابن أبي الحديد قائلاً: هذا شعر خبيث منكر. وكان قد ضمّنها معاوية كتابه إلىٰ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مطلعها:

أرى الشامَ تَكْرَهُ مُلْكَ العراق ... وأهْـلُ العِـراقِ لها كـارهونا

الشاهد فيه: دِنّاهم، فانه استعملها بمعنى الجزاء والاعطاء.

ذكر القصيدة والكتاب جمع منهم: ابن مزاحم في وقعة صفين: ٥٦، والمبرّد في الكامل ١: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، وابن أبي الحديد في شرح النهج ٢: ١٢٧، واستشهد بالبيت ابن سيده في مخصصه ١٧: ١٥٥.

(٢) وقبله:

يأيُّها المَلِكُ المَخُوفُ أما تَـرىٰ ... لَـيْلاً وَصُـبْحاً كَـيفَ يَـعْتقِبانِ

هَلْ تَسْتَطِيعُ الشمسَ أن تأتي بها ... لَـيْلاً، وَهَـلْ لَكَ بـالمليك يَـدانِ

واعْلَمْ وأيـقِنْ أنّ مُـلْكَكَ زائـلٌ ... واعْـلمْ بأنَّ كـما تَـدينُ تُـدانِ

قائلها يزيد بن عمرو ـ الصعق ـ بن خويلد بن نفيل الكلابي، أنشدها أمام الحارث بن جبلةَ من ملوكِ غسان في الشام إذ كان يغتصب من نساء بني قيس من تُعجِبهُ. وقد غصب ابنة يزيد في غيابه.

والشاهد فيه: قوله: «تدين تدان» فإنّها بمعنىٰ الجزاء، أي: ما تجزي تجزىٰ، وكما أشار إليه الشيخ المصنّف رحمه الله، وقد أرسلت مثلا.

يعني: ما تَجزي تُجزى.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[1]؛ يعني بالجزاء.

وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[2]؛ أي: غير مَجْزيّين.

وبهذا قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبير، وقتادة[3].

وروي عن ابن عبّاس، ومجاهد، وأبي جعفر: إنّه الحساب[4].

↩ وقد استشهد بالبيت أغلب منْ ذكَرَ المعنىٰ هذا.

انظر: مجاز القرآن ١: ٢٣، الكامل للمبرِّد ١: ٤٢٦، جمهرة اللّغة ٢: ٦٨٨، معاني الزجّاج ١: ٤٨، الاشباه والنظائر في القرآن الكريم: ١٣٣ ت ٢٨، جمهرة الأمثال للعسكري ٢: ١٦٨ ت ١٤٦٠، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة للغروي: ٣٥٦ ت ١١٦، الأمثال للاصمعي: ٢٠٤ ت ٤٦٨، موسوعة أمثال العرب ٤: ٦٣١ ومصادره. ولاحظ الهامش الثالث الآتي.

(١) سورة الانفطار ٨٢: ٩.

(٢) سورة الواقعة ٥٦: ٨٦.

(٣) لمزيد الاطلاع انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٩ ت ٢٥ و٢٦، تأويلات أهل السنّة ١: ٥، المستدرك للحاكم ٢: ٢٥٨، العين ٨: ٧٣، جمهرة اللّغة ٢: ٦٨٨، تهذيب اللّغة ١٤: ١٨١، المحيط في اللّغة ٩: ٣٦٠، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ٣٨٠ ـ ٣٨٢، المخصّص ٧: ٧٦٩ ـ ٧٧٠، الحجة للقرّاء السبعة ١: ٣٩، لسان العرب ١٣: ١٦٩، جامع البيان ١: ٥٢، جمهرة الأمثال ٢: ١٦٨، مجمع الأمثال ٢: ١٥٥، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢: ٦١٥ ـ ٦١٧، المفردات للراغب: ٣٢٣، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٣١٩، الوجوه والنظائر لهارون بن موسى: ١٢٠، القرطين ١: ٤، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٣٨٧، وكشف السرائر في معنىٰ الوجوه والنظائر: ١٧١ ت ٥٢، صحيح البخاريّ ٦: ٢٠، وانظر صفحة ١١٠ مصادر الهامش ٢.

(٤) أبو جعفر هو: الطبريّ، وانظر الهوامش المتقدمة والآتية، وتفسير غريب القرآن (تفسير الشهيد زيد بن عليّ): ٧٧.

و ﴿الدِّين﴾ أيضاً: الطاعة[1]. قال عمرو بن كلثوم:

وأيّـــامٍ لَـــنا غُـــرٍّ طِـوالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فِيها أنْ نَدِينا[2] [٤٠]

و ﴿الـدِّين﴾ المُلْك. قال زهير[3]:

لَـئنْ حَـلَلْتَ بِـجَوٍّ فـي بَـني أَسَـدٍ في دِينِ عَمْرٍو وَحالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ[4] [٤١]

---

(١) انـظر الهـامش الثـالث المـتقدم، سنن الترمذيّ ٥: ١٨٥ ت ١٩٢٧ و١٩٢٨، المعجم الكبير ١٠: ١١٧ ت ١٠٠٦٧.

(٢) الديـوان ٧١، البـيت ٣٠ مـن مـعلقته، وب ٢٢ مـن شـرح القـصائد العشـر: ٣٣٢، وب ٢٩ مـن جـمهرة أشـعار العـرب ١: ٣٩٥، وب ٢٥ من شـرح المـعلقات العشـر للشنقيطيّ. كلّ ذلك لما وردَ من الاخـتلاف فـي الروايـة، والإعـراب فـى «أيـامٍ» وهـل أنّ الواو عطف فالنصب هو، أو بدل من ربّ فالجرُّ كما هو الحق.

المعنىٰ: يعتزّ الشاعر بأيامه المـاضية وذلك لامـتناعهم عـلىٰ المـلك وعـدم طـاعتهم إيّاه؛ لعلوّهم ورفعتهم وعزتهم وكثرتهم فهي أيام غُرّ لهم، طويلة علىٰ اعدائهم.

الشاهد: ما أفاده المصنّف ﷺ.

(٣) زُهَـيْر ـ بـن أبـي سُـلمىٰ ـ رَبيعة، مـن مُـزَيْنَةَ وهـي مـن مُـضَر، والد كـعب صـاحب (بانت سـعاد...)، مـن قَـبِيلٍ شُـعراء حتىٰ قـيل مـا اتـصل الشـعر فـي ولد أحـد مـن الشعراء اتصاله فـي ولد زهـير، لُـقِّبَ بـالحَوْليّ أو صـاحبُ الحـوليات؛ لاسـتغراق نـظم القصيدة عنده حولاً كاملاً له المعلقة المشهورة.

انـــظر: الأغـــاني ١٠: ٢٨٨، الشـعر والشـعراء ١: ١٣٧ ت ٢، مـعجم الشـعراء الجاهليين: ١٥٤، مقدمات طبعات الديوان.

(٤) مـن قـصيدة كـافيّة وُصِـفت بأن ليس عـلىٰ الأرض أجـود مـنها ومـن التـي لأوس، يتعرض فيها زهيرٌ للحارث الصيداويّ لمّـا أغـار عـلىٰ بـني غـطفان، فـغنم وسـاق إبـلاً لزهير.

جَوٌّ ـ بـالفتح وتشـديد الواو ـ لغـة: الوادي الواسـع، واسم لعـدّة مـواضـع، منها: اليـمامة، ومـوضع فـي ديـار طـيّ، وجـوُّ السـويقة وجوُّ الجـوادة وهـما فـي اليـمامة، والمراد هنا جوّ بني أسد.

و ﴿الدّين﴾: القَهْرُ والاسْتِعلاء. قال الأعشىٰ:

هُـوَ دانَ الرِّبـابَ إذ كَـرِهوا الـ ـدِّينَ دِراكـاً بـغَزْوَةٍ وَصِـيَالِ[1] [٤٢]

يعني ذَلَّلَهُم للطاعة.

و ﴿الدّين﴾: العادة. قال المُثَقِّبُ العَبْدي[2]:

انظر: تهذيب اللغة ١١: ٢٢٨ «جوو»، معجم البلدان ٢: ٢٢٠، معجم ما استعجم ٢: ٤٠٧.

فدك: اسم ارض، ولعلّها التي نحلها النبي صلى الله عليه وآله للصدّيقة الزهراء عليها السلام، ومن ثم غصبها بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم حاكمٌ وقتها بادعاء أوهىٰ من بيت عنكبوت. والقضية مشهورة.

الشاهد فيه: قوله دين عمرو: أي ملك وسلطان عمرو بن هند بن المنذر الملك.

انظر: الديوان بشرح ثعلب: ١٣٧، وبشرح الشنتمريّ: ٨٩. أمالي القاليّ ٢: ٢٩٥، تأويل مشكل القرآن: ٤٥٣، والهامش ٣ صحيفة: ١١١ وما قبله.

(١) الديوان: ١٦٨، من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر الكخميّ.

ودان: أذل، والرباب: من القبائل العربية، والصيال: السطو والضرب.

والشاهد فيه: ورود «الدين» بمعنىٰ القهر والإذلال.

ولا تخلو مراجعة مصادر الهوامش المتقدمة من فائدة.

(٢) المُثَقِّب العبديّ، عائذ بن محصن بن ثعلبة، النُّكْرِيّ، شاعر جاهلي قديم، معاصر للملك عمرو بن هند، ولقب بالمُثَقِّبِ لقوله:

رَدَدْنَ تَحيَّةً وكَنَنّ أُخرىٰ وَثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ لِلعُيونِ

والمثَقِّب: اسم فاعل من ثَقَّبَ، بالثاء المثلثة والقاف المشددة. والعبديّ: نسبة إلىٰ عبد قيس، ويقال فيها عبقسيّ أيضاً.

وله قصيدة جميلة حكمية منها:

لا تَقُولَنّ؛ إذا ما لم تُرِدْ أنْ تُتِمّ الوَعْدَ في شيء؛ نعم

حَسَنٌ قَوْلُ: «نَعمْ» مِنْ بَعْدِ «لا»، وَقبيحٌ قولُ: «لا» بعدَ «نعم»

تَقُولُ ـ وَقَدْ دَرَأْتُ لها وَضِينِي ـ: أَهــذا دِيــنُهُ أَبَــداً وَدِيــني[1] [٤٣]

و: ﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾:

عبارةٌ عن زمانِ الجَزاءِ كلِّه، وليسَ المرادُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغربَ من طلوعُ الشَمْسِ إلىٰ غُرُوبِها.

قوله تعالىٰ:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ آية ⑤.

﴿ إِيّاكَ ﴾:

إنّ «لا» بَعدَ «نعم» فاحِشةٌ فَبِـ«لا» فابْدَأ إذا خِفتَ النَّدمْ

انظر: معجم الشعراء للمرزباني: ١٦٧، الشعر والشعراء ١: ٣٩٥ ت ٦٠، الاشتقاق: ٣٢٩، شرح اختيارات المفضل للخطيب ٢: ٧٠٤ ت ٢٧.

(١) وبعده:

أَكُلَ الدَّهْرِ حِلٌّ، وارْتِحالٌ ؟!! أما يُبقي عَلَيَّ، وما يَقِيني ؟!!

الوضين: حزام يُشَدّ به الرحل. الدرأ: الدَّفعَ. الدين: العادة.

المعنىٰ: إذا رأته شدّ الرحل عليها عرفت ما يريده منها من الجهد في السير وإدمان الرحلة.

والشاهد فيه: استعمال لفظة الدّين ـ وفي الموردين ـ بمعنىٰ العادة أي عادته وعادتي.

انظر: الديوان: ١٢٤، البيت ٣٧ من القصيدة «٥» التي مطلعها:

أفاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِيني وَمَنْعُكِ ما سَألْتُكِ أَنْ تَبِيني

وقصيدة الشاهد مذكورة في: شعراء النصرانية قبل الاسلام: ٤٠٥، المفضّليات ٣: ١٢٦٣ قطعة ٧٦ رقم البيت ٣٥ وشرح شواهد المغني للسيوطيّ ١: ١٩٠ ت ٨٢.

نُصِبَ بوقوع الفِعْل عليه، ومَوْضِعُ الكافِ في «إيّاك» خفضٌ بإضافةِ «إيّا» إليها، و«إيّا» اسمٌ للضَّميرِ المنْصُوبِ، إلّا أنه ظاهِرٌ يُضافُ إلىٰ سائر المضمرات نحو قوله: إيّاكَ ضَربتُ، وإيّاهُ ضَربتُ، وإيّايَ ضَربتَ؛ ولو قلت: إيّا زيدٍ حَدَّثْتُ، كان قَبيحاً؛ لأنه خُصَّ به المضْمَر، وقد روىٰ الخَليلُ[1] جَوازَه، وهو قَوْلُهم: إذا بلغَ الرجلُ الستّينَ فإيّاهُ وإيّا الشوابِّ[2].

وقال الأخفشُ[3]: لا موْضعَ للكافِ من الإعراب؛ لأنّها حرفُ الخطاب[4].

---

(١) أبو عبدالرحمن، الخليل بن أحمد بن عُمَر بن تميم الأزديّ الفراهيديّ البصريّ، كان آية في الذكاء، أوّل معجميّ عربيّ، وأوّل من أحدث علم العروض، وحصر شعر العرب فيه.

استاذ سيبويه له نظم حَكَميّ جميل منه:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَم ما أقُولُ عَذَرْتَني ... أوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ما أقُولُ عَذَلْتُكا
لكِنْ جَهِلْتَ مَقالَتي فَعَذَلْتَني ... وعَلِمْتُ أنّكَ جاهِلٌ فَعَذَرْتُكا

له مؤلّفات منها: العين، النغم، العروض. توفي عام: ١٧٥ هـ.

له ترجمة في: معجم الادباء ١١: ٧٢ ت ١٧، وفيات الأعيان ٢: ٢٤٤ ت ٢٢٠، إنباه الرواة ١: ٣٧٦ ت ٢٣٥، ومصادره.

(٢) أقدم من حكاه عن الخليل سيبويه في كتابه ١: ٢٧٩ قائلاً: وحدثني من لا أتهم عن الخليل.....، هذا وقد ذَكَرتْه ـ المثل ـ أغلب كتب النحو.

والشاهد فيه: اضافة «إيّا» إلىٰ الظاهر (الشواب).

انظر مصادر الهامش: ٤ وصحيفة ١١٦ هامش ٢ الآتيين.

(٣) مشترك بين ثلاثة، وهنا الأوسط مراد، وهو: سعيد بن مسعدة البَلْخيّ المجاشعيّ من نحاة ومفسّري مدرسة البصرة ومن أعلامها، أخذ عن سيبويه واختص به، له: معاني القرآن وغيره. قيل: توفي بين سنة ٢١٠ ـ ٢٢٥ هـ.

انظر: الفهرست لابن النديم: ١٠٥، معجم الادباء ١١: ٢٢٤ ت ٧٠، إنباه الرواة ٢: ٣٦ ت ٢٧٠.

(٤) معاني القرآن ٢: ٤٨٩، سرّ صناعة الإعراب ١: ٣١٣، التصريح علىٰ التوضيح ٢: ١٩٢، وانظر الهامش: ٢ المتقدم.

وهو قول ابن السرّاج[١]، واختارَه الرمّاني؛ لأنّ المضْمَر معرفةٌ يمنع من الإضافةِ كما يمنعُ من الصفة، وحملوا ما رواه الخليل علىٰ الشذوذ.

ولو قلت: نعبد إيّاك لم يجز؛ لأنّك تُقدّر علىٰ ضَميرٍ مُتّصِل بأنْ تقول: نَعبدُكَ، فلا يَجُوزُ أنْ تأتيَ بضميرٍ مُنْفَصِل؛ ولأنّه لَوْ أُخِّرَ لكانَ قدْ قُدِّمَ ذِكْرُ العابدِ علىٰ المعْبودِ، وَليسَ بجيّد.

ومن قال: إنّ إيّاك بكماله اسم، فقد أخطأ؛ لأنّه لو كان كذلك لما أُضيف، كما حكيناه في قولهم: إيّاه وإيّا الشوابّ؛ لأنَّهم أجروا الهاءَ فيه مجرىٰ الهاء في عصاه[٢].

---

(١) ابن السرّاج: أبو بكر محمّد بن سهل ـ السريّ ـ النحويّ البغداديّ، أخذ النحو والأدب عن المبرّد وقرنائه، وتَلْمَذَ عليه الفارسيّ والسيرافيّ وأضرابهم. له: الأُصول في النحو، شرح الكتاب وغيرها. توفي عام: ٣١٦ هـ ببغداد.

له ترجمة في: تاريخ بغداد ٥: ٣١٩ ت ٢٨٤٢، نزهة الالباء: ٣١٣ إنباه الرواة ٣: ١٤٥ ت ٦٥٣، ومصادره، ومقدمة كتابه الأُصول في النحو.

(٢) قديماً اختلفت مدرستا النحو ـ الكوفة والبصرة ـ في «إيّا» وما يلحق بها.

فمدرسة ترىٰ: أنّ الأصل هو «إيّا» والملحقات ـ الكاف والهاء والياء ـ لا موضع لها من الإعراب وإنّما يُأتىٰ بها؛ لبيان الموارد والتعريف.

ومدرسة ترىٰ: أنّ الملحقات هي الأصل، وهي الضمائر، وهي مورد الإعراب.

وآخرون ذهبوا إلىٰ أنّ «إيّا» اسم مضمر أُضيف؛ لأنّه ليس بمعرفة ولا يفيد معنىٰ بنفسه، بخلافه مع المضمرات، فخصّ بالإضافة تعويضاً.

ونحىٰ آخرون إلىٰ القول: بأنّ المجموعَ ـ إيّاك، إيّاه ـ هو الضمير.

وذهب جمعٌ إلىٰ أنّ «إيّا» اسم مبهم أُضيف إلىٰ الضمائر؛ لرفع إبهامه بالتخصيص.

إلىٰ غيرها من الآراء التي تجدها مبثوثة في كتب النحو أمثال: الكتاب ١: ٢٧٩، المقتضب ٣: ٢١٢، معاني القرآن للزجاج ١: ٤٨، الانصاف: ٦٩٥ مسألة ←

والنُّـونُ مَفْتُوحَةٌ مِـنْ ﴿نَعْبُدُ﴾ وَقَـدْ رُوي عنْ يَحيىٰ بـن وَثّاب[1]، أَنَّهُ كانَ يَكْسِرُها. وَهي لُغَةُ هُذَيل، يقولون: نِعْلم وتِـعْلم واعْـلم وتِـخاف وتِقامُ وتِنام، فَيَكْسِرُونَ أوائل هـذهِ الحُروف كـلِّها، ولا يَكْسِـرون اليـاءَ، ولا في يَسْتَفْعِل ويَفتعل، فلا يقولونَ: يِبْيَض ويِطْمِس ـ بكسر الياء ـ بـل يفْتَحُونَها[2].

والدالُ والنونُ مرْفُوعان؛ لأنّ في أوّلهِ أحَدُ الزوائد الأرْبَع فأُعِربا.

✎ ٩٨، المفصّل: ١٢٧، التخمير (شرح المفصّل في صنعة الإعراب) ٢: ١٤٥، شرح المفصّل لابن يعيش ٣: ٩٨، تفسير الكشاف ١: ٦٠، وحاشيته السيّد الشريف الجرجانيّ عليه ١: ٦٠ وما بعدها، وشرح الرضي علىٰ الكافية ١: ٤٨١ و٢: ٤٢٥، وسرّ صناعة الإعراب ١: ٣١٢، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٢١٥، الجني الداني في حروف المعاني: ٥٣٦.

(١) يحيى بـن وثّـاب ـ بـزدويه بـن مـاهويه ـ الأسـديّ ـ مـولاهم ـ الكـوفيّ، تـابعيّ ثـقة، روىٰ عن ابن عـمر وابـن عـبّاس. أخـذ القـراءات عـن ابـن نـضلة وعـلقمة والأسـود، وغيرهم؛ وعليه عرض الأعمش، وابن مصرف، وحمران بن أعين وغيرهم.

توفي عام: ١٠٣ هـ.

له ترجـمة فـي: غـاية النهاية فـي طبقات القـرّاء ٢: ٣٨٠ ت ٣٨٧١، سـيَر أعـلام النبلاء ٤: ٣٧٩ ت ١٥٣.

(٢) كَسْـرُ حَـرفِ المـضارَعةِ «نِـعبُد، نِسْتَعين»؛ وهـي المـعروفة بـ (تـلتلة بـهراء) ولهـا تفصيل في الكتاب لسيبويه ٤: ١١٠.

وقراءةٌ نُسبت في المصادر التالية إلىٰ: الشهيد زيد بـن عـليّ، وابـن وثّـاب، وعـبيد ابن عمير الليثيّ، وزرّ بن حبيش، والنخعيّ، والأعمش، وجناح بن حنيش.

ولغةٌ إلىٰ: قيس، وتميم، وأسد، وربيعة وهذيل.

اُنـظر إعـراب القـراءات الشـواذ ١: ٩٦ و٢٧٢، والبـيان فـي إعـراب القـرآن ١: ٧، وإملاء ما مَنَّ بـه الرحـمن ١: ٦ وهـما للـعكبريّ، وإعـراب القـرآن للـنحّاس ١: ١٧٣، مشكـل إعـراب القـرآن ١: ١١، البـيان للأنـباريّ ١: ٣٨، مـختصر فـي شـواذّ القـرآن: ٩، والبحر المحيط ١: ٢٣.

والعِبادةُ: ضَرْبٌ منَ الشُّكْرِ مَعَ ضَرْبٍ منَ الخُضوعِ، ولا تُسْتَحَقُّ إلّا بأُصُولِ النِّعم التي هي: خَلْقُ الحياةِ، والقُدْرَةِ، والشَّهْوَةِ، وبقَدر منَ النِّعَم لا يُوازِيهِ نِعْمَةُ مِنْعِمٍ. فَلذلَك اخْتصَّ الله تعالىٰ بأنْ يُعبَدْ، وإنْ اسْتَحقَّ بَعْضُنا علىٰ بعضٍ الشُّكْرَ.

والعبادةُ في اللّغة: هي الذِّلَّةُ، يقال: هذا طريقٌ مُعَبَّد، إذا كان مُذَلّلاً بِكَثْرَةِ الوَطْء.

وبَعِيرٌ مُعبّد، أي: مُذَلّل بالرّكُوب، وقيل: أصْلُهُ إذا طُلِي بالقَطِران. وسُمّي العَبْدُ عَبْداً؛ لِذلّتِهِ لِمولاهُ[1].

ومنَ العرب منْ يَقُولُ: هيّاكَ، فيُبدِلُ الألف هاءً كما يقولونَ: هيه وايه[2].

و: ﴿نَسْتَعِينُ﴾:

أي: نَطْلِبُ مِنْكَ المَعُونَةَ علىٰ طاعَتِكَ وعِبادَتِكَ.

وأصْلُه نَسْتَعْوِنُ؛ لأنّه منْ المَعُونَةِ، فقُلبتِ الواوُ ياءً؛ لِثقْلِ الكَسْرةِ عَليْها، ونُقِلَتْ كَسْرَتُها إلىٰ العَين قَبْلها وَبَقِيتْ الياءُ ساكِنَةً.

---

(١) للتوسعة يراجع: العين ٢: ٤٨، الاشتقاق: ١٠، جمهرة اللّغة ١: ٢٩٩، تهذيب اللّغة ٢: ٢٣٤، «عَبَد» في الجميع، والمخصّص ٦: ١٣٣.

(٢) انظر: مختصر في شواذّ القرآن: ٩، المحتسب ١: ٩، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٧٢، الجنى الداني: ٥٠٧، إعراب القراءات الشواذ ١: ٩٤، معاني القرآن للأخفش ١: ١٦٧، البيان في غريب إعراب القران ١: ٣٧، أمالي القالي ٢: ٦٨، الإبدال: ٨٨ الإبانة عن معاني القراءات: ٩٤، الإنصاف ١: ٢١٥.

وانظر من التفاسير: الكشاف ١: ٦٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٢٧، البحر المحيط ١: ٢٣.

والتّقْديرُ في أوّل السُورَةِ وإلىٰ ههنا، أي: قُلْ يا مُحَمّد هذا، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ناكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾(١) أي: يقولون: ربَّنا. وكما قال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾(٢) أي: يقولون: سلام عليكم.

وحمزة والكسائيّ إذا وَقَفا أشمّا الدّالَ الرفْع، وكذلك في سائر القُرآن، فأمّا إذا وَقَفا علىٰ النَّصْبِ، تَخَيّرَ الكِسائِيّ الإشمام، وَتَرْكُه أجود(٣).

ومن استدلّ بهذه الآية علىٰ أنّ القدرة مع الفعلِ، من حيث إنّ القدرة لو كانت متقدّمةً لما كان لطلب المعونة وجه إذا كان الله قد فعلها فيه.

فقد أخطأ؛ لأنّ الرغبةَ في ذلك تحتمل أمرين:

أحدهما: أنْ يسأل الله تعالىٰ من ألطافه: وما يقوّي دواعيه، ويسهّل الفعل عليه، ما ليس بحاصل، ومتىٰ لَطفُ له بأنْ يعلّمه أن له في عاقبته الثواب العظيم والمنازلَ الجليلة زاد ذلك في نشاطه ورغبته.

والثّاني: أنْ يطلبَ بقاءَ كونه قادراً علىٰ طاعاته المستقبلة، بأن: يجدِّد له القدرةَ حالاً بعد حال ـ عند من لا يقول ببقائها ـ أو لا يفعل ما يضادّها وينفيها، عند من قال ببقائها.

فإن قيل: هلّا قدّم طلبَ المعونةِ علىٰ فعل العبادة؛ لأنّ العبادةَ لا تتمّ إلّا بتقدم المعونة أوّلاً؟

قيل: في الناس من قال: المراد به التقديم والتأخير، فكأنّه قال: إيّاك

---

(١) سورة السجدة ٣٢: ١٢.

(٢) سورة الرعد: ١٣: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ١: ٢٤٩.

نستعين وإيّاك نعبد.

ومنهم من قال: ليس يتغيّر بذلك معنىً، كما أنّ القائل إذا قال: أحسَنْتَ إليّ فقضيتَ حاجتي، أو: قضَيتَ حاجتي فأحسنت إليّ، فإنّ المعنىٰ في الحالين واحد.

وقال قوم: إنّهم سألوا المعونة علىٰ عبادة مستأنفة لا علىٰ عبادة واقعة منهم، وإنّما حسنَ طلبُ المعونة ـ وإن كان لابدّ منها ـ مع التكليفِ علىٰ وجهِ الانقطاع إليه، كما قال: ﴿رَبِّ ٱحْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[1]، ولأنّه قد لا يكون في إدامة التكليفِ اللطفُ، ولا في فعل المعونة به إلّا بعد تَقدّم الدعاء من العبد[2].

وإنّما كرّر «إيّاك»؛ لأنّ الكاف التي فيها هي كاف الضمير التي كانت تكون بعد الفعل في قوله: نعبدك، فلمّا قدّمت، زيد عليها «إيّا»؛ لأنّ الاسم إذا انفردَ لا يمكن أنْ يكون علىٰ حرف واحد فقيل: «إيّاك». ولمّا كانت الكاف يلزم تكرارها لو كرّر الفعل وجب مثل ذلك في «إيّاك». ألا ترىٰ أنّه لو قال: نَعبدُك، ونَستعينُكَ، ونَستهْديكَ، لم يكن بُدّ من تكرير الكاف، وكذلك إذا قدّم فقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وفيه تعليم لنا أنْ نُجدِّدَ ذكرهُ عند كلّ حاجة.

---

(١) سورة الانبياء ٢١: ١١٢.

(٢) للاستزادة ومعرفة الأقوال انظر: الذخيرة: ٨٠ وما بعدها خصوصاً: ٨٨، تمهيد الأُصول في علم الكلام: ١٤٤ وما بعدها، خصوصاً: ١٤٩، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٣٢٣ وما بعدها، محصّل أفكار المتقدّمين: ١٥٢، شرح المواقف ٦: ٨٧، وبتوضيح جميل في: بحوث في الملل والنحل ٢: ١٦٩ وغيرها كثير.

ومن قال: إنّه يجري مجرىٰ قول عَدِيّ بن زَيْد العِباديّ[1]:

وجاعِلَ الشَّمْسِ مِصْراً لا خَفاءَ بِهِ   بَيْنَ النَّهارِ وَبيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلا[2] [٤٤]

وكقول أعشىٰ هَمْدان[3]:

---

(١) عَدِيّ بن زَيْد بن حمّاد، من بني امرئ القيس من زيد مناة من تميم، شاعر فصيح، جاهليّ نصرانيّ، نزل الحيرة وتعلّم الكتابة بالعربية والفارسية، وكتب لكسرىٰ في قصة طويلة، من غرر شعره قصيدته التي يقول فيها:

أيها الشامِتُ المُعَيِّر بالدَّهرِ   أَأَنْتَ المُبَرَّءُ المَوفُورُ ؟!

قتله النعمان بن المنذر ملك الحِيرة في قصة مذكورة.

له ترجمة في: الأغاني ٢: ٩٧، بلوغ الإرب ٢: ٢٦٢، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٣٧٩ الشاهد ٦٠.

(٢) اختلف في ضبطه بما لا يؤثر علىٰ موضع الشاهد منه، وكذا اختلف في عزوه. إذ نسبه إلى عديّ بن زيد العباديّ جمع، منهم: ابن فارس في معجمه ٥: ٣٣٠، والأزهريّ في تهذيبه ١٢: ١٨٣، والمَقْدِسيّ في البَدء والتاريخ ١: ١٥١، والأب شيخو في شعراء النصرانية قبل الإسلام: ٤٦٩، وهي ضمن مقطوعة يذكر فيها مبدأ الخليقة وقصة النبيّ آدم عليه‌السلام والحيّة. ب ٦ ق ١٠٣ من الديوان: ١٥٨.

وآخرون إلىٰ أُمية بن أبي الصلت انظر: المخصّص ٦: ٢٢٧، لسان العرب ٥: ١٧٥، وديوان أُمية بن أبي الصلت ١٧٩ ـ ١٨٠ ب٣، وأُمية بن أبي الصلت حياته وشعره: ٣٥١ ت ١٦٠.

المصر: الحاجز والفاصل والحدّ بين شيئين.

والشاهد فيه: تكراره لفظ «بين»؛ لضرورة معنوية أو للتأكيد.

(٣) أعشىٰ هَمْدان، أبو مصبح، عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث بن هَمْدان. بلقبه أشهر من اسمه، كان أحد الفقهاء القرّاء ثمّ ترك وقال الشعر، شاعر، أُمويّ، فصيح، مكثر، قتله الحجاج؛ لهجوه ثقيف وخروجه مع ابن الأشعث عام: نيف وثمانين هـ.

له ترجمة في: المؤتلف والمختلف: ١٤، والأغاني ٦: ٣٣، سيَر أعلام النبلاء ٤: ١٨٥ ت ٧٥، ومصادره.

بَـيْنَ الأَشَـجِّ وَبَـيْنَ قَـيسٍ بـاذِخٌ   بَـخْ بَـخْ لِـوالِـدِهِ وَلِـلمَوْلُودِ[1] [٤٥]

فكرّر لفظ «بين».

فقد أخطأ؛ لأنّ في البيتين لو لم تكرّر «بين» لكان الفعل مستحيلاً؛ ألا ترىٰ أنّه لو قال: الشمس قد فصلت بين النهار، لم يكن كلاماً صحيحاً، وكذلك البيت الآخر. وليس كذلك الآية؛ لأنّه لو قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وسكت؛ لكان مستقلاً بنفسه، وهذا طعنَ به بعض المفسِّرين.

وعندي: إنّ هذا ليس بطعن؛ لأنّه مغالطة؛ لأنّه لو قال: بين النهار

---

(١) من قصيدة يمدح فيها ابن الأشعث مطلعها:

يأبىٰ الإله وَعِزّةُ ابنِ مُحَمّدٍ   وَجدُودُ مَلْك قَبلَ آلِ ثَمودِ

الأشجّ: أفعل من الشجّ. له معان منها: السير السريع، المزج، مكسور الرأس، ويستعمل صفة أو اسماً كما هنا حيث هو أب الممدوح بقرينة ذيل البيت.

بـاذخ: كلمة مدح يوصف بها غالباً الشرف، فيقال: شرف باذخ أي: عالٍ، والشخص الكبير والعظيم.

بَخْ: كلمة مدح وفخر، تقال: عند التعظيم والرضا والإعجاب، والتكرار للمبالغة، وأصلها: بسكون الخاء قبلها باء مفتوحة، وربّما نُوِّنَ مشدَّداً، ويُشتَق منه الفعل بَخْبَخَ وزان سَبَّحَ. ومنها قَولةُ ابن الخطاب الشهيرة لأمير المؤمنين في يوم الغدير بَخٍ بَخٍ لَكَ يا عليّ أصْبحتَ مَوْلاي ومَوْلى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة.

الشاهد فيه: تكرار لفظ «بين»؛ لضرورة.

والملاحظ خلوّ القصيدة من هذا البيت في الديوان مع وجودها فيه ولعلّهما موجودان في طبعة المستشرق (جاير) التي نشرت من قبل دار لوزاك عام ١٩٢٨ لندن.

وقد استشهد به جمع، ونسبه إليه أكثرهم، انظر «بَخَخَ» في: جمهرة اللّغة ١: ٦٥ و٨٩، تهذيب اللّغة ٧: ٣٣٠، الصحاح ١: ٤١٨، معجم مقاييس اللّغة ١: ١٧٥، مجمل اللّغة ١: ١١١، لسان العرب ٣: ٥. وأمالي ابن الشجريّ ٢: ١٧٤، شرح المفصّل ٤: ٧٨، أساس البلاغة ١٦، الأغاني ٦: ٤٦ وغيرها.

وانظر: الصبح المنير في شعر أبي بصير: ٣٢٣، ق ١٥ ب ٥.

والليل، لكان كلاماً صحيحاً وإنّما كرّر بين، وكذلك لو قال: إيّاك نعبدُ ونستعينُ كان كلاماً صحيحاً وإنّما كرّر إيّاك تأكيداً، والعلّة ما ذكرناه أوّلاً.

قوله تعالىٰ:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ آية (٦).

قَرَأ ابن كَثِير ـ في رواية ابن مُجاهِد[1] عن قُنْبُل[2] ـ والكِسائيّ ـ من طريق أبي حَمْدُون[3] ـ ويعقوب ـ من طريق رُوَيْس[4] ـ: بالسين. وكذلك

---

(١) أبو بكر، أحمد بن موسىٰ بن العباس بن مُجاهِد التميميّ البغداديّ. درس النحو في مدرسة الكوفة، وأخذ القراءة عن جمع كثير من أساطينها. له السبعة في القراءات وغيرها. توفي عام: ٣٢٤ هـ.

له ترجمة في: طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٣٣٣ ت ٢٦٦، طبقات الشافعية الكبرىٰ ٣: ٥٧ ت ١٠٤، غاية النهاية ١: ١٣٩ ت ٦٦٣.

(٢) قُنْبُل، محمّد بن عبدالرحمن بن محمّد المَخْزوميّ المكّيّ، اشتهر بقُنْبل حتىٰ عفىٰ علىٰ اسمه، قيل: بسبب نسبته إلىٰ بيت القنابلة في مكّة المكرّمة. وقيل: لاستعماله كثيراً لدواء يعرف بقنبل، وعلىٰ كلٍّ فهو شيخ الإقراء بالحجاز في عصره. توفي سنة: ٢٩١هـ

له ترجمة في: غاية النهاية ٢: ١٦٥ ت ٣١١٥، طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٢٧٣ ت ١٧٤، الوافي بالوفيات ٣: ٢٢٦ ت ١٢٢٧.

(٣) في النسخ والحجرية والحروفيات: ابن حمدون. غلط صحيحه المثبت، إذ هو:

الطيّب بن إسماعيل بن أبي تراب الذُهليّ البغداديّ، أبو حمدون، ويقال له: حمدويه، مقرئ ضابط، أخذ القراءة عن جمع منهم الكسائيّ وغيره. توفي حدود عام: ٢٤٠ هـ.

ترجمته في: تاريخ بغداد ٩: ٣٦٠ ت ٤٩٢٧، غاية النهاية ١: ٣٤٣ ت ١٤٨٩، طبقات القرّاء للذهبي ١: ٢٥١ ت ١٤٤.

وفي الطبقات أيضاً: ٣٠٣ ت ٢٢١: ابن حمدون الواسطيّ الحذّاء. ولا يمكن إرادته من حيث الطبقة إضافة إلىٰ تصريح التراجم بأخذ الأوّل ـ الطيّب ـ عن الكسائي. وانظر ترجمة الكسائيّ فيه: ١٤٩ ت ٦٥.

(٤) محمّد بن المتوكل، اللؤلؤيّ، البصريّ، المعروف والمشهور برويس، أخذ

في «صراط»[١] في جميع القرآن والباقون: بالصاد.

وأشمّ الصادَ زاياً حمزة في الموضعين[٢]، خاصة في رواية عليّ بن سالم[٣].

وفي رواية الدوريّ[٤] وخلّاد[٥]: إشْمامها الزاي ما كان فيه ألف ولام.

وأمّا الصاد إذا سُكّنتْ وكان بعدها دال نحو: يَصْدرُ، وفاصْدَع،

القراءة عن يعقوب الحضرميّ، حتىٰ عدّ من أحذق أصحابه. توفي بالبصرة عام: ٢٣٨ هـ.

ترجمته في غاية النهاية ٢: ٢٣٤ ت ٣٣٨٩، طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٢٥٣ ت ١٤٧، الوافي بالوفيات ٤: ٣٨٤ ت ١٩٤٠.

(١) إشارة إلىٰ عموم القراءة سواء كانت الكلمة محلّاة بالألف واللّام أم لا.

(٢) إشارة إلىٰ ما تقدّم في الهامش ١.

(٣) إذ لم نجده بالاسم المعنون وعلىٰ كثرة ما لدينا من مصادر فلعلّه المردّد بين: عليّ ابن الحسين بن سلم النخعيّ من كبار تلامذة سُليمْ راوي قراءة حمزة. وقد قيل فيه: عليّ بن سلم فنسب إلىٰ جدّه؛ لاشتهاره بذلك.

له ترجمة في غاية النهاية ١: ٥٣٣ ت ٢٢٠٣.

وبين عليّ بن سليم بن إسحاق أبو الحسن العسكريّ البغداديّ المعروف بالخضيب، مقرئ حاذق، أخذ القراءة عن جمع منهم الدوريّ عرضاً وسماعاً.

انظر ترجمته في غاية النهاية ١: ٥٤٤ ت ٢٢٢٨، طبقات القرّاء ١: ٢٨٧ ت ١٩٥.

(٤) أبو عمر الدوريّ، حفص بن عمر بن عبدالعزيز الأزديّ البغداديّ، أخذ القراءة عن إسماعيل بن جعفر، وسُلَيم عن حمزة، واليزيديّ، والكسائيّ. توفّي عام: ٢٤٦ هـ.

له ترجمة في: غاية النهاية ١: ٢٥٥ ت ١١٥٩، التذكرة في القراءات ١: ٤٠، طبقات القرّاء ١: ٢٢٠ ت ١١٥ وغيرها.

(٥) خَلّاد بن خالد، أبو عيسى الشيبانيّ ـ مولاهم ـ الصَّيْرفيّ، الكوفيّ. من أضبط أصحاب سُلَيْم بن عيسى الحنفيّ، توفّي عام: ٢٢٠ هـ.

ترجمته في طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٢٤٨ ت ١٤٠، غاية النهاية ١: ٢٧٤ ت ١٢٣٨.

ويَصْدِفون: فأشمّ الصادَ الزايَ ـ حيث وقع ـ حمزةُ والكسائيُّ وخلفُ ورُوَيْس[1].

﴿اهْدِنَا﴾:

مبنيّ على الوقف؛ لأنّه أمر، والهمزة مكسورةٌ؛ لأنّ ثالث المضارع منه مكسور في نحو يهدِي.

وموضع النون والألف من ﴿آهدِنَا﴾ نصبٌ؛ لأنّه مفعول به.

و ﴿آلصِّرَاطَ﴾:

منصوب؛ لأنّه مفعول ثان.

فمن قرأ بالسين؛ فلأنّه الأصل من غير سبب يمنع منه.

ومن قرأ بإشمام الزاي؛ فللمؤاخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين ـ وهو الزاي ـ من غير إبطالِ الأصل.

ومن قرأ بالصاد فللمؤاخاة بين الصاد والطاء بالاستعلاء، والإطباق بحرفٍ من مخرج السّين التي هي الأصل.

والقراءة بالصاد أحسن؛ لأنّ فيها جمعاً بين المتشاكلين في المسموع.

---

(١) للقراءات انظر المصادر الآتية: السبعة في القراءات: ١٠٥ ـ ١٠٨، الحجّة في القراءات السبع: ٦٢، إعراب القراءات السبع ١: ٤٩، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٤٩، الغاية في القراءات العشر: ١٢٨، حجّة القراءات: ٨٠، التذكرة في القراءات: ٨٥، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٣٤، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٠١، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٣٠، تحبير التيسير في قراءات الأئمّة العشرة: ٤٠.

وتعرّض لها من اللّغويين الأزهريّ في تهذيب اللّغة ١٢: ٣٢٩ و١٣: ١٧٩، مادة «سَرَطَ وصَرَطَ»، وابن منظور في لسان العرب ٧: ٣٠٧ و٣١٣ و٣٤٠، والزَبيدي في تاج العروس ١٠: ٢٧٠، ٢٧٨، ٣٢٠، مادة «زَرَطَ، سَرَطَ، صَرَطَ».

ومعنىٰ ﴿ ٱهْدِنا ﴾ :

يحتمل أمرين :

أحدهما : أرْشدنا . كما قال طَرَفَة[1]:

للـفَتىٰ عَـقْلٌ يَـعِيشُ بِـهِ حَيْثُ تَهدِي ساقَهُ قَـدَمُه[2] [٤٦]

والثاني : وَفِّقْنا . كما قال الشاعر[3]:

---

(١) طَرَفَة بن العبد بن بكر بن وائل، أبو عمرو، شاعر جاهليّ. يُعدّ في أصحاب المعلَّقات، ومعلَّقته:

لِـخَوْلَةَ أَطْـلالٌ بِـبُرْقَةِ ثَـهْمَدِ تَلُوحُ كَباقِي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

قتله الملك عمرو بن هند غيلة بواسطة عامله علىٰ البحرين وعمره ست وعشرون سنة. عام: ٥٦٥ م.

وطرفة: اسم شجر عندهم.

انظر: مقدمة الديوان، أسماء المغتالين (ضمن نوادر المخطوطات): ٢١٢، أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢: ٥ وفيه ترجمة مفصلة فيها الكفاية.

(٢) الديوان: ٧٤ البيت ٢٣ من قصيدة مطلعها:

أَشَجاكَ الرَّبْعُ أمْ قِدَمُه أَمْ رَمادٌ دَارِسٌ حُـمَمُهْ

وهي في: أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين للأعلم ٢: ٧٧، القصيدة الثالثة له.

أراد: إنّ من كان فتىٰ ذا عقل ومتصرّف عاش حيث هدت وأرشدت ومشت به قدمه في أرض غربة وغيرها.

الشاهد فيه: استعمال لفظة «تهدي» بمعنى «ترشد» كما هو واضح. وانظر من كتب اللّغة: تهذيب اللّغة ٦: ٣٧٨، الصحاح ٦: ٢٥٣٣، لسان العرب ١٥: ٣٥٣، «هدى» في الجميع.

(٣) وهو: جَرْوَل بن أَوْس بن مالك العَبْسيّ، أبو مُلَيْكَة، لقّب بحُطَيْئَة ـ لقصره ـ حتىٰ عفىٰ علىٰ اسمه، شاعر مخضرم هجّاء بذئ اللّسان متصرّف بفنون الشعر، له ←

فَـلا تَـعْجَلَنَّ هَـداكَ المَـلِيكُ   فَـإنّ لِكُـلِّ مـقامٍ مـقالا[1] [٤٧]

أي: وَفَّقَكَ.

والآيَةُ تدلّ علىٰ بطلانِ قولِ من يقولُ: لا يجوز الدعاءُ بأنْ يفعلَ الله ما يُعلم أنّه يفعلُه؛ لأنّه عبث.

لأنّ النبيّ ﷺ كان عالماً بأنّ اللهَ يهديه الصراطَ المستقيم، وأنّه قد فعلَ ذلك، ومع ذلك كان يدعو به.

وقد تكون الهداية بمعنىٰ: أنْ يفعل بهم اللّطفَ الذي يـدعوهُم إلىٰ فعلِ الطاعةِ.

والهدىٰ يكون أيضاً: بمعنىٰ الحكم لصاحبه بأنّه مـهتَدٍ عـلىٰ وجـه المدح.

والهدىٰ يكون: بأنْ يهديه إلىٰ طريق الجنّة، كـما قـال الله تـعالىٰ:

☜ ديوان شعر جمعه وشرحه جمع من العلماء كابن السِّكِّيت والسُّكَّريّ وغيرهما.

له تـرجـمة فـي الأغـاني ٢: ١٥٧، فـوات الوفـيات ١: ٢٧٦ ت ٩٦، الشـعر والشـعراء ١: ٣٢٢ ت ٣٧، طـبقات فـحول الشـعراء ١: ٤٠ و٩٧ و١٠٤ وانـظر: مدخل الحطيئة في فهرسته.

(١) الديوان: ٧٢ من مقطوعة قالها حين حبسه عمر بن الخطاب في قضية الزبرقان مطلعها:

أَعُـوذُ بِـجدِّك إنّـي امـرؤٌ   سَقَتني الأعادِي إليكَ السِّجالا

هذا وقد اختلف في ضبط روايته بما لا يضرّ مورد الشاهد.

الشاهد فيه: استعمال هدىٰ بمعنىٰ وَفَّقَ.

وانـظر مـن كـتب اللّـغة: تـهذيب اللّـغة ٦: ٣٧٨، الصحاح ٦: ٢٥٣٣، لسان العرب ١٥: ٣٥٣، «هدى» في الجميع.

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَيْنَا لِهَـٰذَا ﴾[١].

وأصل الهداية في اللّغة: الدلالة على طريق الرشد[٢].

فإن قيل: ما معنى المسألة في ذلك وقد هداهم الله الصراطَ المستقيم، ومعلوم أنّه تعالىٰ يفعلُ بهم ما هو أصلحُ لهم في دينهم؟

قيل: يجوز أنْ يكون ذلك عبادةً وانقطاعاً إليه تعالىٰ كما قال: ﴿ رَبِّ ٱحْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾[٣] وإنْ عَلِمْنا أنّه لا يحكُم إلّا بالحقّ، ويكون لنا في ذلك مصلحة كسائر العبادات، وكما تعبّدنا بأنْ نكرِّرَ تسبيحهُ وتحميدهُ والإقرار له بتوحيده ولرسوله بالصدق، وإن كنّا معتقدين لجميع ذلك.

ويجوز أن يكون المراد بذلك الزيادة في الألطاف كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾[٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ ﴾[٥].

ويجوز أن يكون الله تعالىٰ يعلم أنّ أشياءَ كثيرةً تكون أصلحَ لنا، وأنفعَ لنا إذا سألناه، وإذا لم نسأله لا يكون ذلك مصلحة فكان ذلك وجهاً في حسن المصلحة.

---

(١) سورة الأعراف ٧: ٤٣.

(٢) انظر من معاجم اللّغة: العين ٤: ٧٨، تهذيب اللّغة ٦: ٣٧٨، المحيط في اللّغة ٤: ٤٣، الصحاح ٦: ٢٥٣٣، مجمل اللّغة ٣: ٩٠١، «هدى» في الجميع، كشف الأسرار في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: ٢٦ ت١، الأشباه والنظائر في القرآن (لمقاتل البَلْخيّ): ٨٩ ت ١، ونحوه الوجوه والنظائر (لهارون): ٢٨، الوجوه والنظائر في القرآن (للدامغانيّ): ٨١٨.

(٣) سورة الأنبياء ٢١: ١١٢.

(٤) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ١٧.

(٥) سورة المائدة ٥: ١٦.

ويجوز أنْ يكونَ المراد: استمرارَ التكليف والتعريض للثواب؛ لأنّ إدامته ليست بواجبة بل هو تفضّل محض جاز أن يرغب إليه فيه بالدعاء.

ويُلزم المخالف أنْ يُقال له: إذا كان الله تعالىٰ قد علم أنّه يفعلُ ذلكَ لا مَحالةَ، فما معنىٰ سؤاله ما علم أنّه يفعله؟ فما أجابوا به فهو جوابنا.

و: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

هو دين الحقِّ الذي أمرَ الله تعالىٰ به من توحيدِه، وعدلِه، وولاية من أوجبَ طاعته. قال جَرير[1]:

[٤٨] أَمِيرُ المُؤمِنينَ علىٰ صِراطٍ ـ إذا اعْوَجَّ المَوارِدُ ـ مُسْتَقيمِ[2]

أي: علىٰ طريق واضح.

وقال آخر:

---

(١) جَرِيرُ بن عَطِيَّة بن حُذَيفة الخَطَفيّ، أبو حَزْرَةَ، شاعر أُمويّ، اشتهر بهجائه للآخرين حتّىٰ البذاء والفحش، لم يصمد له إلّا الفرزدق والأخطل، اتّصل بالحكّام الأمويين بعد مقتل ابن الزبير. توفي في اليمامة ـ وكان قد نشأ فيها ـ عام: ١١٤ هـ أو ما يقاربها.

له ترجمة في كثير من المصادر منها: الأغاني ٨: ٣، الشعر والشعراء ١: ٤٦٤ ت٨٥، وفيات الأعيان ١: ٣٢١ ت ١٣٠.

(٢) الديوان: ٤١١، سابع بيت من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبدالملك الأُموي.

أمير المؤمنين: أراد أميره الحاكم الأُمويّ هشام والقصيدة مدح له. الصراط: الطريق. الموارد: الطُّرق، والسُّبل إلىٰ الماء. واحده: الوارد. وكذلك المورد.

الشاهد فيه، قوله:.... صراط.... مستقيم، أي طريق واضح.

هذا وقد استشهد به جمع لمورد الشاهد وغيره منهم صاحب جمهرة اللّغة ٢: ٧١٤، الصحاح ٢: ٥٥٠، ومعجم مقاييس اللّغة ٦: ١٠٥، مجاز القرآن ١: ٤٩، ومعاني القرآن للزجّاج ١: ٤٩ وانظر الكامل في الأدب ٢: ٦٦٦ ناسبينَه له.

فَصَدّ عَنْ نَهْجِ السِّراطِ الواضِحِ(١) [٤٩]

وقيل: إنّه مشتقٌّ من مُسْتَرَطِ الطعام، وهو: ممرّه في الحلق.

والصادُ لغةُ قريش؛ وهي اللّغة الجيّدة، وعامةُ العرب يجعلونها سيناً.

والزاي لغةٌ لعُذْرة، وكعْب، وبني القين(٢). يقولون [في أصدق]: أزدق، فيجعلونها زاياً إذا سُكّنت.

وأهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريقِ والسبيل والزقاقِ والسوق.

وبنو تميم يُذكّرون هذا كلّه(٣).

وأصل الاستقامة: الاستواءُ في جهة الانتصاب، وهو ضدّ الاعوجاج،

---

(١) استشهد به جمع من دون نسبته، وقد اختلف في ضبطه بما لا يخلّ بالشاهد.

الشاهد فيه، ما أفاده المصنّف ﷺ من أن «الصراط» هو الطريق الواضح المستقيم.

انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢٤، تفسير النكت والعيون ١: ٥٨، تفسير جامع البيان ١: ٥٧، الجامع لأحكام القران ١: ١٤٧، والدرّ المصون ١: ٧٨ ت ٦٨.

(٢) اختلفت المصادر التالية ـ في الهامش الآتي ـ في ضبط أسماء القبائل، فقد ورد في البعض: كلب. وبني العين ولم أجده، ولعلّ المثبت أصحّ، انظر: الاشتقاق: ٥٤٢.

(٣) لما تقدّم «صرط ـ سرط» انظر: جمهرة اللّغة ٢: ٧١٣ و٧١٤ و٧٣٧، تهذيب اللّغة ١٢: ٣٢٩ و١٣: ١٧٩، الصحاح ٣: ١١٣١ و١١٣٩، معجم مقاييس اللّغة ٣: ١٥٢ و٣٤٩، المخصّص ٧: ٦٠٨، أساس البلاغة: ٢٠٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٤٠٦ و٤٨٣، لسان العرب ٧: ٣٠٧ و ٣١٣ و٣٤٠. وانظر: النكت والعيون ١: ٥٨ الفرق بين الحروف الخمسة: ٧٠٩، والخصائص ٢: ٨٢ وشرح الشافية ٣: ١٩٧، معاني القرآن للأخفش ١: ١٧، القلب والابدال لابن السكّيت: ٤٥. المذكر والمؤنث: للسجستانيّ: ١٤٧، وللمبرّد: ١٠٤ وللأنباريّ ١: ٤٢٠ ـ ٤٢١، ٣٩٤، ٤٣٦ ولابن التستريّ: ٥١ ـ ٥٥.

ولاحظ: الجامع لأحكام القرآن ١: ١٤٨، زاد المسير ١: ١٥، الدر المنثور ١: ٧٤.

فمنه القيام والتقويم والتقوّم، ومنه المقاومة؛ لأنّه بمنزلة المماثلة بما هو كالاستواء. وتقاوموا في الأمر إذا تماثلوا، والاستقامة المرور في جهة واحدة[١].

وقيل في معنىٰ قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وجوه:

أحدها: إنّه كتاب الله، روي ذلك عن النبيّ ﷺ، وعن عليّ عليه السلام، وابن مسعود.

والثاني: إنّه الإسلام، حُكي ذلك عن جابر[٢]، وابن عبّاس.

والثالث: إنّه دينُ الله عزّ وجلّ الذي لا يقبلُ من العبادِ غيره[٣].

---

(١) تهذيب اللّغة ٩: ٣٥٦، الصحاح ٥: ٢٠١٦، لسان العرب ١٢: ٤٩٦، الفروق اللّغوية: ١٢٨، بصائر ذوي التمييز ٤: ٣٠٧، المفردات: ٦٩٢، «قَوَمَ» فيها.

(٢) جابر بن عبدالله بن حرام بن ثعلبة الأنصاريّ، من أهل بيعة الرضوان والعقبة الثانية. وصفه الذهبيّ: الإمام الكبيرُ المجتهدُ الحافظُ صاحب رسول الله ﷺ. شهد مع النبيّ غزواته. عدّ من أصفياء أمير المؤمنين والمنقطعين لأهل البيت عليهم السلام ومن أصحاب الأئمة إلىٰ الإمام الباقر عليهم السلام.

توفي عام: ٧٢ هـ، وقيل: ٧٩ بعد أن أوصل سلام رسول الله ﷺ إلىٰ حفيده الإمام الباقر عليه السلام، إذ كان أمره بذلك.

ترجم له جمع منه: الشيخ في رجاله: ١٢ ت ٢ و٣٧ ت ٣ و٦٦ ت ١ و٧٢ ت ١، الكشي في الأرقام ٧٨ و٨٧، وانظر الفهرست في آخره، تنقيح المقال ١: ١٩٩ ت ١٦١٠، سيَر أعلام النبلاء ٣: ١٨٩ ت ٣٨، تهذيب الكمال ٤: ٤٤٣ ت ٧٨١، ومصادرهما.

(٣) مصادر هذه الوجوه كثيرة انظر: تفسير الامام مجاهد: ٣٣٣، مسند أحمد ٤: ١٨٢، سنن الدارميّ ٢: ٣٢٣ ت ٣٣٣١ و٣٣٣٢، سنن الترمذيّ ٥: ١٧٢ ت ٢٩٠٦، المعجم الكبير للطبرانيّ ١٠: ٢٤٥ ت ١٠٤٥٤، المستدرك للحاكم ٢: ٢٥٨ و٢٥٩، شعب الإيمان للبيهقيّ ٢: ٤٤٧ ت ٢٣٦٢، كنز العمّال ٢: ٢٩٨ ت

والرابع : إنّه النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام القائمون مقامه صلوات الله عليهم ، وهو المرويّ في أخبارنا[1].

والأولىٰ حمل الآية علىٰ عمومها ؛ لأنّا إذا حملناها علىٰ العموم دخل جميع ذلك فيه ، فالتخصيص لا معنىٰ له .

قوله تعالىٰ :

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آية (٧) .

معناه : بيان للصراط المستقيم ، إذْ كانَ كلُّ طريقٍ من طُرقِ الحقّ صراطاً مستقيماً . والمعنىٰ : صراطَ منْ أنعمت عليهم بطاعتِك .

وقرأ حمزةُ : بضمِّ الهاءِ من ذلك ، وفي «لديهُم[2]» ، وإليهُم» حيث وقع . وروىٰ الدّوريّ عنه كسر الهاء[3] في قوله تعالىٰ : **﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ**

↩ ٤٠٥٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٣٠ ت ٣٢، النكت والعيون ١ : ٥٩ ، تفسير الثعالبيّ ١ : ١٦٨ ، زاد المسير ١ : ١٥ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٣٨، بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ٨٢، تأويلات أهل السنة : ٢٨ ، الاشباه والنظائر ٢٨٩ ت١٤٦ ، الوجوه والنظائر : ٤٩ .

(١) تفسير العياشيّ ١ : ٢٤ ت٢٥ ، تفسير القميّ ١ : ٢٨ ، معاني الأخبار : ٣٢ باب معنىٰ الصراط ح٧ وغيره ، مناقب ابن شهرآشوب ٣ : ٨٨ وما بعدها ، شواهد التنزيل للحسكانيّ ١ : ٥٧ .

(٢) في النسخ «ل ، ؤ ، هـ» والحجرية والمطبوعات : «أيديهم» غلط صحيحه المثبت ، وتساعد عليه «ج» ، إذ أنّ الكلام حول اتّصال الضمير بالحرف لا بالمظهر .

وانظر مصادر قراءة حمزة في الهامش ٢ الآتي .

(٣) في «ؤ ، هـ ، ل» والحجرية والحروفيات : بضمّ الهاء . ولا يمكن المساعدة عليها ↩

مِنَ اللَّهِ ﴾[١][٢].

وقرأ يعقوب: بضمِّ كلِّ هاءٍ قبلها ياءٌ ساكنةٌ في التثنيةِ وجمع المذكّر والمؤنّث، نحو: «عليْهُما» و«فيْهُما» و«عليْهُنّ» و«فيْهُنّ».

وضَمَّ ميمَ الجمعِ ووصَلَها بواوٍ في اللّفظِ ابنُ كَثيرٍ وأبو جعفر[٣].

وعن نافع[٤] فيه خلافٌ كثير. وعن غيره لا نطوّل بذكره، وهو مذكور في كتب القراءات.

فمن قرأ بكسرِ الهاء وإسكان الميم قال: إنّه أُمِنَ اللّبسُ؛ إذ كانت

ﷺ إذ قد تقدّمت قراءته أنّها بالضمّ. وفي النسخة «خ والمختصرة» هكذا: كسرة الهاء في ... وهو الصحيح المثبت وانظر مصادر القراءة في هامش ٢: الآتي.

(١) سورة النحل ١٦: ١٠٦.

(٢) لقراءة الضمّ انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١: ٣٥ ت ٩، غاية الاختصار ١: ٣٧٥ ت ٥٢٦، السبعة في القراءات ١٠٩ و١١١، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٦٠، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٣٢، الغاية في القراءات العشر: ١٤٠، النشر في القراءات العشر ١: ٢٧٢.

ولرواية الدوريّ الكسر انظر: غاية الاختصار ١: ٣٧٦ ذيل ت ٥٢٦.

(٣) اختلف في اسمه بين: فيروز، وجندب، ويزيد، ولعلّه الصحيح، واسم أبيه بين القعقاع وفيروز. وبكنيته أشهر وأعرف وهو مولى عبدالله بن عياش بن عمرو بن المغيرة المخزوميّ، أخذ القراءة عن مولاه وعبدالله بن عبّاس وغيرها.

توفي عام: ١٣٠ هـ.

له ترجمة في: غاية الاختصار ١: ٧ ت ٥، معرفة القرّاء الكبار ١: ٧٦، غاية النهاية ٢: ٣٨٢ ت ٣٨٨٢.

(٤) نافع بن عبدالرحمٰن بن أبي نُعَيْم اللَّيثيّ ـ مولاهم ـ أبو رويم المدنيّ الاصبهانيّ قرأ وسمع من جمع كثير منهم الأعرج والمسيبيّ وغيرهم توفي: سنة ١٦٧ هـ.

له ترجمة في طبقات القرّاء ١: ١٠٤ ت ٤٥، غاية النهاية ٢: ٣٣٠ ت ٣٧١٨، سيَر أعلام النبلاء ٧: ٣٣٦ ت ١٢١.

الألف في التثنية قد دلّت على الاثنين، ولا ميم في الواحد، فلمّا لزمت الميمُ الجمعَ حذفوا الواو، وأسكنوا الميم طلباً للتخفيف.

وحجة من قرأ «عَلَيْهُم» أنّهم قالوا: ضمّ الهاء هو الأصل؛ لأنّ الهاءَ إذا انفردتْ من حرفٍ متصلٍ بها قيل: «هُم فعلوا».

ومن ضمّ الميم إذا لقيها ساكن بعد الهاء المكسورة قال: لمّا احْتَجْتُ إلى الحركة رَدَدْتُ الحرفَ إلىٰ أصله فضممت وتركت الهاءَ علىٰ كسرتها؛ لأنّه لم تأت ضرورةٌ تُحوِج إلىٰ ردِّها إلىٰ الأصل.

ومنْ كسرَ الميم للساكن الذي لقيها، والهاءُ مكسورةٌ، أتبعَ الكسرةَ الكسرةَ(١).

﴿ٱلَّذِينَ﴾:

في موضع جرٍّ بالإضافة، ولا يقال في الرفع: اللّذون؛ لأنّه اسم ليس بمتمكّن. وقد حُكي اللّذون شاذاً، كما قيل: الشياطُون، وذلك في حال

---

(١) للقراءات وحججها وعللها انظر: السبعة في القراءات ١: ١٠٨، الحجّة في القراءات السبع لابن خالويه: ٦٣، مختصر في شواذّ القرآن لابن خالويه: ٩، إعراب ثلاثين سورة له أيضاً: ٣١، وكذا إعراب القراءات السبع له ١: ٥١، الحجة للقرّاء السبعة ١: ٥٧، حجّة القراءات: ٨٠، المحتسب لابن جنّي ١: ٤٣، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٧٤، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١: ٣٥، التيسير في القراءات السبع: ١٩، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٣٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ١١، التذكرة في القراءات لابن غلبون ١: ٨٥، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٠١، غاية الاختصار في قراءات العشر أئمة الأمصار ١: ٣٧٥ ت٥٢٦، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٣١ ـ ٢٣٤ ت ٣، الغاية في القراءات العشر: ١٤٠، وانظر معاني القرآن وإعرابه ١: ٥١.

الرفع ولا يُقرأ به[1].

وقرأ «صِراطَ مَنْ أنعمتَ عليهم»: عمر بن الخطّاب[2]، وعبدالله بن الزبير[3][4]، وروي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام[5]، والمشهور الأوّل.

---

(١) نسب ذلك لبعض العرب في: البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٣٩، والتبيان في إعراب القرآن ١: ٩. وتفسير البحر المحيط ١: ٢٦، والمحرّر الوجيز ١: ٨١، وأشار إليها ابن مالك في ألفيته وابن عقيل في شرحه ١: ١٤٤ ناسباً إياها لهذيل ومستشهداً ببيت شعر علىٰ ذلك، خالفه أبو زيد في نوادره: ٤٧ رواية موضع الشاهد.

(٢) عمر بن الخطّاب بن نفيل العدوي، وأُمه حنتمة المخزوميّة، أشهر من أن يعرّف بشيء، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدىٰ عشرة امرأة، وتولّى الحكم بعد أبي بكر وبتعيين منه عام: ١٣ هـ. توفي عام: ٢٣ هـ قتلاً، ودفن جنب أبي بكر في حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله.

ترجمته في أغلب كتب التراجم وانظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء): ٨٧، وتهذيب الكمال ٢١: ٣١٦ ت ٤٢٢٥، ومصادرهما.

(٣) عبدالله بن الزبير بن العوّام القرشي الأسديّ، أبو بكر المدنيّ أُمّه أسماء بنت أبي بكر، ولد بعد الهجرة بسنتين، وتوفّي النبيّ وعمره ثمان سنوات وأشهر. اشترك في حرب الجمل مع أبيه وخالته عائشة، وصل إلىٰ الحكم بعد موت يزيد بن معاوية عام ٦٥، وحكم ثمان سنين. قتله سفّاك الأمويين الحجّاج وصلبه في مكّة حرم الله الآمن أيام حكومة عبدالملك بن مروان عام: ٧٣هـ.

له ترجمة في: تهذيب الكمال ١٤: ٥٠٨ ت ٣٢٦٩، سيَر أعلام النبلاء ٣: ٣٦٣ ت ٥٣، وانظر مصادرهما.

(٤) أشار إليها: القيسيّ في الإبانة عن معاني القراءات: ٩٥، والسمعانيّ في تفسيره ١: ٣٩، والماورديّ في النكت والعيون ١: ٨١، وابن عطية في المحرّر الوجيز ١: ٨١، والقرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن ١: ١٤٩، والسجستانيّ في مصاحفه: ٦١، والسيوطيّ في درّه المنثور ١: ٨٢.

(٥) أشار إليها القمّيّ في تفسيره ١: ٢٩، والثعلبيّ في تفسيره الكشف والبيان ١: ١٢٢.

والنِّعمةُ التي أنعم بها علىٰ المذكورين وإن لم تُذكر في اللّفظ، فالكلام يدلّ عليها؛ لأنّه لمّا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وبيّنا المراد بذلك[1]، ثمَّ بينَ أنّ هذا صراط من أنعمتُ عليهم بها، فلم يَحتَجْ إلىٰ إعادة اللّفظ، كما قال النابغة الذبيانيّ:

[٥٠] كأنّكَ مِن جِمالِ بني أُقيشٍ يُقَعْقَعُ خَلفَ رِجلَيهِ بشَنِّ[2]

لمّا قال: جمال بني أُقيش، قال يُقعْقِعُ، ومعناه: جَمَلٌ يُقَعْقِعُ خَلْفَ رِجْلَيهِ، ونظائر ذَلك كَثيرٌ جدّاً.

---

(١) تقدّم في: ذيل تفسير الآية الكريمة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ صحيفة: ١٣١ وما بعدها.

(٢) الديوان: ١٢٣ من قصيدة قالها في وقعة بين بني عبس وبني أسَد وحلفهم مع الذبيانيين.

الشاهد فيه: فيه شواهد، منها: ما أورده الشيخ المصنّف ﵀ من إقامة الصفة وحذف الموصوف ـ اعتماداً علىٰ فهم القارىء والمخاطب ـ حيث حذف «جمل» من قوله: جمل يقعقع.

بني أُقيش: اختلف فيه، فقيل: حيّ من الجنّ، وقيل: بل من العرب من عُكل، وإلىٰ الأوّل تنسب الجمال الأقيشيّة، وهي غير عتاق سريعة النّفر. والقعقعة: صوت الجلد اليابس. والشنّ: القربة الصغيرة البالية الخَلِقَة، أو كلّ مصنوع من الجلد بالياً. وتقعقعها بوضع الحصا فيها وتحريكها.

أورده جمع علىٰ الاستشهاد به لما تقدّم وغيره منهم: أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٤٧ رقم ٥٤، وكرّر في ١٠١، ٢٤٧، ٢: ٢٢٦، والمبرِّد في ما اتفق لفظه واختلف معناه: ٥٦، تهذيب اللّغة ١: ٦٣ الصحاح ٣: ١٠٢٦ «وقش»، و٥: ٢١٤٦ «شنن»، لسان العرب ٤: ٢٣١ «خَدَرَ» و٦: ٢٦٤ «أقَشَ» و٣٧٣ «وَقَش»، ٨: ٦٨٦ «قعع»، ١٣: ٢٤١ «شنن»، وكذا الزمخشريّ في المفصل: ١١٨، وابن يعيش في شرحه ١: ٦١ و٣: ٥٨ ـ ٦٠، وخزانة الأدب للبغدادي ٥: ٦٧ رقم ٣٤٦. وغيرهم، وفي الكلّ منسوب للذبيانيّ.

وقوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

أجمع المفسِّرون والقَرَأَةُ علىٰ جرِّ ﴿غير﴾؛ لأنه نَعتٌ لـ﴿الذين﴾، وإنّما جاز أنْ تكونَ نعتاً لـ﴿الذين﴾ ـ و﴿الذين﴾ معرفةٌ و﴿غير﴾ نكرة ـ ؛لأنّ ﴿الذين﴾ بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالأسماء التي هي أعلام كزيد وعمرو، وإنّما هي كالنكرات إذا عُرِّفت كالرجل والبعير. فلمّا كانت «الذين» كذلك كانت صفتها كذلك أيضاً.

وجاز أنْ تكون نعتاً للذين، كما يقال: لا أجلسُ إلّا إلىٰ العالِم غير الجاهل، ولو كانت بمنزلة الأعلام لما جاز، كما لم يجز في قولهم: مررت بزيد غير الظريفِ، فلا يجر علىٰ أنّه نعتٌ، وإنْ نَصبتَه في مثل هذا جازَ علىٰ الحال.

ويحتمل أنْ تكون مجرورة؛ لتكرير العامل الذي خفضَ ﴿الذين﴾ فكأنّك قُلتَ: صِراطَ الذين أنْعَمتَ علَيهمْ، صَراطَ غَيرِ المغْضوبِ عليهم. ويتقارب معناهما؛ لأنّ «ٱلّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ» هم الذين لم يغضب عليهم[1].

وقُرِئ في الشواذّ «غيرَ المغضوب عليهم» بالنَّصب، ووجهها أنْ تكونَ صفةً للهاء والميم اللّتين في «عليهم»، العائدة علىٰ «الذين»؛ لأنّها وانْ انخفضت بـ«علىٰ» فهي في موضعِ نصبٍ بوقوع الإنعام عليها ويجوز أنْ يكون نصباً علىٰ الحال[2].

---

(١) انظر لذلك كتب القراءات، نحو: السبعة في القراءات: ١١١ ـ ١١٢، إعراب القراءات السبع ١: ٥١ ـ ٥٢، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ١٤٢. وإعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٣٣، مشكل إعراب القرآن ١: ١٣، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٤٠، التبيان في إعراب القرآن ١: ٩، المكتفىٰ في الوقف والابتداء: ١٥٦.

(٢) للقراءة وأوجهها يراجع: إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٠٣، مختصر في شواذّ ↲

وقال الأخفش والزجّاج: إنّه نصبٌ علىٰ وجه الاستثناء من معاني صفة ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(١)، وتقديره: اهدِنا الصِّراطَ المستقيمَ صِّراط الذين أنْعمتَ عليهمْ إلّا المغضوبَ عَلَيْهم الذين لم تُنعمْ عليهمْ في أديانِهم فلا تجعلنا منهم. ويكون استثناءً من غير الجنس، كما قال النابغة الذبياني:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائِلُها
عَيَّتْ جَواباً، وَما بالرَّبْعِ مِنْ أحدِ [٥١]
إلّا الأواريَّ لَأياً ما أُبَيِّنُها
والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمَظلومَةِ الجَلَدِ(٢)

القرآن: ٩، معاني القرآن للأخفش ١: ١٦٦، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٥٣، مشكل إعراب القرآن ١: ١٣، البيان ١: ٤٠، التبيان في إعراب القرآن١: ١٠، السبعة في القراءات: ١١٢، إعراب القراءات السبع ١: ٥١.

(١) لرأيهما راجع: معاني القرآن للأخفش ١: ١٦٤، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٥٣، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٧٥، إضافة لمصادر الهامش الأوّل.

(٢) أبيات من معلّقة الذبيانيّ، مادحاً بها الملك النعمان بن المنذر. الديوان: ٣٠، شرح القصائد العشر، للخطيب: ٤٤٧ ت ٩.

أُصيلالاً: وقت العشيّ، وقيل: الغروب. هذا وقد اختلف في ضبطها ولا ضير؛ لتقاربها معنىً وعدم تأثيرها لمحل الشاهد.

أُسائلها: أُحدِّثها. الرَّبْع: المحل والمكان. الأواريّ: ورد مُنكَراً ومعرّفاً، وهو الحبل الذي تشدّ به الدّابة. لأياً: بطيئاً. النؤي: الحاجز حول الخباء لمنع دخول الماء فيه. المظلومة: الأرض. الجَلَد: الصُّلبة.

الشاهد فيهما: إلّا الأواريَّ. حيث روي: بالنَّصب علىٰ الاستثناء المنقطع من «من أحد» في البيت الأوّل، وبالرفع علىٰ أنّه بدل منه.

وقال الفرّاء وثعلب: هذا خطأ؛ لأنّه لو كان كذلك لما قال: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾؛ لأنّ «لا» نفي وجَحد. ولا يُعطَفُ علىٰ جَحدٍ إلّا بجحدٍ، ولا يُعطَفُ بالجحدِ علىٰ الاستثناء، وإنّما يُعطَفُ بالاستثناء علىٰ الاستثناء وبالجحد علىٰ الجحد. يقولون: قام القومُ إلّا أخاكَ، وإلّا أباكَ، ولا قامَ أخوكَ ولا أبوكَ؛ ولا يقولون: ما قام القومُ إلّا أخاكَ ولا أباك، فعلىٰ هذا تكون «غير» بمعنىٰ: «لا» فكأنّه قال: لا المغضوب عليهم ولا الضّالّين[1].

قال الرمّانيّ: من نَصَب علىٰ الاستثناءِ جعل «لا» صلة، كما أنشد أبو عُبيدة:

في بِئرِ لا حُورٍ سَرى وما شَعرْ[2] [٥٢]

﴿ والملاحظ في ضبط البيتين الاختلاف في النقل والضبط لكلٍّ علىٰ هواه وما يراه ويستشهد له.

للضبط ينظر: شرح القصائد المشهورات لابن النحّاس ٢: ١٥٨، شرح القصائد العشر للتبريزيّ: ٤٤٧، شرح الأشعار الستة الجاهلية ١: ٣٢٩.

انظر: معاني الفرّاء ١: ٢٨٨ و٤٨٠، الكتاب ٢: ٢٣٥ الحيوان ١: ٣٣١، المقتضب ٤: ٤١٠، الإنصاف ١: ٢٦٩، الجمل في النحو للزجّاجيّ: ٢٣٥، المتَّبع في شرح اللمع ١: ٣٥٨، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٣٩٠، معاني الحروف: ٩٧، شرح المفصل م١، ج٢: ٨٠ وغيرها. وقد تعرّض إليه البغداديّ في خزانة الأدب ٤: ١٢١ ـ ١٣٠ ش ٢٧٢ بتفصيل واحاطة.

(١) معاني القرآن للفرّاء ١: ٨ و٢٨٨، وانظر بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن): ٤٧، معاني القرآن للزجّاج ١: ٥٣، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ١٤٢، معاني القرآن للأخفش ١: ١٦٤.

(٢) وقبله علىٰ ما جاء في ديوان العجاج ١: ٢٠:

وَغَبَّراً قُتْماً فَيَجْتابَ الغَبَرْ

الشاهد فيه: كون «لا» زائدة ـ أي صلة ـ علىٰ رأي. وكونها نافية علىٰ آخر. ﴾

أي في بئر هلكة.

و: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:

هم اليهود عندَ جميع المفسِّرين الخاصِّ والعامِّ؛ لأنّه تعالىٰ قد أخبر أنّه غضبَ عليهم وجعل منهم القردة والخنازير(١).

﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾:

هم النصارىٰ؛ لأنّه قال: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢) وقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوْا﴾(٣) يعني النصارىٰ. وروي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله(٤).

↵ الحور ـ بضمّ الحاء وفتحها ـ: قيل: أصلُه الحؤُورُ، من حار يَحُور حوراً وحؤراً. وهو النقصان بعد الزيادة. وهنا كناية عن السقوط في بئر الهلكة؛ لعدم معرفته الرشاد والحق. ولعلّه ضُمِّنَ المثل: حور في محارة. أي نقص في منقصه.

لزيادة «لا»، انظر: مجاز القرآن ١: ٢٥ تأويل مشكل القرآن: ٢٤٣، جمهرة اللّغة ١: ٥٢٥، تهذيب اللّغة ٥: ٢٢٧، الصحاح ٢: ٦٣٨ و٦: ٢٥٥٣، المجمل في اللّغة ١: ٢٥٦، الصاحبيّ: ١٦٦. والمفصّل: ٣١٢، وشرح المفصّل ٨: ١٣٦، الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجانيّ: ٤٧٥.

وللمثل جمهرة الأمثال ١: ٣٤٧ت ٥٢٥، مجمع الأمثال ١: ٣٤٧ ت ١٠٣٢.

وعلىٰ إرادة معنىٰ النفي، انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٨، الخصائص ٢: ٤٧٧. وكذا: البيان للأنباريّ ١: ٤١، خزانة الأدب للبغدادي ٤: ٥١ ت ٢٦٠ وغيرها كثير.

وأما رأي الرمّانيّ فلعلّه في شرح الأُصول كما ذكره بعض، ولم نطَّلِع عليه.

(١) إشارة لما ورد في الآية ٦٠، من سورة المائدة: ٥.

(٢) سورة المائدة ٥: ٧٧.

(٣) سورة المائدة ٥: ٧٨.

(٤) تفسير العياشيّ ١: ٢٢ و٢٤ ت ١٧ و٢٧، تفسير القمّيّ ١: ٢٩، تفسير الشهيد ↵

وقال بعضهم: (لا) زائدة، تقديره: غير المغضوب عليهم والضّالّين، كما قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[1] معناه: أن تسجد، قال أبو النجم:

فما أَلُومُ البيضَ ألّا تَسْخَرا لمّا رَأَيْنَ الشَّمَطَ القَفَنْدَرا[2] [٥٣]

يعني: أن تسخرا[3].

وتكون «غير» بمعنىٰ سوىٰ. وقد بيّنا ضعف هذا عند الكوفيين؛ لما مضىٰ، ولأنّه إنّما يجوز ذلك إذا تقدمه نفي كقول الشاعر:

ما كانَ يَرضىٰ رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ والطَّيِّبان أبو بكرٍ ولا عُمَرُ[4] [٥٤]

زيد بن علي: ٨٧، تنوير المقباس: ٢، النكت والعيون ١: ٦، غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٨، غريب القرآن للسجستانيّ (نزهة القلوب): ٣٠٩، غريب القرآن لابن الملقن: ٤٥، تفسير المشكل: ٨٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٣١ ت ٤٠ ـ ٤٢، جامع البيان ١: ٦٢ ـ ٦٤، الدرّ المنثور ١: ٨٣ ـ ٨٧ و٥: ٣٩٥ ومصادره، سنن الترمذيّ ٥: ٢٠٤ ح ٢٩٥٤، مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٧٨ و٥: ٧٧، مجمع الزوائد ٦: ٣١٠، فتح الباري ٨: ١٣٠.

(١) سورة الأعراف ٧: ١٢.

(٢) استشهد به جمع من دون نسبة.

والشاهد فيه قوله: ألّا تسخرا، ومعناه: أن لا تسخرا، أي: إنْ تسخرا. فلا زائدة.

والشَمَطَ: الشيب، والقَفَنْدرَ: القبيح الشكل والصغير الرأس.

الديوان: ١٢١.

لزيادة الاطّلاع يراجع: مجاز القرآن: ٢٦، معاني القرآن للزجّاج ٢: ١٣٦، الأضداد للأنباريّ: ٢١٤، أمالي الشجريّ ٢: ٥٤٢ ولاحظ المجلس ٧٧ منه، تاج العروس ٣: ٥٠٤ إضافة لمصادر صفحة ١٣٩ الهامشان ١ و٢.

(٣) وانظر ما تقدّم من المصادر في الهوامش ١، ٢ من صحيفة: ١٣٩ والهامش ٢، اعلاه.

(٤) البيت للشاعر الأُموي جرير من قصيدة مطوّلة يهجو فيها الأخطل الشاعر.

وأمّا الغضبُ من الله فَهو: إرادةُ العقابِ المستحقِّ بهم، وَلَعْنُهُم وبراءَتُه منْهُم.

وأصل الغضب: الشِّدّة، ومنه الغَضْبَة: الصَّخْرةُ الصُّلْبةُ الشَّديدةُ المركّبةُ في الجبل المخالفة له.

ورجلٌ غَضُوبٌ: شَديدُ الغضَب.

والغَضُوب: الحيّةُ الخبيثةُ؛ لِشدّتها.

والغَضُوب: الناقةُ العبوسُ[1].

وأصل الضَّلالِ: الهلاكُ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] أي: هلكنا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[3] أي: أهْلَكَها.

والضَّلال في الدين: الذهاب عن الحقّ؛ والإضلال: الدعاء إلى الضَّلالِ والحملُ عليه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾[4]. والإضْلال: الأخذ بالعاصين إلىٰ النار، والإضْلال: الحكم بالضَّلال،

↩ والشاهد فيه، قوله: ولا عمر، «لا» زائدة؛ لتقدّم النفي عليها أوّل الكلام.

انظر: الديوان: ١٩٦. وقد استشهد به جمع منهم الأنباري في الأضداد: ٢١٥، والفرّاء في معانيه ١: ٨ وغيرهم، وانظر ما تقدّم من مصادر الهامش ٣.

(١) لمزيد الاطلاع ينظر: العين ٤: ٣٦٩، تهذيب اللّغة ٨: ١٦، المحيط في اللّغة ٤: ٥٥٥، الصحاح ١: ١٩٤، مجمل اللّغة ٣: ٦٩٧، المخصّص ٦: ١٦٥، والفهرس ٨: ٨٩، لسان العرب ١: ٦٤٨، تاج العروس ١: ٤٣١؛ في الجميع «غَضَبَ».

(٢) سورة السجدة ٣٢: ١٠.

(٣) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ٨.

(٤) سورة طه ٢٠: ٨٥.

والإضْلال: التحيير بالضلال بالتشكِيك؛ ليعدل عنه[١].

واليهود وإنْ كانوا ضلّالاً، والنصارى وإن كانوا مغضوباً عليهم، فإنّما خصّ الله تعالىٰ كلّ فريقٍ منهم بسمة يُعرف بها، ويُميز بينَه وبين غيرِه بها، وإن كانوا مشتركين في صفات كثيرة.

وقيل: إنّه أراد بـ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ جميع الكفّار، وإنّما ذُكروا بالصفتين؛ لاختلاف الفائدتين.

وروىٰ جابر بن عبدالله قال، قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالىٰ: قَسَمْتُ الصّلاةَ بَيني وبَيْنَ عبدِي، فلَه ما سأل، فإذا قالَ العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. قال: حمدَني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. قال: أثنىٰ عليَّ عبدي. وإذا قال: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. قال: مجّدني عبدي. ثمّ قالَ: هذا لي وله ما بقي)[٢].

---

(١) انظرها في: جمهرة اللّغة ١: ١٤٧، تهذيب اللّغة ١١: ٤٦٢، الصحاح ٥: ١٧٤٨، لسان العرب ١١: ٣٩٠، تاج العروس ١٥: ٤٢٠. ولاحظ مفردات الراغب: ٥٠٩. وبتفصيل عمدة الحفّاظ ٢: ٣٨٢. وانظر المخصّص ٦: ١٠٥ و٧: ٧٥، مادة «ظَلَلَ» في الجميع.

(٢) بهذا السند انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٨ ت ١٩، جامع البيان ١: ٦٦، تفسير النسائيّ ١: ١٥٧، فضائل القرآن للنسائيّ: ٣٩ ت ٣٧ و٣٨، الاحسان في ترتيب صحيح بن حبّان ٣: ١٣٦ و١٤٢ ح ١٧٨ و١٧٩٢، فضائل القرآن لأبي عُبيد: ١١٩، تأويلات أهل السنّة: ١٧. الدرّ المنثور ١: ١٩. وله شواهد كثيرة بطرق أُخرىٰ، لاحظ: صحيح مسلم ١: ٢٩٦ ت ٣٩٥، سنن النسائيّ ٢: ١٣٦، تفسير النسائيّ ١: ١٥٧ ت٢، سنن الترمذيّ ٥: ٢٠١ ت ٢٩٥٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٢٤٣، المصنّف لعبد الرزاق ٢: ١٢٨ ت ٢٧٦٧،

ﷺ

[آمين]

ولا يجوزُ عندنا أن يقولَ القارئُ عند خاتمةِ الحمد: «آمين»، فإنْ قال ذلكَ في الصلاةِ متعمّداً بطلت صلاته؛ لأنه كلامٌ لا يتعلّق بالصلاة، ولأنّه كلامٌ لا يستقلّ بنفسه، وإنّما يفيدُ إذا كان تأميناً على ما تقدّم.

ومتى قصدَ بما تقدّم الدعاءَ لم يكن تالياً للقرآن، فتبطل صلاتُه.

وإنْ قصد التلاوة لا يكون داعياً فلا يصحُّ التأمين.

وإن قصدَهُما فعند كثيرٍ من الأصوليين أنّ المعنيين المختلفين لا يصحُّ أنْ يُرادا بلفظ واحد، ومن أجاز ذلك ـ وهو الصحيح ـ منع منه؛ لقيام الدلالة على المنع من ذلك.

فلأجل ذلك لم يجز[1].

✍ سنن أبي داوُد ١: ٢١٦ ت ٨٢١، موطأ مالك ١: ٨٤ ت ٣٧٨٤، مسند أحمد ٢: ٢٤١ و٢٨٥ و٤٦٠.

(١) تفصيل ذلك في: العدّة في أصول الفقه ١: ٤٩ فصل ٦، الذريعة إلى أُصول الشيعة ١: ١٧. ومن العامّة: البرهان في أُصول الفقه: ٢٣٥ ـ ٢٣٦ مسألة ٢٤٦ ـ ٢٤٧، المعتمد ١: ٢٢، ولاحظ الانتصار للسيّد المرتضى: ١٤٤ مسألة ٤١، الحدائق الناظرة ٨: ١٩٦، جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام ١٠: ٢، مفتاح الكرامة ٢: ٣٦٧ وغيرها كثير لدى الفريقين.


تفسير
سورة البقرة



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى
لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥

سورة البقرة

مدنيّة

وهي: مائتان وست وثمانون آية في الكوفيّ، وسبع بصريّ، وخمس مدنيّ[1].

وروي أنّ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ﴾ نزلت بمنى في حجّة الوداع[2].

---

(١) الخلاف فيها في أحد عشر موضعاً، انظر مصادر الهامش الآتي.

ثمّ إنّ عدّ آي القرآن الكريم يعدّه البعض علماً مستقلاً له أعلامُه ومصنّفاته، وينحصر العدّ بالمكّيّ والمدنيّ والكوفيّ والبصريّ والشاميّ، وللتفصيل راجع: أقوى العُدَدْ في معرفة العَدَدْ، ضمن جمال القرّاء ١: ٤٣٧، فنون الأفنان لابن الجوزيّ، وشرح قصيدة ذات الرشد في العدد لأبي عبدالله الموصلي، الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٢٥ ضمن النوع التاسع. وغيرها كثير خصوصاً البحوث الضمنية مثل ما في تفسير البرهان للزركشيّ، سعد السعود: ٥٤٢ ت ٢٠٤ وما بعده وغيره.

(٢) الآية: ٢٨١ من سورة البقرة ٢، وانظر النكت والعيون ١: ٦٣، دلائل النبوّة ⇐

قوله تعالىٰ:

﴿الٓمٓ﴾ آية (١).

واختلف العلماء في معنىٰ أوائل هذه السور مثل ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿طه﴾ و﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿حمٓ﴾ وغير ذلك[1] علىٰ وجوه:

فقال بعضهم: إنّها اسم من أسماء القرآن، ذهب إليه قَتادة ومُجاهد وابن جُرَيْج[2].

للبيهقيّ ٧: ١٣٧، وعمدة القاري ١٨: ٨٢، تفسير القرآن للسلميّ ١: ٩٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوريّ ١: ١٢٨.

(١) إشارة إلىٰ الآيات الأولىٰ من السور المبتدئة بـ ﴿الم﴾: سورة البقرة ٢، سورة آل عمران ٣، سورة العنكبوت ٢٩، سورة الروم ٣٠، سورة لقمان ٣١، سورة السجدة ٣٢. والمبتدئة بـ﴿المر﴾: سورة الرعد ١٣، والمبتدئة بـ ﴿الر﴾: سورة يونس ١٠، سورة هود ١١، سورة يوسف ١٢، سورة إبراهيم ١٤، سورة الحجر ١٥. والمبتدئة بـ ﴿المص﴾: سورة الاعراف ٧. والمبتدئة بـ (طس﴾: سورة النمل ٢٧. والمبتدئة بـ ﴿طسم﴾: سورة الشعراء ٢٦، سورة القصص ٢٨. والمبتدئة بـ﴿طه﴾: سورة طه ٢٠. والمبتدئة بـ ﴿حم﴾: سورة غافر ٤٠، سورة فصلت ٤١، سورة الزخرف ٤٣، سورة الدخان ٤٤، سورة الجاثية ٤٥، سورة الأحقاف ٤٦. والمبتدئة بـ ﴿يس﴾: سورة يس ٣٦. والمبتدئة بـ ﴿ق﴾: سورة ق ٥٠، والمبتدئة بـ ﴿ص﴾: سورة ص ٣٨. والمبتدئة بـ﴿ن﴾: سورة القلم ٦٨. والمبتدئة بـ ﴿كهيعص﴾. سورة مريم ١٩. والمبتدئة بـ ﴿حم عسق﴾ سورة الشورىٰ ٤٢.

(٢) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جُرَيْج، أبو خالد وأبو الوليد، القرشي ـ مولاهم ـ الأُمويّ، حدّث عن جمع منهم: عطاء ونافع وابن أبي مليكة ومجاهد وغيرهم، وعنه أكثر، منهم: الأوزاعيّ والليث. توفي عام: ١٥٠هـ، وقيل غير ذلك.

وقال بعضهم: هي فواتح يُفتح بها القرآن، روي ذلك عن مجاهد أيضاً، واختاره البَلْخيّ.

وفائدتها أنْ يُعلم ابتداء السورة وانقضاء ما قبلها، وذلك معروف في كلام العرب، أنشد بعضهم:

بَــلْ؛ وَبَــلْدَةٍ مـاالإِنْسُ مِـنْ آهـالها . . . .(١) [٥٥]

ويقول آخر:

بَلْ؛ ما هَاجَ أَحْزاناً وَشَجْواً قَدْ شَـجْا . . . .(٢) [٥٦]

له ترجمة في غاية النهاية ١: ٤٦٩ ت ١٩٥٩، وسيَر أعلام النبلاء ٦: ٣٢٥ ت ١٣٨ ومصادره. تهذيب الكمال ١٨: ٣٣٨ ت ٣٥٣٩ ومصادره.

(١) لم ينسب لأحد في المصادر الآتية، وبعده:

.... تَرىٰ بها العَوْهَقَ مِنْ وِنالِها

كالنّارِ جَرَّتْ طَرَفَيْ حِبالها

اختلف الضبط للكلمة «آهالها» بين: المثبت، و: أُهّالها وأَهْلها، في المصدر والنسخ. مع المثبت يستقيم الوزن، وعلىٰ أي فهو جمع أهل وهم عشيرة الشخص وذو قرباه.

وقد استشهد به جمع لما استشهد به الشيخ ﵀ من أن «بل» في أوّله ليس من الشعر، ومن دون نسبة، منهم:

الأخفش في معانيه ١: ٢٠، الحداديّ السمرقنديّ في المدخل لعلم التفسير: ١١٥، والجوهريّ في الصحاح ٤: ١٦٢٩ و١٦٤٢ وابن منظور في لسان العرب ١١: ٢٨ و٧٠، «أَهَلَ ـ بَلَلَ» وابن يعيش في شرح المفصّل ٥: ٧٣. وغيرهم.

(٢) وعجزه:

.... مِنْ طَلَلٍ كالأَتْحِمِيِّ أنْـهَجا

مطلع القصيدة ٣٣، لعبد الله بن رُؤبة العجاج.

الشجْو: الحزن. وشجا: أحزن.

وقوله: «بل» ليس من الشعر، وإنّما أراد أنْ يُعلِم أنّه قطع كلامه وأخذ في غيره، وأنّه مُبْتَدأُ الذي أخذ فيه غيرُ ناسق له علىٰ ما قبله[١].

وقال بعضهم: هي اسم للسورة، روي ذلك عن زيد بن أسلم[٢]، والحسن.

وقال بعضهم: هي اسم الله الأعظم، رُوي ذلك عن السُّدِّيّ إسماعيل[٣]، وعن الشَّعْبيّ[٤].

وقال بعضهم: هي قَسَمٌ أقسَمَ الله به وهي من أسمائه، روي ذلك عن

✎ الشاهد: استعمال «بل» للدلالة على الابتداء، على أنّها ليست من البيت.

انظر: الديوان ٢: ١٣، ومعاني القرآن للأخفش ١: ١٧١، والمدخل لعلم التفسير: ١١٥، المتَّبع في شرح اللُّمع ١: ١٢٤.

(١) انظر: الأزهية في علم الحروف: ٢١٩.

(٢) زَيْد بن أسْلَم أبو عبدالله العَدَوي العُمَري ـ مولاهم ـ. كان أبوه أسْلَم مولىٰ لعمر بن الخطاب ومنه جاءته النسبة، روىٰ عن جمع وعنه آخرون. له: تفسير قرآن، وكتاب حديث. توفي عام: ١٣٦ هـ.

له ترجمة في: غاية النهاية ١: ٢٩٦ ت ١٣٠٤، وسيَر أعلام النبلاء ٥: ٣١٦ ت ١٥٣ ومصادره.

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمٰن بن أبي كريمة الهاشميّ، السُدّي الكبير، أبو محمّد الكوفيّ الأعور، روىٰ عن ابن عبّاس وأنس وغيرهم، وعنه روىٰ أبو عوانة والثوريّ وابن عيّاش. له تفسير القرآن الكريم، توفي عام: ١٢٧ هـ.

ترجمته في: طبقات المفسّرين ١: ١١٠ ت ١٠١، سيَر أعلام النبلاء ٥: ٢٦٤ ت ١٢٤.

(٤) الشَّعْبيّ، عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كِبَار، أبو عمرو الهمدانيّ، الفقيه، رأى عليّاًعليه السلام وخالفه، روىٰ عن جمع، وعنه أكثر. توفي عام: ١٠٥هـ.

له ترجمة في سيَر أعلام النبلاء ٤: ٢٩٤ ت ١١٣. تهذيب الكمال ١٤: ٢٨ ت ٣٠٤٢ ومصادرهما.

ابن عبّاس، وعِكْرِمة[1].

وقال قوم: هي حروفٌ مقتطعة من أسماءٍ وأفعال، كلّ حرف من ذلك بمعنىٰ غير معنىٰ الحرف الآخر، يعرفه النبيّ صلى الله عليه وآله، نحو قول الشاعر:

[٥٧] نــادَوْهُمُ: أنْ أَلْـجِمُوا، ألاتــا قــالُوا جَـمِيعاً كُـلُّهُم: ألافــا[2]

يريد: ألا تركبون، قالوا: ألا فاركبوا.

وقال آخر:

[٥٨] قُلْنا لَها: قِفِي. قالَتْ: قافْ[3]

---

(١) عِكْرِمَة البربريّ، أبو عبدالله القرشيّ ـ مولاهم ـ المدنيّ، كان للعنبريّ فوهبه لابن عبّاس، حدّث عن ابن عباس وجمع، وعنه كثير. له في التفسير روايات. وكان منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام. وقد عدّ من رجال الخوارج توفي عام: ١٠٥هـ. وغير ذلك.

له ترجمة في: تنقيح المقال ٢: ٢٥٦ ت ٨٠٢٧، سيَر أعلام النبلاء ٥: ١٢ ت٩، تهذيب الكمال ٢٠: ٢٦٤ ت٤٠٠٩، الإفصاح عن أحوال رواة الصحاح ٣: ١٦١ ت ١١٠٧، ومصادرهم.

(٢) استشهد به جمع علىٰ ما استشهد به أيضاً الشيخ المصنّف قدس سره واختلفوا في ضبطه، كما اختلفوا في نسبته.

والشاهد فيه ما أشار إليه قدس سره من ذكر حرف وارادة الباقي.

انظر: المدخل لعلم التفسير: ١١٨ ت ٧٤، معاني القرآن للزجاجّ ١: ٦٢، الكامل في الأدب ٢: ٥٣١، العمدة لابن رشيق ١: ٥٢٨، شرح شواهد الشافية: ٢٦٤ وما بعدها، ضرائر الشعر للاشبيليّ: ١٨٥، ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز: ٣٤٨ ت ١٣١، الوساطة بين المتنبيّ وخصومه: ٤٥٠، إعراب ثلاثين سورة: ١٣٦ وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ٢: ٧، وغيرها كثير.

(٣) الرجز للوَليّد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط، أخ عثمان لأُمّه، وكان فاسقاً، ولّاه عثمان ⟵

بمعنىٰ قالت: أنا واقفة.

روىٰ ذلك أبو الضحىٰ[1] عن ابن عبّاس، وعن ابن مسعود، وجماعة من الصحابة.

وقال بعضهم: هي حروف هجاء موضوع. روي ذلك عن مجاهد.

وقال بعضهم: هي حروف يشتمل كلّ حرف علىٰ معان مختلفة.

↩ ابن عفّان الكوفة، فشرب الخمرة وأمّ الناس لصلاة الصبح، وصدر منه ما صدر، وصل خبره إلىٰ عثمان، فأمره بالشخوص إلىٰ المدينة المنوّرة، فشدّ الرحال مع جمع منهم عَدًّي بن حاتم للشهادة له، نزل يوماً يسوق بهم الإبل فارتجز:

قُلْتُ لَها: قِفِي، فَقالَت: قافْ
لا تـحْسَبِي أنّا نسِينْا الإيجافْ
وَالنَّشـواتِ مِـنْ مُعَـتَّـقٍ صافْ
وَعَـزْفِ قـيْناتٍ عَـلَيْنا عِـزافْ

فقال له عَديّ مستنكراً عليه: إلىٰ أين تذهب بنا؟! أقم.

استشهد به جمع ناسبين الرجز للوليد منهم:

هذا، وفي: قالت اختلفت المصادر والنسخ بينها و: فقالت.

الزجّاج في معاني القرآن ١: ٦٢، والفرّاء في معانيه ٣: ٧٥، والحدّاديّ في المدخل لعلم التفسير: ١١٨، والقرطبيّ في الجامع ١: ١٥٥، ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ٣٠٩، بصائر ذوي التمييز ٤: ٣٥٥.

ومن كتب الأدب راجع: الكتاب ٢: ٦٢، الصاحبيّ: ١٢١، الخصائص ١: ٣٠ و٨٠، المحتسب ٢: ٢٠٤، ضرائر الشعر: ١٨٦، العمدة ٢: ٥٢٩، شرح شافية ابن الحاجب ٤: ٢٧١.

ومفصل ترجمته في الأغاني ٥: ١٣١، وسيَر أعلام النبلاء ٣: ٤١٢ ت ٦٧ ومصادره.

(١) مسلم بن صبيح القرشيّ الكوفيّ، أبو الضحىٰ، مولىٰ آل سعيد بن العاص، سمع من ابن عبّاس وابن عمر وغيرهم. توفي في عهد حكومة عمر بن عبدالعزيز عام: ١٠٠هـ.

له ترجمة في: سيَر أعلام النبلاء ٥: ٧١ ت ٢٧ ومصادره.

روي ذلك عن أنس(١)، واختاره الطبريّ(٢).

وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجُمَّل(٣).

وقال بعضهم: لكلّ كتاب سرّ، وسرّ القرآن في فواتحه.

هذه أقوال المفسِّرين(٤).

فأمّا أهل اللّغة فإنّهم اختلفوا، فقال بعضهم: هي حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام ثمانية وعشرين حرفاً، كما يستغنىٰ بذكر أ ب ت ث عن ذكر الباقي، وبذكر:

قفا نَبْكِ . . . . [٥٩]

عن ذكر باقي القصيدة(٥)، قالوا: ولذلك رفع ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾؛ لأنّ

(١) أنس بن مالك، أبو حمزة الأنصاريّ، الخزرجيّ، خادم النبيّ، المفتي المقرئ. حدّث عن النبيّ ﷺ وآخرين إلّا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وعنه حدّث خلق كثير. عدّ من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام الكاتمين فضائله ومناقبه حبّاً للدنيا، وحديث استشهاد الأمير عليه السلام به في الرحبة وامتناعه عن الشهادة وابتلاؤه بالبرص لدعائه عليه السلام عليه مشهور. عمّر طويلاً قيل: ١٠٣ سنه، توفي عام ٩٣هـ.

انظر: تنقيح المقال ١: ١٥٤ ت ١٠٧٢، سيَر أعلام النبلاء ٣: ٣٩٥ ت ٦٢ ومصادره.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١: ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) الجُمَّل ـ بضم الجيم وفتح الميم المشدّدة عند بعض، والمخفّفة عند آخرون ـ: هو الحساب المقطّع علىٰ حروف أبجد.

هذا، ويذهب ابن دريد إلىٰ أنّها دخيلة، وتبعه الجواليقيّ.

انظر «جَمَلَ»: جمهرة اللّغة ٢: ٤٩١، ١١٦٦، لسان العرب ١١: ١٢٨، تاج العروس ١٤: ١١٨. والمعرّب للجواليقيّ: ١٠٠.

(٤) انظر الهامش ٢ صحيفة: ١٥٦.

(٥) إشارة إلىٰ مُعَلَّقة امرئ القيس والتي مطلعها:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرىٰ حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللّوىٰ بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

انظر: الديوان: ٢٩، شرح المعلّقات السبع: ٧٥، شرح القصائد العشر: ٢٠.

معناه: الألف واللّام والميم من الحروف المقطّعة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي أَنزَلتهُ إليك مجموعاً ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كما قالوا: أبي، في أبي جاد وفي أ ب ت ث، ولم يذكروا باقي الحروف. وقال راجز من بني أسد:

لَمّا رَأَيْتُ أَمْرَها في حِطّي
أَخَذْتُ مِنْها بِقُرونٍ شِمْطِ[1] [٦٠]

فأراد الخبر عن المرأة بأنّها من أبي جاد فأقام قوله: «في حطّي» مقامه؛ لدلالة الكلام عليه.

وقال آخرون: بل ابتدئت بذلك أوائل السور؛ ليفتح لاستماعه أسماع المشركين؛ إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن، حتىٰ إذا استمعوا له تلا عليهم المُؤَلَّف.

وقال بعضهم: الحروف التي هي أوائل السور حروف يفتتح الله بها كلامه[2].

---

(١) وروي أيضاً هكذا:

لَمّا رأيْتُ أمْرَها في حِطّي
وَفَنَكَتْ في كَذِبٍ وَلَطِّ
أَخَذْتُ مِنْها بِقُرُون شُمْطِ
حتىٰ عَلا الرَأسَ دَمٌ يُغَطّي

نُسب الرجز هذا إلىٰ أبي القُمْقام الأسديّ.

والشاهد فيه ما أشار إليه المصنّف ﷺ.

انظر: تهذيب الألفاظ لابن السكّيت: ٤٤٧، أمالي القالي ٢: ٢٠٠، معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٦٩، تأويل مشكل القرآن: ٣٠١، لسان العرب ١٠: ٤٨٠.

(٢) لمزيد الاطّلاع علىٰ آراء المفسّرين وأهل الأدب انظر: تفسير مجاهد: ١٩٥، معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٦٩، معاني القرآن للأخفش ١: ١٩ ـ ٢٣، معاني القرآن وإعرابه ←

وقال أبو مسلم[1]: المراد بذلك: إنّ هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته، ولم تقدروا علىٰ الإتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم، فحيث لم تَقدِروا عليه فاعلموا أنّه من فعل الله، وإنّما كُررت في مواضعَ استظهاراً في الحجّة.

وحكي ذلك عن قُطْرُب.

وروي في أخبارنا: إنّ ذلك من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلّا الله[2]، واختاره الحسين بن عليّ المغربيّ[3].

للزّجاج ١: ٥٦، تأويل مشكل القرآن: ٢٩٩، غريب القرآن للسجستانيّ: ٩٧، غريب القرآن لابن الملقّن: ٤٦، غريب القرآن لابن المبارك اليزيديّ: ٦٣، القُرطَين لابن مطرف الكنانيّ: ٥، المشكل من غريب القرآن لابن أبي طالب: ١٥، تأويلات أهل السنّة للماتريديّ ١: ١٣، إعراب ثلاثون سورة من القرآن: ١٣٥، إعراب القراءات السبع ١: ٢٦٠ و٢: ٥ ـ ٧ و١٣٠ و٢٢٨ و٢٦٠ و٢٧٥ و٢٩١ و٣٨١، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١: ١٢٩، النكت والعيون ١: ٦٣، المدخل لعلم تفسير كتاب الله المنزل: ١٢٥، الصاحبيّ: ١٢١، الكتاب ٣: ٢٥٨، لسان العرب ١: ١٠ و١٢: ٣٦٨ و١٧: ٣٥٠، معاني الأخبار: ٢٢ ـ ٢٨ الأحاديث ١ ـ ٦، رسائل الشريف المرتضىٰ، الرسالة: ٤٧ ضمن الحلقة الثالثة: ٢٩٨، سعد السعود: ٤٤٦ وانظر الفهرست، تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين الشيرازيّ ١: ٥ وما بعدها، التمهيد في علوم القرآن ٥: ٣٠٨، الانصاف للباقلانيّ: ١٧٤، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٢: ٢ وما بعدها، تنوير المقباس للفيروزآباديّ: ٣، الحروف للرازيّ (ضمن ثلاثة كتب في الحروف): ١٥٧، الفهرست لابن النديم: ٧، وانظر: الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ٢: ٣٢٦.

(١) هو: الأصفهانيّ تقدّم في ص: ١٠. وأنّ له جامع التأويل لمحكم التنزيل: مخطوط وانظر: سعد السعود لابن طاووس: ٤٤٦ ت ١٤٠.

(٢) تفسير عليّ بن إبراهيم القميّ ١: ٢٢٣، وانظر كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٦٤٠.

(٣) أبو القاسم، الحسين بن عليّ بن الحسين بن محمّد المصريّ المعروف بابن

وأحسن الوجوه التي قيلت، قول من قال: إنّها أسماء للسور خصّ الله تعالىٰ بها بعض السور بذلك، كما قيل للمعوّذتين: المُقَشْقِشَتانِ[1]؛ أي تبرءان من النفاق، وكما سُميّت الحمد: أُمُّ القرآن وفاتحةُ الكتاب.

ولا يلزم أنْ لا تشترك سورتان أو ثلاث في اسم واحد؛ وذلك أنّه كما يشترك جماعةٌ من الناس في اسم واحد، فإذا أُريد التميّز زِيدَ في صفته، فكذلك إذا أرادوا تمييز السورة قالوا: الم ذلك، الم الله، الم، وغير ذلك.

وليس لأحد أنْ يقول: كيف تكون أسماءَ للسُّوَر، والاسم غير المسمّىٰ، فكان يجب ألّا تكون هذه الحروف من السورة، وذلك خلاف الإجماع؟

قيل: لا يمتنع أنْ يُسمّىٰ الشيء ببعض ما فيه، ألا ترىٰ أنّهم قالوا: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، ولا خلاف أنّها أسماء للسُّوَر وإنْ كانت بعضاً للسُّوَرة.

ومن فرّق بين الأشخاص وغيرها في هذا المعنىٰ، فأوجب في

المغربيّ، أديب بليغ له نظم في الذروة، ولي الوزارة. له كتب، منها: ديوان شعر، مختصر إصلاح المنطق، الإيناس وغيرها. توفّي عام: ٤١٨هـ، بميّافارقين وحمل جثمانه إلىٰ النجف الأشرف بوصية منه.

من موارد ترجمته: رجال النجاشيّ: ٦٩ ت ١٦٧؛ الإشارة إلىٰ من نال الوزارة: ٤٧، وفيات الأعيان ٢: ١٧٢ ت ١٩٣، معجم الأدباء ١٠: ٧٩ ت ٥، سيَر أعلام النبلاء ١٧: ٣٩٦ ت ٢٥٧ ومصادره.

(١) وقد تطلق علىٰ التوحيد والكافرين، للتوسعة. انظر: الإتقان ١: ١٩٦ وتهذيب اللّغة ٨: ٢٤٦.

الأشخاص أنْ يكون الاسم غير المسمّىٰ ولم يوجب في غيرها.

فقد أبعد؛ لأنّه لا فرق بين الموضعين علىٰ ما مضىٰ القول فيه[١]، ولا يلزم ـ أيضاً ـ أن تُسمّىٰ كلّ سورة بمثل ذلك؛ لأنّ المصلحة في ذلك معتبرةٌ، وقد سمّىٰ الله كلّ سورة بتسمية تخصّها وإنْ لم تكن من هذا الجنس، كما أنّه لمّا سمّىٰ الحمد بأسماء لم يلزم ذلك في كلّ سورة.

وقيل: إنّها أوائل أسماء يعلم النبيّ ﷺ تمامها، والغرض بها، نحو ما رويناه عن ابن عبّاس[٢]، كما قال الشاعر:

[٦١] سَألْتُها الوَصْلَ فقالَتْ: قاف[٣]

يعني: وقفت.

وقال آخر:

بالخَيْرِ خَيْراً «ت» وإنْ شَراً «فا»

يريد: فَشَرّاً.

[٦٢] وَلا أُريدُ الشَّر إلّا أنْ «تا»[٤]

---

(١) مضىٰ في بسملة الفاتحة: ٧٨.

(٢) تقدم في: ١٥٣.

(٣) انظر هامش: ٢، من صفحة: ١٥٣ ت٥٨، إذ لم نجده بهذا اللّفظ..

(٤) هذا هو الصحيح في الرجز روايةً، ونسبةً إلىٰ قائل واحد. وأمّا رواية الشطر الأوّل في الخطية «ل، ؤ» والحجرية هي:

يا خير جيران وإن شراً فا

فيبدوا تصحيف للمثبت حسب المصادر التي يشار إليها.

وأمّا نسبته إلىٰ قائلين ـ كما ورد في النسخ والحروفية ـ وذلك بالفصل بين الشطرين بلفظ: وقال الآخر. فهو أيضاً ممّا لا يمكن المساعدة عليه بحال.

⇐

يعني: إلّا أنْ تشاء.

وقال آخر:

ما لِلظَلِيمِ عَالَ؟ كيفَ لا «يا»

يَنْقَدُّ عَنْهُ جِلْدُهُ إذا «يا»[1]؟! [٦٣]

ثمّ إنّه قد نسب إلىٰ زهير، وهو غير صحيح أيضاً.

والصحيح أنّ قائله لُقَيْم بن سعد بن مالك، أو ابن أوس، من بني أبي ربيعة بن مالك جواباً لامرأته حيث خاطبته قائلة:

قَطَّعَكَ اللهُ المليكُ قِطَعا ... فَوْقَ التُّمامِ قِصَداً مُوَضَّعا

تَاللهِ ما عَدَّيْتَ إلّا رُوبَعا ... جَمَّعْتَ فيهِ مَهْرَ بِنْتي أجْمَعا

فأجابها قائلاً:

إنْ شِئْتِ أشْرَفْنا كلانا فَدَعا ... الله جَهْداً رَبَّهُ فأسْمَعا

بالخَيْرِ خَيْراً «ت» وإنْ شَراً «فا» ... وَلا أُرِيدُ الشرَّ إلّا أنْ «تا»

وعلىٰ هذه يكون محل الشاهد ثلاثة موارد كما لا يخفىٰ.

وعلىٰ أية حال فقد استشهد به جمع منهم: أبو زيد في نوادره: ٣٨٦، القيروانيّ في ما يجوز للشاعر في الضرورة: ٣٤٨ ت ١٣١، المرزبانيّ في الموشح: ٢٨، ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة: ١٣٧، الزجّاج في معانيه ١: ٦٣، ابن جني في سرّ صناعة الإعراب ١: ٨٣، المبرّد في الكامل ٢: ٥٣١، سيبويه في الكتاب ٣: ٣٢١، الحداديّ في المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ: ١٢٠، البغداديّ في شرح شواهد الشافية: ٢٦٢، والرضيّ في شرح الشافية ٢: ٣٣ ت ١١٥، والاشبيليّ في ضرائر الشعر: ١٨٥، والقيروانيّ في العمدة ١: ٥٢٧.

(١) رجز اختلفت المصادر في ضبطه، وشطره الثالث:

يذري التراب خلفه إذ را يا

لم ينسب إلىٰ أحد لدىٰ من استشهد به، منهم: الحداديّ في المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ: ١١٩، والبغداديّ في شرح شواهد الشافية: ٢٦٧، والأزهريّ في تهذيب اللّغة ١٥: ٦٧٠، وابن منظور في لسان العرب ١٥: ٤٩٣ وغيرهم.

أي: إذا يفزع.

فعلىٰ هذا يُحتمل أنْ يكون: الألف: أنَا. واللّام: الله. والميم: أعلم. وكذلك القول في باقي الحروف، وعلىٰ هذا لا موضع (لألف لام ميم) من الإعراب.

وعلىٰ قول مَنْ قال: إنّها أسماء السور، موضعها الرفع، كأنّه قال: هذه ألم. أو تكون ابتداءً وخبره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾.

وأجمع النحويّون علىٰ أنّ هذه الحروف ـ وجميعُ حروف الهجاء ـ مبنيّة على الوقف لا تُعرب، كما بُني العدد علىٰ الوقف، ولأجل ذلك جاز أنْ يُجمع بين ساكنين كما جاز ذلك في العدد، تقول: واحد، اثْنان، ثلاثه، أربعة، فتقطع ألف إثنين وهي ألف وصل، وتَذْكُر الهاءَ في ثلاثه وأربعه، فلو لم تنوِ الوقف لقلت: ثلاثة، بالتاء[1].

وحُكي عن عاصم في الشواذّ وغيره: ﴿الٓمٓ أَللهُ﴾ بقطع الهمزة.

والشاهد فيه واضح.

الظليم: ذكر النعام. عال: أسرع في جريه. لا ينقدّ: لا ينشقّ من شدّة جريه.

المعنىٰ: يستفهم الشاعر عن السبب الذي حدا بالظليم أن يسرع وبهذه الكيفية وكيف لا ينشقّ عنه جلده لها؟!

(١) انظر: معاني القرآن للزجّاج ١: ٦٣، والسور التي تبتدئ بالحروف المقطّعة، معاني القرآن للفرّاء ١: ٩، ٣٦٨ وموارد الآيات، الكتاب ٣: ٣٢١ و٢٥٦ ـ ٢٦٧ و٤: ١٥٣، إعراب القراءات السبع لابن خالويه ١: ٢٦٠ و٢: ٥ ومواردها، مجاز القرآن ١: ٢٨، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٠٥ و٢٩٩ ومواردها، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٣٥٣، التبيان في إعراب القرآن ١: ١٤ و٢٣٥، إملاء ما مَنّ به الرحمن ١: ١٠، مشكل إعراب القرآن ١: ١٥، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٤٣، المقتضب ١: ٢٣٧ و٣: ٣٥٥، المذكّر والمؤنث لابن الأنباريّ ٢: ٢٧.

وانظر: الكشاف ١: ٢٨ و٥٢٥، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ١: ٨٨ و٢: ٣ ومواردها في الجميع، والهامش ١ و٢ التاليان.

والباقون بفتح الميم، وقالوا: فتْحُ الميم؛ لالتقاء الساكنين. وقال قوم: بل لأنّه نقل حركة الهمزة إليه، واختار أبو عليّ الأوّل؛ لأنّ همزة الوصل تسقُط في الوصل، فلا تبقىٰ هناك حركة تنقل[1].

وأُنشد في نقل حركة همزة الوصل قول الشاعر:

أقْـبَلْتُ مِـنْ عِـنْدِ زِيـادٍ كـالخَرِفْ   تَـخُطُّ رِجْـلايَ بـخطٍّ مُـخْتَلِفْ [٦٤]

فَيَكْتُبانِ في الطَّرِيقِ لامَ ٱلِفْ[2]

ومتىٰ أَجريتها مجرىٰ الأسماءِ لا الحكاية وأخبرت عنها، قلتَ: هذه كافٌ حسنةٌ، وهذا كافٌ حسن ـ وكذلك باقي الحروف ـ فتُذَكّر وتُؤَنّث، فمن أنَّثَ قصدَ الكلمةَ، ومن ذَكَّرَ قصد الحرفَ[3].

---

(١) للجميع انظر: مختصر في شواذّ القرآن: ٢٥، الحجّة في القراءات السبع: ١٠٥، الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨ ـ ٩، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٣٦٠، السبعة في القراءات: ٢٠٠، معاني القرآن للفرّاء ١: ٩ و٣٦٨، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٣٥٣، وانظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٣٣٤.

(٢) الأبيات لأبي النجم العجليّ ـ وقد تقدّم ـ يصف حاله بعد خروجه من عند صديقه زياد ثملاً خرفاً مترنّحاً تخطّ رجلاه تارة كالألف وأخرىٰ كاللّام اذ هو لشدّة سكره لا يمشي علىٰ استقامة.

الشاهد فيه: نقل حركة الهمزة في «ألف» إلىٰ الميم قبلها.

الديوان: ١٤١.

هذا وقد استشهد به جمع علىٰ مورد الشاهد انظر: الكتاب ٣: ٢٦٦، مجاز القرآن ١: ٢٨، سرّ صناعة الإعراب ٢: ٦٥١، الخصائص ٣: ٢٩٧، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ٨٤٧، المقتضب للمبرّد ١: ٢٣٧ و٣: ٣٥٧، شرح الشافية ٢: ٢٢٣، شرح شواهد الشافية: ١٥٦ ت ٨٢، شرح أبيات مغني اللبيب ٦: 151 ت ٥٩٨، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٩٩ ت ٧.

(٣) انظر الهامش الأسبق، و ١، صفحة: ١٦١.

فأمّا إعراب: أَبِي جادٍ، وهَوّاز، وحُطّي[١]، فزعم سيبويه[٢]: إنّها مصروفات، تقول: علمت أبا جادٍ، ونفعني أبو جادٍ، وانْتفعتُ بأبي جادٍ. وكذلك: هوّازٌ، وهوّازٍ، وهوّازاً. وحطّياً، وحطّيٌ، وحطّيٍ.

وأمّا: كلمن[٣]، وسعفص، وقريشيات فأعجميات، تقول: هذه كلمنْ، وتعلمت كلمنْ، وانتفعت بكلمنْ، وكذلك سعفص.

وقريشيات اسم للجمع مصروفة؛ لأجل الألف والتاء[٤].

وأمّا معنىٰ أبي جاد، فقال الضحّاك[٥]: إنّها أسماء الأيّام الستّة التي خلق الله تعالىٰ فيها الدنيا[٦].

---

(١) في النسخ زيادة: كلمن. ولا مورد لها لمجيء حكمها فيما بعد.

(٢) أبو بِشر سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسيّ، البصريّ إمام العربية، اشتهر بلقبه حتىٰ عُفّيَ اسمه، أخذ النحو عن الخليل، والأخفش الكبير وغيرهم، له: الكتاب. توفي عام: ١٨٠هـ، وقيل: بل زاد ثمان.

له ترجمة في نزهة الألباء: ٥٤، تاريخ بغداد ١٢: ١٩٥ ت ٦٦٥٨، سيَر أعلام النبلاء ٨: ٣٥١ ت ٩٧ ومصادره.

(٣) في «خ»: كلمون، وكذا في الموارد الباقية، والمثبت أصح.

(٤) الكتاب ٣: ٢٦٩، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ٨٤٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ٦١.

(٥) الضحّاك بن مزاحم الهلاليّ أبو محمّد الخراسانيّ، كثير الإرسال من الطبقة الخامسة، محدِّث، مفسِّر، روىٰ عن ابن عبّاس وأبي سعيد الخدريّ وسعيد بن جبير وابن عمر، وعنه عمارة وابو روق بن عطية. له: تفسير القرآن الكريم. توفّي عام: ١٠٥هـ.

له ترجمة في: غاية النهاية: ٣٣٧ ت ١٤٦٧، طبقات المفسّرين للدّاوديّ ١: ٢٢٢ ت ٢١٠، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٥٩٨ ت ٢٣٨ ومصادره.

(٦) النكت والعيون ١: ٦٦، تاريخ الطبريّ ١: ٤٨.

وقال الشَّعْبيّ: إنّها أسماء ملوك مدين[1].

وأُنْشد:

أَلا يـا شُـعَيْبٌ قَـدْ نَـطَقْتَ مَـقالَةً
سَبَبْتَ بها عَمْرواً وَحَـيَّ بَـني عَـمْرو [٦٥]
مُـلُوكُ بَـني حـطّي وَهَـوَّازُ مِـنْهُمُ
وَسَـعْفَصُ أهـلٌ لِـلْمَكارِمِ وَالْـفَخْرِ
هُـمُ صَـبَّحُوا أَهْـلَ الحِـجازِ بِـغْارَةٍ
كَمِثْلِ شُعاعِ الشَّمْسِ أوْ مَطْلَعِ الفَجْرِ[2]

وروي عن ابن عبّاس: إنّ لأبي جاد حديثاً عجيباً:

(أبي جاد): أبىٰ آدمُ الطاعَة، وجَدّ في أكل الشجرة.

و(هوّاز): زلّ آدمُ فهوىٰ من السماء إلىٰ الأرض.

وأمّا (حُطّي) فحُطّت عنه خطيئته.

وأمّا (كَلمِنْ)، أكل من الشجرة ومُنّ عليه بالتوبة.

---

(١) أشار إليه الطبريّ في تاريخه ١: ١٩٥، والماورديّ في تفسيره النكت والعيون ١: ٦٦.

(٢) النص في النكت والعيون ١: ٦٦ من دون نسبة، وفي مروج الذهب ٢: ٢٨٢ ف ١١٨٣ أشار اليها رواية ـ نثراً ـ بتفصيل، وشعراً برواية ثانية ونسبها إلىٰ المنتصر ابن المنذر المدنيّ هي:

ألا يـا شُـعَيْبُ قَـدْ نَـطَقْتَ مَـقالَةً ... أتَـيْتَ بِـها عَـمْراً وَحـيَّ بَـني عَـمْرو
مُلوكُ بَني حُطِّي وَسَعْفَصٍ ذِي النَدىٰ ... وَهَـوَّزَ أرْبـابَ البَـنية والحـجرِ
هُـمُ مَـلَكُوا أرْضَ الحِـجازِ بأوْجُـهٍ ... كَمِثْلِ شُعاعِ الشَمْسِ أو صُورَةَ البَدْرِ
هُـمُ قَـطَنُوا الْـبَيْتَ الحَـرَامَ وَزَيَّـنوا ... حُـضُوراً وَسـادُوا بـالمَكارِمِ وَالفَخْرِ

وانظر المزهر في علوم اللّغة ٢: ٣٤٨، الروض المعطار: ٧١.

و(سَعْفَص): عصىٰ آدم فأُخرج من النعيم إلىٰ النكَدَ.

و(قُرَشِياتْ): أقرّ بالذنب فسَلِمَ من العقوبة[1].

وهذا خبر ضعيف؛ لأنّه يتضمّن وصف آدم وهو نبيّ بما لا يليق به.

وقال قوم: إنّها حروف من أسماء الله، روي ذلك عن معاوية بن قُرَّة[2] عن النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[3].

قوله تعالىٰ:

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آية (٢).

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ﴾:

«هذا» لفظة يشار بها إلىٰ ما قرُب، و«ذلك» إلىٰ ما بَعُد، و«ذاك» إلىٰ ما بينهما. ويحتمل أنْ يكون معنىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾ ههنا «هذا»؛ علىٰ قول عِكْرِمَةٍ وجماعةٍ من أهل العربية كالأخفش وأبي عُبيدة وغيرهما؛ قال الشاعر:

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ: تَأَمَّلْ خُفافاً، إِنَّني أَنا ذلِكا[4] [٦٦]

---

(١) المحكم في نَقْطِ المصحف للدانيّ: ٣٣، والنكت والعيون ١: ٦٦. وانظر بحار الأنوار ٩: ٣٣٥ قطعة من الحديث ٢٠ رواه عن الاختصاص: ٤٢.

(٢) معاوية بن قُرَّة بن أياس المُزَنيّ البصريّ، والد القاضي أياس. حدّث عن جمع منهم الإمام الحسن بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبي أيوب الأنصاريّ وابن عبّاس وغيرهم، وعنه خلق كثير، ولد يوم الجمل. توفي عام: ١١٣هـ.

له ترجمة في: تهذيب الكمال ٢٨: ٢١٠ ت ٦٠٦٥، سيَر أعلام النبلاء ٥: ١٥٣ ت ٥٥ ومصادرهما.

(٣) انظر: معاني الأخبار: ٤٣ وما بعدها، النكت والعيون ١: ٦٦، ولاحظ صفحة: ١٥٢، وما جاء في بحار الأنوار ٢: ٣١٦ ب ٣٥.

(٤) البيت للشاعر خُفاف بن عمير بن الحارث بن عمرو الشَّريد، أبو خراشة. اشتهر ←

أي: إنّني أنا هذا.

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[1]، وهو موجود في الحال.

وإنّما جاز أنْ يَستعمل «هذا» وهي إشارةٌ إلىٰ حاضر، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهي إشارة إلىٰ غائب؛ لأنّه كالحاضر عند المخاطَب[2].

ألا ترىٰ أنّ الرجلَ يُحَدِّثُ حديثاً، فيقول السامع: هذا كما قُلتَ. ورُبّما قال: إنّ ذلك كما قلت. وإنّما جاز ذلك؛ لقرب جوابه من كلام المُخبِر، وكذلك لمّا قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ﴾ ـ وذكرنا معنىٰ ذلك ـ قال لنبيِّه:

بنسبته إلىٰ اُمّه فقيل: خفاف بن نَدَبَة، حتّىٰ عفي علىٰ نسبته إلى أبيه. شاعر فارس مخضرم، شهد فتح مكّة وما بعدها. توفي: عهد حكومة عمر بن الخطاب.

وأطّر الرُّمحُ مَتْنَهُ: أي إلتواه وأحناه، كناية عن كسره بالطعن به. خفاف: اسم الشاعر.

الشاهد فيه: استعمال «ذلك» محل «هذا».

الديوان: ٦٤ بيت ١ من المقطوعة ٩ يذكر فيها قتلَه مالك بن حمار الفزاري.

هذا وقد استشهد به جمع علىٰ مورد الشاهد وذكره آخرون ضمن ترجمته وشعره، انظر: معاني القرآن للأخفش ١: ١٣١ ت ١١٦، مجاز القرآن ١: ٢٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ٦٦، إعراب القراءات الشواذ ١: ١٠٦، الإنصاف ٢: ٧٢٠، الكامل في الأدب ٢: ١١٥٠ و١٤٢٢، الخصائص ٢: ١٨٦، الاشتقاق: ٣٠٩، الإغاني ١٥: ٩٠ و١٨: ٧٣، شرح الرضيّ علىٰ الكافية ٢: ٤٧٩، خزانة الأدب للبغدادي ٥: ٤٣٨ ت ٤١١، الشعر والشعراء ١: ٣٤١ ت ٤٢، وانظر: جمهرة اللّغة ٢: ١٠٨٩ «أطر».

ترجمته في: معجم الشعراء ٢: ١٨٨، معجم الشعراء المخضرمين: ١٣٢، وضمن أغلب المصادر المذكورة.

(١) سورة السجدة ٣٢: ٦.

(٢) في النسخ «ل، ؤ»: والحروفيات والحجرية: الغائب، وأمّا نسختي «خ، هـ» فكما في المتن والبحث يساعد عليها.

يا محمّد هذا الذي ذكرتُه وبيّنتُه ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ﴾ فلذلك حسن وضع «ذلك» موضع «هذا» ؛ لأَنّه إشارةٌ إلىٰ ما مضىٰ.

وقال قوم: إنَّ معناه: ذلك الكتاب الذي وُعِدُوا به علىٰ لسان موسىٰ وعيسىٰ، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1] يعني: هذا ذلك الكتاب.

وقال قوم: إنّما أشار إلىٰ ما كان نزل من القرآن بمكّة من السور، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

والأوّل أقوىٰ ؛ لأنّه أشبه بأقوال المفسِّرين.

فأمّا مَنْ حمل ذلك علىٰ أنّه أشار به إلى التوراة والإنجيل فقد أبطل ؛ لأنّه وصفَه بأنّه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وأنّه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ووَصَفَ ما في أيديهم بأنّه مُغَيَّرٌ محرّفٌ في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ﴾[2].

قوله تعالىٰ:

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

قرأ ابن كَثِير ﴿فيهي﴾ بوصل الهاء بياء في اللّفظ، وكذلك كلّ هاءِ كناية[3] قبلها ياء ساكنة، فإنْ كان قبلها ساكن غير الياء وَصَلها بالواو. ووافقه

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٤٦، سورة الانعام ٦: ٢٠.

(٢) سورة النساء ٤: ٤٦، سورة المائدة ٥: ١٣. وبمراجعة المصادر المتقدمة يمكن ملاحظة هذه الاقوال.

(٣) في النسخة المختصرة: كائنة. والمثبت من الباقي هو الصحيح الموافق للمصادر. وهاء الكناية هي: هاء الضمير المفرد المذكّر الغائب.

حفص[١] في قوله: ﴿**فِيهِ مُهَانًا**﴾[٢] ووافقه المُسَيَّبِيّ[٣] في قوله: ﴿**وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى**﴾[٤]، ووافقه قُتَيْبَة[٥] في قوله: ﴿**فَمُلَـٰقِيهِ**﴾[٦] و﴿**سَأُصْلِيهِ**﴾[٧] فمن كسر الهاء ـ مع أنّ الأصل الضمّة ـ فلأجل الياء والكسرة اللّتين قبلها.

والهاء تشبه الألف؛ لكونها من حروف الحلق، ولما فيها من الخفاء، فكما نَحَوْا بالألف نحو الياء بالإمالة لأجل الكسرة والياء، كذلك كسروا الهاء للكسرة والياء؛ لتتجانس الصورتان، وذلك حسن.

---

(١) حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الكوفيّ الأسديّ ـ مولاهم ـ تلميذ عاصم وراويه، وعليه أتقن القراءة وبها اشتهر، اختلف في حديثه. توفي عام: ١٨٠ هـ.
ترجمته في: طبقات القرّاء ١: ١٤١ ت ٦١، غاية النهاية ١: ٢٥٤ ت ١١٥٨.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٦٩.

(٣) صُحّف الاسم في النسخ بين: المسي، المنسي. والصحيح المثبت، إذ هو نسبة إلىٰ جدّه المسيّب بن أبي السائب.
ثمّ إنّ هذا مشتركٌ بين محمّد بن إسحاق بن محمّد (الأب) وبين ولده إسحاق. وكلاهما ثقتان قيّمان ضابطان، أخذ الأبُ القراءة عن نافع، والابن عنه فهما من رواة نافع.
لترجمتهما انظر: غاية النهاية ١: ١٥٧ ت ٧٣٤ و٢: ٩٨ ت ٢٨٤٧، طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ١٦٣ و٢٥٥ ت ٧١ و١٥٠.

(٤) سورة طه ٢٠: ٣٢.

(٥) قُتَيْبَة بن مِهْران الأصْبهانيّ الأزْدانيّ، المقرئ، عُدّ في الطبقة الخامسة، أخذ القراءة عن الكسائيّ وابن الجمّاز وإسماعيل بن جعفر. وعنه أخذ جمع، انتهت إليه رئاسة الإقراء في أصبهان. توفي: لبضع ومائتين هـ.
انظر: طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ١٩٦ ت ١٠٢، غاية النهاية ٢: ٢٦ ت ٢٦١٢.

(٦) سورة الانشقاق ٨٤: ٦.

(٧) سورة المدّثر ٧٤: ٢٦.

وتركوا الإشباع؛ كراهة اجتماع المقاربة، كما كرهوا اجتماع الأمثال.

ومنْ أشبع وأتبعها الياء، فإنّ الهاء وإنْ كانت خفيّة فليس يُخرجها ذلك من أنْ تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها، نحو الراء والصاد. وإنّ الهاء والنون عند الجميع في وزن الشعر بمنزلة الراء والصاد، وإنْ كان في الراء تكرير وفي الصاد استطالة، فإذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها[1].

ومعنىٰ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

أي: لا شكَّ فيه. والرَّيْب: الشكّ، وهو قول ابن عبّاس، ومجاهد، وعطاء[2]، والسدّيّ، وغيرهم.

وقيل: هو أَسْوأ الشكّ، وهو مصدر رابَني الشيءُ يَريبُني[3].

---

(١) انظر القراءات في: السبعة في القراءات: ١٣١، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٧٩، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ١٧٧ و٢٠٧ وما بعدها، حجّة القراءات: ٨٣، التيسير في القراءات السبع: ٢٩، الغاية في القراءات العشر: ١٤٣، غاية الاختصار ١: ٣٧٧ ت ٥٣٠، النشر في القراءات العشر ١: ٣٠٥، الموضّح ١: ٢٣٧ ت ١. وإبراز المعاني: ١٠٢ باب هاء الكنية وما بعدها.

(٢) عطاء بن ـ أبي رباح ـ أسلم، أبو محمّد القرشي ـ مولاهم ـ المكيّ. روىٰ القراءة عن أبي هريرة، وعرض عليه أبو عمرو، قيل توفي عام: ١١٥ هـ.

له ترجمة في غاية النهاية ١: ٥١٣ ت ٢١٢٠، سيَر أعلام النبلاء ٥: ٧٨ ت ٢٩.

(٣) في نسخة «خ ول»: عوض أسوء، أشدّ. واللّغة انظرها في: العين ٨: ٢٨٧، جمهرة اللّغة ١: ٣٣٢ و١٠٢١، تهذيب اللّغة ١٥: ٢٥٢، المحيط في اللّغة ١٠: ٢٦٦، النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٨٦، لسان العرب ١: ٤٤٢، المفردات: ⟵

قال ساعِدَةُ بن جُؤَيّة الهُذَليّ[(١)].

وَقالوُا: تَرَكْنا الحيّ قد حَصِرُوا بـه فَـلا رَيْبَ أنْ قَـدْ كـانَ ثَـم لَـحِيمُ[(٢)] [٦٧]

أي: أطافُوا به، واللّحيمُ: القتيل، يقال: لَحِمَ: إذا قُتل.

والهاء في ﴿فِيهِ﴾ عائدة علىٰ الكتاب.

ويحتمل أنْ يكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبراً، والمعنىٰ: إنّه حقٌّ في نفسه، ولا يكون المراد به أنّه لا يقع فيه ريب؛ لأنّ من المعلوم أنّ الرّيب واقع فيه من الكفّار وفي صحّته، ويجري ذلك مجرىٰ الخبر إذا كان مُخبره علىٰ ما هو به في أنّه يكون صدقاً وإنْ كذّبه قومٌ ولم يصدّقوه.

↩ ٣٦٨، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغانيّ: ٣٦٥، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣: ١١٣.

الأقوال تجد الإشارة إليها في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٣٤ ت٥٥، النكت والعيون ١: ٦٧، جامع البيان ١: ٧٥، تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١: ٨١.

(١) من بني كعب بن كاهل، من سَعْد هذيل، شاعر محسن مُخَضْرَم، أسلم ولم تثبت له صحبة.

ترجمته في: المؤتلف والمختلف للآمديّ ١: ١١٣، الإصابة ٣: ١٦١ ت ٣٦٤٥، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٨٣ ت ١٦٩.

(٢) ديوان الهُذَلِيّين ١: ٢٣٢. وقد اُختلف في ضبط الشطر الأوّل، ولا ضير.

حَصِرُوا به: بالفتح والكسر، والأوّل أكثر، أي: ضاق بهم وضاقوا به. اللّحيم: المقتول، أو الذي في معرض الهلكة؛ لأنّ خروج النفس والروح يجعل الجِسم قطعة لحم.

استشهد به جمع منهم صاحب: جمهرة اللّغة ١: ٥٦٧، الصحاح ٥: ٢٠٢٨ مادة «لَحَمَ» فيهما، تهذيب اللّغة ٤: ٢٣٤ مادة «حَصَرَ»، معجم مقاييس اللّغة ٢: ٤٦٣، لسان العرب ١: ٦٠٦ «رَيَبَ» فيها، مجاز القرآن ١: ٢٩، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٧٧.

ويحتمل أنْ يكون معناه الأمر، أي: تَيَقَّنُوهُ ولا ترتابوا به.

قوله تعالىٰ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

معناه: نورٌ وضياءٌ ودلالةٌ للمتّقين من الضّلالة، وإنّما خصّ المتّقين بذلك ـ وإنْ كان هدىً لغيرهم ـ من حيث إنّهم هم الذين اهتدوا به وانتفعوا به كما قال: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾[1] وإنْ كان أنذر من لم يتّبع.

ويقول القائل: في هذا الأمر موعظة لي ولَك، وإنْ كان فيه موعظة لغيرهما.

ويقال: هديتُ فلاناً الطريقَ، إذا أرْشَدتَه ودَلَلْته عليه، أَهْدِيهِ هُدَىً وهِدايَةً[2].

ويُحتمل أنْ يكونَ منصوباً علىٰ الحال من ﴿الْكِتَـٰبُ﴾ وتقديره: ذلك الكتاب هادياً للمتّقين، و﴿ذَٰلِكَ﴾ يكون مرفوعاً بـ﴿الٓمٓ﴾ و: ﴿الْكِتَـٰبُ﴾ نعت لذلك.

ويحتمل أنْ يكون حالاً من الهاء في ﴿فِيهِ﴾، كأنّه قال: لا ريب فيه هادياً.

ويحتمل أنْ يكون رفعاً من وجوه:

أوّلها: أنْ يكون خبراً بعد خبر كأنّه قال: هذا ذلك الكتاب هدًى، أي: قد جَمَعَ أنّه الكتابُ الذي وُعِدوا به وأنّه هدًى. كما يقولون: هذا حُلْوٌ حامضٌ؛ يريدون أنّه قد جمع الطَّعْمين.

وثانياً: أنْ يكون رفعاً بأنّه خبرُ ابتداءٍ محذوف، وتقديره: هو هدىً. ثمّ قال بعد ذلك: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) سورة يس ٣٦: ١١.

(٢) العين ٤: ٧٨، تهذيب اللّغة ٦: ٣٧٨، الصحاح ٦: ٢٥٣٣ «هدي» فيها.

وثالثها: أنّ يكون الكلام قد تمّ عند ﴿رَيْبَ﴾، وابتدأ بقوله: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ فكأنّه قال ذلك الكتاب حقّاً؛ لأنّ ﴿لَا رَيْبَ﴾ بمعنى حقّ، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

و: **هُدىٰ**:

يُذَكَّر في جميع اللغات، وحُكي عن بعض بني أسد: هذه هدًى حسنةٌ[1].

وتدغم النون في اللّام عند الأكثر.

و: ﴿**للمتّقين**﴾:

مجرور باللّام.

والمتّقي: هو الذي يتّقي بصالح أعماله عذابَ الله. مأخوذ من اتّقاء المكروه بما يَجْعَلُه حاجزاً بينه وبينه، كما قال أبو حَيَّةَ النُّمَيْريّ[2]:

وألْقتْ قِناعاً دُونَهُ الشّمْسُ واتَّقَتْ ... بأحسَنَ مَوْصُولَيْنِ: كَفٍّ وَمِعْصَمِ[3] [٦٨]

---

(١) المذكّر والمؤنّث للسجستانيّ: ١٤٧، والمذكّر والمؤنث لابن التستريّ: ١٠٩، معاني القرآن للأخفش ١: ١٧٩، المخصّص لابن سيده ٧: ٦٠٩.

(٢) الهَيْثَمْ بن الرّبيع بن كَثير شاعر راجز أَهْوَجٌ جبان معروف بذلك، عُدّ في شعراء المجانين، أدرك هشام بن عبدالملك الأُمويّ والمنصور العباسيّ، فهو من مخضرمي الحكومتين ومن شعراء بلاطهما. توفي عام: بضع وثمانين ومائة هـ.

ترجمته في: الأغاني ١٦: ٣٠٧، العقد الفريد ٦: ١٦٥، خزانة الأدب للبغدادي ١٠: ٢١٧ ش ٨٣٩، المؤتلف والمختلف: ١٤٥، الشعر والشعراء ٢: ٧٤٧.

(٣)ب ١٨ ق ٨ في الديوان: ٧٣ وقد اختلف في أوّله بما لا يؤثر علىٰ محل الشاهد، بين: وألقت فأبدت، فأرخت.

المعنىٰ: إنّها وبناء علىٰ طلب صويحباتها أسفرت عن وجه إشراقه كإشراق الشمس، فكشفت له عن وجهها ثمّ سترته بكفّها ومِعْصَمِها فأبدت أحسن كف ←

وقيل: إنّ المتّقين هم: الّذين اتّقوا ما حَرُم عليهم، وفَعلُوا ما وجب عليهم(١).

وقيل: هم: الذين يرجون رحمة الله ويحذرون عقابه(٢).

وقيل: هم: الذين اتّقوا الشرك وبرئوا من النفاق(٣).

وهذا الوجه ضعيف؛ لأنّه يلزم عليه وصف الفاسق المتهتّك بأنّه متّقٍ إذا كان بريئاً من الشرك والنفاق.

وأصل الاتّقاء: الحجز بين الشيئين، ومنه: اتّقاه بالتُّرْسِ؛ لأنّه جعله حاجزاً بينه وبينه؛ واتقاه بحُقّه(٤) كذلك.

ومنه: الوقاية؛ لأنّها تحجز بين الرأس والأذىٰ.

ومنه: التَّقِيَّة في الإظْهار خلاف الإبْطان.

والفرق بينه وبين النفاق: إنّ المنافق يُظْهر الخير ويُبطن الشّر، والمتَّقي يُظهر القبيح ويُبطن الحسن.

ويقال: وَقاهُ يَقِيهِ وقايَةً، وتَوَقَّاهُ تَوَقِّياً(٥).

ومعصم.

الشاهد فيه قوله: اتّقت، أراد: حجزت، سترت وجهها.

للاختلاف والتخريج انظر الديوان.

(١ ـ ٣) «قيل» الأولى: للحسن البصريّ. والثانية: لابن عبّاس. والثالثة: بلا عزو. انظر: تفسير الحسن البصريّ ١: ٧١، جامع البيان ١: ٧٧، النكت والعيون ١: ٦٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٣٤ ـ ٣٥ت ٦٠ ـ ٦٤.

(٤) الحُقُّ: حقّ الوَرِك. أي: أصله الذي فيه عظم رأس الفخذ. انظر: الهامش الآتي ومصادره، وفي «س» عوضها: بكفّه، وفي هامشها: بجفنه.

(٥) معجم الفروق اللغوية: ٤٨٩ ت ١٩٧١. وانظر «وَقَيَ» في: تهذيب اللّغة ٩: ٣٧٤، لسان العرب ١٥: ٤٠١.

قوله تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ آية (٣) آية بلا خلاف.

﴿ٱلّذين﴾:

في موضع خفض؛ لأنّه نعت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، ويجوز أنْ يكون رفعاً علىٰ الابتداء.

و: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

رفع؛ لأنّه فعلٌ مستقبَلٌ، والواو والنون في موضع رفع؛ لأنّهما كنايةٌ عن الفاعل، والنون الأخيرة مفتوحة؛ لأنّها نون الجمع.

و: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

نصب؛ لأنّها مفعولٌ به.

و«الإيمان» في اللّغة هو التصديق، ومنه قوله: ﴿وَمَآ أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدّق لنا. وقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[1].

وكذلك هو في الشرع عند أكثر المُرْجِئَة[2].

---

(١) الآيات علىٰ التوالي في: سورة يوسف ١٢: ١٧، سورة النساء ٤: ٥١.
واللّغة انظرها في: العين ٨: ٣٨٨، تهذيب اللّغة ١٥: ٥١٠، المحيط في اللّغة ١٠: ٤١٣، الصحاح ٥: ٢٠٧١، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٩٠، «أَمَنَ»، فيها.

(٢) المُرْجِئَة: مؤنث المرجئ؛ لإرجائهم ـ تأخيرهم ـ العمل عن النية رُتبة، وهم: طائفة ترىٰ الإيمان قولُ الشهادتين بلا عمل العبادة حتىٰ لو ارتكب الكبيرة، أي: لا ←

والمراد بذلك: التصديق بجميع ما أوجب الله تعالىٰ أو ندب إليه أو أباحه. وهو المحكيّ عن ابن عبّاس في هذه الآية؛ لأنّه قال: الذين يصدّقون بالغيب(١).

وحُكي عن الربيع بن أَنس(٢) أنّه قال: الذين يَخْشَوْن الغيب. وقال: معناه يطيعون الله في السرّ والعلانية(٣).

وقيل: إنّ الإيمان مشتقّ من الأمان، فالمؤمِن: مَنْ يؤَمِّن نفسَه من عذاب الله، والله المؤَمِّن لأوليائه من عقابه وذلك مرويّ في أخبارنا(٤).

وقالت المعتزلة(٥) بأجمعها: الإيمان هو فعل الطاعة، ومنهم من اعتبر

↲ تضرّ الإيمانَ معصيةٌ ولا تنفع مع الكفرِ طاعةٌ، ظهرت أوائل القرن الأوّل للهجرة، وهم طوائف منهم العُبَيْدِية، والجَبْرِيّة، والقَدْرِيّة الخالصة.

من أعلامهم: أبو حنيفة، أبو شمر القدريّ وغيرهم.

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١٥١٠، المعتمد في أُصول الدين: ٢٠٩، التوحيد للماتريديّ: ٣١٨، التعريفات: ٩١.

(١) أشار إليه جمع منهم: السمعانيّ في تفسيره ١: ٤٣، عليّ بن أبي طلحة في صحيفته: ٧٧ ت ٢، الماورديّ في النكت والعيون ١: ٦٨.

(٢) الربيع بن أنس بن زياد البَكْريّ الخراسانيّ المِرْوَزيّ الحنفيّ، سمع أنس والرياحيّ والبصريّ. وعنه حدث جمع كالأعمش وابن المبارك وغيرهم. توفّي عام: ١٣٩هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٣: ٢٠٧ ت ٤٦١، سيَر أعلام النبلاء ٦: ١٦٩ ت 79 ومصادره.

(٣) انظر الهامش الأسبق.

(٤) للمثال ينظر: المحاسن ١: ١٨٥ ح١٩٣ ب٤٦، ح ٥٩٠، الكافي ٨: ١٦٠ ح١٦١، علل الشرائع ٢: ٥٢٣ ب٣٠٠ ح١ و٢، أمالي الشيخ الطوسي: ٤٦ ح٥٧، بشارة المصطفى: ١٢٢ ح٦٧.

(٥) فرقة كبيرة مستقلّة اختُلِف في سبب ظهورها، بعد الاتّفاق أنّه كان في العصر ↲

فرائضها ونوافلها، ومنهم من اعتبر الواجب منها، واعتبروا اجتناب الكبائر من جملته.

وروي عن الرضا عليه السلام: «إنّ الإيمان هو: التصديق بالقلب، والعمل بالأركان، والقول باللّسان»[1]. وقد بيّنا الأقوىٰ من ذلك في كتاب

⇐ الأمويّ:

بين: السياسة، إذ اعتزلوها بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، وقولهم: بالاشتغال بالعلم والعبادة.

وبين: انشعابهم واعتزالهم حلقة البحث للحسن البصريّ ـ كما هو رأي أكثر المؤرخين ـ أثر طرح مسألة مرتكب الكبيرة وحكمه وبعد نقاشٍ اعتزلوا الحلقة واتّخذوا لهم مجلساً وعلىٰ رأسهم واصل.

ومن أعلامهم: البصريّ، والجُبّائيّان، والدمشقيّ، والطويل، والعلّاف وغيرهم.

هذا وقد يطلق عليهم: القدرية، المعطلّة، أهل التوحيد وغيرها لمناسبة بعض آراءهم.

وهم بعد ذلك اثنان وعشرون فرقة، منهم: الخابطية ـ الخاطبية، الحاطبية ـ اتباع أحمد بن خابط ـ أو حابط ـ القائلين: بإلاهين للعالم قديم وجديد، أي الباري تعالىٰ والمسيح، وهو الذي يحاسب الناس في الآخرة.

وتحسن الإشارة الىٰ رأي أشار إليه المقريزيّ في خططه من وجود تشابه بينهم وبين معتزلة اليهود والمسمّون «الفروشيم» إذ كلا الطائفتين تعتبران قول الحكماء والفلاسفة في تفسير كلام الباري عزّ وجلّ.

ولزيادة الاطلاع ينظر: قاموس المذاهب والأديان: ١٩١، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب: ٥٨٩ ت٦٢٦، الخطط المقريزية ٣: ٣٩٤ و٧٢٧، تاريخ المذاهب الاسلامية: ١٢٤، مذاهب الإسلاميين: ٣٧ ـ ٤٨١، كشاف اصطلاحات الفنون ١: ٦٠٨ و٢: ١٥٧٤، شرح الأصول الخمسة للمعتزلة، تاريخ الجهنية والمعتزلة: ٥٦، التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع: ٤٠ ـ ٤١، وغيرها كثير.

(١) عيون الأخبار ١: ٢٢٧ ح٣ و٢: ٢٨ قطعة من الحديث ١٧ و١٢٥ الخصال: ١٧٨ ⇐

....

ح٢٣٩ ـ ٢٤٢ وفي الجميع باختلاف لا يضر.

هذا، ولا بأس بملاحظة ما يلي:

إنّ الإيمان في اللّغة هو: التصديق أو إظهار الخضوع والقبول، يقال: آمَنَ بمحمّد ﷺ، وآمنتُ بهِ، أي صدَّقته وأظهرت له الخضوع والقبول لما يقوله، من الأمن بمعنىٰ سكون النفس.

انظر: الصحاح ٥: ٢٠٧١، مجمل اللّغة ١: ١٠٢، معجم مقاييس اللّغة: ١: ١٣٣، وبتفصيل لسان العرب ١٣: ٢٣، «أَمَنَ» فيها.

وفي عرف أهل الكلام من المسلمين علىٰ أربعة أنحاء هي:

١ ـ الإيمان هو من أفعال الجوانح، فهو قلبيّ، وعلىٰ قسمين:

أ ـ تصديق خاص، أي تصديقَ الرسولَ الأعظمَ بما جاء به من الباري تعالىٰ مع حفظ المظاهر ـ إجمالاً أو تفصيلاً ـ ذهب إليه الأشاعرة والماتُرِدِيّة، ومن المعتزلة الصالحيّ وابن الراونديّ.

ب ـ معرفة الله تعالىٰ مع توحيده بالقلب، وأضاف قسم منهم: ما جاء به الرّسل. والإقرار اللّسانيّ ليس بركن فيه عندهم. ذهب إليه الجُهَمِيّة وبعض الفقهاء.

٢ ـ الإيمان من أفعال الجوارح، فهو عمل لسانيّ. وهو قسمان:

أ ـ إضافة المعرفة القلبية إليه، وإليه ذهب غيلان الدمشقيّ.

ب ـ الإيمان مجرد الإقرار اللّسانيّ لا غير، وإليه مال الكرّامية.

٣ ـ الإيمان جوانحيٌّ جوارحيٌّ، فهو عمل القلب واللسان معاً، وفيه أقوال.

أ ـ إقرار باللّسان، ومعرفة بالقلب وإليه ذهب أبو حنيفة وأغلب الفقهاء وقسم من المتكلّمين.

ب ـ تصديق بالقلب واللّسان معاً. وهو قول الأشعريّ والمريسيّ.

ج ـ إقرار باللّسان واخلاص بالقلب.

٤ ـ الإيمان فعل بالقلب واللّسان وسائر الجوارح. وإليه ذهب أصحاب الحديث ومالك والشافعيّ وأحمد والأوزاعيّ، والمعتزلة والخوارج والزيدية.

هذا، وما لنا ولأقوالهم وآرائهم هاك قول من كلامهم نور، وأمرهم رشد هذا قول

....

أمير المؤمنين عليه السلام : «الإيمان : معرفة بالقلب ، وإقرار باللّسان ، وعمل بالأركان» نهج البلاغة الحكمة : ٢٢٧ .

وقول الإمام الصادق عليه السلام : «ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمني ؛ ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدّقه الاعمال» .

وهكذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (الإيمان قول وعمل أخوان شريكان) .

وقول الإمام الرضا عليه السلام : «الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللّسان وعمل بالجوارح ، لا يكون الإيمان إلّا هكذا» .

ولا يخفىٰ أنّ الإيمان أمرٌ حقيقيّ ، قابل : للشدّة والضعف ، وعليه شواهد من القرآن الكريم والروايات .

وأمّا الإسلام فإنه: يتحقّق بإظهار الشهادتين فقط لا غير ، فتكون النسبة بينه والإيمان هي العموم والخصوص المطلق. إذ كلّ مؤمن مسلم وزيادة ، وليس كلّ مسلم مؤمناً ، والقرآن الكريم شاهد عليه. قال تعالىٰ : **﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** [سورة الحجرات ، مدنية ٤٩ : ١٤] .

وهكذا قول الإمام الصادق عليه السلام : «الإسلام: شهادة أن لا إله إلّا الله، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله؛ به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلىٰ ظاهره جماعة الناس.

والإيمان : الهدىٰ وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل ، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة» .

وإلىٰ الفرق بينهما أشار عليه السلام ـ كما في الكافي ـ: «الإيمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل» .

هذا هو رأي الشيعة الإمامية الإثني عشرية تبعاً لأئمّتهم عليهم السلام .

وللتوسعة في جميع ما تقدّم ينظر: تفسير القمّيّ لعليّ بن إبراهيم ١ : ٣٠، مقالات الإسلاميين للأشعريّ : ١٣٢ و٢٦٦ ، الكافي للشيخ الكلينيّ ٢ : ٢٤ ـ ٢٨ ، التوحيد للماتريديّ : ٣٣٢، تهذيب اللّغه للأزهريّ ١٥ : ٥١٣، معاني الأخبار للشيخ الصدوق : ١٨٦ باب معنىٰ الإسلام والإيمان ، شرح الأُصول الخمسة : ٧٠٩،

الأُصول[1].

﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ :

فأمّا «الغيب» فُحكي عن ابن عبّاس أنّه قال: ما جاء من عند الله.

وقال جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره: إنّ الغيب ما غاب عن العباد عِلْمه من أمر الجنّة والنار والأرزاق والأعمار وغير ذلك، وهو الأولىٰ؛ لأنّه عامّ[2].

ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من: زمان الغَيْبة، ووقت خروج المهديّ عليه السلام[3].

↩ الذخيرة للسيد المرتضى: ٥٣٦، الاقتصاد الهادي إلىٰ طريق الرشاد للشيخ الطوسيّ: ١٤٠، الرسائل العشر للشيخ الطوسيّ: ١٠٣، اللمع: ١٢٣، الاعتقاد علىٰ مذهب السلف: ٩٥، المفردات للراغب: ٢٥، تفسير الكشاف للزمخشريّ ١: ٣٧، المعتمد في أُصول الدين: ١٨٧، الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ١: ١٢٦ ـ ١٣٠، تلخيص المحصل للنصير الطوسيّ: ٤٠١، تجريد الاعتقاد للنصير الطوسيّ: ٣٠٩، قواعد العقائد: ٢٣٩، قواعد المرام في علم الكلام: ١٧٠، الألفين للعلّامة الحلّيّ: ٣١٨، كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد للعلّامة الحلّيّ: ٤٥٤، شرح المقاصد للتفتازانيّ ٥: ١٧٥، شرح المواقف للأيجيّ ٨: ٣٢٢، إرشاد الطّالبين إلىٰ نهج المسترشدين: ٤٣٦، اللباب في شرح علوم الكتاب ١: ٢٨١، كتاب حقائق الايمان، تفسير القرآن العظيم للصدر الشيرازيّ ١: ٢٤٥، الكلّيات لأبي البقاء: ٢١٢، بحار الانوار للمجلسيّ ٦٥: ٢٢٥ ـ ٣٠٩، كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانويّ ١: ٩٤، حاشية الكلنبويّ علىٰ شرح الجلال ١: ١٩٥، حقّ اليقين ٢: ٣٣١، فتح القدير للشوكانيّ ١: ٣٤، توضيح المراد: ٨٧٤، وغيرها كثير خصوصاً كتب التفسير عند الآية هذه.

(١) تمهيد الأُصول: ٢٩٣.

(٢) انظر مصادر الهامش: ١، صفحة: ١٧٥، والهامش ٢ صفحة: ١٨٠.

(٣) منها ما في كفاية الأثر: ٦٠ وكمال الدين وتمام النعمة ٢: ٣٤٠ ح١٩ و٢٠، وعنه البحار ٥١: ٥٢ ح٢٩.

وقال قوم: الغيب هو القرآن. حكي ذلك عن زِرّ بن حُبَيْش[١].

وذكر البَلْخيّ: إنّ الغيب كلّ ما أُدرك بالدلائل والآيات ممّا يلزم معرفته.

وقال الرمّانيّ: الغيب: خفاءُ الشيء عن الحسّ قرُب أو بَعُد، إلّا أنّه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحس[٢].

وأصل الغَيْب مِنْ غابَ، يقولون: غاب فلان يَغيبُ. وليس الغَيْب ما غاب عن الإدراك؛ لأنّ ما هو معلومٌ وإنْ لم يكن مُشاهداً لا يُسمّىٰ غَيباً[٣].

والأولىٰ أنْ تحمل الآية علىٰ عمومها في جميع منْ يؤمن بالغيب.

وقال قوم: إنّها مُتناولة لمؤمني العربِ خاصّة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب؛ قالوا: بدلالة قوله فيما بعد: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾[٤]، قالوا: ولم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبيّه تَدينُ بتصديقه، وإنّما الكتاب لأهل الكتابَيْن.

وهذا غير صحيح؛ لأنّه لا يمنع أنْ تكون الآية الأُولىٰ عامة في جميع

---

(١) زرّ بن حُبَيْش الأسديّ، أبو مريم، مُقرئ الكوفة مع السُلميّ، عرض علىٰ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود، عليه قرأ عاصم، والأعمش وغيرهم. توفّيَ عام: ٨٢هـ.

غاية النهاية ١: ٢٩٤ ت ١٢٩٠، سيَر أعلام النبلاء ٦: ١٦٦ ت ٦٠ ومصادره.

(٢) أُشير إلىٰ الآراء في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٣٦ ت٦٨، بصائر ذوي التمييز ٤: ١٥٢، النكت والعيون ١: ٦٥، جامع البيان ١: ٧٨، تفسير كتاب الله العزيز ١: ٨١، بحر العلوم ١: ٩٠، المحرّر الوجيز ١: ٩٩، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ٨٠. إلّا الرمّانيّ والبلْخيّ.

(٣) الجمهرة ١: ٣٧١، تهذيب اللّغة ٨: ٢١٤، الصحاح ١: ١٩٦، «غيب».

(٤) سورة البقرة ٢: ٤. وانظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٣٥ ت٦٥.

المؤمنين المصدِّقين بالغيب، وإن كانت الثانية خاصّة في قوم دون قومٍ؛ لأنّ تخصيص الثانية لا يقتضي تخصيص الأولىٰ.

وقال قوم: إنّهما مع الآيتين اللّتين بعدهما أربع آياتٍ نزلت في مؤمني أهل الكتاب؛ لأنّه ذكرهم في بعضها.

وقال قوم: إنّ الأربع آيات من أوّل السورة نزلت في جميع المؤمنين، وآيتان نزلتا في نعت الكافرين، وثلاثة عشر آية في المنافقين.

وهذا أقوىٰ الوجوه؛ لأنّه حمل علىٰ عمومه، وحكي ذلك عن مجاهد[1].

وقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾:

فإقامَتها أداؤها بحدودها وفرائضها وواجباتها كما فُرضَت عليهم، يقال: أقام القَومُ سُوقَهم، إذا لم يعطّلوها من البيع والشراء، قال الشاعر:

أَقَمنا ـ لأَهلِ العِراقَيْنِ ـ سُوقَ الـ ـضِّراب فَخامُوا وَوَلَّوا جَميعا[2] [٦٩]

وقال أبو مسلم محمّد بن بحر: معنىٰ ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ يديمون أداء فرضها، يقال للشيء الراتب: قائم، ولفاعله مُقيم، ومن ذلك: فلان

(١) أُشير إليها في: النكت والعيون ١: ٧٠، المحرّر الوجيز ١: ١٠٣، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٤٤، تفسير مجاهد بن جبر: ١٩٥، تفسير سفيان الثوريّ: ٤١ ت١، أسباب النزول: ٢٤ ت ٢٤، وبتفصيل جامع البيان ١: ٧٩.

(٢) لم نجد من نسبه.

العراقين: البصرة والكوفة. خاموا: نكصوا وجبنوا.

الشاهد فيه: أقمنا سوق الضّراب، أي لم نؤخر الضرب ولا القتال.

استشهد به في المحرّر الوجيز ١: ١٠١ وقبله جامع البيان ١: ٨٠.

يُقيم أرزاق الجند[١].

وقيل: إنّه مشتقّ من تقويم الشيء من قولهم: قام بالأمر، إذا أحكمه وحافظ عليه.

وقيل: إنّه مشتقّ ممّا فيها من القيام؛ ولذلك قيل: قد قامت الصّلاة.

وأمّا الصّلاة فهي: الدعاءُ في اللّغة، قال الشاعر:

[٧٠] وَقَابلَها الرّيحُ في دَنِّها ... وَصَلّىٰ علىٰ دَنِّها وارْتَسمْ[٢]

أي: دعا لها.

وقال الأعشىٰ:

[٧١] لَها حارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَها ... فإنْ ذُبِحَتْ صَلّىٰ عَلَيْها وَزَمْزَما[٣]

يعني: دعا لها.

---

(١) تفسيره مخطوط. ونسبه ابن الجوزيّ في زاد المسير ١: ٢٥ إلىٰ ابن كيسان.

وانظر: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٢٤.

(٢) البيت للأعشىٰ الكبير، ميمون بن قيس، من قصيدة يمدح فيها قيس بن مَعْدِيكَرِب.

وقابلها: وضعها قبالة الرياح. الدَّن: الكوز التي تعتق فيها الخمور، وروي عوض الدَّن الأولىٰ: ظلُّها. ارتسم: كبّر، ودعا.

الشاهد فيه: استعمال (صلّىٰ) بمعنىٰ دعا، أي: دعا الله تعالىٰ أن لا تحمض ولا تفسد الخَمْرَةُ.

انظر: الديوان: ٨٥ من القصيدة الرابعة.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: ٣٤٣ من القصيدة ٥٥ يمدح فيها. إياسَ ابن قبيصةَ الطائيّ.

ذبحت: كناية عن ثقب إناء الخمرة، وهو الدَّن. زمزما: الزمزمة هي الرطانة، أي: الكلام في الخيشوم، وهي عادة العلوج بحيث لا يستعملون لساناً ولا شفة.

الشاهد فيه قوله: صلّىٰ عليها، أي: دعا لها وباركها وأثنىٰ عليها.

وأصل الاشتقاق في الصَّلاة من اللُّزوم من قوله: ﴿تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً﴾(١)، والمصدر: الصَّلىٰ، ومنه: اصْطَلىٰ بالنّار، إذا لزمها. والمُصَلِّي: الذي في أثر السابق؛ للزوم أثره. ويقال للعظم الذي في العَجُز(٢): صلاً، وهما صَلَوان.

وأمّا في الشرع: ففي الناس من قال: إنّها تخصّصت بالدّعاء والذكر في موضع مخصوص.

ومنهم من قال ـ وهو الصحيح ـ: إنّها في الشرع عبارةٌ عن الركوع والسجود علىٰ وجه مخصوص وأذكار مخصوصة.

وقيل: إنّها سمّيت صلاة؛ لأنّ المصلّي متعرّض لاستنجاح طلبه من ثواب الله، مع ما يسأل رَبَّه فيها من حاجاته(٣).

وأمّا الرزق: فهو ما للحيّ الانتفاع به علىٰ وجه لا يكون لأحد منعه منه، وهذا لا يطلق إلّا في ما هو حلال.

فأمّا الحرام: فلا يكون رزقاً؛ لأنّه ممنوع منه بالنّهي، ولصاحبه أيضاً منعه منه.

---

(١) سورة الغاشية ٨٨: ٤.

(٢) العجز: هكذا جاءت في النسخ، ولعلّها: الفَخِذ، إذ العبارة في كتب اللّغة: والصَّلا: ما عن يمين الذنَب وشماله. وفيها أيضاً: والصَّلَوَيْن: هما مكتنفا الذنَب من الناقة وغيرها، وأوّل مَوصِل الفخذين من الإنسان فكأنّهما في الحقيقة مكتنفا العُصْعُص.

تهذيب اللّغة ١٢: ٢٣٦، الصحاح ٦: ٢٤٠٢، لسان العرب ١٤: ٤٦٤ (صلا) فيهن.

وانظر: النكت والعيون ١: ٦٩، أحكام القران للجصّاص ١: ٢٤.

(٣) كأنّ المصنّف ﷺ ناظر إلىٰ ابن جرير الطبريّ في تفسيره ١: ٨١.

ولأنّه تعالىٰ مَدَحَهُم بالإنفاق ممّا رزقهم، والمغصوب والحرام يُستحقّ الذّم علىٰ إنفاقه، فلا يجوز أنْ يكون رزقاً.

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنْفِقُونَ﴾:

حكي عن ابن عبّاس: إنّه الزكاة المفروضة يؤتيها احتساباً.

وحكي عن ابن مسعود: إنّه نفقةُ الرجل علىٰ أهله؛ لأنّ الآية نزلت قبل وجوب الزكاة.

وقال الضّحّاك: هو التطوّعُ بالنفقة فيما قرّب من الله(١).

والأَولىٰ حمل الآية علىٰ عمومها، فيمن أخرج الزكاة الواجبة، والنفقات الواجبة، وتطوع بالخيرات.

وأصل الرزق الحظّ؛ لقوله [تعالىٰ]: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾(٢): أي حظّكم، فما جعله حظّاً لهم فهو رزقهم(٣).

والإنفاق: أصله الإخراج، ومنه قيل: نَفَقَتِ الدابّة، إذا خرجت روحُها.

والنافقاء: جُحْرُ اليربوع ـ من ذلك ـ لأنّه يخرج منه.

ومنه النفاق؛ لأنّه يَخرجُ إلىٰ المؤمن بالإيمان، وإلىٰ الكافر بالكفر(٤).

---

(١) أشار إلىٰ الأقوال: ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١: ٣٧ ت ٧٧، والسمرقنديّ في تفسيره بحر العلوم ١: ٩٠، والهُوّاريّ في تفسيره ١: ٨١، وابن عطيّة في المحرّر الوجيز ١: ١٠٢، والطبريّ في جامعه ١: ٨١، والماورديّ في النكت والعيون ١: ٧٠، وابن الجوزيّ في زاد المسير ١: ٢٦.

(٢) سورة الواقعة ٥٦: ٨٢.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٢٥، بصائر ذوي التمييز ٣: ٦٥، تهذيب اللّغة ٣: ٤٢٥.

(٤) الضمير في «لأنّه» يعود إلىٰ المنافق بقرينة الحال مثل قوله تعالىٰ: ﴿اعدلوا هو ⇐

قوله تعالىٰ:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ آية (٤).

لا تَمدُّ القرّاءُ الألف من «ما»، إلّا حمزة فإنّه مدّها، وقد لحن في ذلك.

وكان يقف قبل الهمزة ـ فيقرأ: ﴿وَبِالْأَخِرَةِ﴾ يسكت علىٰ اللام ـ شيئاً ثمّ يبتدئ بالهمزة، وكذلك ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ و﴿شىء﴾ يقطع عند الياء من شيء كأنّه يقف ثمّ يهمِّز[1].

وموضع ﴿ما﴾ خفض بالباء.

ويكره الوقف علىٰ ﴿مَا﴾؛ لأنّ الألف حرف منقوص.

وقال قتادة: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الكتب الماضية[2].

وقد بيّنا أنّ الأولىٰ حمل الآية علىٰ عمومها في المؤمنين، وذكرنا

﴿أقرب للتقوىٰ﴾. ـ سورة المائدة ٥: ٨ ـ وانظر: العين ٥: ١٧٧، جمهرة اللّغة ٢: ٩٦٧، تهذيب اللّغة ٩: ١٩٢، المحيط في اللّغة ٥: ٤٤٤، مجمل اللّغة ٤: ٨٧٧، لسان العرب ١٠: ٣٥٧، عمدة الحفّاظ ٤: ٢٠٧، «نَفَق» في الجميع.

(١) انظر هاتين القراءتين عن حمزة في غاية الاختصار ١: ٢٤٣ ت ٣٠٦ وما بعدها و٢٦٥ ت ٣٣١ وما بعدها بتفصيل، حجة القراءات: ٨٥، التيسير في القراءات: ٣٠، النشر ١: ٤٢٨ وما بعدها بتفصيل في البحث، التلخيص في القراءات الثمان: ١٦٣ ـ ١٦٩.

(٢) ذكرته التفاسير من دون نسبه، مثل النكت والعيون ١: ٧٠، بحر العلوم ١: ٩١، الوسيط ١: ٨٢، أمّا ابن أبي حاتم فقد نسبه إليه في تفسيره ١: ٣٨ ت٨١، مبدلاً القرآن بالفرقان.

الخلاف فيه[١].

و: ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾:

صفة الدار، فحذف الموصوف، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[٢] ووصفت بذلك لمصيرها آخرة لأولىٰ كانت قبلها، كما يقال: جئت مرّة بعد اُخرىٰ، ويجوز أن يكون سُمّيت بذلك؛ لتأخّرها عن الخلق، كما سمّيت الدنيا دنيا؛ لدنوّها من الخلق؛ وإيقانهم ما جحده المشركون من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب، وروي ذلك عن ابن عبّاس[٣].

والإيقان بالشيء هو: العلم به، وسُمّي يقيناً؛ لحصول القَطْع عليه وسكون النفس إليه[٤].

قوله تعالىٰ:

﴿أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ آية (٥).

﴿أُوْلَـٰئِكَ﴾:

بهمزتين، وفيهم من يخففهما، وحمزة يمدُّ ﴿أُوْلَئِكَ﴾[٥].

---

(١) تقدّم في صحيفة: ١٨٠.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٣٨ ت ٨٢، ومن دون نسبه في: النكت والعيون: ٧١/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ١٧٠.

(٤) انظر: العين ٥: ٢٢٠، تهذيب اللّغة ٩: ٣٢٥، الصحاح ٦: ٢٢١٩، لسان العرب ١٣: ٤٥٧.

ولاحظ: جمهرة اللّغة ٢: ٩٨٠، مجمل اللّغة ٤: ٩٤٢، معجم مقاييس اللّغة ٦: ١٥٧، المحيط في اللّغة ٦: ٣٦ مادة «يَقَنَ» في الجميع.

(٥) غاية الاختصار ١: ٢٦٢ ف ٣٢٨، التلخيص في القراءات الثمان: ١٦٨.

وأُولئك اسم مبهم يصلح لكلٍّ حاضر تُعرّفه الإشارة، كقولك: ذاك، في الواحد. وأولاء جمعُ ذاك في المعنىٰ. ومن قصَّر قال: أُولا، وأُولالك، وإذا مددته لم يجز زيادة اللّام؛ لئلّا يجتمع ثقل الهمزة وثقل الزيادة، وتقول: أولاء للقريب وها أُولئك للبعيد وأُولئك للمتوسّط.

﴿ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ ﴾:

وأُضيف الهدىٰ إلىٰ الله؛ لأحد أمرين:

أحدهما: لما فعله بهم من الدلالة على الهدىٰ والإيضاح له، والدعاء إليه.

والثاني: لأنّه يثيب عليه.

فعلىٰ هذا يُضاف الإيمان بأنّه هدايةٌ من الله.

و: ﴿هُدًى﴾:

في موضع خفض بعلىٰ.

ومعنىٰ ﴿ عَلَىٰ هُدًى ﴾ أي: علىٰ حقٍّ وخيرٍ بهداية الله إيّاهم ودعائه إلىٰ ما قالوا به.

ومن قال: هم علىٰ نور واستقامة، أو بيان ورُشد، فهو داخل تحت ما قلنا.

والأَولىٰ أنْ يكون ذلك عامّاً فيمن تقدّم ذكره في الآيتين[1].

ومن خصّ ذلك فقد ترك الظاهر؛ لأنّ فيهم من خصَّها بالمعنيين في الآية الأُولىٰ، وفيهم من خصّها بالمذكورين في الآية الثانية.

---

(١) أي: في سورة البقرة ٢: ٢ و٥.

وقد بيّنا أنَّ الجميع محمول على العموم، وحملها على العموم في الفريقين محكيّ عن ابن عبّاس وابن مسعود.

و: ﴿ الْمُفلِحُونَ ﴾:

هم المُنْجِحُون الذين أدركوا ما طلِبوا من عند الله بأعمالِهم وإيمانِهم.

والفَلاحُ: النجاحُ. قال الشاعر:

اعْقِلي إنْ كُنْتِ لمّا تَعْقِلِي ... وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كانَ عَقَلْ[1] [٧٢]

يعني: من ظفر بحاجته وأصاب خيراً.

وتقول: أَفْلَحَ يُفْلِحُ إفْلاحاً، وتقول فَلَحَ يَفْلَحُ فَلاحاً وفِلاحاً.

والفَلاحُ: البَقاءُ أيضاً. قال لَبِيد:

نُحُلُّ بِلاداً كُلُّها حُلَّ قَبْلَنا ... وَنَرْجُو الفَلاحَ بَعْدَ عادٍ وَحِمْيَرِ[2] [٧٣]

يعني: البقاء.

وأصلُ الفَلَحُ: القطع، فكأنّه قطعَ لهم بالخير. ومنه قيل للأكّار: فَلّاحاً؛

---

(١) من قصيدة للشاعر لَبِيد بن ربيعة العامريّ، يرثي أخاه ويذكر ماضيه مطلعها:

إنَّ تَقوىٰ رَبِّنا خيرُ نَفَلْ ... وبإذْنِ الله رَيْثِي وَعَجَلْ

اعقِلي: تدبّري وتفكّري، مخاطباً نفسه، وقيل رفيقته. لمّا: نافية، أي لا أراك تتدبّرين الأمور. أفلح: نجح، وظفر من تدبّر الأُمور.

الشاهد فيه: استعمال أفْلَحَ بمعنىٰ نجح أو ظفر بحاجته.

الديوان: ١٧٤، القصيدة: ٢٦، البيت ١٢ط الكويت.

(٢) من قصيدة للشاعر لَبِيد بن ربيعة العامريّ يذكر من تقدّم من عشيرته ويلحظ سطوة الموت وضعف البشر أمامه، والقصيدة أغلبها حكمية.

نُحُلُّ: نسكنُ. حُلَّ: سُكنت قبلنا. الفلاح: البقاء بعد قبيلتي عاد وحمير.

الشاهد فيه واضح.

الديوان: ٤٦، القصيدة: ٨، البيت: ٣٦ ط الكويت.

لأنّه يشقُّ الأرضَ. والفلّاحُ: المُكاري؛ لأنّه يقطعُ الأرض[١]. قال الشاعر:

أنّ الحَدِيدَ بالحَدِيدِ يُفْلَحُ[٢] [٧٤]

﴿أُوْلَـٰئِكَ﴾:

وفي أولئك لغات: فلغة أهل الحجاز: أُولِيكَ، بالياء. وأهل نَجْد وقيس وربيعة وأسد يقولون: أُولئك، بهمز. وبعض بني سعيد من بني تميم يقولون: أُلّاكَ، مشدّدة. وبعضهم يقول: أُلالِكَ[٣] قال الشاعر:

أُلالِكَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُشابَةً وَهَلْ يَعَظُّ الضَلّيلُ إلّا أُلالِكا[٤] [٧٥]

---

(١) انظر: العين ٣: ٢٣٣، جمهرة اللّغة ١: ٥٥٥، تهذيب اللّغة ٥: ٧١، المحيط في اللّغة ٣: ١٠٥، الصحاح ١: ٣٩٢، معجم مقاييس اللّغة ٤: ٤٥٠، مادة «فَلَحَ» في الجميع.

(٢) وقبله قيل:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْلُكَ أَنّي الصَّحْصَحُ

رجز لم ينسب لأحد، اختلف في ضبط سابقه. استشهد به جمع على مورد الشاهد لدىٰ المصنّف، وهو أنّ يَفْلَح بمعنى يقطع.

إضافة لمصادر الهامش المتقدّم انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٧٦.

هذا، وقد أورده البعض بلسان المَثَل، انظر: مجمع الأمثال ١: ١١ ت١٣، المستقصىٰ في أمثال العرب ١: ٤٠٣ ت١٧١٧، أمثال أبي عُبيد: ٩٦.

(٣) أشارت إليها أغلب المصادر في الهامش الآتي، ولكن من دون نسبة إلىٰ قبيلة، عند بحث الابدال وبحث أسماء الإشارة، وانظر كشف المشكل في النحو ٢: ٢٨٦، لسان العرب ١٥: ٤٣٦.

(٤) استشهد به جمع علىٰ ما استشهد به المصنّف ﷺ وأغلبهم من دون نسبة، انظر: المدخل لعلم التفسير: ٦٠٣، المنصف لابن جنّي ١: ١٦٦، ٣: ٢٦، المذكّر والمؤنث للأنباريّ ٢: ٣٦٢، الصاحبيّ: ٢٨، سرّ صناعة الإعراب ١: ٣٢٢، شرح المفصّل ١٠: ٦ ونسبه للأعشىٰ، لسان العرب ١٥: ٤٣٧، وأبو زيد في النوادر: ↩

و: ﴿هُمُ﴾:

دخلت للفصل.

---

١٥٤ مع اختلاف في الشطر الأوّل.

هذا، وقد نسب البيت إلىٰ الكَلْحَبَة اليَربُوعِيّ وهو: هبيرة بن عبد مناف أحد فرسان تميم وسادتها.

له ترجمة في المختلف والمؤتلف: ٢٦٣، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٣٩٢ ش ٦١.

والكَلْحَبَةُ: لقب، معناه: صوت النّار ولَهَبُها، وَكَلحَبَه: ضربه.

الأشابة: الأخلاط من العامة والمجموعين من هنا وهناك، ويقال: عنده أشابة من المال، أي: مال مخلوط من حلال وحرام.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ آية ﴿٦﴾.

نزلت في أبي جهل[١] وفي خمسة من قومه[٢] من قادة الأحزاب قُتلوا يوم بدر، في قول الربيع بن أنس[٣]، واختاره البَلْخيّ والمغربيّ[٤].

وقال ابن عبّاس: نزلت في قوم بأعيانهم من أحبار اليهود الذين حول المدينة. وقال قوم: نزلت في مشركي العرب[٥]، واختار الطبريّ قول

---

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزوميّ القُرَشِيّ، أبو جهل، أعرف من أن يُعرّف بكنيته هذه التي كنّاه المسلمون بها نكاية به، إذ كنيته الأصلية أبو الحكم، أحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، ومن أشدّ الناس عداوة للنبيّ الأكرم وللإسلام، استمرّ يثير الفتن والكيد حتّىٰ كانت وقعة بدر الكبرىٰ في السنة الثانية للهجرة فكان أحد قتلاها.

ترجمتهُ في أغلب كتب الأعلام والتأريخ، وأغناها وأدلّها علىٰ مواضعها أعلام القرآن: ٧٣٤.

(٢) وهم عتبة بن ربيعة وولده الوليد، وأخوه شيبة بن ربيعة، وأبو البختريّ ابن هشام أخ أبي جهل عمرو بن هشام، وزمعة بن الأسود وقيل: أُميّة بن خلف.

لترجمتهم انظر: أعلام القرآن: ٦٣٦، ٤٩٥، ٤٠٥ ومصادره.

(٣) أشار إليها ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١: ٤٠ ت ٩٣، والسمرقنديّ في بحر العلوم ١: ٩١، والماورديّ في النكت والعيون ١: ٧٢، والقرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن ١: ١٨٤، وابن كثير في تفسيره ١: ١٧٣، والسيوطيّ في درّه المنثور ١: ٧٣ والواحديّ في أسباب النزول: ٢٥ ت ٢٥ عن الضحّاك، تفسير مبهمات القرآن ١: ١٢١.

(٤) تقدّم أنّ تفسيريهما مخطوطان.

(٥) انظر مصادر الهامش ٣، المتقدّم.

ابن عبّاس[١].

والذي نقوله: إنّه لابُدّ أنْ تكون الآية مخصوصة؛ لأنّ حملها علىٰ العموم غير ممكن؛ لأنّا قد علمنا أنّ في الكفّار منْ يؤمن فلا يمكن العموم، وأما القطع علىٰ واحد ممّا قالوه فلا دليل عليه، ويجب تجويز كلّ واحد من هذه الأقوال، ومن مات منهم علىٰ كفره يُقطع علىٰ أنّه مراد بالآية، فعلىٰ هذا قادة الأحزاب مرادون علىٰ ما قال ربيع بن أنس، ومن قُتل يوم بدر كذلك.

ومن قال: إنّ الآية مخصوصة بكفّار أهل الكتاب، قال: لأنّ ما تقدّمها مختصّ بمؤمنيهم فيجب أنْ يكون ما يعقبها مختصّاً بكفّارهم.

وقد قُلنا: إنّ الآية الأُولىٰ حملُها علىٰ عمومها أولىٰ، ولو كانت خاصة بهم لم يجب حمل هذه الآية علىٰ الخصوص؛ لما تقدّم في ما مضىٰ[٢].

و: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

نصب بأن.

﴿كَفَرُواْ﴾:

والكُفْر: هو الجُحُود والسَّتْر، ولذلك سمّي الليل كافراً؛ لظلمته. قال الشاعر:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَ مَا ... أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَها في كافِرِ[٣] [٧٦]

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ١: ٨٤.

(٢) انظر صحيفة: ١٨٠.

(٣) البيت لثَعْلَبَةَ بن صُعَيْر المازنيّ، شاعر جاهليّ قديم، أقدم من جدّ لبيد.

وقال لبيد:

. . . . فــي لَـيلَةٍ كَـفَرَ النُّـجُومَ غَـمامُها[1] [٧٧]

يعني: غَطّاها.

والكافور: أكمامُ الكرم الذي يكون فيه. والكُفُرَّي: وعاءُ الطَّلْعة؛ لأنّه يسترُ اللّبّ. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[2].

وسمّي الزارع: كافِراً؛ لتغطيته البذر. ويقال: فلان متكفِّر بـالسلاح:

وهذا البيت ١١ من مفضّليته التي قيل: إنّه لو قال خمساً مثلها لعدّ من فحول الجاهلية.

الثقل: البيض، أو كلُّ ما يصان ويحافظ عليه. الرثيد: المنظود، أو المجموع بعضه إلىٰ بعض. ذُكاء: بضمّ الذّال من أسماء الشمس، وابن ذكاء: الصبح. الكافر: الليل؛ لأنّه يغطي بظلمته كلّ شيء، وكلّ ما غطىٰ شيئاً وستره فهو كافر.

والشاهد فيه: استعمال الكافر بمعنى الليل.

ذكره جمع واستشهد به آخرون لما استشهد به المصنّف انظر: المفضّليات: ١٣٠، المحتسب ٢: ٢٣٤، أمالي القالي ٢: ١٤٥، شرح اختيارات المفضّل الضَّبِّيّ ٢: ٦١٩ ت ٢٣، المفضّليات للأنباريّ: ٢٥٧، الاشتقاق: ١٨٧، المعاني الكبير ١: ٣٥٨، ومن كتب اللّغة: جمهرة اللّغة ١: ٤١٩ و٢: ٧٨٧، تهذيب اللّغة ١٠: ١٩٧، و١٤: ٨٩، الصحاح ٢: ٨٠٨، لسان العرب ٥: ١٤٧، (كَفَرَ، رَثَدَ) فيها. هذا وفي بعض المصادر (فَتَذَكّرت)، وكذا بعض النسخ.

(١) صدره:

يَـعْلو طَـرِيقَةَ مَـتْنِها مُـتَواتِـر ....

البيت ٤١ من القصيدة ٤٨ في الديوان: ٢٩٧، وهي معلّقته التي مطلعها:

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَـمُقامُهَا   بـمنىً تأبّدَ غَـوْلُها فَـرِجَامُهَا

المعنىٰ والشاهد واضح.

وانظر: شرح المعلّقات العشر: ١٢٩، شرح المعلّقات السبع: ٩، شرح القصائد العشر: ١٨١.

(٢) سورة الحديد ٥٧: ٢٠.

إذا تغطىٰ به(١).

وفي الشرع: عبارةٌ عَمّن جَحدَ ما أوجب الله عليه معرفته، من توحيده، وعدله، ومعرفة نبيّه، والإقرار بما جاء به من أركان الشرع، فمَنْ جَحَد شيئاً من ذلك كان كافراً.

وربّما تعلّقت به أحكام مخصوصة؛ من: منع الموارثة، والمناكحة، والمدافنة، والصلاة عليه.

وربّما لم يتعلّق، بحسب الدليل عليه(٢).

قوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾:

جمع بين الهمزتين: أهلُ الكوفة(٣)، وابن عامر(٤) إلّا الحُلْوانيّ(٥)،

---

(١) للضبط راجع: جمهرة اللّغة ١: ٧٨٧، تهذيب اللّغة ١٠: ١٩٧، الصحاح ٢: ٨٠٧، لسان العرب ٥: ١٤٧، «كَفَرَ».

وفي «خ»: «وسمّي الزرّاع مكفّر» عوض المثبت.

(٢) للمعرفة والاطّلاع انظر: الحدود والحقائق للسيّد المرتضىٰ: ١٧١، الاقتصاد الهادي إلىٰ طريق الرشاد: ١٤٠، الذخيرة في علم الكلام: ٥٣٤، الشافي للسيّد المرتضىٰ ٤: ١٣١، تمهيد الأُصول: ٢٩١، نهج المسترشدين: ٨٥، ارشاد الطالبين: ٤٤٣، غاية المرام: ٣١٠، قواعد المرام: ١٧١، وغيرها كثير.

(٣) أي: قُرّاؤها، وهم كثيرون أمثال السلميّ، وابن جبير، النخعيّ، ابن حبيش، مسروق، وفي كتب القراءات يشار عادة إلىٰ عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف وأضرابهم وهؤلاء وغيرهم أخذ ـ أو عمّن أخذ ـ القراءة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

للتوسعة ينظر: الاتقان ١: ٢٥٠ ومصادر الهامش ٢، صحيفة ١٩٨. الآتي وغيرها.

(٤) أبو عمران، عبدالله بن عامر اليَحْصُبيّ الحِمْيَريّ، ولي قضاء دمشق، عُدّ في التابعين، أخذ القراءة عن أبي الدرداء وابن الأسْقع. توفي عام: ١١٨هـ أيام حكومة هشام بن عبدالملك.

ترجمته في: طبقات القرّاء ١: ٥٩ ت ٣٤، غاية النهاية ١: ٤٢٣ ت ١٧٩٠، سيَر أعلام النبلاء ٥: ٢٩٢ ت ١٣٨ ومصادرهم.

(٥) أحمد بن يزيد الحلوانيّ، أبو الحسن الصفّار، مقرئ عارف متقن، روىٰ القراءة ☜

وكذلك كلُّ همزتين في كلمة واحدة إذا كانت الأُولىٰ للاستفهام، إلّا في مواضعَ مخصوصة نذكرها فيما بعد؛ والباقون بتحقيق[١]: الأُولىٰ وتليين الثانية. وفصل بينهما بألف أهلُ المدينة[٢] إلّا ورشاً[٣] وأبا عمرو[٤]

↰ عن قالون وهشام وخلف وغيرهم، وعنه ابن شاذان وآخرون. قيل: توفّي عام نيّف وخمسين ومائتين.

انظر: غاية النهاية في طبقات القرّاء ١: ١٤٩ ت ٦٩٧، طبقات القرّاء ١: ٢٦١ ت ١٥٩.

(١) في ما عدا «خ» من النسخ: بتخفيف، والظاهر ما أثبتناه من «خ»؛ لاقتضاء المعنىٰ ومعاضدة مصادر القراءة له الآتية في الهامش ٢ صفحة ١٩٨، ولزيادة الاطّلاع انظر: شرح المفصّل ١٠: ١٨.

(٢) أي قُرّاؤها، أمثال: ابن عبّاس، ابن المسيّب، عروة، سالم، عمر، سليمان وعطاء ابنا يسار، معاذ، ابن هرمز، الزهريّ وغيرهم وفي مصادر القراءات يشار عادة إلىٰ: نافع بن أبي نعيم، ويزيد بن القعقاع، ابن محيصن.

انظر: الاتقان ١: ٢٥٠، مصادر الهامش ٢، صفحة ١٩٨.

(٣) وَرْش ـ لشدة بياضه ـ لقب أُطلق علىٰ عثمان بن سعيد القُرشيّ ـ مولاهم ـ القبطيّ المصريّ شيخ القرّاء، انتهت إليه رئاسة الاقراء في مصر، كان ثقة حجة في القراءة، عرض علىٰ نافع بن أبي نعيم، وعليه خلق. توفّي عام: ١٩٧ هـ.

ترجمته في: غاية النهاية: ٥٠٢ ت ٢٠٩٠، طبقات القرّاء ١: ١٧١ ت ٧٧ ومصادره.

(٤) أبو عمرو المازنيّ، البصريّ، اختلف في ضبط اسمه إلىٰ عشرين قولاً، وهو بكنيته وكونه زبان بن العلاء أشهر من البواقي، إمام العربية في زمانه، سبق أقرانه في العلم، أخذ عن سعيد بن جُبير، ومجاهد بن جَبر، وعِكْرِمة بن خالد، والقعقاع، وشيبة وغيرهم كثير.

ولد بمكّة عام ٧٠هـ، ونشأ بالبصرة. وتوفي في الكوفة إبّان حكومة المنصور الدوانيقيّ عام: ١٥٤ هـ.

ترجمته في مصادر كثيرة انظر: غاية النهاية ١: ٢٨٨ ت ١٢٨٣، طبقات القرّاء ١: ٩١ ت ٤٢، سيَر أعلام النبلاء ٦: ٤٠٧ ت ١٦٧ ومصادره.

والحُلْوانيّ عن هِشَام[(١)(٢)].

ومعنىٰ قوله ﴿ **سَوَآءٌ** ﴾ :

أي: معتدل، مأخوذ من التساوي، كقولك: تساوٍ. وتقول: هذان الأمران عندي سواء، أي متعادلان. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ **فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ** ﴾[(٣)] يعني بذلك: اعْلِمهم وآذنهم بالحرب؛ ليستوي عِلْمُك وعِلمُهم بما عليه كلّ فريق منكم للآخر.

ومعناه: أيّ الأمرين كان منك إليهم ـ الإنذار أم ترك الإنذار ـ فإنّهم لا يؤمنون.

---

(١) هِشَام بن عمّار بن نُصَيْر، أبو الوليد السُّلَميّ الدمشقيّ، إمام أهل دمشق ومقرئهم. أخذ عن أيوب بن تميم وابن عامر وغيرهم؛ روىٰ عنه القاسم بن سلّام، والحلوانيّ وغيرهم. توفّيَ عام: ٢٤٥هـ.

ترجمته في: غاية النهاية ٢: ٣٥٤ ت ٣٧٨٧، طبقات القرّاء ١: ٢٢٧ ت ١٢٤ ومصادره.

(٢) القراءة انظرها في: السبعة في القراءات: ١٣٦ ت٣ وما بعدها، إعراب القراءات السبع ١: ٥٩، الحجّة في القراءات السبع: ٦٥ الغاية في القراءات العشر: ١٥٩، الحجة للقرّاء السبعة ١: ٢٧٤، حجة القراءات: ٨٦، التذكرة في القراءات ١: ١٥٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٧٣، التيسير في القراءات الثمان: ١٧٠، تحبير التيسير: ٥٢. وانظر: الكتاب ٣: ٥٤١ باب الهمزة، معاني القرآن للأخفش ١: ١٨١ إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٨٤، إعراب القراءات الشاذّة ١: ١١٣ التبيان في غريب إعراب القرآن ١: ٥٠، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ١٤، التلخيص في القراءات الثمان: ١٧٠، غاية الاختصار ١: ٢٢١ ت ٢٧٢ ـ ٢٧٤، الموضّح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٤١، النشر في القراءات العشر ١: ٣٦٢.

(٣) سورة الانفال ٨: ٥٨.

وقال عبيدالله بن قيس الرُّقيَّات[1]:

[٧٨] تَقَدَّتْ بي الشَّهْباءُ نَحو ابْنِ جَعْفَرٍ   سَواءٌ عَلَيْها لَيْلُها وَنَهارُها[2]

يعني بذلك: معتدل عندها في السير الليل والنهار؛ لأنّه لا فتور فيه.

ومنه قولُ الآخر:

[٧٩] وَلَيْلٍ يَقُولُ المرءُ مِنْ ظُلُماتِهِ:   سَواءٌ صَحيحاتُ العُيُونِ وَعُورُها[3]

---

(١) عُبَيْدَالله بن قَيس بن شريح الرُّقَّيات من بني عامر بن لؤي شاعر قرشيّ أقام في المدينة المنورة خرج على حاكم وقته عبدالملك بن مروان مع ابني الزبير ـ مصعب وعبدالله ـ فلمّا قُتلا نزل الكوفة ثمّ استجار بعبدالله بن جعفر الطيار في الشام فأخذ له الأمان من عبدالملك. والرُّقيات لقب غلب عليه ـ وقيل على أبيه ـ. قيل: لأنّه كان يتغزّل بثلاثة نسوة كلهنّ رقيّة، وقيل: لأنّ له ثلاث جدّات توالين باسم رقيّة. سكن الشام وتوفي فيها حدود عام: ٩٥ هـ.

له ترجمة في: طبقات الشعراء لابن سلّام ٢: ٦٤٧، الشعر والشعراء ١: ٥٣٩ ت ٩٦، تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٨٥ ت ٤٤٧٨ خزانة الأدب للبغدادي ٧: ٢٧٨ ش ٥٣٣.

(٢) الديوان: ٨٢ ت ٣٧ ب ٢. من قصيدة يمدح فيها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

تَقَدَّتْ: التَقَدّي السير بغير عجل وباستمرار لمن لا يخاف فوت مقصده.

الشهباء: اسم ناقته. ابن جعفر: عبدالله بن جعفر.

الشاهد فيه: ما أشار إليه المصنّف ﷺ.

وقد اختلف في ضبط بعض ألفاظ البيت انظر: العقد الفريد ٦: ٢٦، الكامل في الأدب ٢: ٨٢٦، إضافة لمصادر الترجمة.

(٣) في ضبطه اختلاف، كما إنّه منسوب لأكثر من شاعر، فقد نُسب إلى الأعشى ميمون، ولمُضَرِّس بن رِبعيّ الأسديّ لدى الأكثر، ولعبيد بن الأبرص، ولشبيب بن برصاء، ولعوف الكلابيّ، ولمضر بن زرارة بن لقيط، و...

وعلى أيّ فالشاعر يصف ليلته بكونها ظلماء مدلهمّة يستوى في عدم الرؤية فيها

لأنّ الصحيح لا يبصر فيه إلّا بصراً ضعيفاً من ظلمته.

وهذا لفظه لفظُ الاستفهام ومعناه الخبر ـ وله نظائر في القرآن ـ كما تقول: ما أُبالي أَقمتَ أم قعدتَ، وأنت مخبر لا مستفهم؛ لأنّه وقع موقع أيّ، كأنّك قلت: ما أُبالي أيّ هذين كان منك. وكذلك معنىٰ الآية: سواء عليهم أيّ هذين كان منك إليهم حسن في موضعه، سواء فعلت أم لم تفعل.

وقال بعض النحويّين: إنّ حرف الاستفهام إنّما دخل مع سواء وليس باستفهام؛ لأنّ المُستفْهِم إذا استفهم غيرَه قال: أَزيدٌ عندك أم عمرو؟ يستثبت صاحبه أيّهما عنده، فليس أحدُهما أحقَّ بالاستفهام من الآخر. فلمّا كان قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ بمعنىٰ التسوية أشبه ذلك الاستفهام إذا شبهه في التسوية[1]، وقال جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وأَنْدىٰ العالَمِينَ بُطُونَ راحِ[2] [٨٠]

الأعمىٰ والبصير.

انظر: ديوان الأعشىٰ الكبير: ٤٢١ قصيدة ٨٢ بيت ٢٣، الحماسة البصرية ٢: ٢٤٢ ت ١٦، المؤتلف والمختلف: ٢٩٢، معجم الشعراء للمرزبانيّ: ٣٠٧، ديوان المعاني ١: ٣٤٣: الحماسة الشجرية ٢: ٧١٠ ت ٦٣٤ خزانة الأدب للبغدادي ٥: ١٨ ش ٣٣٤، وغيرها كثير.

(١) يبدوا أنّه ناظر إلىٰ الأخفش في معاني القرآن ١: ١٨١.

(٢) الديوان: ٧٧ من قصيدة له مادحاً فيها عبدالملك بن مروان.

الندىٰ: الكرم. الراح: جمع، واحده: راحة، وهو الكف.

وهذا كناية عن الكرم والهبات ـ مجازاً ـ التي كانوا يمنحونها لغير المستحقين لها من المغنّين والمتملّقين ومن أموال المسلمين والفقراء ممّا كان يجبىٰ لهم ولخزائن

فهذا في صورة الاستفهام وهو خبر؛ لأنه لو أراد الاستفهام لما كان مدحاً.

وقال آخر:

[٨١] سَـــواءٌ عَـــلَيْهِ أَيَّ حِـــينٍ أَتَـيْتَهُ   أَسـاعَةَ نَـحْسٍ تُـتَّقى، أَمْ بأَسْعَدِ؟[١]

ولا يجوز أنْ تَقَع «أو» في مثل هذا مكان «أم»؛ لأنّ «أم» هي التي تُعادَل بها الهمزة، لا «أو».

والفرق بينهما أنّ «أو» يُستفهم بها عن أحد الأمرين هل حصل أم لا وهو لا يعلمهما معاً، كقول القائل: أأَذَّن أو أقام؟ إذا لم يعْلمُهُما. فإذا علم واحداً منهما ولم يعلمه بعينه قال: أأَذَّن أَم أقام؟ يَستفهم عن تعيين أَحدِهما، هذا في الاستفهام.

وفي الخبر تقول: لا أُبالي أَقمتَ أَمْ قعدتَ. أي: هما عندي سواء، ولا يجوز أنْ تقول: لا أُبالي أَقمت أَو قعدتَ؛ لأنّك ليس تستفهم عن شيء.

وحُكي عن عاصم الجَحْدَرِيّ[٢] أنّه قرأ: ﴿سواءٌ﴾ بواو مضمومة

مملكتهم.

والشاهد فيه: إيراد الخبر بصورة الاستفهام؛ لإعطاء معنىٰ الإيجاب والتحقق له.

(١) البيت (٣٠) من القصيدة (١٩) لزهير بن أبي سُلمىٰ يمدح فيها هرمة بن أبي حارثة المريّ.

والمعنىٰ: إنّه لا يتشاءم من شيء فقد استوىٰ عنده إتيانك إليه في وقت نحس أم سعد.

الشاهد فيه: سَوْق الخبر بصيغة الاستفهام المعادل؛ لإفادة التسوية والمعادلة بتقدم التسوية ـ سواء ـ عليها.

انظر: الديوان (صنعة الأعلم الشنتمريّ): ١٨٧.

(٢) عاصم بن أبي الصباح العجاج، أبو المجَشِّر البَصْريّ، وقد يسمّىٰ: طلحة، أخذ عن نصر بن عاصم والحسن البصريّ. وعنه جمع منهم: المعلّى بن عيسىٰ وهارون

لا بهمزة[١].

وهذا غلط؛ لأنّ العرب كلّها تهمّز ما بعد مَدّة، يقولون: كسآء وردآء وهوآء وجزآء وغير ذلك.

﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾:

وأمّا الإنذار فهو: إعلام مع تخويف، فكُلُّ منذِر مُعْلِم، وليس كلُّ مُعْلِم منذراً، وقد سمّىٰ الله تعالىٰ نفسه بذلك فقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾[٢]؛ لأنّ الإعلام يجوز وصفه به، والتخويف أيضاً كذلك في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾[٣] فإذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بلفظ يشتمل عليهما.

وأنذرتُ: فعلٌ يتعدّى إلىٰ مفعولين كقوله تعالىٰ: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً﴾[٤] و﴿إِنَّآ أَنْذَرْنَـٰكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾[٥] وقد ورد مُعَدّاً بالباء في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾[٦].

الأعور. توفّي عام: ١٢٨هـ.

لترجمته ينظر: غاية النهاية ١: ٣٤٩ ت ١٤٩٨، طبقات القرّاء ١: ٨٠ ت ٣٧.

(١) إعراب القراءات الشاذّة ١: ١١٣، وانظر: مختصر في شواذ القرآن: ١٠، البحر المحيط ١: ٤٥. وراجع بحث الهمزة، والإبدال في سرّ صناعة الإعراب ١: ٦٩ و٢: ٥٧٣.

(٢) سورة النبأ ٧٨: ٤٠.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ١٦.

(٤) سورة فصّلت ٤١: ١٣.

(٥) سورة النبأ ٧٨: ٤٠.

(٦) سورة الأنبياء ٢١: ٤٥.

وقيل الإنذار: هو التحذير من مَخُوف يتّسع زمانه للاحتراز، فإنْ لم يتّسع زمانه للاحتراز كان إشعاراً ولم يكن إنذاراً. قال الشاعر:

[٨٢] أنْذَرْتُ عَمْراً وَهْوَ في مُهَلٍ قَبْلَ الصَّباحِ، فَقدْ عَصَىٰ عَمْرُو[١]

فإنْ قيل: الذين علِم اللهُ منهم أنّهم لا يؤمنون، هَل كانوا قادرين علىٰ الإيمان أم لا؟

فإنْ قلتم: ما كانوا قادرين، وقد كلّفهم الله تعالىٰ الإيمان، فقد كلّفهم ما لا يقدرون عليه؛ وهذا لا يجوز.

وإنْ قلتم: كانوا قادرين عليه، فقد قلتم: إنّهم كانوا قادرين علىٰ تجهيل الله تعالىٰ.

قلنا: هذا يلزمُ المخالفَ مثله؛ فإنّه لا خلاف أنّهم مأمورون بالإيمان.

فيقال لهم: أتقولون إنّهم مأمورون أن يُجَهِّلوه؟ فما قالوه، قلنا مثله.

ثم يُقال: أليس الله قد علم أنّه لا يُقيم القيامة اليوم؟

أيقولون: إنّه قادر علىٰ إقامتها أم لا؟

فإنْ قلتم: إنّه لا يقدر؛ فقد عَجّزتم الله تعالىٰ.

وإنْ قلتم: إنّه يقدر؛ فقد قلتم: إنّه يقدر علىٰ أنْ يُجهّل نفسه.

والجواب الصحيح عن ذلك: إنّ العلم يتناولُ الشيءَ علىٰ ما هو به،

---

(١) من مقطوعة لليلىٰ ابنة مرٍّ المَيْدَعانية ذكرها الخالديان الموصليان في الأشباه والنظائر ٢: ٢٢٨.

وقد استشهد به جمع لما استشهد به المصنف.

انظر: الجامع لأحكام القرآن ١: ١٨٤، والدرّ المصون ١: ١٠٥ ت١٤٦، اللّباب في علوم الكتاب ١: ٣١٣ ت ١٤٥. وقد نسب في بعض هوامش المصادر لمضرّس بن ربعيّ وهو بعيد.

ولا يجعله على ما هو به، فليس يمتنع أنْ يعلم حصول شيء بعينه، وإنْ كان غيره مقدوراً. ألا ترى أنّ من خُيّر بين الصدق والكذب؛ وقد عَلم أنّ كلّ واحد منهما يقومُ مقامَ صاحبه في باب الغرض، وقد علم قبح الكذب وحسن الصدق؛ لا يجوز أنْ يختار الكذب على الصدق وإنْ كان قادراً على الكذب.

فبان بذلك صحّة ما قلناه.

قوله تعالى:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آية (٧).

أجمع القُرّاء السبعة على كسر الغين، وضمّ التاء[١].

وروي عن بعض القرّاء: فتح الغين، وعن الحسن: ضمّ الغين.

وحكي عن عاصم في الشواذّ: غِشاوةً، بنصب التاء[٢]. ولا يُقرأ بجميع ذلك.

---

(١) السبعة في القراءات: ١٤٠، إعراب القراءات السبع ١: ٦١، الحجّة في القراءات السبع: ٦٧، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣٠٠ و٣٠٩، التذكرة في القراءات ٢: ٣٠٩، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٤٣.

(٢) إضافة لأغلب المصادر المتقدّمة انظر: مختصر في شواذّ القرآن: ١٠، غاية الاختصار ٢: ٤٠٤، إعراب القراءات الشاذة ١: ١١٧.

هذا وقد أشارت للقراءات كتب إعراب القرآن، نحو: البيان في إعراب القرآن ١: ٥٣، مشكل إعراب القرآن ١: ٢٠، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٨٦، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ١٥، والتبيان في إعراب القرآن ١: ٢٣ وغيرهما كثير.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ :

أي : شهد عليها بأنّها لا تقبل الحقّ ، يقول القائل : أراك تختم علىٰ كلِّ ما يقول فلان . أي : تشهد به وتصدِّقه . وقد ختمتُ عليك بأنّكَ لا تعلم ، أي : شهدت ، وذلك استعارة .

وقيل : إنَّ ﴿خَتَمَ﴾ بمعنىٰ طبعَ فيها أثراً للذنوب كالسِّمة والعلامة ؛ لتعرفها الملائكة فيتبرَّءُوا منهم ، ولا يوالوهم ولا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين .

وقيل : المعنىٰ في ذلك : إنّه ذمّهم بأنّها كالمختوم عليها في أنّه لا يدخلها الإيمان ولا يخرج عنها الكفر[١] ، قال الشاعر :

لَـقَدْ أَسْـمَعْتَ لَـوْ نـادَيْتَ حَيّاً   وَلكِـنْ لا حَـياةَ لِـمنْ تُـنادِي[٢] [٨٣]

---

(١) لعلّه إشارة إلىٰ ما حكاه الماورديّ في تفسيره ١ : ٧٢، أو لأبي عليّ الفارسيّ في الحجّة للقرّاء السبعة ١ : ٣٠١. وانظر : تأويلات أهل السنّة للماتريديّ : ٤٠.

(٢) نسب بيت الشعر هذا إلىٰ كلّ من : دُرَيْد بن الصّمّة . انظر الديوان : ١١٧. وعمرو بن معديكرب الزبيديّ . انظر الديوان : ١١٣. وكثيّر عَزّة . انظر الديوان : ٩٢ من القصيدة ٤١ ت ٨٩. وفضالة بن شريك ضمن مقطوعة من سبعة أبيات في الحماسة البصرية ٢ : ٣٠٠ ت ١٣٨ يهجو بها ابن الزبير.

وقيل : إنّها لأبي تمّام الطائيّ وبعده :

وناراً إنْ نَفَخْتَ بها أَضاءَتْ   وَلكنْ أَنْتَ تَنْفَخُ في رَمادِ

واستشهد به الكراجكيّ في كنزه ١ : ١١٩ ، والقاضي عبدالجبّار في تنزيه القرآن : ١٤ ، ومتشابه القرآن ١ : ٥٩ من دون نسبة . وأورده الميدانيّ مثلاً في مجمع الأمثال ٢ : ٥٠٠ ت ٢٨٩١ والأمثال والحكم للرازيّ : ١٢٢ ط المستشارية ، موسوعة أمثال العرب ٤ : ٤٩٥ و٦ : ٨٧، حياة الحيوان للدميريّ ٢ : ١٠٤.

أي: كأنّه لا حياة فيه.

والختم: آخر الشيء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾(١) ومنه: ﴿خَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٢) أي آخرهم. ومنه: ختم الكتاب؛ لأنّه آخر حال الفراغ منه، والختم: الطَّبع، والخاتم: الطّابع(٣).

وما يختم الله تعالىٰ علىٰ القلوب من السِّمة والعلامة ـ التي ذكرناها ـ ليست بمانعة من الإيمان، كما أنّ ختم الكتاب والظرف والوعاء لا يمنع من أخذ ما فيه.

وحكي عن مجاهد أنّه قال: الرّين أيسر من الطّبع، والطّبع أيسر من الختْم ومن الإقفال، والقفْلُ أشدّ من ذلك(٤).

وقيل: إنّ قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ إخبار عن تكبّرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دُعوا إليه من الحقّ، كما يقال: فلان أصمّ عن هذا الكلام، إذا امتنع عن سماعه، ورفع نفسه عن تفهّمه.

﴿غِشَـٰوَةٌ﴾:

والغِشاوة: الغطاء. وفيها ثلاث لغات: فتحُ الغين، وضمُّها، وكسرُها. وكذلك غَشْوَة فيها ثلاث لغات. ويقال: تغشّاني الهَمُّ(٥): إذا تجلّله، وكلّ

(١) سورة المطففين ٨٣: ٢٦.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٤٠.

(٣) للاستزادة انظر «خَتَمَ» في: العين ٤: ٢٤١، تهذيب اللّغة ٧: ٣١٣، المحيط في اللّغة ٤: ٣١٥، الصحاح ٥: ١٩٠٨.

(٤) يلاحظ تفسير مجاهد بن جبر: ١٩٦.

(٥) في بعض النسخ: «السهم» بدل: «الهم»، ولا مورد له؛ إذ هو يصيب ولا يتغشّىٰ.

شيء اشتمل على الشيء مَبنيّ علىٰ فِعالِه كالعِمامة والقِلادة والعِصابة، وكذلك في الصناعة كالخِياطة والقِصارة والصِّياغة والنِّساجة وغير ذلك، وكذلك من استولىٰ علىٰ شيء كالخِلافة والإمارة وغير ذلك[1].

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾:

قال أبو عبيدة: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معناه: علىٰ أسماعهم ووضُع الواحدُ موضع الجمع؛ لأنّه اسم جنس كما قال: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[2] يعني: أطفالاً[3].

ويجوز أنْ يكون أراد مواضع سَمْعِهم فحذف؛ لدلالة الكلام عليه.

ويجوز أنْ يكون أراد المصدر؛ لأنّه يدلّ علىٰ القليل والكثير.

فمن رفع التاء قال: الكلام الأوّل قد تمّ عندَ قوله: ﴿وعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، واستأنف: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ وتقديره: وغشاوةٌ علىٰ أبصارهم.

ومن نصب قدّره: وجَعل علىٰ أبصارهم غشاوةً، كما قال الشاعر:

عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً ....[4] [٨٤]

---

(١) إضافة إلىٰ الهامش ١ و٢ من صفحة ٢٠٤، لاحظ: تهذيب اللّغة ٨: ١٥٣، المحيط في اللّغة ٥: ١٠١، الصحاح ٦: ٢٤٤٦، لسان العرب ١٥: ١٢٦، «غَشَى ـ غَشَوَ» فيها.

(٢) سورة الحجّ ٢٢: ٥.

(٣) مجاز القرآن ١: ٩ و٣٦٥، ٢: ١٩٥.

(٤) عجزهُ:

.... حتىٰ شَتَتْ هَمَّالةً عيناها

وقال الآخر:

. . . . مُـــتَقَلِّداً سَــيْفاً ورُمْـــحا[١] [٨٥]

لمّا[٢] دلّ الكلام الأوّل عليه، فإذا لم يكن في الكلام ما يدلّ عليه،

✍ نُسب لبعض بني أسد.

وقد استشهد به النحّاة وبالذي بعده في باب المفعول معه.

الشاهد فيه: تقدير فعل ينصب به الماء، وهو: سقيتها. إذا الظاهر ـ العطف على علفتها ـ لا يُساعد عليه؛ لأنّ الماء لا يُعْلف وإنّما يُسْقىٰ.

انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ١٤، الخصائص ٢: ٤٣١، الإنصاف: ٦١٣ ش ٣٩٥، أمالي المرتضىٰ ٢: ٢٥٩، تأويل مشكل القرآن: ٢١٣، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٨٢، الأشباه والنظائر ٢: ١٠٨ ت ١٤٩ و٧: ٢٣٣ ت ٧٢٩.

(١) صدره وقد اختلف فيه.

ياليْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدىٰ ....

استشهد به جمع لما استشهد له المصنّف ﷺ وهو: تقدير فعل ينصب به «الرمح» إذ أنّ الرمح لا يُتقلّد فالعطف إمّا علىٰ المعيّة أو إضمار فعل.

وعلىٰ كثرة المصادر التالية لم نجد من نسبه من المصنّفين، نعم هو لدىٰ محقّقي المصادر لعلّه متسالم عليه أنّه لابن الزِّبعْرىٰ، ولم نعرف منشأه.

أمّا الديوان فهو صنعة د. يحيىٰ الجبوريّ. والبيت فيه برقم: ٣٢، ظاهر اليتم.

وانظر: شرح الأبيات المشكلة الإعراب أو إيضاح الشعر: ٥٧١، مجاز القرآن ٢: ٦٨، أمالي المرتضىٰ: ٢٦٠، المقتضب ٢: ٥١، الإنصاف: ٦١٢ ت ٣٩٤، الكامل ١: ٤٣٢، ٤٧٧ و٢: ٨٣٦، معاني القرآن للزجّاج ١: ٨٤، تأويل مشكل القرآن: ١١٧، الحجة لابن خالويه: ٦٧، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٨٢، معاني القرآن للفرّاء ١: ١٢١، ٤٧٣، شرح ديوان المتنبي للمعرّيّ ٤: ٢٩٣، المقتصد في شرح الإيضاح ١: ٦٦٢ ت ١٧٠، شرح المرزوقيّ للحماسة ٣: ١١٤٧، ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم: ١١٠، الخصائص ٢: ٤٣١، شرح المفصل ٢: ٥٠، المخصّص ٢: ٤١٤.

وغيرها كثير، ولا تخلو غالباً كتب النحو العربيّ من الاستشهاد به وبسابقه لمورده.

(٢) تعليل لقوله: قدّره. قبل أسطر.

لا يجوز إضماره.

ولا يجوز أنْ يُنصبَ بالفعل الأوّل الذي هو الختم؛ لأنّ الختم لا يطلق علىٰ البصر، كما ذكر في قوله تعالىٰ: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ ثمّ قال: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً﴾[1] فلم يُدخل المنصوبَ في معنىٰ الختم.

وقال قوم: إنّ ذلك علىٰ وجه الدعاء عليهم لا للإخبار عنهم. وهذا يمكن في قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ وفي قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ فيمن نصب غشاوة، فأمّا من رفع ذلك فلا يكون دعاء.

والأقوىٰ أنّ ذلك خبر؛ لأنّه خُرِّج مخرج الذمّ لهم والإزراء عليهم، فكيف يحمل علىٰ الدعاء؟

ويحتمل أنْ يكون المراد بـ﴿خَتَمَ﴾ أنّه سيختم، ويكون الماضي بمعنىٰ المستقبل، كما قال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾[2] وعلىٰ هذا يسقط سؤال المخالف.

﴿قُلُوبِهِمْ﴾:

والقَلْبُ: جعلُ الشيء علىٰ خلاف ما كان. يقال: قَلَبَهُ يَقْلِبُهُ قَلْباً.

والقَلِيبُ: البئر؛ لأنّ الماءَ ينقلبُ إليها.

وما به قَلَبَةٌ: أي انقلاب عن صحّة.

وفلان حُوّل قُلَّب: إذا كان يُقَلِّب الأُمور برأيه ويحتال لها.

---

(١) سورة الجاثية ٤٥: ٢٣.

(٢) سورة الأعراف ٧: ٤٤.

والقِلَّوْب: الذئب؛ لتقلّبه في الحيلة على الصيد بخبثه.

وَسُمِّيَ القَلْبُ قَلْباً؛ لتقلُّبه بالخواطر(١). قال الشاعر:

[٨٦] مـا سُـمِّيَ القَـلْبُ إلّا مِـنْ تَـقَلُّبِهِ والرأيُ يَصْرِفُ، والإنْسانِ أطْوارُ(٢)

﴿أَبْصَـٰرِهِمْ﴾:

والبَصْرُ: مصدر بَصُرَ بِهِ يَبْصُر بَصراً، بمعنىٰ أبْصَرَهُ إبْصاراً.

والبَصِيرَةُ: الإبصار للحقّ بالقلب. والبصائر: قِطَعُ الدّم؛ لأنّـها تُـري كثرة القتل(٣).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

بإظهار التنوين؛ لأنّ النون تُبَيّنُ عند حروف الحلق وهي ستّة أحرف: العين، والغين، والحاء، والخاء، والهمزة، والهاء.

ومن هذه الأحرف ما لا يجوز فيه الإخفاء وهي: العين، كقوله: ﴿مِنْ

---

(١) انظر: العين ٥: ١٧١، جمهرة اللّغة ١: ٣٧٣، تهذيب اللّغة ٩: ١٧٣، مجمل اللّغة ٣: ٧٣، المحيط في اللّغة ٥: ٤٣٣، الصحاح ١: ٢٠٤، لسان العرب ١: ٦٨٧. «قَلَبَ» فيها.

(٢) البيت للأحوص الأنصاري في ديوانه: ١٢٦ ت ٥٧ المعنى والشاهد: واضحان. والاختلاف في بعض ألفاظه لا يضرّ.

(٣) العين ٧: ١١٧، جمهرة اللّغة ١: ٣١٢، تهذيب اللّغة ١٢: ١٧٤، المحيط في اللّغة ٨: ١٣٥، الصحاح ٢: ٥٩١، لسان العرب ٤: ٦٤. «بَصَرَ» فيها.

هذا، والجملة التعليلية الأخيرة وردت في النسخ هكذا: كثرة القتل، وكثيرة للقتيل، كثيرة للغسل، كثيرة للعسل. ولم نهتد لوجه الصواب فيها. ولعلّ الأُولى المثبتة منها أقرب للصواب ومطابقة للنسخة «خ»، علىٰ أنّ كتب اللّغة والأدب لم تسعفنا بشيء في هذه الجملة.

﴿عِنْدِ ٱللَّهِ﴾[١] و**﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾**[٢]، والهاء، نحو قوله: **﴿مِنْ هَمَزَاتِ﴾**[٣]، والحاء، نحو قوله: **﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾**[٤]، والهمزة نحو قوله: **﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾**[٥].

والخاء والغين يجوز إخفاؤهما عندهم على ضعف فيه نحو قوله: **﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾**[٦] و**﴿نَارًا خَـٰلِداً﴾**[٧] **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾**[٨] **﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾**[٩] و**﴿مِيثَـٰقًا غَلِيظاً﴾**[١٠] **﴿مَاءً غَدَقاً﴾**[١١] **﴿قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى﴾**[١٢].

قال الفرّاء: أهل العراق يبيِّنون، وأهلُ الحجاز يُخفون، وكلٌّ صواب[١٣].

---

(١) كثيرة في المصحف المجيد منها في سورة البقرة ٢: ٧٩، ٨٩، ١٠١، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٢) سورة الرّحمٰن ٥٥: ٢٦.

(٣) سورة المؤمنون ٢٣: ٩٧.

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٤٨.

(٥) سورة الأعلىٰ ٨٧: ٥.

(٦) سورة المائدة ٥: ٣.

(٧) سورة النساء ٤: ١٤.

(٨) سورة البقرة ٢: ٢٢٩، ٢٣٩. وسورة النساء ٤: ٣.

(٩) سورة آل عمران ٣: ١٧٠، سورة النساء ٤: ٩، وسورة الأعراف ٧: ١٧، وسورة الأنفال ٨: ٥٧، وسورة يس ٣٦: ٩.

(١٠) سورة النساء ٤: ١٥٤.

(١١) سورة الجنّ ٧٢: ١٦.

(١٢) سورة البقرة ٢: ٥٩.

(١٣) اختلفت النسخ في ضبط القائل بين: الفرّاء والقرّاء وكلّ محتمل. والأوّل أقرب للسياق، علىٰ أنّا لم نجده في مؤلّفاته المتوفّرة. والثاني علىٰ بعده عن السياق تدلّ عليه المصادر التالية: السبعة في القراءات: ١٢٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ١٦١، التيسير في القراءات السبع: ٤٥.

فإنْ قيل، إذا قلتم: إنّ الله ختم علىٰ قلوبهم، وعلىٰ سمعهم، وعلىٰ أبصارهم، فكيف يكونون قادرين علىٰ الإيمان؟

قيل: يكونون قادرين عليه؛ لأنّ الختم والغِشاوة ليسا بشيئين يفعلهما الله تعالىٰ في القلب والعين يصدّ بهما عن الإيمان؛ ولكنّ الختم شهادة ـ علىٰ ما فسّرناه[١] ـ من الله عليهم بأنّهم لا يؤمنون، وعلىٰ قلوبهم بأنّها لا تعي الذكر ولا تعي الحقّ، وعلىٰ أسماعهم بأنّها لا تصغي إلىٰ الحقّ. وهذا إخبار عمّن عُلم منه أنّه لا يؤمن.

والغشاوة هي: إلْفُهُمْ للكفر ومحبتهم له[٢]. ولم يقل تعالىٰ: إنّه جعل علىٰ قلوبهم غشاوة، بل أخبر أنّه كذلك.

ومَن قرأ بالنصب[٣] ـ وإن كان شاذّاً ـ يحتمل أنْ يكون أراد معنىٰ قوله: إنّ السورة زادتهم رجساً إلىٰ رجسهم، والسورة لم تزدهم ولكنّهم ازدادوا عندها، وسنوضح ذلك فيما بعد إنْ شاء الله تعالىٰ[٤].

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

تقديره: ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم، وحكي ذلك عن ابن عبّاس[٥].

---

(١) تقدّم في صفحة: ٢٠٥.

(٢) في ضبط الجملة هذه بين النسخ اختلاف، ولعلّ المثبت هو الأصوب؛ مطابقاً لـ«ج»، وفي هامش الحجرية استظهار: إلفِهم الكفر بحبهم له، وهذا قريب من المثبت.

(٣) أي: غشاوةً، وتقدّمت في صفحة ٢٠٦.

(٤) يأتي عند تفسير سورة التوبة ٩: ١٢٥.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤١ ح٩٤، جامع البيان للطبريّ ١: ٨٩.

وأصل العذاب: الاستمرار بالشيء، يقال: عَذَّبَهُ تَعْذِيباً: إذا استمرّ به الألم. وعَذُبَ الماءُ عُذُوبَةً: اذا استمرّ في الحلق. وحمار عاذِبٌ وعَذُوبٌ: إذا استمرّ به العطش فلم يأكل من شدّة العطش. وفرس عَذُوب: مثلُ ذلك.

والعَذُوب: الذي ليس بينه وبين السماء ستر. وأَعْذَبْتُه عن الشيء بمعنىٰ فَطَمْتُه. وعَذَبَة السوط: طرفه، والعذاب: استمرار الألم[1].

وأصل العِظَمِ عِظم الشخص، ومنْهُ عَظِيمُ الشأن: الغنيّ بالشيء عَنْ غيره.

وَعَظَمَةُ الله تعالىٰ: كبرياؤه.

والعظام: من العِظم؛ لأنّه من أكبر ما تركّب منه البدن[2].

قوله تعالىٰ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ آية ﴿٨﴾.

﴿مِنَ﴾:

لفظة يُعبّر بها عن واحد من العقلاء واثنين، وجماعة، فلمّا قال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ دلّ علىٰ أنّه أراد الجمع، وإنّما قال: ﴿يَقُولُ﴾ بلفظ الواحد؛ حملاً له علىٰ اللّفظ. قال الشاعر:

---

(١) «عَذَب» تجدها في جمهرة اللّغة ١: ٣٠٤، مجمل اللّغة ٣: ٦٠٥، المحيط في اللّغة ١: ٤٦٧، الصحاح ١: ١٧٨، لسان العرب ١: ٥٨٣.

(٢) «عَظَمَ» انظرها في: الجمهرة ٢: ٩٣٠، تهذيب اللّغة ٢: ٣٠٢، مجمل اللّغة ٣: ٦٧٥، المحيط في اللّغة ١: ٤٥٧، الصحاح ٥: ١٩٨٧.

. . . . نَكُنْ مِثْلَ من يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ[1] [٨٧]

وقيل في معنىٰ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنْ يكون جمعاً لا واحد له من لفظه، وواحدهم إنسان وللأُنثىٰ إنسانة.

والثاني: إنّ أصله: أُناس فأُسقطت الهمزة منها؛ لكثرة الاستعمال إذا دخلها الألف واللام للتعريف، ثمّ أُدغمت لام التعريف في النون كما قال: ﴿لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ﴾[2] وأصله: لكن أنا.

وقال بعضهم: إنّ الناس ـ لغةً ـ غير أُناس، وأنّه سمع العرب تصغّره «نُويس» من الناس، وأنّ الأصل لو كان «أُناس» لقيل في التصغير: «أُنيس»، فردَّ إلىٰ أصله[3].

واشتقاق الناس من النَّوْسِ: وهو الحركة، نـاسَ يَـنُوسُ نَـوْسَاً: إذا

---

(١) من قصيدة للفرزدق يخاطب ذئباً فَجأَهم ليلاً، وصدره.

تَعَشَّ فَإنْ واثَقْتَني لا تَـخُونَني ....

الشاهد فيه: استعمال «مَنْ» وارادة الاثنين منه بقرينة (يصطحبان).

فما ورد في «خ» من إبدال «مَنْ» إلىٰ «ما» لا يمكن المساعدة عليه بحال؛ لمحل الشاهد، والمصادر، وباقي النسخ.

انظر: الديوان ٢: ٣٢٩. هذا وقد استشهد به جمع لما استشهد له المصنّف، انظر مثلاً: مجاز القرآن ٢: ٤١، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٤٦، معاني القرآن للأخفش ١: ١٩٠، الكتاب ٢: ٤١٦، الأضداد لابن الأنباريّ: ٣٣٠، الخصائص ٢: ٤٢٢.

(٢) سورة الكهف ١٨: ٣٨.

(٣) تختلف النسخ في ضبط هذه الجملة والمثبت موافق «خ» و«س»، وفي البواقي باختلاف، وإن كان متحداً في المعنىٰ، وكأنّه اختصرت الجملة فيهن.

تحرّك، والنَّوْس: تَذَبْذُبُ الشيء في الهواء، ومنه: نَوَسَ القِرطُ في الأُذن؛ لكثرة حركته[1].

ولا خلاف بين المفسِّرين أنّ هذه الآية وما بعدها نزلت في قوم من المنافقين من الأوس والخزرج وغيرهم ـ روي ذلك عن ابن عبّاس ـ وذكر أسماءَهمْ ولا فائدة في ذكرها. وكذلك ما بعدها إلىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ كلّها في صفة هؤلاء المنافقين.

والمنافق: هو الذي يُظْهر الإسلام بلسانه ويُنكرُه بقلبه.

و: ﴿ٱلْيَوْمِ ٱلأَخِرِ﴾:

هو يوم القيامة، وإنّما سمّي يومُ القيامة اليومَ الآخر؛ لأنّه يومٌ لا يومَ بعده سواه. وقيل: لأنّه بعد أيّام الدّنيا أوّل أيّام الآخرة.

فإن قيل: كيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء؟

قيل: اليوم في اللّغة سمّي يوماً بليلته التي قبله، فإذا لم يتقدّم النهارَ ليلٌ لم يسمّ يوماً، فيوم القيامة يوم لا ليل بعده، فلذلك سمّاه: اليوم الآخر.

وإنّما قال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مع قوله: ﴿.. مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ تكذيباً لهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث والنبوّة، فبيّن أنّ ما قالوه بلسانهم يخالف ما في قلوبهم وذلك يدلّ علىٰ أنّ

---

(١) انظر: تهذيب اللّغة ١٣: ٨٦ ـ ٩١، المحيط في اللّغة ٨: ٣٨٤، الصحاح ٣: ٩٨٦، لسان العرب ٦: ٢٤٥، تاج العروس ٩: ٢٥، «نَوَسَ» فيها.

وقد أشير إليها في التفاسير فلاحظ: جامع البيان ١: ٩٠، المحرّر الوجيز ١: ١١١، الكشّاف ١: ١٧٠، الجامع لأحكام القرآن ١: ١٩٢، البحر المحيط ١: ٥٣، الدرّ المصون ١: ١١٠.

ويلاحظ الكتاب ٢: ١٩٦ و٣: ٨٥.

الإيمان لا يكون مجرّد القول، علىٰ ما قالته الكرّامية[(١)(٢)].

﴿ يَقُولُ ﴾:

مِنَ القَوْل، ومنه: تَقَوَّلَ: إذا تَخَرَّصَ القَوْلَ.

واقْتالَ فهو مُقتالٌ: إذا اجترّ نفعاً إلىٰ نفسه بالقول، أو دفع به ضرراً عنها.

والمِقْوَلُ: اللِّسان. قَوَّلَهُ تَقْوِيلاً: إذا طالبه بإظهار القول[(٣)].

قوله تعالىٰ:

﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ آية (٩).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بضمّ الياء وبألف. والباقون بفتح الياء بلا ألف في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾[(٤)].

---

(١) الكلام حول الإيمان تقدّم في صفحة: ١٧٦، هامش ١.

(٢) وأمّا الكرّامية فهم: أتباع محمّد بن كرّام بن براء السيستانيّ. من المجسّمة الذين. حملوا الآيات الكريمة التي في وصف الباري جلّ وعلا علىٰ ظاهرها، وقالوا: إنّه عزّ وجلّ محلّ للحوادث. لهم في الفقه آراء عجيبة.

الفرق بين الفِرق: ١٣٠، التبصير في الدين: ٦٥، مقالات الإسلاميين: ٥٠٥، وانظر ما تقدّم في صفحة: ١٧٦، هامش ١.

(٣) العين ٥: ٢١٢، تهذيب اللّغة ٩: ٣٠١، المحيط في اللّغة ٦: ٢٢، الصحاح ٥: ١٨٠٦، ولسان العرب ١١: ٥٧٢، «قَوَلَ» فيها.

(٤) السبعة في القراءات: ١٤١، مختصر في شواذّ القرآن: ١٠، الحجّة في القراءات السبع: ٦٨، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣١٢، حجّة القراءات: ٨٧، التذكرة في القراءات ٢: ٣٠٩، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٢٤، التيسير في القراءات السبع: ٧٢، الموضح في وجوه القراءات ١: ٢٤٤، النشر في القراءات العشر ٢: ←

﴿يُخَـٰدِعُونَ﴾ :

قال أبو زيد : خَدَعْتُ الرَّجُلَ أخْدَعُه خِدْعاً ـ بكسر الخاء ـ وخَدِيعَةً .

ويقال في المثل : إنّكَ لأخْدَعُ منْ ضَبٍّ حَرَشْتَه[1] .

وقال ابن الأعرابي[2]: الخادِع: الفاسدُ من الطعام، ومنْ كلِّ شيء. وأنشد:

أَبْـيَضُ اللَّـوْنِ لَـذِيذٌ طَـعْمُهُ ... طَيِّبُ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خَدَعْ[3] [٨٨]

٢٠٧، غاية الاختصار ٢: ٤٠٥ ت ٥٨١.

ولاحظ : إعراب القراءات السبع ١: ٦٣، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١١٩.

(١) النوادر: ٥١٤. وللمثل أُنظر: سوائر الأمثال: ١٦٤ ت ٢٠٣، الدرّة الفاخرة ١: ١٩٣ ت ٢٣٩، جمهرة الأمثال ١: ٤٤٠ ت ٧٦٧، مجمع الأمثال ١: ٤٥٧ ت ١٣٧٣، المستقصىٰ في أمثال العرب ١: ٩٥ ت ٣٦٨٠.

(٢) ابن الاعرابيّ، اثنان هما: أحمد بن محمّد بن زياد بن بشر، أبو سعيد، ابن الأعرابيّ صوفيّ بصريّ توفي سنة: ٣٠٤ هـ.

والثاني: ـ وهو المقصود ـ محمّد بن زياد السنديّ مولىٰ بني هاشم الأعرابيّ الكوفيّ، أبو عبدالله إمام اللّغة والعربية، كثير السماع والحفظ، راوية لأشعار القبائل، وكان معتدّاً بنفسه حتىٰ زعم أنّ الأصمعيّ وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً، له أبيات منها:

لَـنَا جُـلَساءٌ مـا نَـمَلُّ حَدِيثَهُم ... أَلِـبّاءُ مـأمُونُونَ غَـيْباً وَمَشْـهَدا

يُفِيدُونَنا مِنْ عِلْمِهِمْ مِثْلَ ما مَضَىٰ ... وَعَـقْلاً وَتَأْدِيـباً ورَأيـاً مُسَـدَّدا

بلا فِتْنَةٍ تُـخْشىٰ ولا سُوءِ عِشْرة ... وَلا نَـتَّقِي مِـنْهُم لِسـاناً وَلا يَـدا

فإنْ قُلْتَ: أمْواتٌ فَما أنْتَ كاذِبٌ، ... وإنْ قُـلْتَ: أحياءٌ، فَـلَسْتَ مُـفَنَّدا

توفي عام: ٢٣١هـ.

انظر: طبقات النحويّين واللّغويّين: ١٩٥ ت ١٢٠، معجم الأُدباء ١٨: ١٨٩ ت ٥١، إنباه الرواة علىٰ أنباء النحاة ٣: ١٢٨ ت ٦٤٥ ومصادره.

(٣) للشاعر سويد بن أبي كاهل اليشكريّ، من فحول شعراء الجاهليّة المخضرمين، كان هجّاءً، دعياً، ينتقل نسبه بين يشكر وذبيان. توفي بعد سنة ٦٠هـ.

أي: تغيّر وفسَد[١].

وقال أبو عبيدة: ﴿يُخَـٰدِعُونَ﴾ بمعنىٰ يَخْدعون[٢]. قال الشاعر:

[٨٩] وَخـادَعْتُ المَـنيَّةَ عَـنْكَ سِـرّاً ... فَـلا جَـزَعَ الأوانُ وَلا رُوَاعـا[٣]

وخُداع المنافق: إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلافَ ما في قلبه منَ الشكّ والتكذيب.

ترجمته في: الأغاني ١٣: ١٠٢، الشعر والشعراء ١: ٤٢١ ت ٧١.

وبيت الشاهد الرابع من قصيدة طويلة تعدّ ١٠٨ بيت، كانت العرب تفضّلها وتقدّمها، وتعدّها من حكمها وتسميها اليتيمة لما فيها من الأمثال. وفي هذا المقطع ـ وهو مطلعها ـ يصف ثغر امرأة يتغزّل بها.

الشاهد فيه: «خَدَعْ»، أراد تغيّر إذ هو إلىٰ النَتْن أقرب ومع ذلك يصفه بلذّة الطعم.

انظر: المفضّليات: ١٩١ ف٤٠ ب٤، شرح اختيارات المفضّل الضَّبِّيّ للمرزوقيّ ٢: ٨٦٨ واستشهد به جمع منهم الأزهريّ في تهذيب اللّغة ١: ١٥٩، ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة ٢: ١٦١، القاليّ في الأمالي ٢: ٣١٧، ابن منظور في لسان العرب ٨: ٦٥، وابن الانباريّ في الزاهر في كلمات الناس ٢: ٢٩٧، وحكاه في المخصّص ٣: ٨٠، الصحاح ٣: ١٢٠٢، والأسماء والصفات للبيهقيّ: ٤٨٨.

(١) حكي ذلك عنه في: الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣١٣، تهذيب اللّغة ١: ١٥٩، الأسماء والصفات: ٤٨٨، وانظر: المخصّص لابن سيده ٢: ١١٠.

(٢) مجاز القرآن ١: ٣١.

(٣) استشهد به أبو زيد في النوادر: ٣٦٧ مع أبيات أُخر ونسبها إلىٰ عَرْفَطَة بن الطِمّاح، وتابعه الفارسيّ في الحجّة ١: ٣١٤، ونسب ابن سيده في المخصّص ٢: ١١١، الاستشهاد به إلىٰ سيبويه.

ونسبه الزبيديّ في تاجه ١: ٣٠٠ وقبله الحمويّ في معجم البلدان ١: ١٣٤، كلاهما في (أرب) إلىٰ مُنْقِذ بن عَرْفَطَة راثياً أخاه أُهبان حيث قتله بنو عِجْل يوم أراب، وقبله:

بِنَفْسِيَ مَنْ تَرَكْتُ وَلَمْ يُوَسَّدْ ... بِقُفِّ أرابَ وَانْحَدَروا سِراعـا

وليس لأحد أنْ يقول: كيف يكون المنافق لله ولرسوله وللمؤمنين مخادعاً وهو لا يُظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلّا تقيّة؟

وذلك أنّ العرب تُسمّي مَنْ أظهر بلسانه غير ما في قلبه؛ لينجو ممّا يخافه: مُخادِعاً لمن تخلّص منه بما أظهره له من التقيّة؛ فلذلك سُمّي المنافق مُخادِعاً من حيث إنّه نجا من إجراء حكم الكفر عليه بما أظهره بلسانه، فهو وإنْ كانَ مخادِعاً للمؤمنين في الدنيا فهو لنفسه مخادع؛ لأنّه يُظهر لها بذلك أنّه يُعطيها أُمنيتها، وهو يوردها بذلك أليم العذاب وشديد الوَبال؛ فلذلك قال: ﴿**وَمَا يَخدَعُون إلَّآ أَنْفُسَهُمْ**﴾.

وقوله: ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾:

يدلّ علىٰ بطلان قول منْ قال: إنّ الله لا يعذب إلّا من كفر به عناداً بعد علمه بوحدانيته ضرورةً؛ لأنّه أخبر عنهم بالنفاق وبأنّهم لا يعلمون ذلك.

والمفاعلةُ، وإن كانت، تكون بين اثنين من كلّ واحد منهما لصاحبه، مثل: ضارَبْتُ وقاتَلْتُ وغير ذلك، فقد ورد منْ هذا الوزن «فاعَلَ» بمعنىٰ (فَعلَ) مثل: قاتله الله، وطارَقْت النعل، وعافاه الله، وغيرُ ذلك. وقد حكينا أنّ معناه: يخدعون، كما قال في البيت المتقدّم[1]. وقيل: إنّه لم يخرج بذلك عن الباب.

ومعناه: إنّ المنافق يخادعُ اللهَ بكذبه بلسانه، علىٰ ما تقدم، والله يخادعه بخلافه بما فيه نجاة نفسه، كما قال: ﴿**إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[2].

---

(١) برقم: ٨٩.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٧٨.

وحُكي عن الحسن: إنّ معنىٰ ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أنـهم يـخدعون نبيّه؛ لأنّ طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، كما قال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوٓاْ أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾[1].

وقيل: إنّ معناه أنّهم يعملون عمل المُخادِع، كما يقال: فلان يسخرُ من نفسه[2].

ومن قرأ: (وما يخادعون) ـ بألف ـ طلب المشاكلة والازدواج، كما قال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَـعَاقِبُواْ﴾[3] وكـما قـال: ﴿وَجَـزَٰٓؤُاْ سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[4] وكما قال الشاعر:

أَلا لا يَـــجْهَلَنْ أَحَـدٌ عَـلَيْنا فَنَجْهَلُ فَوَق جَهْلِ الجاهِلِينا[5] [٩٠]

وقال تعالىٰ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[6] ومثله كثير.

---

(١) سـورة الأنـفال ٨: ٦٢. ولقـول الحسـن انـظر: تـفسير الحسـن البـصريّ «جـمع د. كمال» ٢: ٢١ ت١٢ والحجّة للفارسيّ ١: ٣١٤.

(٢) لاحظ: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٢٦، تنزيه القرآن عن المطاعن: ١٥.

(٣) سورة النحل ١٦: ١٢٦. والقراءة تقدّمت في ٢١٦ هـ، هامش ٤.

(٤) سورة الشورىٰ ٤٢: ٤٠.

(٥) للشاعر عمرو بن كلثوم. انـظر: الديـوان: ٧٨، وهـو البـيت ٥٨ مـن مـعلّقته الشـهيرة. وانظر شرح القصائد العشر: ٧٦ ت ٩٦.

الشاهد فـيه: نسبتهُ الجـهل إلىٰ نـفسه مـن بـاب المشـاكلة والازدواج لخفّته عـلىٰ اللسان؛ إذ الجـهل لا يـفتخر بـه ذو مسكـة. فـالجهل الأوّل بـمعنىٰ: الاعـتداء: والثـاني بمعنىٰ العقوبة، ومثله كـثير فـي الشـعر. والحـديث والذكـر الحكـيم نـحو قـوله تـعالىٰ: ﴿فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عـليه﴾ فـالعدوان الأوّل ظـلم قـبيح، والثـاني جـزاؤه، ولا يكون قبيحاً، وغيرها كثير.

(٦) سورة التوبة ٩: ٧٩.

وقيل في حُجّة مَنْ قرأ (يخادعون) بألف: هو أنْ يُـنَزِّل ما يـخْطر بباله، ويهجس في نفسه من الخداع بمنزلة آخر يجازيه ذلك ويـفاوضه، فكأنّ الفعل من اثنين كما قال الشاعر ـ يذكر حماراً أراد الورود ـ:

تَذَكَّرَ مِنْ أنّىٰ ومِنْ أَيْـنَ شُرْبُهُ ... يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كَذي الهَجمَةِ الأبِلْ[1] [٩١]

فجعل ما يكون منه؛ من وروده الماء، وترك الورود، والتمثيل بينهما؛ بمنزلة نفسين.

وقال الآخر:

. . . . وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أيُّها الرَّجُلُ[2]؟ [٩٢]

وعلىٰ هذا قول من قرأ: ﴿قَالَ آعْلَمْ أَنَّ آللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

---

(١) البيت للشاعر الكميت بن زيد الأسديّ، انظر الديوان ٢: ٩٧.

يؤآمر: يشاور؛ لتردّده بين ورود الماء وعدمه، فكأنّه يشاور نفسين: إحداهما: تريد الورود للماء، والأُخرى: تمتنع منه. الهجمة: الجماعة الكثيرة من الإبل، وقيل: هي بين الثلاثين، أو السبعين والمائة.

الأَبِلْ: وزان حَذِرْ، من أَبِلَ يأْبَلُ إِبَالَةً، عَلِمَ يعلم. وهو: الحاذق في رعاية الإبل ومصلحتها، أو صاحبها.

(٢) للأعشىٰ الكبير ميمون، مطلع القصيدة ٦ في ديوانه: ١٠٥، وصدره:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... .

الشاهد فيه: تصوير المحاورة وكأنّها بين اثنين في حين أنّ الآمر والسائل والمخاطب واحد، وهو الشاعر.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٥٩، ففي قوله تعالىٰ: ﴿قال اعلم﴾ قراءتان:

إحداهما: قال آعْلَمْ. بصيغة الأمر والوصل، وبها قرأ أبو رجاء وحمزة الزيّات والكسائيّ.

والثانية: قال أعْلَمُ. بصيغة المضارع والقطع وهي قراءة السبعة.

فوصل فخاطب نفسه، ونظائر ذلك كثيرة.

وإنّما دعاهم إلى المخادَعة أُمور:

أحدها: التقيّة وخوف القتل.

والثاني: ليُكرموهم إكرام المؤمنين.

والثالث: ليأنسوا إليهم في أسرارهم فينقلوها إلىٰ أعدائهم.

والخُداعُ: مشتقّ من الخَدْع، وهو: إخفاء الشيء مع إيهام غيره. ومنه المَخْدَع: البيت الذي يُخفىٰ فيه الشيء.

فإن قيل: أليس الكفّار قد خَدعوا المؤمنين بما أظهروا بألسنتهم حتّىٰ حقنوا بذلك دماءهم وأموالهم، وإنْ كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم.

قيل: لا نقول إنّهم خدعوا المؤمنين؛ لأنّ إطلاق ذلك يوجب حقيقةَ الخديعة، لكن نقول: خادَعوهم وما خَدَعوهم، بل خدعوا أنفسهم، كما قال تعالىٰ في الآية، ولو أنّ إنساناً قاتَل غيره فقَتَل نفسَه، جاز أنْ يقال: إنّه قاتَلَ فُلاناً فَلَمْ يقْتُلْ إلّا نفسَه. فنُوجب مقاتلةَ صاحبه، وننفي عنه قتلة صاحبه ويوجب قتل نفسه.

والنَّفْسُ: مأخوذةٌ منَ النَّفاسَة؛ لأنّها أجلُّ ما في الإنسان. تقول: نَفَس يَنْفِسُ نَفاسَةً: إذا ضَنَّ بالشيء، وتنافسوا في الأمر: إذا تشاحّوا. والنَّفْسُ: الروح. وَنَفَّسَ عنه تَنْفِيساً: إذا رَوّحَ عنْ نفسِه. والنَّفْسُ: الدّم، ومنه:

انظر: السبعة في القراءات: ١٨٩ ت٩٢، إعراب القراءات السبع ١: ٩٣ ت٣٢، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣١٨، حجّة القراءات: ١٤٤، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١: ٣١٢ ت ١٧٧، التيسير للدانيّ: ٨٢، الموضّح في وجوه القراءات وعللها ١: ٣٤٢.

النُّفَساءُ، وَنفِسَتِ المرأة، والنَّفْسُ: خاصّةُ الشيء[1].

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

يعني: وما يعلمون، يقال: ما شَعَر فلانٌ بهذا الأمر، وهو لا يشْعر به إذا لم يدرِ، شَعْراً وشُعُوراً ومَشْعُوراً.

قال الشاعر:

[٩٣] عَقّوا بِسَهْمٍ، فلمْ يَشْعُر بهِ أَحَدٌ ثمّ استفاءوا، وَقالوا: حبّذا الوَضَحُ[2]

يعني: لم يعلم به أحد.

وأصل الشِّعْر: الدقّة، شَعَرَ به يَشْعُرُ: إذا أعْلَمَه بأمْر يَدّقُ، ومنه: الشَّعْر والشَّعير؛ لأنّ في رأسها كالشَّعْرُ في الدقّة.

والمشاعر: العلامات في مناسك الحجّ، كالموْقِف والطواف، وغيرهما.

وأشْعَرْتُ البَدَنَةَ، إذا علَمْتها علىٰ أنّها هَدْيٌ.

والشِّعارُ: ما يلي الجسَد؛ لأنّه يلي شَعْرَ البدن[3].

---

(١) جمهرة اللّغة ٢: ٨٤٨، تهذيب اللّغة ١٣: ٧، المحيط في اللّغة ٨: ٣٤١، ٣: الصحاح ٩٨٤، «نَفَس» في الجميع.

(٢) البيت للشاعر مالك بن عويمر الهذليّ، المعروف بالمتنخل. انظر ديوان الهذليين ٢: ٣١.

العقّ: رمي السهم نحو السماء؛ لاستيضاح الحال في قبول الدية أو عدمها، فإن رجع مضرّجاً بالدم فلا تقبل، وإلّا قبلت الدية وتم الصلح. استفاءوا: رجعوا عن رأيهم. الوضح: اللبن.

الشاهد فيه: استعمال «يشعر» بمعنىٰ يعلم.

(٣) العين ١: ٢٥٠، جمهرة اللّغة ٢: ٧٢٦، تهذيب اللّغة ١: ٤١٦، المحيط في

﴿إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ﴾ :

نُصبَ علىٰ الاستثناء.

قوله تعالىٰ:

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ آية (١٠).

أمالَ «الزاي» ابنُ عامر ـ إلّا الحلوانيّ ـ وحمزة.

وقرأ أهلُ الكوفة بفتح الياء في ﴿يَكْذِبُونَ﴾ مخفّفاً[1].

يقال: زادَ يَزِيدُ زِيادَةً وزَيْداً[2] قال الشاعر:

كَذٰلِكَ زَيْدُ المَرْءِ بعد آنْتِقاصُهُ . . . .[3] [٩٤]

اللّغة ١: ٢٨١، الصحاح ٢: ٦٩٨، المحكم ١: ٣٦٣، مفردات الراغب: ٤٥٥، لسان العرب ٤: ٤٠٩، في الجميع «شَعَرَ».

(١) للقراءتين انظر: السبعة في القراءات: ١٤١ ـ ١٤٣، إعراب القراءات السبع ١: ٦٥، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣٢٠ و٣٣٠، حجّة القراءات: ٨٨، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٠ ت ٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٢٧، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٠٧، معاني القرآن للأخفش ١: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) انظر مادة (زَيَدَ) في: جمهرة اللّغة ٢: ٦٤٣، تهذيب اللّغة ١٣: ٢٣٥، الصحاح ٢: ٤٨١، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٨٥، لسان العرب ٣: ١٩٨، بصائر ذوي التمييز ٣: ١٥ ت ٩.

(٣) من مقطوعة بسبعة أبيات نسبها أبو زيد الأنصاريّ ـ في النوادر: ٣٥٧ ـ إلىٰ حسّان السّعديّ. ولكن في الأغاني ١٠: ٢٠٠، ومعجم البلدان ٢: ٥٠٦ نسبت لحنظلة بن أبي غفر بن النعمان باني دير حنظلة الشهير شرقي الفرات، وقبله.

مَهْما يَكُنْ رَيْبُ المَنُون فإنّني ‏ ‏ ‏ أرىٰ قَمَر اللّيلِ المَعَذَّبِ كالفتىٰ

و(زِدْتُ) فعْلٌ يتعدّىٰ إلىٰ مفعولين، قال تعالىٰ: ﴿وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾[١] و﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[٢] ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٣] وقوله ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰناً﴾[٤].

والمعنىٰ: زادهم قول الناس لهم إيماناً، أضمر المصدَر في الفعل، وأسند الفعل إليه، كما قال: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾[٥] أي ما زادهم مجيء النذير، والمعنىٰ ازدادوا عنده.

﴿مَرَضاً﴾:

وقال أبو عبيدة: المرض: الشكّ والنفاق[٦].

وقيل في قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[٧] أي: فجور.

وقال سيبويه: مَرَّضْتُه: قُمتُ عَلَيْهِ، وَوَلِيْتُه. وأمْرَضْتُهُ: جَعَلْتُهُ

☜ يَهُلّ صَغِيراً ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْءُهُ ... وَصُورَتُهُ حتّىٰ إذا ما هُو اسْتوىٰ
تَقارَبَ يَخْبُو ضَوْءُه وَشُعاعُهُ ... وَيَمْصَحُ حَتّى يَسْتَسِرَّ فَما يُرىٰ
كَذلِكَ زَيْدُ المَرءِ بَعْدَ ٱنْتِقَاصُهُ ... وَتِكْرارُهُ في إثْرِهِ بَعْدَ ما مَضىٰ

المعنىٰ: الشاعر يمثّل حالات القمر بعمر الإنسان.

والشاهد فيه: استعمال كلمة «زيد» وأنّها مشتقّة من زاد يزيد.

(١) سورة الكهف ١٨: ١٣.

(٢) سورة النحل ١٦: ٨٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٤٧.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٧٣.

(٥) سورة فاطر ٣٥: ٤٢.

(٦) مجاز القرآن ١: ٣٢.

(٧) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٢.

مَرِيضاً[١].

وقيل: إنّ المرض: الغمّ والوجع من الحسد والعداوة لكم.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً﴾: دعاءٌ عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱنْصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢].

وأصل المرض: السُّقْمُ في البدن، فشبّه ما في قلوبِهم مِنَ النفاق والشكّ بمرض الأجساد[٣].

﴿أَلِيمٌ﴾:

والأليم: بمعنىٰ المُؤْلِم المُوجِع، فَعِيل بمعنىٰ مُفْعِل: مثل بَدِيع بمعنىٰ مُبْدِع، ومكانٌ حَرِيزٌ بمعنىٰ مُحْرِز. قال ذو الرُّمَّة:

. . . . يَصُكُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ[٤] [٩٥]

فإنْ قيل: إذا كان معنىٰ قوله: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شكّ

---

(١) الكتاب ٤: ٦٢ بتقديم وتأخير.

(٢) سورة التوبة ٩: ١٢٧.

(٣) اللّغة ينظر: العين ٧: ٤٠، جمهرة اللّغة ٢: ٧٥٢، تهذيب اللّغة ٢: ٣٢، الصحاح ٢: ١١٠٦، مجمل اللّغة: ٨٢٧، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٧٦٥، بصائر ذوي التمييز ٤: ٤٩٢ ت ٩، «مَرَضَ» فيها.

(٤) صدره:

وَنَرْفَعْ مِنْ صِدُورِ شَمَرْدَلاتٍ . . . .

شمردلات: الإبل الطويلة العنق، السريعة السير. يصكّ: يضرب. وهج: الحرّ الشديد.

الشاهد فيه: استعمال أليم وإرادة مؤلم منه، أي فعيل وإرادة مفعول منه.

انظر: الديوان ١: ٣٢٦، مقطوعة ١٩ ت ١٦.

ونفاق، ثمّ قال: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً﴾ ثبت أنّ الله يفعلُ الكفرَ بخلاف ما تذهبون إليه.

قيل: ليس الأمرُ علىٰ ما ظننتم، بل معناه: إنّ المنافقين كانوا كلّما أَنزلَ اللهُ آيةً أو سورةً كفروا بها، فازدادوا بذلك كفراً إلىٰ كفرهم، وشكّاً إلىٰ شكّهم، فجاز لذلك أنْ يقال: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً﴾ لمّا ازدادوا هم مرضاً عند نزول الآيات.

ومثلُ ذلك قوله حكاية عن نوح: ﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىَ إِلَّا فِرَاراً﴾(١) وهم الذين ازدادوا فراراً عند دعائه، ومثل قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾(٢) وإنّما أراد أنّهم ازدادوا عند نزول الآية، وكقوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾(٣) والمؤمنون ما أنسوهم ذكر الله؛ بل كانوا يدعونهم إليه تعالىٰ، لكن لمّا نسوا ذكر الله ـ عند ضحكهم من المؤمنين واتّخاذهم إيّاهم سخرياً ـ جاز أنْ يقال: إنّ المؤمنين أنسوهم. ويقول القائل لغيره إذا وعظه فلم يقبل نصيحته: قد كُنْتَ شريراً فزدتك بنصيحتي شَرّاً. وإنّما يريد أنّه ازداد عنده.

فلمّا كان المنافقون قد مرضت قلوبهم بما فيها من الشكّ، ثمّ ازدادوا شكّاً وكفراً عندما كان تجدد من أمر الله ونهيه، وما ينزل من آياته، جاز أنْ

---

(١) سورة نوح ٧١: ٥ ـ ٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ١٢٥.

(٣) سورة المؤمنون ٢٣: ١١٠.

يقال: ﴿ فَزَادَهُمْ ٱللَّهُ مَرَضاً ﴾.

فإنْ قيل: فعلىٰ هذا ينبغي أنْ يكون إنزال الآيات مفسدة؛ لأنهم يزدادون عند ذلك كفراً.

قلنا: ليس حدّ المفسدة: ما وقع عندها الفساد، وإنّما المفسدة: ما وقع عندها الفساد ولولاها لم يقع ولم يكن تمكيناً. وهذا تمكينٌ لهم من النظر في معجزاته ودلائله، فلم يكن استفساداً.

ولو كان الأمر علىٰ ما قالته المجبّرة[1]: بأنَّ الله يخلق فيهم الكفرَ.

لقالت الكفّار: ما ذنبنا، والله تعالىٰ يخلق فينا الكفر، ويمنعنا من الايمان. فلِمَ تلوموننا علىٰ ما فعله الله؟

فكانت الحجّة لهم لا عليهم، وذلك باطل.

والتقدير في الآية: في اعتقاد قلوبهم ـ الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبّيه ـ مرض، وحَذفَ المضافَ وأقام المضاف إليه مقامه. كما قال الشاعر:

هَلّا سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بما لَمْ تَعْلَمِي[2] [٩٦]

يعني: أصحاب الخيل، كما قال: (يا خيل الله اركبي)[3]، يعني:

---

(١) المجبّرة ومقالتهم تقدّمت في صفحة: ١١ هامش١.

(٢) للشاعر عنترة بن شدّاد العبسيّ. انظر الديوان: ٢٥، وهي من معلّقته الشهيرة.

الشاهد فيه: قوله: سألت الخيل، وهي لا تُسأل والمراد ـ كما قرّره الشيخ ـ أصحاب الخيل، أي: الشجعان والفرسان والمقاتلة، حيث هو في مقام الفخر في شجاعته وقوّته.

(٣) قال الجاحظ في كتابه الحيوان ١: ٣٣٥، وكلمات للنبيّ ﷺ، لم يتقدّمه فيهن أحد..... يا خيلَ الله اركبي. وانظر: الفائق ١: ٣٢٢، النهاية ٢: ٩٤.

يا أصحاب خيل الله، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] وإنّما أراد أهلها.

وروي عن ابن عبّاس أنّ المرضَ المرادُ به: الشكُّ والنفاق؛ وبه قال قَتادة وعبدالرحمن بن زيد[2][3].

﴿يَكْذِبُونَ﴾:

والكذْب ضدّ الصدق، وهو الإخبار عن الشيء لا علىٰ ما هو به، يقال: كَذَبَ يَكْذِبُ كِذْباً وكِذّاباً ـ خفيف وثقيل ـ مصدران. والكِذْب كالضِحْك، والكذّاب كالكتّاب. والإكْذاب: جعل القائل علىٰ صفة الكَذِبْ. والتَكذُّبْ: التحلّي بالكذب[4].

وحجّةُ مَنْ ضمَّ الياءَ وشدّد الذال [يُكَذِّبون]: إنّه ذهب إلىٰ أنّهم استحقّوا العذاب بتكذيبهم النبيّ ﷺ، وبما جاء به.

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٨٢.

(٢) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمريّ، المدنيّ ـ مولاهم ـ روىٰ: عن أبيه، وابن المنكدر، وابن دينار. وعنه: ابن وهب، وعبدالرزاق، ووكيع وآخرون، ضعّفه جمع ووثقه آخرون. له تصانيف، منها: الناسخ والمنسوخ، تفسير القرآن. توفي عام: ١٨٢ هـ.

سيَر أعلام النبلاء ٨: ٣٤٩ ت ٩٤، ميزان الاعتدال ٤: ٢٨٣ ت ٤٨٧٣ ومصادره.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤٣ ت ١١١ ـ ١١٢، مجاز القرآن ١: ٣٢، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٧٨، وانظر تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس: ٤.

(٤) الكلّيات لأبي البقاء ٣: ١٠٩، العين ٥: ٣٤٧، جمهرة اللّغة ١: ٣٠٤، تهذيب اللّغة ١: ١٦٦، المحيط في اللّغة ٦: ٢٣٧، الصحاح ١: ٢١، لسان العرب ١: ٧٠٤، «كَذَبَ» فيها وانظر: الفروق اللّغوية: ٣١. ولاحظ: الكتاب ٤: ٦.

ومَنْ فتح الياء وخفّف الذال: قدّر المضاف، كأنّه قال: بكذبهم، وهو أشبه بما تقدّم، وهو قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[1]، فأخبر الله عنهم فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وكذلك يحتمل «بتكذيبهم»[2]، وأدخل ﴿كان﴾؛ ليُعلم أنّ ذلك كان فيما مضىٰ، كقول القائل: ما أحسن ما كان زيدٌ[3].

وقال بعض الكوفيّين: لا يجوز ذلك؛ لأنّ حذف كان إنّما أجازوه في التعجّب. لأنّ الفعل قد تقدّمها، فكأنّه قال: حسناً كان زيد. ولا يجوز ذلك ههنا؛ لأنّ كان تقدّمت الفعل.

قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ آية (١١).

﴿قِيلَ﴾:

---

(١) سورة البقرة ٢: ٨.

(٢) اختلفت النسخ في ضبط الجملة ففي «ل، هـ»: يحمل بتكذيبهم، وفي «ؤ، الحجرية»: يحمد بتكذيبهم، والمثبت أوجه؛ إذ هو عطف علىٰ: كأنّه قال: بكذبهم، قبل سطر.

(٣) للقراءة ـ يُكَذِّبون أو يَكذِبون ـ انظر: السبعة في القراءات: ١٤٣ ت ٧، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٠، التيسير: ٧٢، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٠٧، غاية الاختصار ٢: ٤٠٥، الحجّة في القراءات السبع: ٦٨، إعراب القراءات السبع ١: ٦٥ ت ١٠، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣٢٩، حجّة القراءات: ٨٨، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٢٧ ت ٤، الموضّح في وجوه القراءات ١: ٢٤٦ ت ٧. وانظر: معاني القرآن للزجّاج ١: ٨٧.

رام[١] ضَمَّ القافِ فيه وفي أخواتـها[٢]: الكِسائيُّ وهشامُ ورويسُ، ووافقهم ابن ذَكْوَان[٣] في السين والحاء، مثل: حيل وسيق، وسيئت، ووافقهم أهل المدينة في سيق وسيئت.

فمن ضمّ ذهب إلىٰ ما حُكي عن بعض العرب: قد قُولَ له، وقد بُوعَ المتاع، بدل قيل وبيع.

ومن كسرها قال: إنّ الياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم.

ومن أشمّ قال: أصله قُولَ، فاستثقلت الضمّة، فقُلبت كسرة وأُشمّت؛ ليعلم أنّ الأصل كانت الضمّة[٤].

---

(١) عُرّف الرَّوْمُ عند القرّاء: إنّه عبارة عن النطق ببعض الحركة، أو تضعيف الصوت بالحركة.

وفي اللّغة: حركةٌ مُخْتَلَسَة مختفاة لضرب من التخفيف وهي أكثر من الإشمام؛ لأنّها تُسمع....

انظر: التلخيص في القراءات الثمان: ٢٠٧، الموضح في وجوه القراءات ١: ٢٤٧ ت٨، النشر في القراءات العشر ٢: ١٢١، الصحاح ٥: ١٩٣٨، لسان العرب ١٢: ٢٥٨.

(٢) إشارة إلىٰ أخواته: غيض، وسيئ، وسيئت، وحيل، وسيق، وجيئ. وأمثالها في معتلّات العين وذلك دلالة علىٰ الاصل.

(٣) ابن ذَكْوَان، عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذَكْوان، القرشيّ، الفهريّ، أبو عمرو الدمشقيّ، شيخ قرّاء دمشق، أخذ عن أيوب بن تميم، ورواها عنه ابنه وهارون الأخفش. توفي عام: ٢٤٢ هـ.

انظر: غاية النهاية ١: ٤٠٤ ت ١٧٢٠، طبقات القرّاء ١: ٢٣٢ ت ١٢٥.

(٤) للقراءات وحجّتها ينظر: السبعة في القراءات ١٤٣، إعراب القراءات السبع ١: ٦٧ ـ ٦٨، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣٤٠، حجّة القراءات: ٨٩، الغاية في القراءات العشر: ١٧٢، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٠، الكشف عن وجوه القراءات ١: ↵

وروي عن سلمان[(١)] رحمه الله أنّه قال: لم يجيء هؤلاء بعد[(٢)].

وقال أكثر المفسِّرين: إنّها نزلت في المنافقين الذين فيهم الآيات المتقدّمة. وهو الأقوىٰ.

ويجوز أنْ يراد بها منْ صورتُهم[(٣)] صورتَهم، فيحمل قول سلمان رحمه الله علىٰ أنّه أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية.

ومعنىٰ قولهم له: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾:

يحتمل أمرين:

↩ ٢٢٩، التيسير في القراءات: ٧٢، الموضّح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٤٧ ت ٨، غاية الاختصار في القراءات الثمان: ٢٠٧، ولاحظ: معاني القرآن للأخفش ١: ١٩٦.

(١) سلمان أبو عبدالله المحمديّ، وبذلك سمّاه النبيّ الأعظم، ولقّبه بالمحمديّ والخير، وكفىٰ بهما شرفاً ورفعة، من أبناء ملوك الفرس، ويذهب البعض إلىٰ أنّه وصيّ وصيّ عيسىٰ عليه السلام؛ لتشريف أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه بمباشرة غسله؛ لأنّ الوصيّ لا يغسله إلّا نبيّ أو وصيّ. كان من خاصّة النبيّ وأهل بيته الكرام، له مواقف لا تنكر في الإنكار علىٰ من تولّى الحكم بعد النبيّ من غير أهل البيت، وولي لأمير المؤمنين عليه السلام المدائن، والحاصل أنّ حاله وعلوّ شأنه ودرجته وجلالته و... رضي الله عنه لا ينكرها أحد، توفّي أيام ولايته تلك عام: ٣٦هـ.

ترجمته في أغلب المصادر المتعرضة للعهد الإسلاميّ الأوّل، وكتب الرجال، وأُلّفت مؤلّفات خاصّة به. انظر: تنقيح المقال ٢: ٤٥ ت ٥٠٥٩، نفس الرحمن في فضائل سلمان، سيَر أعلام النبلاء ١: ٥٠٥ ت ٩١، تاريخ الإسلام عهد الخلفاء: ٥١٠ ومصادرهما غنيّة، الإصابة ٢: ٦٢ ت ٣٣٠٧ وغيرها كثير.

(٢) رواه جمع منهم الماورديّ في النكت والعيون ١: ٧٤، ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١: ٤٥ ت ١٢٣، ابن عطية في المحرّر الوجيز ١: ١١٨، وغيرهم.

(٣) في نسخة «خ»: بها من صَوَّرَتْهم فيحمل. وله وجه، علىٰ أنّ المثبت مطابق لباقي النسخ، مؤيّداً ببعض المصادر.

أحدهما: أنْ يقولوا: إنّ هذا الذي عندكم أنّه فساد، هو صلاح عندنا؛ لأنّا إذا قابلناهم استدعيناهم إلىٰ الحقّ في الدين.

والثاني: أنْ يجحدوا ذلك البلاغ.

والإفساد مأخوذ من الفساد: وهو كلّ ما تغيّر عن استقامة الحال. تقول: فَسَدَ يَفْسُدُ فَساداً. والإفْساد: إحداث الفَساد. والمُفاسَدة: المُعاملة بالفساد. والتّفاسد: تعاطي الفساد بين اثنين. والانفساد المطاوعة علىٰ الفساد[1].

﴿لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

معناه لا تفعلوا في الدين ما فيه توهين أمر الإسلام[2].

(فإن قيل: إذا كان هؤلاء إذا قيل لهم: **﴿لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾**. فيقولون: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾**. وإذا قيل لهم: **﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾** فيقولون: **﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾**؟ فليس هؤلاء بمنافقين، بل هم مظهرون لكفرهم، والآية في المنافقين)[3].

قيل: المنافقون وإنْ كانوا يظهرون الإيمان للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فإنّهم كانوا لا يألون المسلمين خبالاً، وكانوا يثبّطون عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، ويدعون إلىٰ ترك نصرته من يثقون باستماعه منهم، ومن يظنّون ذلك به، فربّما صادفوا المؤمن التقيّ فيجيبهم بما ذكره الله تعالىٰ، فإذا أخبر النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أُولئك بما

---

(١) المحيط في اللّغة ٨: ٢٨٨، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٥٨، الصحاح ٢: ٥١٩، لسان العرب ٣: ٣٣٥، مادة «فسد» فيها.

(٢) زيادة من «خ» ساقطة من باقي النسخ.

(٣) المثبت بين القوسين تلفيق بين النسخ.

ذكروه وقالوه[١]، وعاتبهم النبيّ ﷺ، عادوا إلىٰ إظهار الإيمان والندم عليه، أو كذّبوا قائله والحاكي عنهم. وكان لا يجوز في الدين إلّا قبول ذلك منهم والحكم بما يُظهرون، وخاصّة في صدر الإسلام، والحاجة إلىٰ تألّف[٢] قلوبهم ماسّة. ومن قرأ الأخبار[٣] تبيّن صحّةَ ما قلناه.

والإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهىٰ الله عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه كما قال تعالىٰ حاكياً عن الملائكة: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾[٤] يعنون: من يعصيك ويخالف أمرك، وهذه صفة المنافقين.

﴿**فِى ٱلأَرْضِ**﴾:

والأرض: هي المستقرّ للحيوان، ويقال لقوائم البعير: أرض؛ لأنّه يستقرّ عليها، وبعير شديد الأرض، وكذلك الفرس أي: قويّ.

والأرض: الرِّعْدَة، وقال ابن عبّاس: ما أدري أَزُلْزِلَتِ الأرضُ أم بي أرْض؟ أي: بي رِعْدة.

والأَرَضَة: دُوَيْبة تأكل الخشب[٥].

---

(١) الجملة في النسخ مضطربة، والمثبت تلفيق بينها، أوفق للنظم والمعنىٰ.

(٢) في «هـ»: تأليف.

(٣) انظر: أُصول الكافي ٢: ٢٨٩، باب صفة النفاق والمنافق. والتفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ١١٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ٣٠.

(٥) العين ٧: ٥٥، جمهرة اللّغة ٢: ١٠١٥، تهذيب اللّغة ١٢: ٦٢، المحيط في اللّغة ٨: ٤٠، الصحاح ٣: ١٠٦٤، لسان العرب ٧: ١١١، «أَرَضَ» فيها. وانظر معجم حياة الحيوان الحديث ١: ١٧٤.

﴿مُصْلِحُونَ﴾ :

والصَّلاحُ : استقامة الحال ، فالإصْلاحُ : جعل الحال على الاستقامة . والاصْطِلاحُ : الاجتماع . والتّصالحُ : التمالي على الصَّلاح ، ومنه المُصالَحة والاسْتِصْلاح . والصالِح : المُسْتَقِيم الحال ، والمُصْلِح : المقوّم للشيء على الاستقامة[(١)] .

قوله تعالىٰ :

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ آية (١٢) .

﴿أَلا﴾:

فيها تنبيه، ومعناها: استفتاح كلام، ومثله: أما ترىٰ؟ أما تسمع؟.

وأصلها «لا» دخل عليها ألف الاستفهام ، والألف إذا دخل على الجحد أخرجه إلى الإيجاب نحو قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[(٢)] ؛ لأنّه لا يجوز للمجيب إلّا الإقرار ببلىٰ .

والهاء والميم في موضع النصب بـ«إنَّ» .

و : ﴿هُمْ﴾ :

فصلٌ عند البصريّين ، ويسمّيه الكوفيّون : عمادا[(٣)] .

---

(١) انظر: العين ٣: ١١٧ ، جمهرة اللّغة ١: ٥٤٢ ، تهذيب اللّغة ٤: ٢٤٣ ، المحيط في اللّغة ٢: ٤٥٩ ، الصحاح ١: ٣٨٣ . «صَلَحَ» فيها .

(٢) سورة القيامة ٧٥: ٤٠ .

(٣) وقوع الضمير «هم ، هما ، هنّ» بعد المبتدأ أو ما أصله المبتدأ ، مثل أسماء كان وإنّ وأخواتهما ؛ لتبيّن أنّ ما بعده خبرٌ وليس بنعت ـ تابع ـ ففي الحقيقة هو فاصل ←

وقوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾:

قد فسَّرناه[١].

وفيها دلالة علىٰ من قال: إنّ الكفّار معانِدون عالمون بخطأ ماهم عليه، وأنّ المعرفة ضرورة.

ووصْفُهم[٢] بأنّهم ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ لا يمنع من وصف غيرهم بأنّهم مفسدون؛ لأنّ ذلك دليل الخطاب.

وحُكي عن ابن عبّاس: إنّ معنىٰ قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ إنّما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب.

وحُكي عن مجاهد: إنّهم إذا ركبوا معصية الله قيل لهم: لا تفعلوا هذا. قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي: إنّما نحن على الهدىٰ[٣].

وكلا الأمرين محتمل؛ لأنّهما جميعاً عندهم أنّه إصلاح في الدين، وإنْ كان ذلك إفساداً عند الله، ومن حيث أنّه خلاف لما أمرهم به.

↩ بين ثبوت الخبرية وتوهم التابعية.

وأمّا إعرابه فالأكثر أنّه لا محلّ له من الإعراب، وقيل: مبتدأ ثانٍ والجملة منه والخبر خبر للأوّل.

وأمّا التسمية ـ فصل، عماد ـ فلا مشاحة فيها.

(١) انظر صفحة: ٢١٩.

(٢) في بعض النسخ: «فَوَصْفُهم».

(٣) انظر لهما: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤٥ ت ١٢٤، النكت والعيون ١: ٧٥، ومن دون نسبة إلىٰ ابن عبّاس في سيرة ابن هشام ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩، تفسير مجاهد بن جبر: ١٩٦.

وإنّما جاز تكليف من لا يشعر أنّه علىٰ ضلال؛ لأنّ له طريقاً إلىٰ العلم به.

قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ آية (١٣).

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: بتحقيق الهمزتين، وكذلك كلّ همزتين مختلفتين من كلمتين. الباقون: بتحقيق[1] الأُولىٰ وتليين الثانية[2].

المعنيُّ بهذه الآية هم الذين وصفهم تعالىٰ بأنّهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3].

والمعنىٰ: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ﴾: بمحمّد ﷺ وبما جاء من عند الله.

﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: يعني: المؤمنون حقّاً؛ لأنّ الألف واللّام ليسا فيه للاستغراق، بل دخلا للعهد، فكأنّه قيل لهم: ﴿آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾

---

(١) في النسخ: بتخفيف. والظاهر أنّه مصحّف المثبت؛ لعدم الفرق بينه والتليين إضافة إلىٰ المصادر الآتية في الهامش اللاحق، وانظر الهامش: ١ من صفحة: ١٩٧.

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿السُّفَهاءُ أَلا﴾.

انظر: السبعة في القراءات: ١٣٨، الحجّة في القراءات السبع: ٦٩، إعراب القراءات السبع ١: ٦٩، حجّة القراءات: ٩١، التذكرة في القراءات ١: ١٥٧، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٧٤. ولاحظ الهامش ١ وما بعده من صفحة: ١٩٧.

(٣) سورة البقرة ٢: ٨.

الذين تعرفونهم باليقين والتصديق بالله ونبيّه ﷺ وبما جاء به من عنده.

والألف في قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ ألف إنكار، وأصلُها الاستفهام، ومثله ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾[1] وكقول القائل: أأُضيّع ديني وأثْلِمْ مروءتي؟

وكلّ هذا جواب؛ لكن قد وضع السؤال فيه وضعاً فاسداً؛ لوصفهم أنّ الذين دعوا إليهم سفهاء.

وموضع ﴿إِذَا﴾ نصب، وتقديره: قالوا ـ إذا قيل لهم ذلك[2] ـ: ﴿أَنُؤْمِنُ﴾، فالعامل فيه ﴿قَالُوٓاْ﴾.

و: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾:

جمع سفيه، مثل: عُلَماءٌ وعَلِيمْ، وَحُكَمَاءٌ وَحَكِيمْ.

والسَّفِيهُ: الضعيفُ الرأي، الجاهل، القليل المعرفة بمواضعِ المنافع والمضارّ؛ ولذلك سمّى الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[3] فقال عامّة أهل التأويل: هم النساء والصبيان؛ لضعف آرائهم[4].

---

(١) سورة يس ٣٦: ٤٧.

(٢) اختلف ضبط الجملة في النسخ بين المثبت من هامش الحجرية وهو أقرب، وما جاء في «خ»: كأنّه قيل وقت قيل لهم ذلك قالوا. وما جاء في «هـ»: إذا قيل لهم ذلك قالوا. وما جاء في «ل، ؤ»: قيل لهم ذلك قالوا. وما جاء في «س»: كأنّه قيل وقت قتالهم ذلك قالوا.

(٣) سورة النساء ٤: ٥.

(٤) مثلاً: غريب القرآن للسجستانيّ: ٢٢٥، معاني القرآن للزجّاج ١: ٣٦٢، أحكام ﴿

وأصل السَفَه: خِفَّة الحِلْم وكَثْرة الجهْل. يقال: ثوبٌ سَفيه، إذا كان رقيقاً بالياً، وقد سَفَّهَتْهُ الريح: إذا طَيَّرتْه كلّ مُطَيَّر(١).

وفي أخبارنا: إنّ شارب الخمر سفيه(٢).

فأمَر الله تعالىٰ أنْ يؤمنوا كما آمن المؤمنون المستبصرون. فقالوا: أنؤمن كما آمن الجهّال ومنْ لا رأي له ولا عقل له كالصبيان والنساء. فحكم الله عليهم حينئذٍ بأنّهم هم السفهاء، بإخباره عنهم بذلك. وهم منْ تقدّم ذكره من المنافقين.

والسفيه: إنّما سمّي مفسداً من حيث إنّه يظنّ أنّه يصلح، ويضيّع من حيث يرىٰ أنّه يحفظ. وكذلك المنافق يعصي ربّه من حيث يظنّ أنّه يطيعه، ويكفر به من حيث يظنّ أنّه يؤمن به.

والألف واللّام في ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ للعهد كما قلناه في ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾.

وهذه الآية أيضاً فيها دلالة علىٰ من قال: إنّ الكافر لا يكون إلّا معانداً؛ لأنّه قال: ﴿ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾.

القرآن للجصّاص ١: ٤٨٨ و٢: ٦٠، صحيفة عليّ بن أبي طلحة: ١٣٤، أحكام القرآن لابن العربيّ ١: ٣١٨، غريب القرآن لابن قتيبة: ١٢٠، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٣٩٧، تفسير كتاب الله العزيز ١: ٣٤٨.

(١) العين ٤: ٩، جمهرة اللّغة ٢: ٨٤٩، تهذيب اللّغة ٦: ١٣٣، المحيط في اللّغة ٣: ٤١٦، الصحاح ٦: ٢٢٣٤ لسان العرب ١٣: ٤٩٧، «سفه» في الجميع.

(٢) موارده كثيرة للمثال انظر: قرب الاسناد: ٣١٥ ت ١٢٢٢، الكافي ٥: ٢٩٩ ت ١ و٦: ٣٩٧ ت ٩، الخرايج والجرايح ١: ٢٧٨ ت ١١. ومن التفاسير: تفسير عليّ بن إبراهيم القميّ ١: ١٣١، تفسير العياشيّ ١: ١٥٥ ت ٥٢١ و٢٢٠ ت ٢١. وفي الجميع مقطع من حديث.

قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ آية (١٤).

قُرئ في الشواذّ ﴿وَإِذَا لاقوا الَّذِينَ﴾ قرأها اليمانيّ[(١)(٢)].

وفي القرّاء منْ همّز ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾، ومنهم من ترك الهمزة[(٣)].

حُكي عن ابن عبّاس أنّه قال: هذه في صفة المنافقين، فكان الواحد منهم إذا لقي أصحاب النبيّ ﷺ قال: أنا معكم. أي: علىٰ دينكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ يعني أصحابهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني نسخر منهم[(٤)].

---

(١) محمّد بن عبدالرحمن بن السَّمَيْفَع اليمانيّ، أبو محمّد. من القرّاء المعدودة قراءتهم في الشواذّ حتّىٰ قيل أنّ اسنادها مظلم. توفي عام: ٢١٣هـ، أيّام المأمون.

انظر: طبقات القرّاء ١: ١٩٥ ت ١٠١، غاية النهاية ٢: ١٦١ ت ٣١٠٦.

(٢) والقراءة لم ينفرد بها، انظر: إعراب القرآن ١: ١٩٠، إعراب القراءات الشّواذّ ١: ١٢٢، التبيان ١: ٣٠، مختصر في شواذّ القرآن: ١٠، تفسير البحر المحيط ١: ٦٨، تفسير الكشّاف ١: ١٨٤، التفسير الكبير ٢: ٦٨ وغيرها.

(٣) للقراءة الأُولىٰ، انظر: إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٩٠، مختصر في شواذّ القرآن: ١٠، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ١٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ٣٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٢٢.

وللقراءة الثانية، انظر: إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٩١، مختصر في شواذّ القرآن: ١٠، السبعة في القراءات: ١٤٤، إعراب القراءات السبع ١: ٧٠، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣٥١، التذكرة في القراءات ١: ٢٠٦، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ٢٠، التبيان في إعراب القرآن ١: ٣٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٢٣.

(٤) الأسماء والصفات: ٤٨٦، وقبله ابن أبي حاتم الرازيّ في التفسير ١: ٥٤ ت ١٣٣ ـ ١٣٧.

يقال: خَلَوْتُ إليه، وخَلَوْتُ به. وخَلَوْت إليه في قضاء الحاجة لا غير.

وخَلَوْت به، له معنيان: أحدهما: هذا؛ والآخر: سخرت منه[١].

قال الأخفش: وتكون «إلىٰ» في موضع الباء، «وعلىٰ» في موضع عن، وأنشد:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنو قُشَيْرٍ　　لَعَمْرُ اللهِ أعْجَبَنِي رِضاها[٢][٣] [٩٧]

---

(١) إشارة إلىٰ أنّ الفعل «خَلا» يتعدّى غالباً بالباء، وقد يُعدّى بـ «إلىٰ» إرادة لمعنىٰ، علىٰ أنّ «إلىٰ» ضمّنت معنىٰ «مع».

فتعديته بالباء لها معنيان هما: الانفراد به، والسخرية. وأما إذا عدّي بـ «إلىٰ» كان نصّاً علىٰ الانفراد.

انظر: العين ٤: ٣٠٦، تهذيب اللّغة ٧: ٥٦٨، المحيط في اللّغة ٤: ٤١٤، الصحاح ٦: ٢٣٣٠، لسان العرب ١٤: ٢٣٧. «خلا» في الجميع. معاني الحروف: ١١٥، حروف المعاني: ٦٥ ت ١٢٨، مغني اللبيب ١: ١٠٤.

(٢) معاني القرآن للأخفش ١: ٢٠٦ و٣١٦، بتصرّف.

(٣) شاهد شعريّ مشهور في كتب النحو والأدب.

الشاهد فيه: تعدية الفعل «رضيت» بعلىٰ وكان قياسه التعدية بـ: «عن».

وقد نسب إلىٰ القُحَيْف بن خُمَيّر العُقَيْليّ شاعر إسلاميّ كوفيّ، كان كثير الذبّ عن قومه، عدّه ابن سلّام في العاشرة.

له ترجمة في: معجم الشعراء: ٢١١، طبقات الشعراء: ٧٧٠ ت ٩٤٠ و٧٩١ ت ٩٥١، الأغاني ٢٤: ٨٣.

انظر: الكامل في الأدب ٢: ١٠٠١، المقتضب ٢: ٣٢٠، الخصائص ٢: ٣١١، المحتسب ١: ٥٢ و٣٤٨، المخصّص ٦: ٤٩٧ و٧: ٧٨٠، الإنصاف: ٦٣٠ ت ٤٠٥، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ٢: ٢٦٤ و٢٦٨، من دون نسبه.

ومنسوباً إلىٰ القُحيف: النوادر في اللّغة: ٤٨١، مجاز القرآن ٢: ٨٤، أدب ←

فعلىٰ هذا يحتمل أن تكون الآية: خَلَوْا مع...

وقال الرمّانيّ: الفرق بين اللِّقاء والاجتماع، أنّ اللِّقاء لا يكون إلّا علىٰ وجه المجاورة، والاجتماع قد يكون كاجتماع العرضين في محلّ[1].

وقد بيّنّا معنىٰ الشيطان في ما مضىٰ[2].

و: ﴿مَعَكُمْ﴾:

بفتح العين وسكونها لغتان[3].

وتركُ الهمزة في ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ لغة قريش، وعامّة غطفان. وكنانة بعضها يجعلها بمنزلة (يستقصون، ويستعدون) بحذفها.

وبعض بني تميم وقيس يشير إلىٰ الزاي بالرفع بين الرفع والكسر.

وهذيل، وكثير من تميم يخفّفون الهمزة[4].

وقال بعض الكوفيّين: إنّ معنىٰ ﴿إِذَا خَلَوْا﴾: إذا انصرفوا خالين. فلأجل ذلك قال: ﴿إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ حملاً له علىٰ المعنىٰ، وهو مليح.

وقيل: إنّ شياطينهم: رؤساؤهم. وقيل: أُريد به أصحابهم من الكفّار.

الكاتب: ٣٩٥، آمالي ابن الشجريّ ٢: ٦١٠، ضرائر الشعر: ٢٣٣، وبتفصيل: خزانة الأدب للبغدادي ١٠: ١٣٢ ش٨٢٥، وغيرها كثير.

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء ١: ٥١. وفي بعض النسخ: العزمين، عوض العرضين.

(٢) تقدّم في تفسير الاستعاذة، صحيفة ٧٠.

(٣) انظر: الكتاب ٣: ٢٨٧، أمالي ابن الشجريّ ١: ٣٧٤، شرح المفصّل ٢: ١٢٨، رصف المباني في حروف المعاني: ٣٩٤، الجنىٰ الداني: ٣٠٥.

(٤) ذكر ذلك ضمن ما قُرئت به الكلمة، انظر: التبيان في إعراب القرآن ١: ٣١، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن ١: ٢٠.

هذا ولم نجد التصريح بنسبتها إلىٰ القبائل المذكورة.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام : «إنّهم كهّانهم»[١].

والاستهزاء: طلبُ الهُزء بإيهام أمر ليس له حقيقة في مَنْ يُظنّ فيه الغفلة.

والهُزْءُ: ضدّ الجِدّ، يقال: هَزِئ بهِ هزْءً.

والتَهَزّي: طلبُ الهُزْءِ بالشيء[٢].

وغرضهم كان بالاستهزاء ـ مع علمهم بقبحه ـ حقن دمائهم بإظهار الإيمان، وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم كشفوا ما في نفوسهم.

قوله تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ آية (١٥)

﴿ٱللَّهُ﴾:

رفع بالابتداء، وخبره ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

والله تعالىٰ لا يجوز عليه حقيقةُ الاستهزاء؛ لأنّها السخرية علىٰ ما بينّاه[٣].

ومعناها من الله هو: الجزاء عليها، وقد يُسمّىٰ الشيء باسم جزائه، كما يُسمّىٰ الجزاء باسم ما يستحقّ به كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

---

(١) الظاهر انفراد الشيخ بهذه الرواية. وانظر معاني القرآن الكريم للنحّاس ١: ٩٥ ت ٢٩.

(٢) «هَزَءَ ـ هَزَوَ» تجدها بتصرّف ليناسب المقام انظر: العين ٤: ٧٥، تهذيب اللّغة ٦: ٣٦٩، المحيط في اللّغة ٤: ٣٧، الصحاح ١: ٨٣، مجمل اللّغة ٢: ٩٠٤، معجم مقاييس اللّغة ٦: ٥٢، وبتفصيل مفردات الراغب: ٨٤١.

(٣) قبل أسطر.

مِّثْلُهَا ﴾[١] وقال: ﴿ **وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ** ﴾[٢] وقال: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ** ﴾[٣]. والأوّل ليس بِعُقوبة، والعرب تقول: الجزاء بالجزاء. والأوّل ليس بجزاء، والبيت الأوّل شاهد بذلك[٤].

وقيل: إنّ استهزاءهم لمّا رجع ضرره عليهم جاز أنْ يقولَ عقيب ذلك: ﴿ **ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ يُراد به أنّ استهزاءهم لم يضرّ سواهم، وأنّه دمّر عليهم وأهلكهم. يقول القائل: أراد فلانٌ أنْ يخدعني فخدعته، أي: دبّر عليّ أمراً فرجع ضرره عليه.

وحُكي عن بعض من تقدّم أنّه قال: إذا تخادع لك إنسان ليخدعك فقد خَدَعْتَه.

وقيل أيضاً: إنّ الاستهزاء من الله هو: الإملاء الذي يظنّونه إغفالاً.

وقيل: إنّه لمّا كان ما أظهره من إجراء حكم الإسلام عليهم في الدنيا، بخلاف ما أجراه عليهم في الآخرة من العقاب وكانوا فيه علىٰ اغترار به، كان كالاستهزاء.

وروي في الأخبار: إنّه يفتح لهم باب جهنّم، فيظنّون أنّهم يخرجون منها، فيزدحمون للخروج، فإذا انتهوا إلىٰ الباب، ردّتهم الملائكة حتّىٰ يرجعوا. فهذا نوع من العقاب، وكان كالاستهزاء[٥]، كما قال الله تعالىٰ:

---

(١) سورة الشورىٰ ٤٢: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٥٤.

(٣) سورة النحل ١٦: ١٢٦.

(٤) إشارة إلىٰ الشاهد رقم ٩٠، صفحة ٢٢٠.

(٥) يلاحظ: التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ١٢٥ قطعة من الحديث ٦٣، ﴿

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[1].

وقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾:

حكي عن ابن عبّاس وابن مسعود أنّهما قالا، معناه: يملي لهم بأنْ يطوّل أعمارهم.

وقال مجاهد: يُزِيدُهُمْ[2].

وقال بعض النحويّين: ﴿يَمُدُّهُمْ﴾ أي: نَمُدُّ لهم، كما يقولون: يلعب الكعاب: أي بالكعاب.

وحُكي أنّ مدّ وأمَدَّ لغتان. وقيل: مَدَدْتُ له، وأمْدَدْتُ له. يقال: مَدَّ البحرُ، فهو مادٌّ؛ وأَمَدَّ[3] الجُرحُ، فهو مُمِدّ.

قال الضَّبِّيّ[4]: ما كان من الشرّ فهو: مَدَدْت، وما كان من الخير فهو:

أمالي المرتضىٰ ٢: ١٤٤ ـ ١٥٠، تفسير كتاب الله العزيز ١: ٨٥، النكت والعيون للماورديّ ١: ٧٨، الأسماء والصفات: ٤٨٧، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ٩١.

(١) سورة الحجّ ٢٢: ٢٢. وانظر أمالي المرتضىٰ ٢: ١٤٤.

(٢) تفسير مجاهد بن جبر: ١٩٦، أمالي المرتضى ٢: ١٥٠، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤٨ ت ١٤٥، النكت والعيون ١: ٧٨، باهر البرهان ١: ٣٦.

(٣) المِدَّة: ما يجتمع في الجُرح من القيح والصديد.

(٤) في النسخ والمطبوع: الجرميّ. ولا يمكن المساعدة عليه؛ للتصريح بنسبة القول إلىٰ الضَّبِّيّ في مصادر اللُّغة وبعض التفاسير المشار إليها في الهامش الآتي.

وهو: يونس بن حبيب، أبو عبدالرحمن، الضَّبِّيّ وقيل الليثي ـ مولاهم ـ نحويّ، أديب، لغويّ، عارف بطبقات الشعر ونقده، سمع العرب، وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء. وعنه أخذ جمع، منهم: سيبويه، والكسائيّ، والفرّاء، وأبو عبيدة، له معاني القرآن، اللّغات و... توفي عام: ١٨٢هـ.

أَمْدَدْت[1].

فعلىٰ هذا، إنْ أراد: تَرْكَهم، فهو من: مَدَدْتُ. وإذا أُريد: أنّه أعطاهم يقال: أَمَدَّهُم.

وقُرِئ في الشواذّ: وَيُمِدُّهُمْ، بضمّ الياء[2].

وقال بعض الكوفيّين: كلّ زيادة حدثت في الشيء منْ نفسه، فهو «مَدَدْتُ» بغير ألف، كما يقولون: مَدَّ النهرُ، ومَدَّهُ نهرٌ آخر، فصار منه إذا اتصل به. وكلّ زيادة أُحدثت في الشيء من غيره فهو «أمددت» بالألف، كما يقال: أَمَدَّ الجُرحُ؛ لأنّ المِدّة من غير الجُرح. وأمْدَدْتُ الجيش[3].

وأقوىٰ الأقوال أنْ يكون المراد به نَمدُّهم علىٰ وجه الإملاء والترك لهم في عتوّهم، كما قال: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْماً﴾[4]، وكما قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[5] يعني يتركهم فيه.

انظر: معجم الادباء ٢٠: ٦٤ ت ٣٩، وفيات الأعيان ٧: ٢٤٤ ت ٨٥٢، إنباه الرواة للقفطيّ ٤: ٧٤ ت ٧٣٦ ومصادره. وانظر مصادر الهامش الآتي.

(١) تراجع مادة «مَدَدَ» في المصادر: اللغوية هذه وغيرها: جمهرة اللّغة ١: ١١٤، تهذيب اللّغة ١٤: ٨٣، الصحاح ٢: ٥٣٧، لسان العرب ٣: ٣٩٦، وباحاطة تاج العروس ٥: ٢٤٦.

وانظر: الحجّة للقرّاء السبعة ٤: ١٢٢، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٠٦. ولاحظ: المحرّر الوجيز ١: ١٢٥، النكت والعيون ١: ٧٨.

(٢) مختصر في شواذّ القرآن: ١٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٢٤. وانظر: تفسير البحر المحيط ١: ٦٣.

وقد نسبت القراءة إلىٰ ابن محيصن، وشبل، ورويت عن ابن كثير.

(٣) لعلّه إشارة الىٰ الفرّاء في معانيه ٢: ٣٢٩، عند تفسير سورة لقمان ٣١: ٢٧.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٧٨.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٥.

والطُّغْيان: الفُعْلان من قولك: طَغىٰ فلانٌ يَطْغىٰ طُغْياناً، إذا تجاوز حدّه. ومنه قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[1] أي يتجاوز حدّه. والطاغية: الجبّار العنيد[2].

وقال أُمية بن أَبي الصلت:

[٩٨] وَدَعـا اللهَ دَعْـوَةً لاتَ هَـنَّا ... بَـعْدَ طُـغْيانِهِ فَـظَلَّ مُشِيرا[3]

يعني: لا هنّا.

ومعناه في الآية: في كفرهم يتردّدون.

والعَمَهْ: التحيّر. يُقال: عَمِهَ يَعْمَهُ عَمَهاً، فهو عَمِهٌ وعامِهٌ: أي حائر عن الحقّ[4]، قال رؤبة:

---

(١) سورة العلق ٩٦: ٦.

(٢) ورد الفعل هذا بضمّ الطاء وكسرها. جمهرة اللّغة ٢: ٩١٩، تهذيب اللّغة ٨: ١٦٧، المحيط في اللّغة ٥: ١١٢، مجمل اللّغة ١: ٥٨٣، الصحاح ٦: ٢٤١٢، «طغا» في الجميع.

(٣) من مقطوعة يذكر فيها الباري جلّ وعلا، وفرعون وما آل إليه مصيره نتيجة ادّعاءه الإلوهية وعتوه ثمّ غرقه في النيل.

ودعا الله: فاعله فرعون. لات هنا: التاء زائدة للوصول، أي: ليس محلها هذا. أو أنها تدلّ علىٰ فوات الوقت. نحوها ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ سورة ص مكية ٣٨: ٣. طغيانه: فاعله إمّا فرعون، أو النيل. فظل مشيراً: أي فرعون إلىٰ الباري تعالىٰ. وكما ذكر القرآن العزيز.

الشاهد فيه قوله: طغيانه، بمعنىٰ مجاوزته الحدّ.

انظر: الديوان: ٤٣ وفي رواية البيت بعض اختلاف لا يضرّ.

(٤) العين ١: ١١٠، جمهرة اللّغة ٢: ٩٥٤، تهذيب اللّغة ١: ١٤٩، المحيط في اللّغة ١: ١١٨، مجمل اللّغة ٣: ٦٢٨، الأفعال للسرقسطيّ ١: ٢٩٣، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥٨٨، بصائر ذوي التمييز ٤: ١٠٢.

وَمَــهْمَهٍ أطْـرافُــه فــي مَــهْمَهِ أَعْمىٰ الهُدىٰ بالحائرين العُمَّهِ[1] [٩٩]

جمع عامِه.

فـإنْ قـيل: كـيف يُـخبر الله تـعالىٰ أنّـه ﴿يَـمُدُّهُمْ فِـى طُـغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وأنتم تقولون: إنّ الله تعالىٰ إنّما أبقاهم ليؤمنوا لا ليكفروا، وأنّه أراد منهم الإيمان دون الكفر؟

قيل معناه: إنّه يتركهم وما هم فيه لا يحول بينهم وبين ما يفعلونه، ولا يفعل بهم من الألطاف التي يؤتيها المؤمنين، فيكونُ ذلك عقوبة لهم واستصلاحاً.

ونظير ذلك قول القائل لأخيه ـ إذا هـجره أخـوه متجنياً عـليه ـ إذا استعتبه فلم يراجعه: سأمدّ لك في الهجران مدّاً. يريد: سأتركك وما صِرْت إليه تركاً ينبّهك علىٰ قبح فعلك، لأنّه يريد بذلك أنْ يهجره أخوه، لكن علىٰ وجه الغضب والاستصلاح والتنبيه.

---

(١) من أُرجوزة يمدح فيها نفسه، مطلعها:

قالَتْ أُبَيْلي لِي وَلَمْ أُسَبَّهِ ما السِّنّ إلّا غَفْلَةُ المُدَلَّهِ

المهمه: الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف المقفرة.

العَـمَه: عـمىٰ البـصيرة والرأي. والعـمىٰ: يكـون فـي البـصر، فـبينهما عـموم وخصوص.

وهنا: التحيّر والتردّد لعدم معرفة الوجهة الصحيحة.

هـذا وقـد اخـتلف فـي ضـبط كـلمة «بـالحائرين» فـقد وردت: بـالجاهلين، بالجائرين. وكلّ له وجه.

انـظر: الديـوان: ١٦٥، تـهذيب اللّـغة ١: ١٤٩، الصـحاح ٦: ٢٢٤٢، لسـان العرب ١٣: ٥١٩.

قوله تعالىٰ:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ آية (١٦).

ضَمَّ جميعُ القرّاء الواوَ من ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾.

وروىٰ السوسنجردي[١] عن زيد[٢] عن ابن إسماعيل[٣]: بتخفيف ضمّة الواو، وكذلك نظائره، نحو: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾[٤]، و﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾[٥].

ورُوي عن يحيىٰ بن يعمر[٦] في الشواذّ أنّه كسرها، شبّهها بواو:

---

(١) السوسنجرديّ، أحمد بن عبدالله بن الخضر، أبو الحسين البغداديّ، قرأ علىٰ زيد بن أبي بِلال وغيره، وعليه قرأ عدّة. توفي عام: ٤٠٢ هـ.

له ترجمة في: طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٤٦٠ ت ٤٠٧، غاية النهاية في طبقات القرّاء ١: ٧٣ ت ٣٢١، تاريخ بغداد ٤: ٢٣٧ ت ١٩٥٩.

(٢) وهو زيد بن عليّ بن أحمد بن أبي بِلال، أبو القاسم العجليّ الكوفيّ شيخ العراق، حاذق بالقراءة، أخذها عن جمهور، وعنه جمع كثير منهم السوسنجرديّ. توفي عام: ٣٥٨هـ ببغداد.

انظر: غاية النهاية ١: ٢٩٨ ت ١٣٠٨، طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٣٩١ ت ٣٢٥، تاريخ بغداد ٨: ٤٤٩ ت ٤٥٦٣.

(٣) علىٰ كثرة التتبّع لم نتمكن من تشخيصه.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٨٦.

(٥) سورة البقرة ٢: ٩٤، الجمعة ٦٢: ٦.

(٦) يحيىٰ بن يعمر العدوانيّ، أبو سليمان البصريّ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الأسود الدؤليّ وغيره، قرأ عليه خلق منهم أبو عمرو بن العلاء، والحضرميّ، وولي قضاء خراسان لعتيبة بن مسلم ثم عزله بعد أنْ اتُّهِمَ بشرب المنَصَّف ـ نوع شراب يطبخ

﴿لَوْ﴾ في قوله: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا﴾[١].

وضمَّ يحيىٰ بن وثّاب واوَ ﴿لَوَّوْاْ﴾[٢] وفي ما ذكرناه شبّهها بواو الجمع[٣].

والصحيح ما عليه القرّاء؛ لأنّ الواو في الآية ونظائرها واو الجمع فحرّكت بالحركة التي من جنسها؛ لالتقاء الساكنين.

وهذه الآية الإشارة بها إلىٰ مَنْ تقدّم ذكره منَ المنافقين.

فقال ابن عبّاس: اشتروا الكفْر بالإيمان.

وقال ابن مسعود: أخذوا الضّلالةَ وتركوا الهدىٰ.

وقال قتادة: اسْتحبّوا الضّلالةَ علىٰ الهدىٰ.

وقال مجاهد: آمنوا ثمّ كفروا.

وهذه الأقوال متقاربة المعاني[٤].

حتّىٰ يذهب نصفه ـ والله العالم. توفّي قبل: سنة ٩٠ هـ.

انظر طبقات القرّاء ١: ٤١ ت ٢٢، غاية النهاية ٢: ٣٨١ ت ٣٨٧٣، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٤٤١ ت ١٧٠ ومصادره.

(١) سورة التوبة ٩: ٤٢.

(٢) سورة المنافقون ٦٣: ٥.

(٣) القراءات ينظر لها: السبعة في القراءات: ١٤٥، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٩٢، مختصر في شواذّ القرآن: ٢، الحجة للقرّاء السبعة ١: ٣٦٨، المحتسب لابن جنّي ١: ٥٤، مشكل إعراب القرآن للقيسيّ ١: ٢٥ ت ٣٧، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٥٨، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ٢٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٢٥، التبيان في إعراب القرآن ١: ٣١.

(٤) تجدها مجتمعة ومتفرقة ومنسوبة وغير منسوبة في: تفسير محمّد بن إسحاق: ١٥، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٠ ت ١٨، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤٩ ت

فإن قيل: كيف اشترىٰ هؤلاء القومُ الضلالةَ بالهدىٰ، وإنّما كانوا منافقين لم يتقدّم نفاقهم إيمان فيقال فيهم: باعوا ما كانوا عليه بضلالتهم التي استبدلوها منه؟ والمفهوم من الشراء: اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضاً منه، وهؤلاء ما كانوا قطّ علىٰ هدىٰ.

قلنا: مَنْ قال: إنّ الآية مخصوصة بمنْ كفَر بعد إيمانه؛ فقد تخلّص منْ هذا السؤال، غير أنّ هذا لا يصحّ؛ لأنّ عندنا أنّ مَنْ آمن بالله لا يجوز أنْ يُكفَّر.

وإن حملنا علىٰ إظهار الإيمان، لم يكن في الآية توبيخ ولا ذمّ. والآية تتضمّن التوبيخ علىٰ ما هم عليه؛ لأنّها إشارة إلىٰ ما تقدّم وتلك صفات للمنافقين.

والجواب عن ذلك أنْ نقول: إنّ من ارتكب الضّلالة وترك الهدىٰ، جاز أنْ يقال ذلك فيه، ويكون معناه: كان الهدىٰ الذي تركه هو الثمن الذي جعله عوضاً عن الضّلالة التي أخذها، فيكونُ المشتري أخذَ المُشتَرىٰ مكان الثمن المُشتَرىٰ به كما قال:

[١٠٠] أَخَـذْتُ بالجُمَّـةِ رَأْساً أزْعَرا
وبالثّنـايا الواضِحـاتِ الدَّردَرَا
وَبالطَّويـلِ العُمْر عُمْراً جَيْدَرا

---

١٥٢ ـ ١٥٣، تفسير غريب القرآن للشهيد زيد بن عليّ: ٧٩، تفسير الحسن البصريّ ١: ٧٣، تفسير مجاهد: ١٩٧، تفسير كتاب الله العزيز ١: ٨٦، تفسير النكت والعيون ١: ٧٩، تفسير السمعانيّ ١: ٥١، تفسير بحر العلوم ١: ٩٨، تفسير الوسيط ١: ٩٢، وانظر جامع البيان ١: ١٠٦، زاد المسير ١: ٣٧.

كما اشْترىٰ المُسلِمُ إذْ تَنَصَّرا[1]

ومن قال: استحبّوا الضّلالة علىٰ الهدىٰ، إنّما قال ذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْـهُدَىٰ﴾[2] فحملَ هذه الآية عليه.

ومَنْ حملها علىٰ أنّهم اختاروا الضّلالة علىٰ الهدىٰ. فإنّ ذلك مستعمل في اللّغة، يقولون: اشتريت كذا علىٰ كذا. واشتريته يعنون اخترته[3].

قال أعشىٰ بني ثعلبة:

---

(١) الشاهد لأبي النجم العجليّ في معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٩٢، والوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ١٧١، وتفسير البحر المحيط ١: ١٧٧، والدرّ المصون ١: ٢٠٦.

وانظر: الديوان طبعة الاغا: ١٢١ ت ٢٧، وهكذا طبعة الجبيلي: ٩٦ ت ٣٤. وفيهما الشطر الأوّل فقط علىٰ أنّ الشطر الثالث لم يرد في نسخة: «خ، ؤ، هـ».

الجُمّة: كثرة الشَّعْر وكثافته وسواده. الأزعر: القصير الشعر قليله. الثنايا: مقدم الأسنان أو الثغر. الدردر: ذو الأسنان الغير المتكاملة قد سقط أغلبها. الجَيْدَر: القصير من كلّ شيء، وهنا القصير العمر.

المعنىٰ: يريد أنّه بلغ عتيّاً من العمر، قد استبدل الشباب وقوّته بالشيخوخة وضعفها. وأنّه استبدل زوجته الشابة بعجوز لا روح فيها. وهذا كما يستبدل المسلم دينه ـ الإسلام ـ بالنصرانية.

الشاهد فيه: استعماله الشراء في محلّ لا معاوضة فيه ولا مبادلة، وإنّما هو اختيار.

(٢) سورة حم السجدة (فصّلت) ٤١: ١٧.

(٣) تهذيب اللّغة ١١: ٤٠٢ و١٣: ٥٢، المحيط في اللّغة ٧: ٣٧٣ و٨: ٣٦٧، المحكم والمحيط الاعظم ٨: ١١٧، ٦٠٥، الصحاح ٦: ٢٣٧٦، «شرو، سرو» فيها، والأضداد للأنباريّ: ٧٢ ت ٣٦.

فَـقَدْ أُخْـرِجُ الكـاعِبَ المُسْـتَرا ةَ مِنْ خِـدْرِها، وَأُشِـيعُ القِـمارا[1] [١٠١]

يعني: المختارة.

وقال ذو الرمة في معنىٰ الاختيار:

يَـــذُبُّ القَـصايا عَـنْ سَـراةٍ كأَنَّـها
جماهِيرُ تَحْتَ المُدْجِناتِ الهَواضِبِ[2] [١٠٢]

وقال آخر:

---

(١) من قصيدة يمدح فيها قيس بن معديكرب، ويصف نفسه. الديوان ٩٥، قصيدة ٥، بيت ١١.

الكاعب: الشَّابّة الناهد التي كعب ثديها. المستراة: المختارة لحسنها وجمالها أو للنعمة والترف. والخدر: الستر.

المعنىٰ: يفخر الشاعر بنفسه وأيام شبابه، وكيف قضاه، حيث كان من القوّة والقدرة والمال والجمال ما يمكنه أنْ يخرج الجارية الكاعب الناهد من خدرها و...، وكيف كان يهلك المال بإشاعة القمار حيث حلّ وو....

الشاهد فيه: المستراة، استعمالها بمعنىٰ المختارة. وقول العرب: اشتريت كذا علىٰ كذا، واشتريته بمعنىٰ اخترته عليه.

والمستراة: في النسخ بالمعجمة، وفي المصادر بالمهملة، وهو الصحيح.

انظر: طبقات فحول الشعراء ١: ٤٣، إصلاح المنطق: ٣٦٨، المخصص لابن سيده ٦: ٩٨، تصحيح التصحيف للصفدي: ١٠٧ مصرحاً: إنّ من رواه بالشين فقد وهم، تثقيف اللسان: ٦٩، مصادر الهامش السابق.

(٢) من قصيدة له برقم ٥ بيت ٤١ في الديوان ١: ١١٣.

ذبَّ: دَفَعَ ـ أو دافع ـ عن الشيء. وهنا دَفَعَ وأقصىٰ. القصايا: جمع قصيّة الإبل الضعيفة. السراة: المختارة والكريمة والمحببة إليه من الإبل. جماهير: جمع الجمع لجمهور وهو الرملة العالية ـ التلّ ـ المتلبد الرمل والقويّ. المُدْجِنة: السحابة الكثيفة ذات المطر الكثير. الهواضب: الدائمة المطر.

المعنىٰ: يذبُّ ويطرد الإبل الضعيفة عن الإبل الجياد المختارة الكريمة (المسراة).

إنّ الشَّراةَ رُوقَةُ الأموالِ [١٠٣]

[وحزْرَةُ][1] القَلْبِ خِيارُ المالِ[2]

والأوّل أقوىٰ؛ لقوله: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَـٰرَتُهُمْ﴾ فبيّن أنّ ذلك بمعنىٰ الشراء والبيع الذي يتعارفه الناس.

والربح ـ وإنْ أضافه إلىٰ التجارة ـ فالمراد به التاجر؛ لأنّهم يقولون: رَبِحَ بَيعُك، وخَسرَ بيعُك. وذلك يحسن في البيع والتجارة؛ لأنّ الربح والخسران يكون فيهما. ومتىٰ التبس فلا يجوز إطلاقه، لا يقال: ربح عبدك، إذا أراد ربح في عبده؛ لأنّ العبدَ نفسه قد يربح ويخسر. فلمّا أوهم لم يطلق ذلك فيه.

وقيل: المراد به، فما ربحوا في تجارتهم. كما يقال: خاب سعيك، أي: خبت في سعيك. وإنّما قال ذلك هاهنا؛ لأنّ المنافقين بشرائهم الضلالة خسروا ولم يربحوا؛ لأنّ الرابح من استبدل سلعة بما هو أرفع منها. فأمّا إذا استبدلها بما هو أدون منها فإنّما يقال: خسر.

---

(١) في النسخ: وحوزة، والمثبت من المصادر.

(٢) رجز لم نهتد لقائله، استشهد بالشطر الثاني منه الجوهريّ في الصحاح ٢: ٦٢٩، وابن منظور في لسان العرب ٤: ١٨٦، والطبريّ في جامع البيان ١: ١٠٧ والجميع من دون نسبة.

المعنىٰ: الشراة أو السراة: الاختيار والانتقاء. روقة: خير الشيء وأحسنه منظراً. حزرة القلب: ما تعلّق به ممّا هو خير ما لدىٰ الشخص، وممّا تودّه النفس.

الشاهد فيه: استعمال الشراة بمعنىٰ السراة وهو الاختيار.

«روق، روم، سرو، شرى» علىٰ التوالي انظرها في: تهذيب اللّغة ٩: ٢٨٦، ١٥: ٢٨٠، ١٣: ٥٥، ١١: ٤٠٢. المحيط في اللّغة ٦: ١٣، ١٠: ٢٨٧، ٨: ٣٦٧، ٧: ٣٧٣.

فلمّا كان المنافق استبدل بالهدىٰ الضّلالة، وبالرشاد الخيبةَ عاجلاً، وفي الآخرة الثواب بالعقاب، كان خاسراً غير رابح.

وإنّما قال: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾؛ لأنّه قد يخسر التاجر ولا يربح ويكون علىٰ هدىٰ. فأراد الله تعالىٰ أن ينفي عنهم الربح والهداية فقال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ باستبدالهم الكفرَ بالإيمان، واشترائهم النفاق بالتصديق، والإقرار بها.

فإن قيل: لمَ قال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ في موضع ذهبت رؤوس أموالهم؟

قيل: لأنّه قد ذكر الضّلالة والهدىٰ، فكأنّه قال: طلبوا الربح فما ربحوا لمّا هلكوا. وفيه معنىٰ ذهبت رؤوس أموالهم. ويحتمل أنْ يكون ذِكْر ذلك علىٰ التقابل: وهو أنّ ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ لم يربحوا، كما أنّ الذين اشتروا الهدىٰ بالضّلالة ربحوا.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالىٰ:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ آية (١٧) .

إنْ قيل: كيف قال: **﴿مَثَلُهُمْ﴾**، أضاف المثل إلىٰ الجمع، ثمّ شبّهه بالواحد في قوله: **﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾** وهلّا قال: كمثل الذين استوقدوا ناراً. والميم: يُكنّىٰ به عن جماعة من الرجال والنساء والصبيان. و**﴿ٱلَّذِى﴾** لا يعبّر به إلّا عن واحد مذكّر، ولو جاز ذلك لجاز أن يقول قائل: كأنّ أجسام هؤلاء ـ ويشير إلىٰ جماعة عظيمي القامة ـ نخلة، وقد علمنا أنّ ذلك لا يجوز؟

قلنا: في الموضع الذي مثّل الله تعالىٰ به جماعة المنافقين بالواحد جعله مَثلاً لأفعالهم فجائز حسن، وله نظائر، كقوله: **﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾**[1]. والمعنىٰ: كدور أعين الذي يغشىٰ عليه من الموت، وكقوله: **﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾**[2] ومعناه إلّا كبعث نفس واحدة؛ لأنّ التمثيل وقع للفعل بالفعل.

وأمّا في تمثيل الأجسام للجماعة من الرجال في تمام الخلق والطول بالواحد من النخيل، فغير جائز، ولا في نظائره.

والفرق بينهما، أنّ معنىٰ الآية: أنّ مَثَلَ استضاءة المنافقين بما أظهروا من الإقرار ـ بالله تعالىٰ، وبمحمّد ﷺ، وما جاء به ـ قولاً؛ وهم به مكذبون

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ١٩.

(٢) سورة لقمان ٣١: ٢٨.

اعتقاداً؛ كمثلِ استضاءة المُوقِد، ثمّ أَسقط ذكر الاستضاءة، وأَضاف المَثَل إليهم. كما قال نابغة بني جَعْدَة:

وَكَـيْفَ تُـواصِـلُ مَـنْ أَصْـبَحَتْ خَـلالَـتُـهُ كَـأبـي مَـرْحَـبِ[١]؟ [١٠٤]

أي: كخَـلالَة أبي مرحب. وأسقط؛ لدلالة الكلام عليه.

وأمّا إذا أراد تشبيه الجماعة من بني آدم وأعيان ذوي الصور والأجسام بشيء فالصواب أنْ يشبّه الجماعةَ بالجماعة، والواحد بالواحد؛ لأنّ عين كلّ واحد منهم غير أعيان الآخر كما قال تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[٢] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٣] وأراد جنس النخل، ومثل ذلك قوله: ما أفعالكم إلّا كفعل الكلب، ثمّ يحذف الفعل فيقول: ما أفعالكم

---

(١) الديوان: ٣٩ وقد استشهد به ونسبه إليه جمع منهم: سيبويه في الكتاب ١: ٢١٥، وابن الأنباريّ في الانصاف: ٦٢، والقاليّ في الأمالي ١: ١٩٢ وغيرهم. ومن دون نسبة استشهد به الأخفش في معانيه ١: ٢٠٧، والزجّاج في معانيه ١: ٩٣ و١٧٥، والشريف المرتضىٰ في أماليه ١: ٢٠٢.

الخلالة، مثلّثة الخاء: الإخاء والصداقة التي ليس فيها خلل ولا شائبة ـ وما أقلّها بل أَنْدرَها ـ ومنه اشتقّ الخليل. أمّا «الخُلّة» بمعنىٰ الصفة فهي بالضمّ فقط لا غير.

أبو مرحب: قيل: كنية الظِّل والفَيء، وقيل: كنية عُرْقُوب صاحب المثل المشهور: مواعيد عُرْقُوب أخاه بيَثْرب، وقيل: هو الذئب، وقيل: الرجل الحسن الوجه لا باطن له.

ويجمعها وينظمها: سرعة التحوّل، وعدم الانضباط، وخلف الموعد، وعدم الدوام علىٰ المَوَدَّةَ والإخاء.

الشاهد فيه: ما أفاده المؤلف ﷺ من حذف المضاف.

(٢) سورة المنافقون ٦٣: ٤.

(٣) سورة الحاقة ٦٩: ٧.

إلّا كالكلب.

وقيل: إنّ ﴿الَّذِى﴾ بمعنىٰ الّذين كقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1] وقال الشاعر:

وإنّ الّذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُمْ ... هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خالِدِ[2] [١٠٥]

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٣٣.

(٢) بيت مردّد النسبة؛ إذ نسب لدى جمع للأشهب بن رُميلة وعند آخرين لحديث بن مخفض، وللأوّل أشهر، وقد استشهد به جمع.

فَلْج: القسم والحجّة، وهنا بلدة علىٰ طريق مكّة من البصرة، وقيل: وادٍ، وفيه كانت وقعة بكر علىٰ الثعالبة. فهو يوم صحراء فلج أو الثعالب.

معجم البلدان ٤: ٢٧٢، معجم ما استعجم ٣: ١٠٢٨، أيّام العرب قبل الإسلام: ٥٧٤، أيّام العرب في الجاهلية: ١٩٧ ومصادرهم.

حانت: هلكت، من الحَيْن وهو الهلاك. وحانت دماؤهم: أُريقت ولم يؤخذ لهم بديّة ولا قصاص بعد. دماؤهم: كناية عن النفوس. أُم خالد: من عادة العرب خطاب النساء بهذا وأمثاله؛ لحثهنّ علىٰ النياحة والبكاء، ومثله يا ابنة القوم، يا ابنة الأُولي ...، يا ابنة العمّ، وغيرها.

المعنىٰ: يذكر الشاعر قتلاه يوم فلج ويمجّدهم، ويعتبرهم الرجال دون غيرهم، ويذكر عدم أخذ قومه بثأرهم.

الشاهد فيه: ذكر «الذي» مفرداً وإرادة الجمع منه باعتبار إبهامه واحتماله الوجوه ـ كما ذكر المصنّف ـ وقيل: أراد «الذين» وحذف النون منه تخفيفاً؛ لدلالة ما في البيت عليه.

انظر: الكتاب ١: ١٨٧، مجاز القرآن ٢: ١٩٠، تأويل مشكل القرآن: ٣٦١، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٧ ت ٦٥، النكت في شرح كتاب سيبويه للأعلم ١: ٢٩٤، المقتضب ٤: ١٤٦، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ١٥١، المنّصف ١: ٦٧، الأمالي الشجرية ٣: ٥٧، المفصّل: ١٤٤، شرح المفصّل ٣: ١٥٥، الحماسة البصرية ١: ٢٦٩ ت ١٥٥، البيان والتبيين ٤: ٥٥، ضرائر الشعر: ١٠٨، ما يجوز للشاعر في الضرورة: ٢٥٢. العمدة لابن رَشيق ٢: ١٠٢٤، خزانة الأدب للبغداي ٦: ٢٥ ش ٤٢٦.

وإنّما جاز ذلك؛ لأنّ «الَّذي» مبهم يحتمل الوجوه المختلفة.

وضُعّف هذا الوجه من حيث إنّ في الآية الثانية وفي البيت دلالةً على أنّه أُريد به الجمع. وليس ذلك في الآية التي نحن فيها.

وقيل فيه وجه ثالث وهو: أنّ التقدير مَثَلُهم كمَثَل أتباع الذي اسْتَوْقد ناراً، كما قال: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] وإنّما أراد أهلَها[2].

وفي الآية حذف: طفئت عليهم النار.

وقوله: ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾:

معناه: أوْقَدَ كما يقال: اسْتَجابَ بمعنى أجاب. قال الشاعر:

وداعٍ دَعا: يا مَنْ يُجِيبُ إلىٰ النَّدىٰ ... فَـلَم يَسْتَجِبْهُ عِـنْدَ ذاكَ مُـجِيبُ[3] [١٠٦]

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٨٢.

(٢) البحث أعلاه ـ ذكر المفرد وإرادة الجمع منه ـ ينظر له إضافة لمصادر البيت ١٠٥، معاني القرآن للفرّاء ١: ١٥، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٠٩.

(٣) للشاعر كعب بن سعد الغنويّ، كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره منها، والبيت من قصيدة يرثي فيها أخاه أبا المغوار وصفها الأصمعيّ: ليس في الدنيا مثلها. وقال العسكريّ: ليس للعرب مرثية أجود منها.

استشهد به جمع لما استشهد به الشيخ المصنّف ﵀ وهو: إجراء استفعل «يستجبه» مجرىٰ أفعل «يجبه» بدلالة قوله: مجيب. ولم يقل: مستجيب. وذلك مثل: «استخلف لأهله» بمعنىٰ «أخلف لاهله» و«استوقد» بمعنىٰ «أوقد».

انظر: الأصمعيات: ٩٥ ت ٢٥ ب ١٢، النوادر لأبي زيد: ٢١٨، أمالي القاليّ ٢: ١٥١، جمهرة أشعار العرب ٢: ٧٠١ ت ٣٠ ب ٢٠، مجاز القرآن ١: ٦٧ ت ٨٣، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٠٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٥٥، الحجّة للفارسيّ ١: ٢٦٥، أدب الكاتب: ٤١٩، التعازي والمراثي للمبرّد: ٢٤ و١٣، تأويل مشكل القرآن: ٢٣٠، المسائل العسكريات: ٧٧، رصف المباني: ٣٧٥، أمالي ابن الشجريّ ١: ٩٥م ١٠، وغيرها كثير.

يريد: فلم يجبه.

والوَقُود: الحَطَبْ. والوُقُود: مصدر وَقَدَتِ النّارُ وُقُوداً. والاستيقاد: طَلَبُ الوُقُود. والإيقاد: إيقادُ النّارِ. والتَّوَقُّد: التوهُّج. والاتّقاد: التهاب النّار. وزَنْدٌ مِيقاد: سَريعُ الوَرْي. وَقَلْبٌ وَقّادٌ: سَرِيعُ الذكاءِ والنَّشاطِ. وكُلُّ شيء يتلألأ فهو يَقِدْ. وفي الحجر نارٌ لا تَقِدُ؛ لأنّه لا يقبل الاحتراق. والوَقُود: ظهور النّار فيما يقبل الاحتراق(١).

وأصلُ النّارِ: النُّوْر. نارَ الشيءُ إذا ظَهَرَ نُورُهُ. وأنـار: أظـهر نُـورَهُ. واسْتنارَ: طَلَبَ إظْهارَ نُورِهِ. والمنار: العلامات. والنّار: السِّمَةُ. وضاءَت النّار: ظَهرَ ضَوْؤُها وكلُّ ما وَضُح فقد أضاء(٢). وأضاء القمرُ الدارَ: كقوله: أضاءت ما حَوْلَه. قال الشاعر:

أضاءَتْ لَهُمْ أحْسابُهم وَوُجُوهُهُمْ ... دُجىٰ اللَّيْلِ حَتّىٰ نَظَّمَ الدُّرَّ ثاقِبُهْ(٣) [١٠٧]

---

(١) اللّغة متفرّقة في: العين ٥: ١٩٧، جمهرة اللّغة ١: ٦٧٨، تهذيب اللّغة ٩: ٢٤٩، المحيط في اللّغة ٥: ٤٨٦، الصحاح ٢: ٥٥٣، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٧٩. لسان العرب ٣: ٤٦٥، عمدة الحفّاظ ٤: ٣٣٠. «وَقَدَ» في الجميع، علىٰ اختلاف في الضبط.

(٢) العين ٨: ٢٧٥، جمهرة اللّغة ٢: ٨٠٦، تهذيب اللّغة ١٥: ٢٣٠، المحيط في اللّغة ١٠: ٢٥٠، الصحاح ٢: ٨٣٨، مجمل اللّغة ٣: ٨٤٧، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٢٧. عمدة الحفّاظ ٤: ٢٣٢. «نور» فيها.

(٣) قبله.

إنّي مِنَ القَوْمِ الّذِينَ عَرِفْتَهُم ... إذْا ماتَ مِنهُمْ سَيّدٌ قَامَ صاحِبُه

نُجُومُ سَماءٍ كُلّما غارَ كَوْكَبٌ ... بَدا كَوْكَبٌ تَأوي إلَيْهِ كَواكِبُه

نُسب إلىٰ لقيط بن زرارة. ولأبي الطَّمَحان القينيّ حَنْظَلَة بن الشَرْقيّ أحد المعمّرين ولعلّه الأقوىٰ.

وقوله: ﴿حَوْلَهُ﴾:

مأخوذ من الحَوْلِ وهو الانقلاب. يقال: حال الحول: إذا انقلب إلىٰ أوّل السنة.

وأحال في كلامه: إذا صرَفه عن وجهِه.

وحوّله عن المكان: أي نقله إلىٰ مكان آخر.

وتَحَوَّل: تَنَقَّل.

واحْتالَ عليه وحاوَلَه: طالبه بالانقلاب إلىٰ مراده.

والحَوَل: بالعين بالفتح، والحِوَل ـ بالكسر ـ في الأمر بالانقلاب عنه، ومنه قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[1].

والحَوالة: انقلابُ الحقّ عَنْ شخصٍ إلىٰ غَيره.

والمُحالَة: البَكْرَة.

وفي بعض الروايات: وجدودهم عوض وجوههم، وكذا الجِزْعَ ـ بالفتح والكسر ـ بدل الدّرّ: ضرب من الخرز فيه سواد وبياض.

المعنىٰ: يبالغ الشاعر بطهارة قومه، وزكاء أُصولهم وفروعهم حتىٰ قيل: إنّه أمدح بيت قيل في الجاهلية. عدّ من الغلوّ في المدح حتّىٰ قيل: إنّه أكذب بيت قالته العرب. يصفهم بأنّهم بيض الوجوه نيِّرو الأحساب فدجىٰ ـ ظلام ـ ليلهم ينكشف من نور أحسابهم، حتىٰ أنّ ثاقِبَهُ يُسَهِّل نظم وتنظيم الدّرّ ـ أو الجزع ـ لناظِمه.

الثُّقُوب: الإضاءة. ومنه: نجم ثاقب. نَظَّمَ: حمل علىٰ النظم وأقدر.

انظر: أمالي المرتضىٰ ١: ٢٥٧ م ١٨، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢: ٧١٠ ت ١٦٢ م ١٢٥٩، الأغاني ٢: ٣٤٧ و١٣: ٣، الحيوان للجاحظ ٣: ٩٣، الكامل في الأدب ١: ٦٨، ديوان المعاني ١: ٢٢، عيون الأخبار ٤: ٢٥، الصناعتين: ٣٩٨، ديوان الحماسة: ٥٢١ ت٧٠٩، وشرحه للمرزوقيّ ٣: ١٥٩٨ ت ٦٩٤.

(١) سورة الكهف ١٨: ١٠٨.

والحِيلَة: إيهام الأمر للخديعة. وحال بَيْنَه وبَيْنَه: بمانع.

والحائل: الناقة التي انقطع حملها، والحائل: المتغيّر. وحَوْلَه الضياء: أي دايرته[١].

ذَهَبَ به وأذْهَبَهُ: أي أَهْلَكَه؛ لإذهابِه لا إلىٰ مكان يُعرف، ومنه: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. والمَذْهَبُ: الطريقَةُ في الأمر.

والذِّهْبَةُ: المَطْرَةُ الجَوْدُ[٢].

وقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَـٰتٍ﴾:

أي: أذْهَبَ النورَ بالظلمات.

وتارَكَهُ مُتارَكَةً، وتَتارَكُوا: تقابلوا في التَرْك. وأَتْرِكَ إتْراكاً: اعتمد التَّرْك.

والتَّرِيكَةُ: بيضة النعّام المنفردة؛ لتركها وحدها[٣].

والظُّلُمات: جَمعُ ظُلْمَة، وأصلها انتقاصُ الحقّ، من قوله: ﴿وَلَمْ

---

(١) تلاحظ اللّغة بشيء من الاختلاف في: العين ٣: ٢٩٧، جمهرة اللّغة ١: ٥٧٠، تهذيب اللّغة ٥: ٢٤٠، المحيط في اللّغة ٣: ٢٠٨، المحكم والمحيط الأعظم ٤: ٥، الصحاح ٤: ١٦٧٩، مجمل اللّغة ٢: ٢٥٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٦٦، بصائر ذوي التمييز ٢: ٥٠٩ ت ٥٠. وبتفصيل: لسان العرب ١١: ١٨٤، في الجميع. «حَوَلَ».

(٢) أي: المطرُ الكثير الذي يروي كلَّ شيء، من جاد المطر، وقيل: بل القليل الضعيف. انظر تهذيب اللّغة ٦: ٢٦٢ و١١: ١٥٦، المحيط في اللّغة ٣: ٤٦٩ و٧: ١٥٦، الصحاح ١: ١٣٠، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٣١، الأفعال لابن القطّاع ١: ٥٢٣، لسان العرب ١: ٣٩٣ و٣: ١٣٧. «ذهب» «جود» فيها.

(٣) العين ٥: ٣٣٦، جمهرة اللّغة ١: ٣٩٤، تهذيب اللّغة ١٠: ١٣٣، المحيط في اللّغة ٦: ٢١٩، مجمل اللّغة ١: ١٤٧. «ترك» في الجميع.

﴿تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾[1] أي لم تنقص. واظَّلَمَ الجَوادُ: احْتَملَ انتقاصَ الحقّ؛ لِكَرمه.

. . . . «ومن أَشْبهَ أَباهُ فما ظَـلَمْ»[2] [١٠٨]

أي: ما انتقص حقّ الشبه.

وظُلِمَتِ الناقة: إذا نُحِرَتْ من غير علّة.

والظَّلْم: ماءُ الأسنانِ منَ اللون لا من الريق. والظَّلم: الثلج[3].

وقوله: ﴿فِى ظُلُمَـٰتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

قال ابن عبّاس: إنّهم يبصرون الحقّ ويقولون به حتّىٰ إذا خرجوا من ظُلمة الكفر، أَطْفَؤوه بكفرهم به، فتركهم في ظُلُمات الكفر، فهم لا يبصرون هدىٰ، ولا يستقيمون علىٰ حقّ.

وروي عنه أيضاً أنّه قال: هذا مثلٌ ضربه الله تعالىٰ للمنافقين، أنّهم كانوا يعتزّون بالإسلام، فيُناكِحُهُم المسلمون ويُوَارثونهم، ويُقاسِمُونَهم الفيء، فلمّا ماتوا سلبهم الله ذلك العزّ، كما سلب صاحب النار ضوءَه،

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٣٣.

(٢) مثلٌ أشهر من أنْ يُعرّف ـ كما يقال ـ تمثّل به كعب بن زهير حيث يقول مفتخراً:

أَقُولُ شَبِيهاتٌ بِما قالَ عالِماً ... بِهِنّ، وَمَنْ أَشْبَهَ أَباهُ فَما ظَلَمْ

انظر: الحيوان للجاحظ ١: ٣٣٢، العقد الفريد ٣: ١٠٢، المستقصىٰ ٢: ٣٥٢ ت ١٢٩١. جمهرة الأمثال ٢: ٢٤٤ ت ١٦٢٢، مجمع الأمثال ٣: ٣١٢، وانظر: ديوان رؤبة بن العجاج مادحاً عدي بن حاتم: ١٨٢ ق ٨٢.

(٣) العين ٨: ١٦٢، جمهرة اللّغة ٢: ٩٣٤، تهذيب اللّغة ١٤: ٣٨٢، المحيط في اللّغة ١٠: ٣١، الصحاح ٥: ١٩٧٧، مجمل اللّغة ١: ٦٠١، لسان العرب ١٣: ٣٧٣، «ظلم» في الجميع.

وتركهم في عذاب. وهذا أحسن الوجوه(١).

وقال أبو مسلم: معناه أنّه لا نور لهم في الآخرة، وأنّ ما أظهروه في الدنيا يضمحلّ سريعاً كاضمحلال هذه اللّمعة. وحالُ منْ يقع في الظلمة بعد الضياء أشقىٰ في الحَيْرة، فكذلك حال المنافقين في حَيْرتهم بعد اهتدائهم، ويزيد استضرارهم علىٰ استضرار من طُفئت ناره بسوء العاقبة(٢).

وروي عن ابن مسعود وغيره: إنّ ذلك في قوم كانوا أظهروا الإسلام، ثمّ أظهروا النفاق، فكأنّ النورَ الإيمان، والظلمةَ نفاقهم(٣).

وقيل فيها وجوه تقارب ما قلناه.

وتُقدِّر بعد قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾: انطفأت؛ لدلالة الكلام عليه، كما قال أبو ذؤيب الهذليّ(٤):

---

(١) صحيفة عليّ بن أبي طلحة: ٧٩ ت ٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٥٠ ت ١٥٨، معترك الاقران ١: ٣٥٣، وفي تفسير عبدالرزاق ١: ٢٥٩ ت ١٧ عن قتادة. وانظر الدرّ المنثور ١: ١٧٢.

(٢) هو محمّد بن يحيى الأصفهاني في: جامع التأويل لمحكم التنزيل: مخطوط.

(٣) منسوب وغير منسوب، ذكر في: تفسير ابن أبي حاتم ١: ٥٠، تفسير مجاهد ١: ٧٠، تفسير القرآن للصنعانيّ ١: ٢٥٩، تفسير بحر العلوم ١: ٩٨، تفسير النكت والعيون ١: ٨٠، الوسيط ١: ٩٣.

(٤) خُوَيْلِد بن خالد، أبو ذُؤَيب الهذليّ، شاعر فحل لا غَمِيزَة فيه، مُخَضْرم، يعدّ شعره من أجود شعر العرب؛ بل في الذروة منه، له المرثية العينية الشهيرة يرثي فيها أولاده السبع الذين توفّوا دفعة مطلعها:

أمِنَ المَنُونِ وَرَيْبها تَتَوَجَّعُ ... والدَّهْرُ لَيسَ بِمُعْتِب مَنْ يَجْزَعُ

وفيها أحسن ما قيل في الصبر:

وَتَجَلُّدِي للشامِتِينَ أُرِيهُمُ ... أنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضعْضَعُ

دَعـانِي إليـها القَـلْبُ إنّـي لأَمْرِهِ مُطِيعٌ فما أدرِي أرُشْدٌ طِلابُها؟[1] [١٠٩]

وتقديره، أرشد أم غيّ طِلابُها؟

وقال الفرّاء: يُقال: ضاءَ القَمَرُ يَضُوءُ، وأضاءَ يُضِيءُ، لغتان، وهو الضَّوْء. والضُّوْءُ بفتح الضاد وضمّها.

وقد أظْلَمَ الليل، وظَلِم، بفتح الظاء وكسر اللام[2].

وظُلُماتٌ على وزن غُـرُفاتٌ وحُـجُراتٌ وخُـطُواتٌ، فأهل الحجاز وبنو أسد يثقّلون، وتميم وبعض قيس يخفّفون.

والكِسائيّ يُشمّ[3] الهاءَ الرفع بعد نصب اللّام في قوله ﴿حَوْلَهُ﴾،

وفيها أبرع بيت قيل:

وَالنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلىٰ قَليلٍ تَقْنَعُ

قيل: مات بصحبة عبدالله بن الزبير في غزوة اختلف في وجهتها. وقد أدلاه عبدالله في حفرته.

انظر: الشعر والشعراء ٢: ٦٥٣ ت ١٣٢، المؤتلف والمختلف: ١٧٣، جمهرة أشعار العرب ٢: ٦٨٣ ت ٢٩، المُفَضّليات: ٤١٩ ت ١٢٦، شرح المُفَضّليات للتبريزيّ ٣: ١٦٨١ ت ١٢٦.

(١) اختلف في ضبطه في الرواية والنسخ بين: دعاني وعصيت وعصاني. ولأمره ولأمرها. ومطيع وسريع وسميع. ولا يؤثر علىٰ محلّ الشاهد منه.

المعنىٰ: يشير الشاعر إلىٰ شدّة علاقته بمن يحبّ حتّىٰ أنّه فقد السيطرة علىٰ قلبه حين انصرف إليها حبّاً وشغفاً فما يدري أرشد الذي وقع فيه أم غيّ؟!

الشاهد: حذف كلمة «أمْ غيّ» لدلالة الكلام عليه.

انظر: شرح أشعار الهذليّين للسكّريّ ١: ٤٣ ب ٥، ديوان الهذليّين ١: ٧١، معاني الفرّاء ١: ٢٣٠، أمالي المرتضىٰ ١: ٢١٧ م١٠. واغلب كتب النحو والأدب.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١: ١٨.

(٣) ضمّ الشفتين عند الإسكان للحرف والتهيّؤ للتلفّظ بالضمّة دون صوت. وعلامته في الخط النقطة عند الحرف. الموضح ١: ٢١٦.

و﴿نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[1] في حال الوقفْ، الباقون لا يشمّون، وهو أحسن.

قوله تعالىٰ:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ آية (١٨) بلا خلاف.

قال قَتادة: ﴿صُمٌّ﴾: لا يسمعون الحقَّ، ﴿بُكْمٌ﴾: لا ينطقون به، ﴿عُمْيٌ﴾: لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون[2].

﴿صُمٌّ﴾:

رفع علىٰ أنّه خبرُ ابتداء محذوف، وتقديره: هؤلاء الذين ذكرناهم في القصّة ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾.

فالأَصَمّ: هو الذي وُلِدَ كذلك، وكذلك الأبْكَمُ: هو الذي وُلِدَ أخرس. ويقال، الأَبْكم: المسلوبُ الفؤاد.

ويجوز أنْ يجمع أَصَمٌّ: صُمّاناً، مثل أسود وسُودان.

وأَصلُ الصَّمِّ: السدّ، فمنه الصَّمُّ: سدُّ الأُذنِ بما لا يقع معه سمعٌ.

وقناةٌ صمّاء: مكتنزة الجوف صُلبة؛ لسدِّ جوفها بامتلائها.

وفلان أَصَمٌّ؛ لسدِّ خروق مسامعه عن إدراك الصوت.

وحجرٌ أَصَمٌّ، أي: صُلْبٌ. وفِتْنَةٌ صَمَّاءُ: أي شَديدةٌ.

والتَّصْمِيمُ: المضيّ في الأمر. والصِّمامُ: ما يُشَدُّ به رأسُ القارُورَة؛ لسدّه رأسها. والفعل: أَصُمُّها.

والصَّمِيْمُ: العَظْمُ الذي هو قِوامُ العُضْوِ؛ لسدّ الخلل به[3].

---

(١) سورة القيامة ٧٥: ٣.

(٢) رواه عنه ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١: ٥٣ ت ١٧٤.

(٣) ينظر لمادة «صَمَمَ»: العين ٧: ٩١، جمهرة اللّغة ١: ١٤٤، تهذيب اللّغة ١٢: ☜

وأصل البَكَمْ: الخَرَسْ، وقيل: هو الذي يُولد أَخْرَسْ.

وبَكِمَ عن الكلام: إذا امتنَعَ منه جَهلاً أَو تَعَمُّداً كالخَرَس.

والأبْكَمُ: الذي لا يُفصحُ؛ لأنّه كالأخْرَسْ[1].

وأصْلُ العَمىٰ: ذهابُ الإدْراكِ بالعَيْنِ، والعَمىٰ في القَلْبِ ـ كالعَمىٰ في العَيْنِ ـ بآفةٍ تَمْنَعُ مِنَ الفَهْم، وأعْماهُ: إذا أوْجَدَ في عَيْنَيْهِ عَمىً.

وعَمّى الكِتابَ تَعْمِيَةً، وتَعامىٰ عن الأمْرِ تعامياً، وتَعمّىٰ الأمْرَ: تَطَمّس، كأنّ بهِ عَمىٰ.

وما أعْماه: من عمىٰ القلب، ولا يقال ذلك من الجارحة.

والعَمايَةُ: الغَوايَةُ. والعَماءُ: السَّحابُ الكَثِيفُ المُطْبِقُ[2].

والرُّجُوعُ: مصدر رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعاً، ورَجَعْتُهُ رَجْعاً. والارْتِجاعُ: اجْتلابُ الرُّجُوعِ. والاسْتِرْجاع: طلبُ الرُّجوع. وتَراجَعَ: تَحامَلَ. وتَرَجَّعَ: تَعَمَّدَ للرجُوعِ. ورَجَّعَ: كَثَّرَ في الرجُوعِ. ورَجْعُ الجواب: رَدُّهُ. والمَرْجُوعَة: جوابُ الرِّسالة. والرَّجْع: المطر، ومنه قوله: ﴿**وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ**﴾[3] والرَّجْعُ: نَبْتُ الرَّبيع.

↩ ١٢٦، المحيط في اللّغة ٨: ٩٨، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٧٧، الصحاح ٥: ١٩٦٧، مجمل اللّغة ١: ٥٣١. ومعاني القرآن للزجّاج ١: ٩٤.

(١) لمادة «بَكَمَ» انظر: العين ٥: ٣٨٧، جمهرة اللّغة ١: ٣٧٧، تهذيب اللّغة ١٠: ٢٩٥، المحيط في اللّغة ٦: ٢٨٦، الصحاح ٥: ١٨٧٤، معجم مقاييس اللّغة ١: ٢٨٤، مجمل اللّغة ١: ١٣٢. ومعاني القرآن للزجّاج ١: ٩٤.

(٢) للمادة «عَمَىَ» يراجع: العين ٢: ٢٦٦، تهذيب اللّغة ٣: ٢٤٣، المحيط في اللّغة ٢: ١٧٩، الصحاح ٦: ٢٤٣٩، مجمل اللّغة ٣: ٦٢٨.

(٣) سورة الطارق ٨٦: ١١.

والرجُوعُ عنِ الشيءِ بخلافِ الرجُوعِ إليه[١].

والمعنىٰ: إنّهم صمٌّ عن الحقّ لا يعرفونه؛ لأنّهم كانوا يسمعون بآذانهم.

وبُكْمٌ عن الحقّ لا ينطقون مع أنّ ألسنتهم صحيحة.

عمي لا يعرفون الحقّ وأعينهم صحيحة، كما قال: ﴿ **وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾[٢].

وقوله: ﴿ **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾:

يحتمل أمرين:

أحدهما: ما روي عن ابن عبّاس أنّه: علىٰ الذمّ والاستبطاء.

والثاني: ما روي عن ابن مسعود أنّهم: لا يرجعون إلىٰ الإسلام.

وقال قوم: إنّهم لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدىٰ[٣]. وهو أليق بما تقدّم.

وهذا يدلّ علىٰ أنّ قوله: ﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** ﴾[٤] و﴿ **طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا** ﴾[٥] ليس هو علىٰ وجه الحيلولة بينهم وبين الإيمان؛ لأنّه وصفهم بالصمّ والبكم والعمىٰ مع صحّة حواسّهم. وإنّما أخبر بذلك عن أُلفهم الكفر

---

(١) العين ١: ٢٢٥، تهذيب اللّغة ١: ٣٦٤، المحيط في اللّغة ١: ٢٤٨، الصحاح ٣: ١٢١٦، لسان العرب ٨: ١١٤، «رَجَعَ» فيها.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٩٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٥٣، الأحاديث.

(٤) سورة البقرة ٢: ٧.

(٥) سورة النساء ٤: ١٥٥.

واستثقالهم للحقّ والإيمان، كأنّهم ما سمعوه ولا رأوه، فلذلك قال: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(١) ﴿وَأَضَلَّهُمُ﴾(٢) ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾(٣) ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾(٤) ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾(٥) وكان ذلك إخباراً عمّا أحدثوه عند امتحان الله إيّاهم وأمره لهم بالطاعة والإيمان؛ لا أنّه فَعل بهم ما منعهم به من الإيمان.

وقد يقول الرجل: حبّ المال قد أعمىٰ فلاناً وأصمّه. ولا يريد بذلك نفي حاسّته، لكنّه إذا شغَله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه قيل: أصمّه وأعماه، وكما قيل في المثل: (حُبُّكَ للشَّيء يُعْمِي ويُصمّ)(٦)، ويريدون به ما قلناه. وقال مسكين الدارميّ(٧):

---

(١) تكررت في سور: التوبة ٩: ٩٣، النحل ١٦: ١٠٨، محمّد ﷺ ٤٧: ١٦.

(٢) سورة طه ٢٠: ٨٥.

(٣) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ٢٣.

(٤) تكررت في سورة الأنعام ٦: ٢٥، سورة الإسراء ١٧: ٤٦، سورة الكهف ١٨: ٥٧.

(٥) سورة الصفّ ٦١: ٥.

(٦) مثل مشهور أوّل من تمثّل به النبيّ الأكرم انظر: جمهرة الأمثال للعسكريّ ١: ٣٥٦ ت ٥٣٦، مجمع الأمثال للميدانيّ ١: ٣٤٩ ت ١٠٣٧، المستقصىٰ في أمثال العرب ٢: ٥٦ ت ٢٠٥.

(٧) مسكين الدارميّ، لقب اشتهر فعفىٰ علىٰ اسم صاحبه ربيعة بن عامر بن دارم التميميّ شاعر أُمويّ النزعة لعب دوراً في محاولة صرف أهل اليمن عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لصالح معاوية. كان أوّل من طلب تولية يزيد رقاب المسلمين بتحريض من معاوية لمعرفة ردّة الفعل لدىٰ الآخرين إذ يقول:

إذا المِنْبَرُ الغَربيُّ خَلّاه رَبُّه ... فإنّ أَميرَ المُؤمنين يزيدُ

اضف رثاؤه اللعينينَ ابن زياد وأميره عمر بن سعد قاتلي سيّد الشهداء الإمام ﷺ

أَعْـمىٰ إذا مـا جـارَتي خَـرَجَتْ　　حَـتّىٰ يُـوارِي جـارَتي الخِـدْرُ [١١٠]

وَيُـصِـمّ عَـمّا كـانَ بَـيْنهما　　سَـمْعِي وَمـابِي غَـيْره وَقْـرُ[1]

وقال آخر:

....　　أصَـمٌّ عَـمّا سـاءَهُ، سَـمِيعٌ[2] [١١١]

الحسين عليه السلام فباع آخرته بثمن بخس، فكان مسكيناً خاسراً للدارين حقّاً. لا كما يَدّعي، ويقول:

وسُمّيتَ مِسْكيناً وكانت لجاجةً　　وانّـي لمسكـينٌ إلىٰ الله راغبٌ

أو لقوله:

أنا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي　　وَلِمَنْ يِعْرِفُنِي جِدٌّ نَطِقْ

توفي عام: ٨٩هـ.

له ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨: ٥٣ ت ٢١٤٠، ومختصره لابن منظور ٨: ٢٧٢ ت ١٣١، معجم الأُدباء ١١: ١٢٦ ت ٣٢، الأغاني ٢٠: ٢٠٥، الشعر والشعراء ١: ٥٤٤ ت ٩٨.

(١) من رائية بديعة يصف ويمدح فيها نفسه، ولعلّه بنحو من المبالغة وفي بيت الشاهد منها يصف غيرته وأنّه يتعامىٰ ويصمّ أُذنه عن جاراته وأنّه لا يتلصّص عليهم، وقد اختلف في ضبط أوّل الأوّل بين: أعمى، وأعشى، وأعشو.

كما نسبه بعضهم إلىٰ حاتم الطائيّ وإلىٰ غيره.

الشاهد فيه: وصف نفسه بالعمى والصمّ ومن دون نفي الحاسة. والدليل عليه في الشعر واضح.

انظر ـ اضافة لمصادر الترجمة ـ: أمالي المرتضى ١: ٤٣، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٦٥ ش ١٦٧، والتفاسير عند قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ**﴾ الزخرف ٤٣: ٣٦.

(٢) مجهول القائل والتكملة.

الشاهد فيه: وصف الشاعر نفسه بالصمّ مع عدم إرادة نفي الحاسّة بدليل (سميع).

انظر: معاني القرآن واعرابه للزجّاج ١: ٨٢، تهذيب اللغة ٢: ١٢٥، أمالي

فجمع الوصفين.

وإنّما جاز ذكر ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ بعد ذكر وصف حالهم في الآخرة في قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ لأمرين:

أحدهما: إنّ المعتمد من الكلام علىٰ ضرب المثل لهم في الدنيا في الانتفاع بإظهار الإيمان.

الثاني: إنّه اعتراض بين مثلين بما يُحقِّقُ حالهم فيهما علىٰ ما بَيَّنَ أمرهما.

وقيل: إنّ معناه التقديم والتأخير(١).

قوله تعالىٰ:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آية (١٩).

الصَّيِّبْ: علىٰ فَيْعِلْ من صابَ يَصُوبُ. وأصلُه صَيْوِب، لكن استقبلتها ياء ساكنة فقُلبت الواو ياءً وأُدغِمتا، كما قيل: سيِّد من ساد يسود، وجيِّد من جاد يجود، قياساً مطرداً(٢).

ﻫ ابن الشجريّ ١: ٩٧، م١٠، شرح الحماسة للمرزوقي ٣: ١٤٥٠، الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ٢٠٤، الجامع لأحكام القرآن ١: ٢١٤، لسان العرب ١٢: ٣٤٤، وغيرها.

(١) أي أن تسلسل الآيات يكون هكذا: أُولئك الذين..... مهتدين، صمّ ..... لا يرجعون، مثلهم كمثل.....

ولعلّه ناظر إلىٰ الطبريّ فقد ذهب إليه في جامع البيان ١: ١١٣.

(٢) اختلفت مدرستا الكوفة والبصرة في ذلك، تجد تفضيل هذا في الإنصاف للأنباريّ ٢: ٧٩٥ م١١٥.

والصَّيِّبُ: المطر. وكلُّ نازلٍ من علوّ إلىٰ سفل يقال فيه: صابَ يَصُوبُ[1]. قال الشاعر:

كأَنَّهُمُ صابَتْ عَلَيْهِمْ سَحابَةٌ　　صَواعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[2] [١١٢]

وقال عَبِيد بن الأبرص[3]:

حَيٌّ عَفاها صَيِّبٌ رَعْدُهُ　　دانِي النَواحِي مُغْدِقٌ وابِلُ[4] [١١٣]

---

(١) «صَيَبَ» تجدها في: العين ٧: ١٦٦، جمهرة اللّغة ١: ٣٥١، تهذيب اللّغة ١٢: ٢٥٢، المحيط في اللّغة ٨: ٢٠١، الصحاح ١: ١٦٤، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤٩٥، عمدة الحفّاظ ٢: ٣٥٨، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٩٤. معجم مقاييس اللّغة ٣: ٣١٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٢ ت ١٩، تفسير المشكل للقيسيّ: ٨٧ت ١٩، سيرة ابن هشام ٢: ١٨٠.

(٢) من قصيدة بائية للشاعر علقمة بن عبدة الفحل مادحاً الحارث الغسّانيّ، وطالباً إطلاق سراحه من آسريه.

المعنىٰ: صابت: مطرت، أو أرسلت، وهو محل الشاهد. دبيب: المشي الضعيف الحَذِر.

فهو يشبِّه القوم بطيور أصابتها الصواعق فقتلت من قتلت والباقي لا تقدر علىٰ الطيران؛ لشدّة الخوف والفزع. كناية عن شدّة ما نزل بهم من القتل والتشريد.

انظر: الديوان بشرح الأعلم: ٣٠. قصيدة رقم ١ ب ٣٤.

(٣) عَبِيد بن الأَبْرَص بن حنتم بن.... بن خزيمة مضَرِيّ جاهليّ، فارسٌ، سيّد قومه، اشترك في أغلب حروبهم عدَّ من دهات قومه لا بل العرب، يرجع إليه في الفصل بين المتنازعين، من الطبقة الرابعة بل الأُولىٰ من الجاهليين، وقد عُدَّ في المعمّرين.

الشعر والشعراء ١: ٢٦٧ ت٢٢، الأغاني ٢٢: ٨١، طبقات فحول الشعراء ١: ١٣٧ ق١٦٣، ١٦٤ وانظر فهرسته.

(٤) البيت ساقط من طبعات الديوان، مثبت في منتهى الطلب من أشعار العرب ٢: ١٩٢ ت٨١.

عفاها: محاها، أزالها. صيِّب: مطر قوي لرعده صوت قوي. النواحي: ←

وهذا مثل ضربه الله للمنافقين،كأنّ المعنىٰ : أو كأصحاب صيِّب . فَجَعل كفرَ[١] الإسلامِ لهم مثلاً في ما ينالهم فيه من الشدائد والخوف . وما يستضيئون به من البرق مثلاً لما يستضيئون به من الإسلام. وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونَه من القتل؛ بدلالة قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

وقال ابن عبّاس : الصَيِّب القطرِ . وقال عطاء : هو المطر . وبه قال ابن مسعود وجماعة من الصحابة، وبه قال قَتادة. وقال مجاهد: الصيِّب: الربيع[٣].

وتأويل الآية : إنّ مَثَلَ استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام ـ مع استسرارهم الكفر ـ مِثْل استضاءة مُوقِدِ نارٍ بضوء ناره . أو كمثل مطرٍ مظلمٍ وَدْقُه يجري منَ السماءِ ، تحمله مُزنَةٌ ظلماء في ليلة مظلمة .

فإن قيل : إنْ كان المَثَلان للمنافقين فلِمَ قال : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ و﴿أَوْ﴾ لا تكون إلّا للشكّ؟ وانْ كان مثلهم واحداً منهما ، فما وجه ذكر الآخر

↩ الأطراف . مغدق : كثير جاري . الوابل : المطر الشديد ذو القطر الكبار .

الشاهد فيه : استعمال الصيّب وارادة المطر .

(١) في «خ» دين . ولا يصحّ ؛ إذ هو خلاف للمدّعى . والجملة التالية تدلّ عليه .

(٢) سورة المنافقون ٦٣ : ٤ .

(٣) الآراء تجدها في صحيفة عليّ بن أبي طلحة : ٨٠ ت ١٠ ، تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس : ٥ ، تفسير مجاهد بن جبر : ١٩٧ ، تفسير الحسن البصريّ ١ : ٧٤ ، تفسير الشهيد زيد بن عليّ : ٧٩ ، تفسير سفيان الثوريّ : ٤١ ، تفسير الصنعانيّ ١ : ٢٥٩ ، غريب القرآن لليزيديّ : ٦٥ ت ١٩ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٢ ت١٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٥٤ ت ١٨٠ ، غريب القرآن للسجستانيّ : ٢٣٨ ، تفسير المشكل : ٨٧ ت ١٩ ، النكت والعيون ١ : ٨١ ، تفسير الهوّاري ١ : ٨٧ .

بـ﴿أَوْ﴾ وهي موضوعة للشكّ من المخبر عمّا أخبر به؟

قيل: إنّ ﴿أَوْ﴾ قد تستعمل بمعنىٰ الواو، كما تستعمل للشكّ بحسب ما يدلّ سياق الكلام عليه[1].

قال توبة بن الحُمَيِّر[2]:

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلىٰ بأنّيَ فاجِرٌ! لِنَفْسِي تُقاها أَوْ عَلَيْها فُجُورُها[3] [١١٤]

ومعلوم أنّ تَوْبَة لم يقل ذلك علىٰ وجه الشكّ، وإنّما وضعها موضع الواو.

وقال جرير:

نالَ الخِلافَةَ أَوْ كانَتْ لَهُ قَدَراً كَما أَتىٰ رَبَّهُ مُوسىٰ علىٰ قَدَرِ[4] [١١٥]

---

(١) للتوسعة في هذا الموضوع ينظر: معاني الحروف: ٧٧، الأزهية في علم الحروف: ١١٣، المقتضب للمبرّد: انظر الفهرست ٣: ١٢٤، الإنصاف: ٤٧٨، م٦٧، الأضداد للأنباريّ: ٢٧٩ ت ١٧٨، أمالي المرتضى ٢: ٥٧، أمالي القاليّ ١: ١٣١، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٢٩، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٧٣، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٢١١، مغني اللبيب ١: ٨٨، شرح شواهد المغني للسيوطيّ ١: ١٩٤ وما بعده، شرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ ٢: ٢٠، وغيرها كثير.

(٢) تَوْبَة بن الحُمَيِّر، أبو حرب الخفاجيّ، من شعراء العصر الأُمويّ شجاع، عُدّ في شعراء اللصوص؛ لكثرة غاراته، اشتهر بصاحبته ليلىٰ الأَخْيَلِيَّة إذ كان بينهما من الحبّ والهيام العذريّ ما كان. قتل عام: ٨٥هـ، وقيل غير ذلك.

ترجمته في الأغاني ١١: ٢٠٤، تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٦ ت ١٤٦، الشعر والشعراء ١: ٤٤٥ ت ٧٨.

(٣) البيت ٣٤ من قصيدة برقم ١ في الديوان: ٢٧. هذا وقد استشهدت به أغلب المصادر المذكورة في الهامش الأسبق.

المعنىٰ واضح.

الشاهد فيه: استعمال «أو» بمعنىٰ «و».

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها الشاعرُ عمرَ بن عبدالعزيز عند ما تسنّمَ سدّة الحكم.

ومثله كثير.

وقال الزجّاج: معنىٰ ﴿أَوْ﴾ في الآية التخيير، كأنّه قال: إنّكم مخيّرون بأنْ تُمثّلوا المنافقين تارةً بمُوقِد النار، وتارة بمنْ حَصَل في المطر. كما يقال: جالس الحسن أو ابن سيرين[1]. أي: أنتَ مخيَّر في مجالسة من شئت منهما[2].

والرّعد، قال قوم: هو مَلَكٌ موكّل بالسَّحاب يُسبِّح. روي ذلك عن مجاهد وابن عبّاس، وأبي صالح. وهو المروي عن أئمّتنا عليهم السلام.

وقال قوم: هو ريح يختنق تحت السماء. رواه أبو الجَلْد[3]. عنه

المعنىٰ: إنّ الممدوح ـ عمر ـ تسنّم سُدَّة الحكم والخلافة إمّا: استحقاقاً، أو أنها كانت مقدّرةً له من غير إرادة منه ولا طلب؛ حاله حال النبيّ موسى عليه السلام عندما نودي.

الشاهد: استعمال «أو» محلّ «و».

وقد اختلف في ضبطه بما يخرجه عن الاستشهاد فورد «اذ كانت، أو كانت، بلى كانت»، فعلىٰ رواية المصنّف رحمه الله ورد في: الأزهية في علم الحروف: ١١٤، أمالي الشريف المرتضىٰ ٢: ٥٧، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٧٤، الجنىٰ الداني في حروف المعاني: ٢٣٠، شرح ابن عقيل ٢: ٢٣٣ ش ٢٩٦، مغني اللّبيب ١: ٨٩ ش ٩٥، شرح أبيات مغني اللبيب ٢: ٢٠ ش ٨٧، وغيرها. وأمّا علىٰ الرواية الثانية وذلك بإبدال «أو» بـ«إذ»، انظر: القصيدة ٧٣ بيت ٢١ من الديوان ١: ٤١٢ بشرح محمّد ابن حبيب.

(١) محمّد بن سيرين، أبو بكر الأنصاريّ، مولى أنس بن مالك خادم النبيّ صلى الله عليه وآله، أبوه من سبي جَرْجَرايا، ولد آخر حكومة عمر بن الخطاب، سمع من أبي هريرة وعمران بن حصين وشريح، روىٰ عنه جمع منهم: قتادة، وأيوب، والحذاء، توفي عام: ١١٠هـ.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ٤: ٦٠٦ ت٢٤٦، وفيات الأعيان ٤: ١٨١ ت٥٦٥، تاريخ بغداد ٥: ٣٣١ ت٢٨٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٩٦، بتصرّف.

(٣) بمعنى: إنّ أبا الجَلْد هو راوي النصّ، وعنه نقل ابنُ عبّاس والقومُ.

ابن عبّاس.

وقال قوم: هو صوت اصطكاك أجرام السحاب[1].

فمن قال: إنّه ملَكٌ، قدّر فيه صوته، كأنّه قال: فيه ظلماتٌ وصوتُ رعْدٍ؛ لأنّه روي أنّه يزعَق به كما يزعَق الراعي بغنمه.

والصَّيّب إذا كان مطراً، والرّعد إذا كان صوتَ ملَك كان يجبُ أنْ يكون الصوتُ في المطر؛ لأنّه قال: ﴿فِيهِ﴾ والهاء راجعة إليه، والمعلوم خلافُه؛ لأنّ الصوت في السَّحاب، والمطر في الجوّ إلىٰ أنْ ينزل.

ويمكن أنْ يجاب عن ذلك بأنْ يقال: لا يمتنع أن يحلَّ الصوتُ المطرَ حين انفصاله من السحاب، ولا مانع يمنع منه.

ويحتمل أن يكون المراد بـ«في» «مع»؛ كأنّه قال: معه ظلمات ورعد. وقد بينّا جوازه في ما مضىٰ.

↵ وأبو الجَلْد: جيلان بن أبي فروة ـ وقيل: بن فروة ـ الأسديّ البصريّ الجونيّ مشهور بكنيته، قيل: إنّه من هجر، عدّ ممّن له اطّلاع علىٰ كتب القدماء والتوراة وغيرها، وثّقه أحمد.

مصادر ترجمته كثيرة، منها: لسان الميزان ٢: ٢٦٢ ت٢١٨٢، المؤتلف والمختلف للدارقطنيّ ١: ٥١٢ ومصادرهما.

(١) للأئـمّة عليهم السلام انظر للمثال: من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣٤ الأحاديث ١٤٩٩ ـ ١٥٠٢، تفسير العيّاشيّ ٢: ٣٨٤، ح٢٢٠٢ وغيرها.

ولباقي الآراء ينظر مثلاً: النكت والعيون ١: ٨٢، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٥٤ ت ١٨٥ ـ ١٩٤، تفسير جامع البيان ١: ١١٧.

ومن اللّغة: العين ٢: ٣٣، الجمهرة ١: ٦٣٢، تهذيب اللّغة ٢: ٢٠٧، المحيط في اللّغة ١: ٤٢١، الصحاح ٢: ٤٧٤، مجمل اللّغة ٢: ٣٨٥، عمدة الحفّاظ ٢: ٩٧، غريب القرآن للطريحيّ: ١٩٣، «رَعَدَ» فيها.

وأمّا البرق، فمرويّ عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «مَخارِيقُ الملائكة من حديد، تضرب بها السحاب، فتنقدح عنه النّار»(١).

وروي عن ابن عبّاس: إنّه سَوطٌ من نور يزجر به المَلَكُ السحابَ.

وقال قوم: إنّه ما رواه أبو الجَلْد(٢). عنه ابن عبّاس(٣).

وقال مجاهد: هو مَصْعُ مَلَك.

والمِصاع: المجالدة بالسيوف وبغيرها. قال أعشىٰ بني ثعلبة(٤) يصف جواري لعبْن بُحلِيِّهِنَ:

إذا هُـنَّ نـازَلْنَ أَقْـرانَـهُنّ ... وَكانَ المَصاعُ بما فِي الجُـؤنْ(٥) [١١٦]

يقال منه: ماصَعَهُ مُصاعاً(٦).

---

(١) رواها عن أمير المؤمنين تارة، وأخرى عن أبي عبدالله عليه السلام بسندهم جمع منهم: الشيخ العيّاشيّ في تفسيره ٢: ٣٨٤ ح٢٢٠٢ والفقيه الصدوق في من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣٤ ح١٤٩٩، والشيخ الكلينيّ في الكافي ٨: ٢١٨ ح٢٦٨، والثعلبيّ في الكشف والبيان ١: ١٦٤، والحافظ البيهقيّ في سننه الكبرى ٣: ٣٦٣، وغيرهم، وفي البعض صدر الحديث، وفي أغلبها بتفاوت.

(٢) لاحظ الهامش ٣ صفحة: ٢٧٨.

(٣) تفسير جامع البيان ١: ١١٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٥٥ ت١٧٨.

(٤) هو الأعشىٰ الكبير، وقد تقدّم في الشاهد رقم ١١.

(٥) البيت ١٩ من قصيدة برقم ٢ من الديوان: ٦٧.

الجُؤن: جمع جؤنة، السفط فيه طيب.

يريد الشاعر: إنَّ الجواري حين تهيئن للنزال والمصاع كان سلاحهن ما في الجؤن من الطيب. وبه غلبن الأقران من الشباب وصرعنهن.

الشاهد: استعمال ما في الجؤن للمصاع.

(٦) أُشير إلىٰ الآراء في: تفسير مجاهد: ١٩٧، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٥٤ ت١٨٥ ـ

والمعاني متقاربة؛ لأن قول عليّ عليه السلام: «إنّه مخاريق»، وقول ابن عبّاس: إنّه سياط، يتقاربان. وما قال مجاهد: إنّه مُصاع، قريب؛ لأنّه لا يمتنع أنّه أراد مُصاع الملك بذلك، وإزْجاره به.

و: ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾:

جمع صاعِقَة، وهو الشديدُ من صوت الرَّعْد، فتقع منه قِطْعَةُ نار تُحرق ما وقعت فيه. والصّاعِقَة: صَيْحَةُ العَذاب. والصُّعاق: الصّوتُ الشَّديدُ للثَّور والحمار، يقال: صَعَقَ صُعاقاً. والصَّعْقُ: الموت من صوت الصّاعِقة. والصَّعْقُ: الغَشْيُ منْ صَوْتِ الصّاعقة. صَعِقَ فهو صَعِقٌ[1]. ومنه قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً﴾[2].

وروىٰ شهر بن حوشب[3]: إنّ الملَك إذا اشتّد غضبه، طارت النار

↩ ١٩٤، النكت والعيون ١: ٨١ ـ ٨٢، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٥٤، مسند أحمد ابن حنبل ١: ٢٧٤، سنن الترمذيّ ٥: ٢٩٤ت ٣١١٧، سيرة ابن هشام ٢: ١٧٩.

واللّغة «مَصَعَ» ينظر لها: العين ١: ٣١٧، جمهرة اللّغة ٢: ٨٨٨، تهذيب اللّغة ٢: ٦٢، المحيط في اللّغة ١: ٣٤٥، الصحاح ٣: ١٢٨٥، غريب الحديث لابن الجوزيّ ٢: ٣٦٢، عمدة الحفّاظ ١: ١٨١، غريب القرآن للطريحيّ: ١٩٣.

(١) انظر اللّغة في: العين ١: ١٢٨، تهذيب اللّغة ١: ١٧٧، المحيط في اللّغة ١: ١٣٧، الصحاح ٤: ١٥٠٦، مجمل اللّغة ١: ٥٣٣، مفردات الفاظ القرآن: ٤٨٤، «صَعَقَ» فيها.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

(٣) شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعريّ الشاميّ، من دمشق وقيل: من حمص، مولىٰ أسماء بنت يزيد الأنصارية، حدّث عنها وعن ابن عبّاس وغيرهم. وعنه قتادة ↩

من فيه، فهي الصواعق.

وقيل: إنّ الصواعق نار تنقدح من اصطكاك الأجرام.

وقريش وغيرهم من الفصحاء يقولون: صاعِقَة وصَواعِقْ، والقوم يُصْعَقُون. وتميم وبعض ربيعة يقولون: صواقِع، والقوم يُصْقَعُون[١].

وفي تأويل الآية، وتشبيه المثل أقاويل:

[الأوّل:] فروي عن ابن عبّاس: إنّه مثلٌ للقرآن. شبّه المطر المُنزَل من السّماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما فيه من البيان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلاً، والدعاء إلىٰ الجهاد عاجلاً.

[والثاني:] وقيل: إنّه مثل للدنيا وما فيها من الشدّة والرخاء والبلاء، كالصيّب الذي يجمع نفعاً وضرراً، وإنَّ المنافق يدفع عاجلَ الضرر بطلب آجل النفع.

[والثالث:] وقيل: إنّه مثلُ للقيامة لما يخافونه من وعيد الآخرة؛ لشكّهم في دينهم.

وما فيه من البرق بما فيه من إظهار الإسلام، من حقن دمائهم، ومناكحتهم، ومواريثهم.

ﷺ ومقاتل و غيرهم كثير، ولد في فترة حكومة عثمان، وطلب العلم عن خمسين عام زمن حكومة معاوية. توفي عام: ١٠٠هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: تاريخ دمشق ٢٣: ٢١٧ ت ٢٧٦٩، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٣٧٢ ت ١٥١.

(١) انظر هامش: ١ المتقدم، والكامل للمبرّد ٣: ١٢٥٨، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٩٤، مختصر في شواذّ القرآن: ١١ علىٰ أنّها قراءة.

وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل.

[والرابع:] وقيل: إنّه ضرب الصيّب مثلاً بظاهر إيمان المنافق. ومَثّل ما في الظلمات بضلالته. وما فيه من البرق بنور إيمانه. وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه(١).

والوجه الأخير أشبه بالظاهر، وأليق بما تقدّم.

وروي عن ابن مسعود، وجماعة من الصحابة: إنّ رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله ﷺ، فأصابهما المطر الذي ذكره الله، فيه رعدٌ شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلّما أضاء لهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرِقِ(٢) أن تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأقاما مكانهما لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمّداً، فنضع أيدينا في يده. فأصبحا فأتياه، فأسلما وحسن إسلامهما(٣).

---

(١) تجدها مجتمعة ومتفرّقة في: صحيفة عليّ بن أبي طلحة: ٧٩ ـ ٨٠، تفسير محمّد بن إسحاق: ١٥ ت ١٧، تفسير الصنعانيّ ١: ٤٠ ـ ٤٩، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٧٩، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٨٦ ـ ٨٨، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٥٠ ـ ٥٨ ت ١٥٨ ـ ٢٠٩، النكت والعيون ١: ٨٢ ـ ٨٣، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٥٣ ـ ٥٥.

(٢) الفَرِقْ: تفرّق القلب من شدة الخوف والفزع، يقال: رجل فَرِقْ: فزع شديد الفَزَعْ. انظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٦٣٤، العين ٥: ١٤٧، تهذيب اللّغة ٩: ١٠٣، لسان العرب ١٠: ٢٩٩، تاج العروس ١٣: ٣٩٣، «فَرَقَ» فيها.

(٣) تجدها في: جامع البيان ١: ١١٩، تفسير بحر العلوم ١: ١٠، المحرّر الوجيز ١: ١٣٦، فتح القدير ١: ٤٩، الدرّ المنثور ١: ١٧٠ وما بعدها.

فضرب الله شأن هذين المنافقين مثلاً لمنافقي المدينة؛ وأنّهم إذا حضروا النبيّ ﷺ، جعلوا أصابعهم فرقاً من كلام النبيّ ﷺ أن ينزل فيهم شيء، كما كان ذانك المنافقان يجعلان أصابعهما في آذانهما. وإذا ﴿**أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ**﴾: يعني إذا كثرت أموالهم، وأصابوا غنيمة وفتحاً مشوا فيه، وقالوا: دين محمّد ﷺ صحيح. ﴿**وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ**﴾ يعني إذا هلكت أموالهم، ووُلد البنات، وأصابهم البلاء، قالوا: هذا من أجل دين محمّد ﷺ، وارتدّوا، كما قام ذلك المنافقان إذا أظلم البرق عليهما.

ويقوي عندي أنّ هذا مثل آخر ضربه الله تعالىٰ بالرعد والبرق لما هم فيه من الحيرة والالتباس. يقول: لا يرجعون إلىٰ الحقّ إلّا خَلْساً كما يلمع البرق، ثمّ يعودون إلىٰ ضلالهم وأصلهم الذي هم عليه ثابتون وإليه يرجِعون. والكفر: كظلمة الليل، والمطر الذي يعرضُ في خلالهما البرق لمعاً. وهم في أثناء ذلك يحذرون الوعيد والعذاب العاجل إن أظهروا الكفر، كما يحذرون الصواعق من الرعد، فيضعون أصابعهم في آذانهم ارتياعاً وانزعاجاً في الحال ثمّ يعودون إلىٰ الحيرة والضلال.

﴿**حَذَرَ ٱلْمَوْتِ**﴾:

نصب علىٰ التمييز، وتقديره: من حذر الموت. ويجوز أنْ يكون نصباً؛ لأنّه مفعول له، فكأنّه قال: يفعلون هذا لأجل حذر الموت. ويحتمل أن يكون نصباً علىٰ الحال.

والمَوْتُ: ضدّ الحياة. والإماتَة: فِعْلُ الموت[1]. والمِيْتَةُ: ما لم تُدْرَكْ

(١) الجملة أُثبتت من: «خ، س». وفي الحجريّة: فعلٌ يعدّ الموتَ. وأمّا هامشه والنسخ: «هـ، ؤ، ل»: بعد.

ذَكاتُه. والمِيتَةُ: هو الموتُ علىٰ حالٍ مخصوص، مِنْ ذلك مِيتَةُ سُوءٍ. والمُوتان: وُقُوعُ الموتِ في المواشي. ومَوَّتَتِ المواشي: إذا كثُر فيها الموت. ومَوْتانُ الأرض: التي لم تزرع[1].

والحَذَرُ: طلبُ السلامة من المَضَرَّة. وحَذَّرَهُ تَحْذِيراً، وتَحَذَّرَ تَحَذُّراً، وحاذَرَهُ مُحاذَرَةً، والحِذْرِيَةُ: المكانُ الغليظ؛ لأنّه يُتَحَذَّرَ منه[2].

وقوله: ﴿مُحِيطٌ بالْكَـٰفِرِينَ﴾:

يحتمل أمرين:

أحدهما: إنّه عالم بهم، وإن كان عالماً بغيرهم؛ وإنّما خصّهم لما فيه من التهديد.

والثاني: إنّه المقتَدر عليهم، وإن كان مقتدراً علىٰ غيرهم؛ لأنّه تقدّم ذكُرهم، ولما فيه من الوعيد.

والمحيط: القادر. قال الشاعر:

أحَطْنا بِهِمْ حتّىٰ إذا ما تَيَقَّنُوا ... بِما قَدْ رَأَوْا مالُوا جَمِيعاً إلىٰ السِّلْمِ[3] **[١١٧]**

---

(١) انظر: المحيط في اللّغة ٩: ٤٧٩، الصحاح ١: ٢٦٦. ولاحظ تهذيب اللّغة ١٤: ٣٤٢، العين ٨: ١٤٠، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٧٨١ «مَوَتَ» فيها. وانظر تثقيف اللّسان: ٣٤١ و٣٢٢ وفيه: المُوتان والمُوات: الطاعون، وهو بالضمّ للميم ولا يفتح.

(٢) بتصرف للمناسبة عن: تهذيب اللّغة ٤: ٤٦٢، المحيط في اللّغة ٣: ٦٥، الصحاح ٢: ٦٢٦، مجمل اللّغة ١: ٢٢٣، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٢٣، «حَذَرَ» فيها، وانظر معاني القرآن ٢: ٢٨٠، عمدة الحفّاظ ١: ٣٨٣.

(٣) لم نهتد لقائله ولا من استشهد به قبل الشيخ المصنّف ﷺ.

الشاهد: استعمال الإحاطة بمعنىٰ الحصر والقدرة علىٰ العدو.

أي قدرنا عليهم.

فأمّا الإحاطة بمعنىٰ: كون الشيءِ حولَ الشيء ممّا يحيط به، فلا يجوز علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنّها من صفات الأجسام، والذي يجوز الإحاطة بمعنىٰ: الاقتدار والمُلك. كما يقال: أحاط مُلْكه بمال عظيم، يعنون أنّه يملك مالاً عظيماً.

ويقال: حاطَه يحُوطُه حَوْطاً: إذا حفظه من سوء يلحقه، ومنه الحائط؛ لأنّه يحيط بما فيه. وأحاط به: جعل عليه كالحائط الدائر. والاحتياط: الاجتهاد في حفظ الشيء[1].

قوله تعالىٰ:

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آية (٢٠).

معنىٰ ﴿ يَكَادُ ﴾:

يقارب، وفيه مبالغةٌ في القُرب. وحذفت منه أنْ؛ لأنّها للاستقبال.

قال الفرزدق:

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ[2] [١١٨]

---

(١) انظر العين ٣: ٢٧٦، جمهرة اللّغة ١: ٥٥٢، تهذيب اللّغة ٥: ١٨٤، المحيط في اللّغة ٣: ١٧٥، الصحاح ٣: ١١٢١، مجمل اللّغة ١: ٢٥٨، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٦٥، «حَوَطَ» فيها.

(٢) من قصيدة عصماء أنشدها ارتجالاً في مدح الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام

﴿ يَخْطَفُ ﴾ :

فيه لغتان، يقال: خَطِفَ يَخْطَفُ، وخَطَفَ يَخْطِفُ. والأوّل أفصح، وعليه القُرّاء[1].

وروي عن الحسن: يَخِطِف بكسر الخاء وكسر الطاء.

ويُروى: يِخِطِف بكسر الياء والخاء والطاء.

والخَطْفُ: السَلْب، ومنه الحديث أنّه: نهى عن الخَطْفَة[2]. يعني: النُّهْبَة.

ومنه قيل للخُطّاف ـ الذي يُخرج به الدلو من البئر ـ: خُطّاف؛ لاختطافه واستلابه[3]. قال نابغة بني ذبيان:

ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وبمحضر من حاكم وقته الأُمويّ هشام بن عبد الملك، وفي المسجد الحرام وحوله رجالات الشام، والقصيدة وقصتها ـ معروفتان مشهورتان ـ غيرتا مسار حياة الفرزدق. وتقدّمت ترجمته في صحيفة: ٩٧ ضمن الشاهد ٣٠.

الركن: إشارة إلىٰ الركن الذي فيه الحجر الأسود. الحطيم: ما بين ركن الحجر وباب الكعبة؛ لتحطيم الناس بعضُهم بعضاً؛ للاستجارة والدعاء وطلب المغفرة.

الشاهد فيه: استعمال لفظة «يكاد» من دون «أن».

انظر: الديوان ٢: ١٧٨.

(١) انظر: السبعة في القراءات: ١٤٨، مختصر في الشواذّ: ١١، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ٣٩٠، حجّة القراءات: ٤٧٦، المحتسب ١: ٥٩، معاني القرآن للفرّاء ١: ١٧، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٠٩، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ٩٥، إعراب القرآن للنحّاس ١: ١٩٥، التبيان في إعراب القرآن ١: ٣٦، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ٢٣، وإعراب القراءات الشواذّ ١: ١٣٠ بتفصيل.

(٢) سنن الدارميّ ٢: ٨٥، مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٩٥، و٦: ٤٤٥.

(٣) العين ٤: ٢٢٠، جمهرة اللّغة ١: ٦٠٩، تهذيب اللّغة ٧: ٢٤١، المحيط في اللّغة ٤: ٢٩١، الصحاح ٤: ١٣٥٢، مجمل اللّغة ١: ٢٩٤، «خطف».

خَطاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبالٍ مَتِينَةٍ تَـمُدُّ بـها أيْدٍ إلَيْكَ نَـوازِعُ[١] [١١٩]

جعَلَ ضوء البرق وشِدّة شعاع نوره، كضوء إقرارهم بألسنتهم بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله، واليوم الآخر.

ثمّ قال: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾:

يعني: كلّما أضاءَ البرق لهم، وجعلَ البرقَ مثلاً لإيمانهم، وإضاءَةُ الإيمان: أنْ يروا فيه ما يعجبهم في عاجل دنياهم، من إصابة الغنائم والنصرة علىٰ الأعداء، فذلك إضاءته لهم؛ لأنّهم إنّما يُظهرون بألسنتهم ما يُظهرونه من الإقرار ابتغاء ذلك، ومدافعة عن أنفسهم وأموالهم، كما قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾[٢].

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾:

يعني: ضوءُ البرق علىٰ السائرين في الصيِّب الذي ضربه مثلاً للمنافقين.

---

(١) من قصيدة يمدح بها النعمان معتذراً إليه عمّا صدر منه، وهاجياً مُرّة بن الربيع بن قريع.

خطاطيف: جمع خطّاف، الحديدة تجعل نهاية الحبل؛ لرفع الدلو وغيره. الحجن: الانحناء والاعوجاج. نوازع: جواذب.

يقول مخاطباً النعمان: لقد ضاقت بي الدنيا حتّىٰ كأنّني في بئر من شدّة الضيق مادّاً إليك يدي توسط الخطاف والحبال القوية.

الشاهد: ما أفاده الشيخ المصنّف ﷺ.

الديوان: ٧٨.

(٢) سورة الحجّ ٢٢: ١١.

وإظلام المنافقين: أنْ يروا في الإسلام ما لا يعجبهم في دنياهم؛ من ابتلاء الله المؤمنين بالضَّرّاء، وتمحيصه إيّاهم بالشدائد والبلاء من إخفاقهم في مغزاهم، أو إدالة عدوّهم منهم، أو إدبار دنياهم عنهم؛ أقاموا علىٰ نفاقهم، وثبتوا علىٰ ضلالهم، كما ثبت السائرون في الصيِّب ـ الذي ضربه مثلاً ـ إذا أظلم وخفَتَ ضوء البرق، فحار في طريقه، فلم يعرف منهجه.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾:

إنّما خصّ الله تعالىٰ ذكر السمع والبصر ـ بأنّه لو شاء لذهب بها دون سائر أعضائهم ـ لِما جرىٰ من ذكرهما في الآيتين من قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾، وفي قوله: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ فلمّا جرىٰ ذكرهما علىٰ وجه المثل، عقّب بذكر ذلك بأنّه لو شاء أذهبه من المنافقين عقوبة لهم علىٰ نفاقهم وكفرهم، كما توعّد في قوله: ﴿مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله: ﴿بِسَمْعِهِمْ﴾:

قد بيّنّا في ما تقدّم[1]، أنّه: مصدر يدلّ علىٰ الجمع. وقيل: إنّه واحد موضوع للجمع، فكأنّه أراد: بأسماعهم، قال الشاعر:

كُلُوا في نصف بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ... فإنّ زَمانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ[2] [١٢٠]

---

(١) ضمن تفسير الآية ٧، من سورة البقرة.

(٢) من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سيبويه، وهو أقدم من ذكرها، ولا يعلم لها ↵

أراد: البطون.

ويقال: ذَهَبْتُ به، وأذْهَبْتُه. وحكي: أَذْهبُ به، وهو ضعيف، ذكره الزجّاج[١].

والمعنىٰ: ولو شاء الله لأظهر علىٰ كفرهم فدمرّ عليهم وأهلكهم؛ لأنـه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر، وفيه مبالغة.

قوله تعالىٰ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ آية (٢١).

↲ قائل حتىٰ علىٰ الاحتمال.

وقد اختلف في روايته بما لا يضرّ مورد الشاهد منه.

كلوا في بعض بطنكم: يريد كلوا ولا تشبعوا، يقال: أكل في بعض بطنه، أي: دون الشبع. ويقال: أكل في بطنه، أي: امتلأ وشبع.

الخميص: الجائع، ويريد هنا أنّ الزمن زمن جدب ومخمصة وقحط.

والمعنىٰ: يطلب منهم قلّة الأكل مراعاة لجدب الزمان وقحطه.

الشاهد فيه: إطلاق المفرد وإرادة الجمع منه في قوله بطنكم أي بطونكم. وهو مورد الشاهد لدىٰ الجميع.

انظر: الكتاب ١: ٢١٠، معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٠٧ و٢: ١٠٢، معاني القرآن للأخفش ١: ٤٣٧، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٥: ٩٣، إعراب القرآن للنحّاس ٤: ١٠٨، المقتضب ٢: ١٧٢، أُصول النحو ١: ٣١٣، المحتسب ٢: ٨٧، الصاحبيّ: ٣٤٨، المخصّص ١: ٩٠، و٢: ٢٨٤، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١: ٣١٠، المفصّل: ٢١٣، أمالي ابن الشجريّ ٢: ٤٨م ٣٨، شرح المفصّل ٥: ٨ و٦: ٢١، ٢٢، ضرائر الشعر: ٢٥٢، البسيط في شرح جمل الزجّاجي ١: ٥٢٣ ت ١٠٨.

(١) معاني القرآن للزجّاج ١: ٩٦.

أفصح اللُّغات فتح الهاء من ﴿يَا أَيُّهَا﴾ . وبعض بني مالك من بني أسد رهط شقيق بن سلمة[١] يقولون: يا أيُّهُ الناس ويا أيتُهُ المرأة ويا أيُهُ الرجل. ولا يقرأ بها. ومن رفعها توهّمها آخر الحروف.

وقد حذفت الألف في الكتابة من ثلاثة مواضع: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[٢] وسنذكر خلاف القرّاء في التلفّظ به[٣].

وروي عن علقمة[٤] والحسن: إنّ كلّما في القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نزل بالمدينة، وما فيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ﴾ نزل بمكّة[٥].

---

(١) مع كثرة التتبّع والبحث في المضانّ ـ الأدبية والرجالية ـ لم نعثر إلّا علىٰ:

أبو وائل شقيق بن سلمة الأسديّ الخزيميّ شيخ الكوفة، مخضرم أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله ولم تثبت له صحبة روىٰ عن جمع منهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعنه روىٰ خلق كثير. توفي عام: ٨٢هـ بعد وقعة الجماجم وقيل غير ذلك.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ٤: ١٦١ ت ٥٩ ومصادره.

هذا ولم نجد دليلاً علىٰ كونه المراد؛ لعدم العثور على مؤيد.

(٢) علىٰ التوالي: سورة النور ٢٤: ٣١، سورة الزخرف ٤٣: ٤٩، سورة الرحمن ٥٥: ٣١.

(٣) في مواردها.

(٤) عَلْقَمَة بن قيس النَخَعيّ الكوفيّ، أبو شبل. روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان وعمّار وعثمان وغيرهم، وعنه روىٰ كثيرون. لازم ابن مسعود وأخذ القراءة والفقه عنه حتّىٰ عُدّ فقيه الكوفة بعده. توفي عام ٦٢ هـ.

ترجمته في: طبقات القرّاء ١: ٢٩ ت ١٥، وسيَر أعلام النبلاء ٤: ٥٣ ت١٤ ومصادرهما.

(٥) الوسيط للنيسابوريّ ١: ٩٧، ونسبه السمعانيّ في تفسيره ١: ٥٦ والبغويّ في

واعلم أنّ «أيّاً» اسم مبهم ناقص جُعل صلةً إلىٰ نداء ما فيه الألف واللّام ويلزمه «ها» التي للتنبيه؛ لابهامه ونقصه.

وأجاز المازِنيّ[1]: يا أيُّ الظريف، قياساً علىٰ: يا زيد الظريف. ولم يجزه غيره؛ لأنّ «أيّاً» ناقص، والنصب عطفاً علىٰ الموضع بالحمل علىٰ المعنىٰ، ولا يحمل علىٰ التأويل إلّا بعد التمام. وهذا هو الصحيح عندهم.

وهذه الآية متوجّهة إلىٰ جميع الناس: مؤمنهم وكافرهم؛ لحصول العموم فيها. إلّا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والأطفال.

وروي عن ابن عبّاس أنه قال: قوله ﴿**ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ**﴾: أي: وحّدوه[2].

↰ معالمه ١: ٥١ لابن عبّاس، وابن عطية في المحرّر الوجيز ١: ١٤٠ إلىٰ مجاهد، وانظر: المستدرك للحاكم ٣: ١٨، وتلخيصه للذهبيّ ٣: ١٨.

وللتوسعة ومعرفة الآراء والعلامات ينظر: البرهان في علوم القرآن ١: ١٨٧، الإتقان في علوم القرآن ١: ٣٦، التهميد في علوم القرآن ١: ١٢٩، أضف مقدّمات أغلب التفاسير.

(١) بكر بن محمّد بن بقية ـ عدي ـ بن خبيت، أبو عثمان المازنيّ، النحويّ، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعيّ وأبي زيد، وعليه تَلْمذ المبرّد والورّاق وغيرهم، له: ما يلحن فيه العامّة، الألف واللّام، التصريف وشرَحه ابن جنّي، العروض. توفي عام: ٢٤٨ هـ بالبصرة.

له ترجمة في: إنباه الرواة ١: ٢٨١ ت ١٥٥، تاريخ بغداد ٧: ٩٣ ت ٣٥٢٩، الوافي بالوفيات ١٠: ٢١١ ت ٤٦٩٨.

(٢) تفسير السمعانيّ ١: ٥٦، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٦٠ ت ٢١٦، معالم التنزيل ١: ٥١. وفي تفسير بحر العلوم ١: ١٠١، وتفسير محمّد بن إسحاق: ١٦، وسيرة ابن هشام ٢: ١٨٠: من دون نسبة.

وقال غيره: ينبغي أنْ يحمل علىٰ عمومه في كلّ ما هو عبادة لله: من معرفته، ومعرفة أنبيائه، والعمل بما أوجبه عليهم وندبهم إليه. وهو الأقوىٰ.

(وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

أي: لعلّكم تتّقوا عذابه بفعل ما أوجبه عليكم كما قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

وقال مجاهد: ﴿تَتَّقُونَ﴾: تطيعون[2].

والأوّل أقوىٰ.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

في موضع نصب؛ لأنّه عطف علىٰ الكاف والميم في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾. وهو مفعول به.

و: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾:

أي: مَنْ تقدّمَ زَمانَكم من الخلائق والبشر.

والخَلْق: هو الفِعْل علىٰ تقدير. فـ: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾[3] فَعَلَها علىٰ تقدير ما تدعو إليه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان، ومثله الرزق.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٣١.

(٢) تفسير مجاهد: ١٩٧ ورواه عنه الطبريّ في تفسيره ١: ١٢٥، تفسير سفيان: ٤٢٠ ت ٤، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٦٠ ت ٢٢٠.

(٣) سورة العنكبوت ٢٩: ٤٤.

والخُلْقُ: الطَّبْع. والخَلِيقَةُ: الطبيعة. وخَليقٌ بهِ: شبيه به. والخَلاقُ: النصيب. والاخْتِلاقُ: افْتِعال الكذب. والخَلِقُ: البالي. والأخْلَقُ: الأمْلَس)[1][2].

ومعنىٰ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لكي تتّقوا. وقال الشاعر:

[١٢١] وَقُلْتُمْ لَنا: كُفُّوا الحرُوبَ؛ لَعَلَّنا ... نَكُفُّ! وَوَثَّقْتُمْ لَنا كُلَّ مَوْثِقِ

فَلَمّا كَفَفْنا الحَرْبَ كانَت عُهُودُكُمْ ... كَلَمْحِ سَرابٍ في الفَلا مُتَأَلِّقِ[3]

يعني، قلتم لنا: كفّوا لنكفّ؛ لأنّه لو كان شاكّاً لما كانوا وثقوا كلّ مَوْثق. ويقول القائل: اقبل قَولي لَعَلَّكَ ترشد. (ليس أنّه من ذلك في شكّ وانّما يريد: اقْبَلْهُ ترشد)[4]، وإدخاله «لعلّ» ترقيق للموعظة وتقريب لها

---

(١) ما بين القوسين ـ أي: من قوله: وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ـ مثبت طبق: «خ، هـ، الحجريّ». وقد ورد بتقديم وتأخير في «ؤ».

(٢) اللّغة ينظر لها: العين ٤: ١٥١، جمهرة اللّغة ١: ٦١٨، تهذيب اللّغة ٧: ٢٥، المحيط في اللّغة ٤: ١٩٤، الصحاح ٤: ١٤٧٠، مجمل اللّغة ١: ٣٠١، لسان العرب ١٠: ٨٥، «خَلَقَ» في الجميع.

(٣) لم ينسبا إلىٰ أحد لدى من استشهد بهما.

المعنىٰ: يخاطب الشاعر القبيلة الثانية مؤنباً لهم علىٰ عدم الالتزام بما أعطوا من مواثيق وطلباً لايقاف الحرب فإذا هم ينكثون، أو كما قيل: لترقيق الموعظة وتقريبها إلىٰ القلب لا أنّها للشكّ فإذا هم يغدرون.

الشاهد فيه: استعمال «لعلّ» بمعنى لام كي، أي مجردة عن الشك والاحتمال. وهذا أحد المعاني التي تذكر لها. انظر: الجنىٰ الداني في حروف المعاني: ٥٧٨، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٣٤ و٣٢٢.

وممن استشهد بهما لمورد الشاهد عند المصنّف ﷺ البصريّ في الحماسة البصرية ١: ٢٥ ت ٥٦، وابن الشجريّ في أماليه ١: ٧٧ م ٨، والطبريّ في جامع البيان ١: ١٢٥.

(٤) زيادة من «خ».

من قلب المَوْعُوظ[١]، ويقول القائل لأجيره: اعمل لعلّك تأخذ الأُجرة، وليس يريد بذلك الشكّ، وإنّما يريد لتأخذ أُجرتك.

وقال سيبويه: إنّما وردت «**لعلّ**» على شكّ المخاطَبين كما قال تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾[٢] وأراد بذلك الإبهام على موسى عليه السلام وهارون[٣].

وفائدة إيراد لفظة «لَعَلَّ»: هو أنْ لا يَحلّ العبدُ أبداً محلّ الآمنِ المُدِلّ؛ بل يزداد حرصاً على العمل وحذراً من تركه، وأكثر ما جاءت «لعلّ» ـ وغيرها من معاني التشكيك ـ فيما يتعلّق بالآخرة في دار الدنيا، فإذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين.

وهذه الآية يمكن الاستدلال بها على أنّ الكفّار مخاطبون بالعبادات؛ لدخولهم تحت الاسم.

وقال بعضهم: معنى قوله ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: لكي تتّقوا النّار في ظنّكم ورجائكم؛ لأنّهم لا يعلمون أنّهم يوقون النّار في الآخرة؛ لأنّ ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله قال: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ ذلك في ظنّكم ورجائكم، وأجرى «لعلّ» على العباد دون نفسه، تعالى الله عن ذلك. وهذا قريب ممّا حكيناه عن سيبويه.

و«لعلّ» في الآية يجوز أنْ تكون متعلّقة بالتقوى. ويجوز أنْ تكون

---

(١) في «ؤ، هـ»: الموعظ.

(٢) سورة طه ٢٠: ٤٤.

(٣) النقل عن سيبويه غير متطابق، وقد أشار للاستعمال جمع منهم: الزجّاج في معانيه ١: ٩٨، والمراديّ في الجنى الداني: ٥٨٠، وابن فارس في الصاحبيّ: ١٧٠.

متعلّقة بالعبادة في قوله: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾. وهو الأقوى.

قوله تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشاً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آية واحدة (٢٢).

﴿ٱلَّذِى﴾:

في موضع نصب؛ لأنّه نعت لقوله: ﴿رَبَّكُمْ﴾ في قوله: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ وهي مثل الذي قبلها. فإنّهما جميعاً نعتان لـ ﴿رَبَّكُمْ﴾.

﴿فِرَٰشاً﴾:

يعني مهاداً، أو وطاء. لا حَزْنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها.

وتقديره: اعبدوا ربّكم الخالق لكم والخالق للذين من قبلكم، الجاعل لكم الأرض فراشاً. فَذَكّر بذلك عبادَهُ نِعَمه عليهم، وآلاءه لديهم؛ ليذكروا أياديه عندهم، فيثبتوا علىٰ طاعته، تعطّفاً منه بذلك عليهم، ورأفة منه بهم، ورحمة لهم من غير ما حاجة منه إلىٰ عبادتهم؛ ولكن ليُتمّ نعمته، لعلّهم يهتدون.

وسمّي السماءُ سماءً؛ لعلوّها علىٰ الأرض، وعلوّ مكانها من خلقه، وكلّ شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء، ولذلك قيل لسقف البيت: سماء؛ لأنّه فوقه. وسمّي السحابُ سماء.

ويقال: سَمى فلانٌ لفلان، إذا أشرف له، وقصد نحوه عالياً عليه[1].

---

(١) للاطّلاع لاحظ: العين ٧: ٣١٨، جمهرة اللّغة ٢: ٨٦٢، تهذيب اللّغة ١٣:

ﷲ

قال الفرزدق:

سَمَوْنَا لِنَجْرانَ اليَمانِيِّ وَأَهْلِهِ   وَنَجْرانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقاوِلُه[1] [١٢٢]

وقال النابغة الذبيانيّ:

سَمْتْ لِيَ نَظْرَةٌ فَرَأَيْتُ مِنْها   تُحَيْتَ الخِدْرِ واضِعَةَ القِرامِ[2] [١٢٣]

↩ ١١٥، المحيط في اللّغة ٨: ٤٠٦، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦٢٠، الصحاح ٦: ٢٣٨١. وانظر: الكامل في الأدب ١: ١٩٩ و٤٧١. مادة «سمو، سما».

(١) مطلع لامية مطولة، انظر الديوان ٢: ١٦٩.

المعنىٰ: نجران: اسم للخشبة التي تدور عليها الباب قديماً، ولعدّة مواضع، وهنا لموضع بين مكّة واليمن، سمّيت باسم نجران بن زيدان بن سبا، إليها ينسب السيّد والعاقب اللذان أتيا النبيّ ﷺ ودعاهم إلىٰ المباهلة. معجم البلدان ٥: ٢٦٦، مراصد الاطّلاع ٣: ١٣٥٩.

تديث: ديث أي ذُلّ، والطريق مدّيث، أي: واضح بيّن؛ لكثرة سلوكه. مقاوله: ملوكه. واحده القَيْل اسم للملك بلغة حمير، مثل فرعون.

المعنىٰ قصدنا أهل نجران عالين ومستولين عليهم علىٰ أنّ ملكوهم ـ مقاولهم ـ وساداتهم لم يذلّوا قبلاً لغيرنا.

الشاهد: سمونا: أي أشرفنا، قصدنا.

(٢) اتفقت طبعات الديوان وبعض الشروح ـ وبعضها خال من القصيدة ـ علىٰ خلاف رواية المصنّف ﵀ حيث جاء فيها: طَمَحْتُ بنَظْرَة؛ صَفَحْتُ. ومعه لا يبقى مجال للشاهد وهذا الاختلاف بينها إن دلّ علىٰ شيء فإنّما يدلّ علىٰ احتمال صحّة رواية الشيخ ﵀ أيضاً.

سمت: أشرفت، ولاحت، أو رميت. تحيت: تصغير تحت. القرام: الستر الرقيق.

ينظر الديوان تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم: ١٣٠ ق ٢٤ ب ٤. و: ٩٣ من تحقيق عطوي. وأشعار الشعراء الستة الجاهليّين: ٢٤٩ ق ٢٤ ب ٤ وغيرها.

هذا، ومن الملاحظ أنّ الشاعر جرير استعمل هذه اللّفظة بالمعنى المراد حيث ↩

يريد بذلك: أشرفت لي نظرة وبدت.

وقال الزجّاج: كلّ ما (علا)[1] علىٰ الأرض فهو بناءٌ[2]؛ لإمساك بعضه بعضاً، فيأمنوا بذلك سقوطها.

فخَلْقُ السماء بلا عمد، وخَلْقُ الأرضِ بلا سند، يدلّ علىٰ توحيده وقِدَمه؛ لأنّ المُحدَث لا يقدر علىٰ مثل ذلك.

وإنّما قابل بين البناء وبين الفراش لأمرين:

أحدهما ـ ما حكاه أبو زيد ـ: إنّ بنيان البيت سماؤه وهو أعلاه، وكذلك بناؤه، وأنشد:

بَنَى السَماءَ فَسَوَّاها بِبِنْيَتِها وَلَمْ تُمَدَّ بأطْنابٍ وَلاعَمَدِ[3] **[١٢٤]**

يريد ببنيتها: علوّها.

والثاني: إنّ سماءَ البيت لمّا كان قد يكون بناءً وغير بناء ـ إذا كان من شعر أو وبر أو غيره ـ قيل: جَعَلها بناءً ليدلّ علىٰ العبرة برفعها.

وكانت المقابلة في الأرض والسماء باحكام هذه بالفرش، وتلك بالبناء.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

↩ يقول:

سَمَتْ لي نَظْرَةٌ فَرَأيْتُ بَرْقاً تِهامِيّاً فَراجَعَني ادّكاري

انظر: ديوان جرير: ١٤٧، الديوان بشرح محمّد بن حبيب ٢: ٨٥٤، النقائض: ٢١٤ ق٤٢.

(١) أُثبتت من المصدر، وحذفها ـ كما في النسخ ـ غلط.

(٢) معاني القرآن للزجّاج ١: ٩٩.

(٣) مؤلّفاته المتوفّرة ـ النوادر، الهمز ـ خالية منه، نسبه إليه الفارسيّ في الحجّة ٤: ٢١٩، وابن سيده في المخصص ٢: ٥٩٦.

أي: من ناحية السماء. قال الشاعر:

أَمِــنْكِ البَــرْقُ أَرْقَــبُهُ فَــهاجَا . . . .[1] [١٢٥]

أي: من ناحيتك.

فبناءُ السماء علىٰ الأرض كهيئة القُبّة، وهي سقف علىٰ الأرض.

وإنّما ذكَر السماء والأرض في ما عدّ عليهم من نِعَمه التي أنعمها عليهم؛ لأنّ فيهما أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم، وبهما قوام دنياهم. فأعْلَمَهم أنّ الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما من أنواع النعم هو الذي يستحقّ العبادة والطاعة والشكر، دون الأصنام والأوثان التي لا تضرّ ولا تنفع.

وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾:

يعني مطراً. فأخرج بذلك المطر ممّا أنبتوه في الأرض من - زرعهم وغرسهم - ثمرات رزقاً لهم وغذاء وقوتاً، تنبيهاً علىٰ أنّه هو الذي خلقهم، وأنّه الذي يرزقهم ويكفلهم دون مَنْ جعلوه نِدّاً وعِدْلاً من الأوثان والآلهة.

ثمّ زجرهم عن أن يجعلوا له نِدّاً مع علمهم بأنّ ذلك كما أخبرهم، وأنّه لا ندّ له ولا عدل، ولا لهم نافع ولا ضارّ، ولا خالق ولا رازق سواه بقوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً ﴾.

والنِّدُّ: العِدْل والمِثْل. قال حسّان بن ثابت[2]:

---

(١) صدر بيت للشاعر أبي ذؤيب الهذليّ، عجزه:

. . . . فَــبِتُ أُخــالُه دُهْــماً خِــلاجا

الشاهد والمعنىٰ: ولعلّه واضح.

انظر: ديوان الهذليّين ١: ١٦٤.

(٢) الشـاعر المخضرم حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجيّ الأنصاريّ، شاعر النبيّ ﷺ

أَتَــهْجُوهُ وَلَسْتَ لَــهُ بِــنِدٍّ؟! فَشَــرُّكُما لِـخَيْرِكُما الفِـداءُ[1] [١٢٦]

أي: لستَ له بِمِثْل ولا عِدْل. وقال جرير:

أَتَــيْماً تَــجْعَلُونَ إليَّ نِــدّاً؟! وَما تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ[2]! [١٢٧]

الأكرم، أوّل من نظم حديث الغدير، وكفىٰ له فخراً، ولكن يا للعاقبة!!

دعىٰ له الرسول ﷺ دعوة أنبأته عن عاقبته قائلاً: (لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت ناصرنا) نعم، «ما دمت» عدّت من معجزاته ﷺ إذ الرجل بعد أن كان موالياً لأهل بيت العصمة والطهارة مدافعاً عنهم بشعره استماله القوم وغرّته الدنيا فرجع إلىٰ الوراء وخالف النصّ وصار قوله في غديريته الشهيرة والتي امتدّت إليها يد الأمانة العلمية كما امتدّت إلىٰ جملة ممّا قاله في مدح أمير المؤمنين حياة النبيّ ﷺ فحرّفت الكلم عن مواضعه ولعبت بالديوان فأسقطت منه ومن غيره من الدواوين والمصنّفات مدح أهل العصمة وفضائلهم، نعم صار قولُه:

هُـناكَ دَعـا: اللّهُمَ وَالِ وَلِـيَّهُ وَكُنْ لِلّذي عَادىٰ عَليّاً مُعادِيا

دعاءً عليه.

توفي سنة: ٥٤هـ، وقيل غير ذلك، بعد أن عاش ١٢٠ سنة.

انظر: تنقيح المقال ١: ٢٤١٩ ت ٢٤٢٠، معجم الشعراء المخضرمين والأُمويين: ١٠٢، ومصادره، معجم شعراء الشيعة ١: ٣٣٧ ت ٢٢٨.

(١) من مقطوعة يدافع فيها عن النبيّ الأكرم، ويهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب حين هجى النبيّ ﷺ يوم فتح مكّة، وكان حسّان يجيبه بأمر النبيّ فلما وصل إلىٰ بيت الشاهد قال ﷺ لمن حضر: (هذا أنصف بيت قالته العرب).

المعنىٰ: واضح

الشاهد فيه: قوله: بِنِّد، فإنّه بمعنى المثل والعِدْل.

الديوان ١: ١٧ ت ٢٤.

(٢) من قصيدة يهجو فيها الشاعر قبيلة تيم، وتيم: العبد، إذ هو من قولهم: تَيَمَهُ، أي عبّده وذلّه. ويقال: تيّمهُ وتامه بمعنى استعبده وأذلّه.

المعنىٰ: الشاعر يتعجّب جعل تيماً نِدّاً له ومِثْلاً. إذ ليس لها حسب ونسب

وقال المُفَضَّل بن سلمة[(١)] النِّدّ: الضِّدّ. والنُّدُود: الشُّرُوْد، كما يَـنِدُّ البَعِيرُ. و﴿ يَوْمَ التَّنَادِّ ﴾[(٢)]: يوم التنافر. والتنديد: التقليل[(٣)].

والفِراشُ: البِساطْ. والفَرْش: البَسْطْ. فَرَشَ يَفرِشُ فَرشاً، وافْـتَرَشَ افْتِراشاً. وفَرَاشُ الرَّأس: طَرائِقُ رِقاقٌ مِنَ القِحْفِ. والفَرَاشُ: فَراشُ القـاع والطِّين: بَعْدَ ما يَبسَ علىٰ وَجْهِ الأرْض. والفراش: الذي يَطِيرُ (وَيَتَهافَتُ في السِّراج)[(٤)]. وَجارِيَةٌ فَرِيشٌ: قد افْتَرَشَها الرَّجُلُ. والفَرْش: صِغارُ النِّعم. ورَجُلٌ فَراشَة: خَفِيَفٌ. والفَرْشُ مِنَ الحَطَبِ والشَّجَرِ: دُقُّه[(٥)].

وأصل الماء: مُوْه؛ لأنَّه يُجمع أمْواهاً، ويُصَغَّر: مُوَيهٌ. وماهَتِ الرَّكِيَّةُ تَمُوهُ مَوْهاً: وأماهَها صاحِبُها: إذا أكْثَرَ ماءَها، إماهةً[(٦)].

فكيف تكون مِثْلاً له ؟!

الشاهد: قوله: نداً، فإنّه بمعنى المِثْل والعِدل.

انظر: الديوان: ١٢٩.

(١) تقدّم في ترجمته صفحة ٩، أنّ له ضياء القلوب في التفسير، غير مطبوع، وكذا غيره من مؤلفاته.

(٢) سورة غافر ٤٠: ٣٢.

(٣) اللّغة ينظر لها: العين ٨: ١٠، جمهرة اللّغة ١: ١١٥، تهذيب اللّغة ١٤: ٧٠، المحيط في اللّغة ٩: ٢٦٣، الصحاح ٢: ٥٤٣، مجمل اللّغة ٤: ٨٤٣، «نَدَدَ» فيها. الأضداد للأنباريّ: ٢٣ ت٦، الأضداد للسجستانيّ (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد): ٧٣ـ١٠٦.

(٤) زيادة من هامش الحجرية تساعد عليها المصادر اللُّغوية في الهامش الآتي.

(٥) اللّغة تجدها في: العين ٦: ٢٥٥، جمهرة اللّغة ٢: ٧٢٩، تهذيب اللّغة ١١: ٣٤٥، المحيط في اللُّغة ٧: ٣٢٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٨، الصحاح ٣: ١٠١٤، مجمل اللّغة ٣: ٧١٥، لسان العرب ٦: ٣٢٦، «فَرَشَ».

(٦) اللّغة انظرها في: العين ٤: ١٠١، جمهرة اللّغة ١: ٢٤٨، تهذيب اللّغة ٦: ٤٧٢

وروي عن ابن مسعود وغيره من الصحابة أنّ معنىٰ الآية: لا تجعلوا لله أكْفاء من الرجال تُطيعونَهم في معصية الله.

وقال ابن عبّاس: إنّه خاطب بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جميع الكفّار من عُبّاد الأصنام، وأهل الكتابَين؛ لأنّ معنىٰ قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إنّه لا رَبَّ لكم يرزقكم غيره. وإنّ ما تعبدون لا يضرّ ولا ينفع.

وروي عن مجاهد: إنّه عنى بذلك أهْلَ الكتابَين؛ لأنّهم الذين كانوا يعلمون أنّه لا خالق لهم غيره، ولا مُنعِم عليهم سواه. والعرب ما كانت تعتقد وحدانيتَه تعالىٰ[١].

والأوّل أقوىٰ؛ لأنّ الله تعالىٰ، قد أخبر أنّ العرب كانت تعتقد وحدانيته تعالىٰ. فقال تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٢]. وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٣] وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٤].

↵ و١٥: ٦٤٨، المحيط في اللُّغة ٤: ٨٥، المحكم والمحيط الأعظم ٤: ٤٤٤، الصحاح ٦: ٢٢٥٠، مجمل اللّغة ٤: ٨٢٠، «مَوَهَ».

(١) أُشير إليها في تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٦٢ ت ٢٣١ و٢٣٢، تفسير ابن إسحاق: ١٧، النكت والعيون ١: ٨٣، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٢ ت ٥.

(٢) سورة لقمان ٣١: ٢٥.

(٣) سورة الزخرف ٤٣: ٨٧.

(٤) سورة يونس ١٠: ٣١.

فحملُ الآية علىٰ عمومها أولى، ويطابق أوّل الآية، وقد بيّنا أنّها خطاب لجميع الخلق[١].

واستدلّ أبو عليّ الجُبَّائيّ بهذه الآية، على أنّ الأرضَ بسيطة ليست كريّة كما يقول المنجّمون.

والبَلْخيّ بأنْ قال: جعلها فِراشاً، والفِراشُ: البساط، لبسْط الله تعالىٰ إيّاها. والكرة لا تكون مبسوطة. قال: والعقل ـ أيضاً يدلّ ـ علىٰ بطلان قولهم؛ لأنّ الأرض لا يجوز أنْ تكون كريّة مع كون البحار فيها؛ لأنّ الماء لا يستقرّ إلّا فيما له جنبان يتساويان؛ لأنّ الماء لا يستقرّ فيه كاستقراره في الأواني. فلو كانت له ناحية من البحر مستعلية علىٰ الناحية الأُخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة إلىٰ الناحية المنخفضة، كما يصير كذلك إذا أملنا الإناء الذي فيه الماء.

وهذا لا يدلّ علىٰ ما قاله؛ لأنّ قول من قال الأرضُ كريّة، معناه: إنّ لجميعها شكلَ الكرة.

(ولا ندفع أن يكون في أبعاضها مواضع مبسوطة، وكيف يدفع ذلك عاقل؟! ومعلوم ضرورةً بسط مواضع كثيرة من الأرض، فاستقرار الماء في الموضع الذي استقرّ فيه إنّما هو لما فيه من البسط، وذلك لا ينافي أن يكون لجميعها شكل الكرة)[٢].

وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

---

(١) تقدّم في صحيفة: ٢٩٢.

(٢) زيادة من نسختي: «خ» و«س».

يحتمل أمرين:

أحدهما: إنّكم تعلمون أنّه لا خالق لكم، ولا منعم ـ بما عدّده من أنواع النعيم ـ سوى الله. وأنّ من أشركتم به لا يضرّ ولا ينفع.

والثاني: إنّه أراد، وأنتم علماء بأُمور معايشكم، وتدبير حروبكم، ومضارّكم ومنافعكم. لستم بأغفال ولا جهّال.

قوله تعالىٰ:

﴿وإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ آية بلا خلاف (٢٣).

هذه الآية فيها احتجاجُ الله تعالىٰ لنبيّه محمّد ﷺ علىٰ مشركي قومه من العرب والمنافقين، وجميع الكفّار من أهل الكتابَين، وغيرهم؛ لأنّه خاطب أقواماً عقلاءَ أَلِبّاء[١] في الذِّرْوة العُليا من الفصاحة، والغاية القُصوىٰ من البلاغة، وإليهم المفزع في ذلك.

فجاءهم بكلام من جنس كلامهم، وجعل عجزهم عن مثله حجّة عليهم، ودلالة علىٰ بطلان قولهم. ووبّخهم بذلك، وقرَّعَهم، وأمهلهم المدّةَ الطويلة. وقال لهم: **﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾**[٢]، ثمّ قال:

---

(١) جمع لبيب. وهو الرجل العاقل. ولُبُّ الرجل ما جعل في قلبه من العقل.
العين ٨: ٢١٦، تهذيب اللّغة ١٥: ٣٣٧، المحيط في اللّغة ١٠: ٣١٠، لسان العرب ١٠: ٧٣٠. «لبب» في الجميع.

(٢) سورة هود ١١: ١٣.

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[١]، وقال في موضع آخر: ﴿بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾[٢].

وخبّرهم أنّ عجزهم إنّما هو عن النظم والجنس، مع أنّه وُلد بين أظهرهم ونشأ معهم، ولم يغب عنهم ولم يفارقهم في سفر ولا حضر. وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته وموضعه.

وهم أهل الحميّة والأنَفة، يأتي الرجل منهم -بسبب كلمة- على القبيلة، فبذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء أمره ولم يتكلّفوا معارضته بسورة ولا خطبة فدلّ ذلك على صدقه. وقد ذكرنا ذلك في الأُصول[٣].

وقوله: ﴿بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾:

قال قوم: إنّها بمعنى التبعيض، وتقديره: فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة.

وقال آخرون: هي بمعنى تبيين الصفة كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُواْ آلرِّجْسَ مِنَ آلأَوْثَٰنِ﴾[٤].

وقال قوم: إنّ ﴿مِنْ﴾ زائدة. كما قال في موضع آخر: ﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾[٥] يعني مثل هذا القرآن.

وقال آخرون: أراد بذلك: من مثله في كونه بشراً أُميّاً طريقته مثل طريقته.

---

(١) سورة يونس ١٠: ٣٨.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٣.

(٣) تمهيد الأُصول: ٣٢٧. وانظر: الذخيرة: ٣٦٥، تقريب المعارف: ١٠٥، الكافي للحلبيّ: ٧٢.

(٤) سورة الحجّ ٢٢: ٣٠.

(٥) سورة يونس ١٠: ٣٨.

والأوّل أقوى؛ لأنّه تعالىٰ قال في سورة أُخرى: ﴿ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾. ومعلوم أنّ السورة ليست محمّداً صلى الله عليه وآله، ولا له بنظير. ولأنّ في هذا الوجه تضعيفاً لكون القرآن معجزة ودالاً علىٰ النبوّة.

وقوله: ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾:

قال ابن عبّاس: أراد أعوانكم علىٰ ما أنتم عليه إن كنتم صادقين.

وقال الفرّاء: أراد ادعوا آلهتكم.

وقال مجاهد وابن جريج[١]: أراد قوماً يشهدون لكم بذلك ممّن يُقبل قولهم[٢].

وقول ابن عبّاس أقوى.

وقوله: ﴿ مِّثْلِهِ ﴾:

---

(١) اختلف في ضبطه، فتارة ورد: ابن جريج، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، المتقدّم.

وأُخرى: ابن أبي نجيح وهو عبدالله بن يسار الثقفيّ، أبو يسار المكيّ، روىٰ عن جمع منهم: مجاهد، طاووس، عطاء، عكرمة. وعنه: جمع منهم: السفيانان وغيرهم. توفي سنة: ١٣١ هـ.

له ترجمة في: تهذيب الكمال ١٦: ٢١٥ ت ٣٦١٢ ومصادره.

والذي يهون الخطب أنّهما متعاصران، ويرويان عن مجاهد علىٰ خلاف في الأوّل.

(٢) الآراء تجدها في: النكت والعيون ١: ٨٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٦٣ ت ٢٤٠ ـ ٢٤٢، معاني القرآن للفرّاء ١: ١٩، الوسيط ١: ١٠٢.

وانظر: تفسير مجاهد: ١٩٨.

أراد به ما يقاربه في فصاحته، ونظمه، وحُسن ترصيفه وتأليفه؛ ليُعلم أنّه إذا عجزوا عنه، ولم يتمكّنوا منه، أنّه من فعل الله تعالىٰ، جعله تصديقاً لنبيه ﷺ. وليس المراد أنّ القرآن له مثل عند الله، ولولاه لم يصحّ التحدّي؛ لأنّ ما قالوه لا دليل عليه. والإعجاز يصحّ وإن لم يكن له مثل أصلاً؛ بل ذلك أبلغ في الإعجاز؛ لأنّ ذلك جارٍ مجرى قوله: ﴿**هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ**﴾[1] وإنّما أراد نفي البرهان أصلاً.

والدعاء أراد به الاستعانة. قال الشاعر:

وَقَبْلَكَ رُبَّ خَصْمٍ قَدْ تَمالَوْا ... عَلَيَّ فَما جَزِعْتُ وَلا دَعَوْتُ[2] **[١٢٨]**

وقال آخر:

فَلَمّا التَقَتْ فُرْسانُنا وَرِجالُهم ... دَعَوْا: يَا لَكعْبٍ. واعْتَزَيْنا لِعامِرِ[3] **[١٢٩]**

---

(١) سورة البقرة ٢: ١١١.

(٢) البيت للشاعر سنان بن الفحل، أخو بني أُمّ الكهف، من طيء.

تمالوا: تعاونوا واتفقوا عَليَّ، واجتمعوا. أصله تمالؤوا تفاعَلُوا، منْ مَالَأَهُ مُمالأةً وزان فاعله مفاعلة. ـ الهلع: أشدّ الخوف ـ والجزع أفْحَشُه.

يخاطب خصمه منبهاً علىٰ حسن وقوّة ثباته ومقارعته ومقاومته الخصوم وتمكّنه منهم ومع أنّهم ألدّاء فلم أجزع ولا طلبت النصرة من أحد، ولا استعنت.

الشاهد فيه استعمال «دعوت» بمعنى استعنت.

وهذا من جملة أبيات ذكرها أبو تمام في الحماسة: ١٦٥ ت ١٩٣ ب ٤. وانظر شرحها للمرزوقيّ ٢: ٥٩٠ ت ١٩٢، وخزانة الأدب للبغدادي ٦: ٣٤ ش ٤٢٧.

(٣) البيت للراعي النميريّ، عُبيد بن حصين من شعراء العصر الأُمويّ.

اعتزينا: من العزا، والعزوة هي: دعوة المستغيث بأن يقول مثلاً: ياللأنصار والمهاجرين، يالزيد.

الشاهد فيه: استعمال «دَعَوْا» بمعنى استعانوا واستغاثوا.

يعني: استنصروا بكعب، واستغاثوا بهم.

و: ﴿شُهَدَآءَ﴾:

جمع شهيد، مثل شريك وشركاء وخطيب وخطباء. والشهيد: يسمّى به الشاهد علىٰ الشيء لغيره بما يحقّق دعواه. وقد يسمّى به المشاهِد للشيء. كما يقال: جَليسُ فلان، يراد به مُجالِسَه ومنادِمَه.

فعلى هذا تفسير ابن عبّاس أقوى، وهو أنّ معناه: استنصِروا أَعوانَكم علىٰ أنْ تأتوا بمثله، وشهداءَكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم علىٰ تكذيب الله ورسوله، ويظاهرونكم علىٰ كفركم ونفاقكم إن كنتم محقّين.

وما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك لا وجه له؛ لأنّ القوم علىٰ ثلاثة أصناف: فبعضهم أهلُ إيمان صحيح. وبعضهم أهلُ كفر صحيح. وبعضهم أهلُ نفاق. فأهل الإيمان إذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله، فلا يجوز أنْ يكونوا شهداء للكفّار علىٰ ما يدّعونه. وأمّا أهل النفاق والكفر فلا شكّ أنّهم إذا دُعوا إلىٰ تحقيق الباطل وإبطال الحقّ سارعوا إليه مع كفرهم وضلالتهم. فمن أيِّ الفريقين كانت تكون شهداء؟

لكن يجري ذلك مجرى قوله: **﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**[1].

↩ والظاهر أنّ للبيت روايات أُخرى لا تؤثّر علىٰ الشاهد لدى الشيخ المصنّف ﷺ.

انظر: ديوان الراعي النميريّ: ١٣٤ ب ١٤ ق ٣٥.

(١) سورة الإسراء ١٧: ٨٨.

وقد أجاز قومٌ هذا الوجه أيضاً، قالوا: لأنّ العقلاء لا يجوز أنْ يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام أنّه مثلُ القرآن ولا يكون مثله. كما لا يجوز أنْ يحملوا نفوسهم علىٰ أنْ يُعارِضوا ما ليس بمعارَض في الحقيقة.

ومعنى الآية: إنْ كنتم في شكٍّ من صدق محمّد ﷺ فيما جاءكم به من عندي، فأتوا بسورة من مثله، فاستنصروا بعضكم بعضاً علىٰ ذلك إنْ كنتم صادقين في زعمكم، حتّىٰ إذا عجزتم وعلمتم أنّه لا يقدر علىٰ أنْ يأتي به محمّد ﷺ ولا أحد من البشر يصحّ عندكم أنّه من عند الله تعالىٰ.

قوله تعالىٰ:

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَنْ تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ آية (٢٤).

معنىٰ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾:

لم تأتوا بسورة من مثله، وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم، وتَبَيّنَ لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه، وعلمتم أنّه من عندي، ثمّ أقمتم علىٰ التكذيب به!!

وقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُواْ﴾:

لا موضع له من الإعراب، وإنّما هو اعتراض بين المبتدأ والخبر، كقولك: زيدٌ ـ فافهم ما أقول ـ رجلُ صدقٍ. وإنّما لم يكن له موضع إعراب؛ لأنّه لم يقع موضع المفرد.

ومعنىٰ ﴿وَلَنْ تَفْعَلُواْ﴾:

أي لن تأتوا بسورة من مثله أبداً؛ لأنّ (لن) تنفي علىٰ التأبيد في المستقبل.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُواْ﴾ دلالةٌ علىٰ صحّة نبوّته؛ لأنّه يتضمّن الإخبار عن حالهم في المستقبل بأنّهم لا يفعلون، ولا يجوز لعاقل أنْ يقْدم علىٰ جماعة من العقلاء يريد تهجينهم فيقول: أنتم لا تفعلون، إلّا وهو واثق بذلك، ويعلم أنّ ذلك متعذّر عندهم.

وينبغي أنْ يكون الخطابُ خاصّاً لمن علم الله أنّه لا يؤمن، ولا يدخل فيه منْ آمن في ما بعد وإلّا كان كِذْباً.

وقوله: ﴿فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾:

الوَقُود بفتح الواو: اسم لما يُوقَد. والوُقود ـ بضمّها ـ: المصدر.

وقيل: إنّهما بمعنى واحد في المصدر واسم الحطب. حكاه الزجّاج والبَلْخيّ[1]. والأوّل أظهر.

﴿ٱتَّقُوا﴾[2] مشدّدة، لغة أهل الحجاز. وبنو أسد وتميم يقولون: «تقوا الله» خفيف بحذف الألف.

﴿ٱلْحِجَارَةُ﴾:

قيل: إنّها حجارة الكبريت؛ لأنّها أحرّ شيء إذا أُحميت. وروي ذلك عن ابن عبّاس وابن مسعود. والظاهر أنّ الناس والحجارة وقود النّار

---

(١) معاني القرآن للزّجاج ١: ١٠١، وانظر: تفسير الآية (١٧)، والبَلْخيّ مؤلّفاته لا زالت مخطوطة.

(٢) في النسخ: (اتقوا الله) بإثبات لفظ الجلالة ولا مورد للإثبات؛ إذ هو من جملة الآية قبل أسطر.

وحطبها كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[١] تهيباً وتعظيماً بأنّها تحرق الحجارة والناس.

وقيل: إنّ أجسادهم تبقى علىٰ النّار بقاء الحجارة التي تُوقد بها النّار بالقدح.

وقال قوم معناه: إنّهم يُعذّبون بالحجارة المحمّاة مع النّار[٢].

والأوّل أقوى وأليق بالظاهر.

وإنّما جاز أنْ يكون قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ جوابَ الشرط مع لزوم الاتّقاء من النّار كيف تصرّفت الحال؛ لأنّه لا يلزمهم الاتّقاء علىٰ التصديق بالنبوّة إلّا بعد قيام المعجزة، فكأنّه قال: فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فقد قامت الحجّة، ووجب اتّقاء النّار بالمخالفة.

وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾:

لا يمنع من إعدادها لغير الكافرين من الفسّاق كما قال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[٣] ولم يمنع ذلك من إحاطتها بالفسّاق والزبانية.

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٩٨.

(٢) الأقوال مجتمعة ومتفرقة تجدها في: التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٢٠٢، تنوير المقباس: ٥، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٢ ت٦، تفسير عبد الرزاق الصنعانيّ ١: ٢٦٠ ت ٢١، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٣، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٨٩، النكت والعيون ١: ٨٤، تفسير السمعانيّ ١: ٥٩، تفسير المشكل للقيسيّ: ٨٨ ت٢٤، الوسيط ١: ١٠٣، معالم التنزيل ١: ٥٣، معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٠، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٠١، المستدرك للحاكم ٢: ٢٦١، المعجم الكبير للطبرانيّ ٩: ٢١٠ ت ٥٠٢٦، البعث والنشور: ٢٨٦ ت ٥٠٣.

(٣) وردت في سورة التوبة ٩: ٤٩، وسورة العنكبوت ٢٩: ٥٤.

وقال قوم: هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم. والفسّاق لهم نار أُخرى.

وقد استُدِلّ بهذه الآية علىٰ بُطلان قول من حرّم النظر والحجاج العقلي. بأنْ قيل: كما احتجّ الله تعالىٰ بما ذكره علىٰ الكفّار في هذه الآية وألزمهم به تصديق النبيّ ﷺ والمعرفة بأنّ القرآن كلامه؛ لأنّه قال: إنْ كان هذا القرآن كلام محمّد فاتوا بسورة مِنْ مثله. ودلّهم بعقولهم أنّه لو كان كلامَ محمّد لتهيّأ لهم مثل ذلك؛ لأنّهم الذين يؤخذ عنهم اللّغة. وإذا لم يتهيّأ لهم ذلك علموا بعقولهم أنّه من كلام الله.

وهذا هو معنىٰ الاحتجاج بالعقول، فيجب أنْ يكون ذلك صحيحاً من كلّ أحد.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ
رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ
وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا
فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧
كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩

قوله تعالىٰ:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ آية (٢٥).

البِشارَةُ: هي الإخبار بما يُسَرُّ المُخْبَرُ به إذا كان سابقاً لكلّ خبر سِواه؛ لأنّ الثاني لا يسمّى بِشارَة.

وقد قيل: إنّ الإخبار بما يُغِمُّ أيضاً يسمّى بشارة. كما قال تعالىٰ: **﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[1] والأولى أنْ يكون ذلك مجازاً.

وهي مأخوذة من البَشَرَة: وهي ظاهر الجلد؛ لتغييرها بأوّل الخبر. ومنه تَباشِيرَ الصبح: أوّله، وكذلك تَباشِيرَ كلُّ شيء.

المُبَشِّرات: الرياح التي تَجيء بالسحاب.

والبَشَرْ: الإنسان. والبَشَرَة: أعلىٰ جِلْدَة الجَسد والوَجْه من الإنسان.

والمُباشَرَةُ: مُلاصَقَةُ البَشَرَةِ. والبَشْرُ: قَشْرُ الجِلْد[2].

والجِنانُ: جمع جَنَّة، والجَنَّةُ: البُسْتان[3].

---

(١) كُرِّرت في سورة آل عمران ٣: ٢١، وسورة التوبة ٩: ٣٤ وسورة الانشقاق ٨٤: ٢٤.

(٢) العين ٦: ٢٥٩، جمهرة اللّغة ١: ٣١٠، تهذيب اللّغة ١١: ٣٥٨، المحيط في اللّغة ٧: ٣٣٠، الصحاح ٢: ٥٩٠، مجمل اللّغة ١: ١٢٦، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٢٤، عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ ١: ١٩١.

(٣) انظر: العين ٦: ٢٠ تهذيب اللّغة ١٠: ٥٠٣، الصحاح ٥: ٢٠٩٤، مفردات ألفاظ ⇐

والمراد بذكر الجَنَّة ما في الجَنَّةِ من أشجارها وأثمارها وغُروسها دون أرضها، فلذلك قال: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾؛ لأنّه معلوم أنّه أراد الخبر عن ماءِ أنهارِها أنه جارٍ تحت الأشجار والغروس والثمار، لا أنّه جارٍ تحت أرضِها؛ لأنّ الماءَ إذا كان تحت الأرض جارياً فلا حَظَّ فيها[1] للعيون إلّا بكشف الساتر بينَه وبينها، علىٰ أنّ الذي توصف به أنهار الجنّة أنّها جارية في غير أخاديد. رُوي ذلك عن مسروق[2]، رواه عنه أبو عبيدة وغيره[3].

و: ﴿جَنَّـٰتٍ﴾:

منصوبٌ بأنّ. وكُسرت التاء؛ لأنّها تاء التأنيث في جمع السلامة، وهي مكسورة في حال النصب والخفض.

وموضع ﴿أَنَّ﴾ نصب بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ﴾. وقال الخليل والكسائيّ: موضعه الجرّ بالباء كأنّه قال: بشِّرهم بأنّ لهم[4].

القرآن الكريم: ٢٠٤، لسان العرب ١٣: ٩٩، عمدة الحفّاظ ١: ٣٤٨ «جَنَنَ» في الجميع.

(١) كذا، ولعلّ «فيه» أقوى كما في «الحجريّ وهـ»، ودلالة الضمير الآتي.

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك، أبو عائشة الوادعيّ، الهَمْدانيّ روي أنه سُرِق في صباه ثمّ وُجد فسميّ مسروقاً، روىٰ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومعاذ وغيرهما، وعنه حدّث إبراهيم النخعيّ والشعبيّ وابن وثّاب وغيرهم. توفي عام ٦٣ هـ.

له ترجمة مفصّلة في سيَر أعلام النبلاء ٤: ٦٣ ت ١٧ وانظر مصادره.

(٣) المصنَّف لابن أبي شيبة ٣: ٩٧، صفة الجنّة لأبي نعيم ٣: ١٦٧، البعث والنشور: ١٩٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٤٨، ولاحظ النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ١٣.

(٤) أشار إلىٰ ذلك النحّاس في إعراب القرآن ١: ٢٠١، والتلعكبريّ في التبيان في إعراب القرآن ١: ٤١، وابن هشام في مغني اللبيب ٢: ٦٨١ ـ ٦٨٢.

وقال المفضّل[1]: الجنّة: كلّ بستان فيه نخل، وإنْ لم يكن شجر غيره؛ فإنْ كان فيه كَرْمٌ: فهو فردوس، كان فيه شجر غير الكَرْم أم لم يكن.

و: ﴿مِنْ﴾ زائدة، والمعنىٰ: كلّما رزقوا ثمرة.

و: ﴿مِنْهَا﴾:

يعني من الجنّات، والمعنىٰ: أشجارها.

وتقديره: كلّما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدّها الله للمؤمنين.

وقال الرُّمّانيّ: هي بمعنى التبعيض؛ لأنّهم يُرزقون بعض الثمرات في كلّ وقت. ويجوز أنْ تكون بمعنى تبيين الصفة، وهو أنْ يبين الرزق من أي جنس هو[2].

وقوله: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾:

رُوي عن ابن عبّاس، وابن مسعود وجماعة من الصحابة: إنّه الذي رُزقناه في الدنيا.

↵ وانظر: الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ١: ١٥٨، اللُّباب في علوم الكتاب ١: ٤٤٩. ومن دون نسبة إلىٰ أحد معاني القرآن للزجّاج ١: ١٠١.

(١) يرد هذا الاسم غالباً مصحفاً إلىٰ «الفضل»، كما في المطبوع و«س، ل». صحّح إلىٰ المثبت اعتماداً علىٰ النسخ: «خ، ؤ، هـ» والمصادر الناسبة للقول، منها: تفسير النكت والعيون ١: ٨٥ وغيره، علىٰ أنّ مؤلّفاته في علوم القرآن مفقودة وقد تقدّمت ترجمته في صفحة: ٩.

(٢) استعمال «من» للتبعيض وغيره من معانيها أُشير إليه ـ إضافة لمعاني الحروف للرُّمّانيّ: ٩٧ ـ في جمع من المصادر، منها: الأضداد للأنباريّ: ٢٥٢ ت١٥٤، شرح المفصّل لابن يعيش ٨: ١٢، رصف المباني: ٣٨٩، الجنىٰ الداني: ٣٠٩، وغيرها كثير ممّا نُصّ فيه كونها للتبعيض.

وقال مجاهد: معناه ما أشبهه به.

وقال بعضهم: إنّ ثمار الجنّة إذا جُنيت من أشجارها عاد مكانها، فإذا رأوا ما عاد بعد الذي جني اشتبه عليهم فقالوا: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ وهذا قول أبي عبيدة، ويحيى بن أبي كثير[١].

وقال قوم: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا﴾ وُعدنا به في الدنيا.

وقد بيّنّا ـ فيما تقدّم ـ أنّ الرزق عبارة عمّا يصحّ الانتفاع به علىٰ وجه لا يكون لأحد المنع منه[٢].

وقال المفضّل: ذلك يخصّ الأقوات.

وقال قوم: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ لمشابهته في اللون وإنْ خالفه في الطعم[٣].

---

(١) يحيى بن أبي كثير، أبو نصر الطائيّ ـ مولاهم ـ اليمانيّ، اختلف في اسم أبيه. رویٰ عن جمع منهم: أنس بن مالك، أبي قِلابة، وبعجة الجهنيّ. وعنه حدث ابنه، ومعمر، والأوزاعيّ، وعِكرمة بن عمّار، وعليّ بن المبارك وغيرهم. توفي عام: ١٢٩ هـ، وقيل غيرها.

سيَر أعلام النبلاء ٦: ٢٧ ت ٩، ومصادره.

(٢) تقدّم في صحيفة: ١٨٣، ضمن تفسير الآية ٣.

(٣) الآراء والأقوال تجدها منسوبة تارة وأُخرى من دونها في: تنوير المقباس: ٦، تفسير الحسن البصريّ ١: ٧٦ ت ٤١ ـ ٤٣، تفسير غريب القرآن لزيد بن عليّ الشهيد: ٨٠، تفسير مقاتل: ٢٧، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦١ ت ٢٢ ـ ٢٤، غريب القرآن لليزيديّ: ٦٦ ت ٢٥، وغريب القرآن لابن قتيبة: ١٠١، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٩٠، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٦٦ ت ٢٥٥ ـ ٢٦٣، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ١٠٣ ـ ١٠٤ تفسير المشكل للقيسيّ: ٨٨ ت ٢٥، النكت والعيون للماورديّ ١: ٨٦، تفسير الوسيط للواحديّ ١: ١٠٤ ـ ١٠٥، تفسير السمعانيّ ١: ٦٠، المحرّر الوجيز لابن عطية ١: ١٤٨ ـ ١٤٩.

وأقوى الأقوال قول ابن عبّاس، وأنّ معناه: هذا الذي رزقنا في الدنيا؛ لأنّه قال: ﴿**كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ**﴾ فعمّ ولم يخصّ. فأوّل ما أُوتوا به لا يتقدّر هذا القول فيه إلّا بأنْ يكون إشارة إلىٰ ما تقدّم رزقه في الدنيا؛ لأنّا فرضناه أوّلاً.

وليس في الآية تخصيص، ويكون التقدير: هذا مثل الذي رُزقناه في الدنيا؛ لأنّ ما رُزِقُوه أوّلاً قد عُدم، وأقام المضافَ إليه مقامَ المضاف، كما أنّ القائل إذا قال لغيره: أعددتُ لكَ طعاماً، ووصفه له، يحسنُ أنْ يقول: هذا طعامُ كلّ وقت يريدُ: مثلَه، ومن جنسه، ونوعه.

وقوله: ﴿**وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـٰبِهاً**﴾:

قال الضحّاك: إذا رأوه، قالوا: هو الأوّل في النظر واللون. وإذا طَعِموا وجدوا له طعماً غير طعمه الأوّل.

وقوله: ﴿**وَأُتُواْ بِهِ**﴾:

معناه جيئوا به، وليس معناه أُعطوه. وقال قوم: ﴿**وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـٰبِهاً**﴾: أي يشبه بعضه بعضاً إلّا في المنظر والطعم، أي كلّ واحدٍ منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه. ذكره الأخفش[1]. وهذا كقول القائل؛ وقد جيء بأثواب أو أشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل؛ فقال: ما أدري ما أختار منها كلّها عندي فاضل.

قال الشاعر:

---

(١) انظر: معاني القرآن ١: ٢١٤.

مَـنْ تَـلْقَ مِنْهُمْ تَـقُلْ: لاقَـيْتُ سَـيِّدَهُمْ

مِثْلَ النُّجُومِ التي يَسْري بِـها السارِي[1] [١٣٠]

يعني: إنّهم تساووا في الفضل والسؤدد. وروي هذا عن الحسن، وابن جريج.

وقال قتادة معناه: يشبه ثمار الدنيا غير أنّها أطيب.

وقال ابن زيد والأشجعيّ[2]: إنّ التشابه في الأسماء دون الألوان والطعوم، فلا يشبه ثمارُ الجنّة شيئاً من ثمارِ الدنيا في لون ولا طعم.

وأولى هذه الأقوال أنْ يكون المراد: اُوتوا به متشابهاً في اللون والنظر، علىٰ أنّ الطعم مختلف؛ لما قدّمنا من أنّ هذا يقولونه في أوّل

---

(١) من أبيات مَدْحٍ وُصفت بأنّها من أمدح الشعر، استشهد بها جمع لمقاصدهم، بعضهم نسبها إلىٰ عبيد بن العرندس الكلابيّ، وبعضهم الى أبيه العرندس، وآخرون من دون نَسْبة.

الشاهد فيه: ما أفاده المصنّف ﵀.

انظر: الحماسة لأبي تمام: ٥١٩ ت٧٠٦، الحيوان للجاحظ متكرِّرة في ٢: ٨٩، ٩٢. و٣: ٩٤. و٤: ٢٥٤، الكامل في اللُّغة ١: ١٠٦، الأضداد للأنباريّ: ٣٨٧ ت٢٩٧، أمالي القاليّ ١: ٢٣٩، معجم الشعراء للمرزبانيّ: ١٧٣، شرح الحماسة للمرزوقيّ ٤: ١٥٩٣ ت٦٩١ ب٦، ديوان المعاني للعسكريّ ١: ٤١، حماسة ابن الشجريّ ١: ٣٥٧ ب١٢ ت٢٧٥، الحماسة البصرية ١: ١٥١ ت ٨٦، التنبيه علىٰ أغلاط القالي: ٧٣.

(٢) الأشْجَعيّ، عُبيدالله بن عُبيد ـ عبد ـ الرحمن أبو عبد الرحمن الأشجعيّ، الكوفيّ، نزيل بغداد، وثّقه كلّ من ترجم له، حدّث عن هشام بن عروة، سفيان، شعبة، وغيرهم. وعنه حدّث: ابن المبارك، أحمد بن حنبل، يحيى بن معين، أبو خيثمة وغيرهم. توفي عام: ١٨٢ هـ.

تاريخ بغداد ١٠: ٣١١ ت٥٤٥٩، سيَر أعلام النبلاء ٨: ٥١٤ ت ١٣٦.

الحال أيضاً[١]، وما تقدّم عليه غيره.

وبعد هذا قول من قال: معناه أنّ كلّها جياد لا رِذالَ فيه.

وقال بعض المتأخّرين في قوله: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْـنَا مِنْ قَـبْلُ﴾ معناه: هذا الذي أُعطينا بعبادتنا من قبل.

وقال أبو عليّ: معنىٰ ذلك: إنّما يؤتون به في كلِّ وقت من الثواب مثلَ الذي يؤتى في الوقت الذي قبله من غير زيادة ولا نقصان؛ لأنه لابُدَّ أن تتساوى مقادير الاستحقاق في ذلك.

وقال أيضاً: يجب أن يُسوّىٰ بينهم في الأوقات في مقدار ما يُتفضّل به عليهم، فلا يتفضّل عليهم في وقت ويزادون في وقت آخر ـ قال: لأنّ ذلك يؤدّي إلىٰ أنّ التفضّل أعظم من الثواب[٢].

وهذا الذي ذكره غير صحيح؛ لأنّ العقل لا يدلّ علىٰ مقادير الثواب في الأوقات، ولا يعلم ذلك غير الله؛ بل عندنا لا يدلّ العقل علىٰ دوام الثواب، وإنّما عُلم ذلك بالسمع والإجماع.

وأمّا التفضّل: فلا شكّ أنّه يجوز أنْ يزيد في وقت علىٰ ما فعله في وقت آخر، ولا يؤدّي ذلك إلىٰ مساواته للثواب؛ لأنّ الثواب يتميّز من التفضّل، بمقارنة التعظيم له والتبجيل، ولأجل ذلك يتميّز كلّ جزء من الثواب من كلّ جزء من التفضّل ولا زيادة هناك.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾:

---

(١) اشار إليه قبل قليل.

(٢) أبو عليّ: هو الجَبّائيّ ومؤلّفاته اسم من دون مسمّى في الوقت الحاضر.

قيل: في الأبدان والأخلاق والأفعال، فلا يحضْنَ، ولا يَلِدن، ولا يذهبن إلىٰ غائط. وهو قول جماعة المفسِّرين[١].

وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾:

أي: دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد.

قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ آية واحدة (٢٦).

اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية، فروي عن ابن مسعود وابن عبّاس: إنّ الله تعالىٰ لمّا ضرب هذين المثلين للمنافقين ـ وهما قوله: **﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾** وقوله: **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾**[٢] ـ قال

(١) انظر تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١: ٧٧ ت ٤٥، تفسير غريب القرآن للشهيد زيد بن عليّ: ٨٠، صحيفة عليّ بن أبي طلحة: ٨١ ت ٣١، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٣ ت ٨، تفسير الصنعانيّ ١: ٦٢ ت ٢٥ ـ ٢٦، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٤ ت ٢٥، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٠٣، جامع البيان عن تأويل القرآن ١: ١٣٦، تفسير ابن ابي حاتم الرازيّ ١: ٦٧ ت ٢٦٤ ـ ٢٦٧، بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ١٠٤، النكت والعيون ١: ٨٧، تفسير المشكل: ٨٨، الوسيط للواحديّ ١: ١٠٥، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٩٠، تفسير السمعانيّ ١: ٩٠، المحرَّر الوجيز ١: ١٥٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٧، ١٩.

المنافقون: الله أجلّ من أن يضرب هذه الأمثال. فأنـزل الله **﴿إِنَّ ٱللَّـهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾** إلى آخر الآية.

وقال الربيع بن أنس: هذا مثل ضربه الله للدنيا؛ لأنّ البعوضة تحيا ما جاعتْ، فإذا سمنت ماتتْ، فشبّه الله تـعالىٰ هـؤلاء بأنّـهم إذا امتلؤوا أخذهم الله؛ كما قال تعالىٰ: **﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾**[1].

وقال قَتادة: قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾** أي: لا يستحيي من الحقّ أنْ يذكر منه شيئاً مّا، قلّ أو كثر. إنّ الله تعالىٰ حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ماأراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله تعالىٰ **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾**[2] الآية.

وكلّ هذه الوجوه حسنة. وأحسنها قول ابن عبّاس؛ لأنّه يليق بـما تقدّم. وبعده ما قال قتادة.

وليس لأحد أنْ يقول: إنّ هذا المثل لا يليق بما تقدّم؛ مـن حيث لم يتقدّم للبعوضة ذكر. وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع آخر. في تشبيه آلهتهم بها فأن يكون المراد بذلك أولى.

وذلك أنّ قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَـعُوضَةً**

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٤٤.

(٢) الآراء تـجدها فـي التـفاسير: التـفسير المـنسوب للإمـام العسكـريّ عليه‌السلام: ٢٠٥ ت ٩٥، جامع البيان ١: ١٣٨، تـفسير القـرآن العـظيم لابـن أبـي حـاتم الرازيّ ١: ٦٨ ت ٢٧٠، بـحر العـلوم ١: ١٠٤، النكت والعـيون ١: ٨٨، الوسـيط ١: ١٠٧، تـفسير السـمعانيّ ١: ٦١، المحرّر الوجيز ١: ١٥٠. أسباب نزول القرآن للواحديّ: ٢٦ ت ٩ ح٢٨ ـ ٣٠.

فَمَا فَوْقَهَا﴾: إنّما هو خبر منه تعالىٰ[١] أنّه لا يستحيي تعالىٰ أنْ يضرب مثلاً في الحقّ من الأمثال: صغيرها وكبيرها؛ لأنّ صغير الأشياء وكبيرها عنده بمنزلة واحدة من حيث لا يتسهّل الصغير، ويصعب الكبير. وإنّ في الصغير من الإحكام والإتقان ما في الكبير. فلمّا تساوى الكلّ في قدرته، جاز أنْ يضرب المثل بما شاء من ذلك، فيقرّ بذلك المؤمنون ويسلّموه، وإنْ ضلّ به الفاسقون بسوء اختيارهم. وهذا المعنىٰ مرويّ عن مجاهد[٢].

وروي عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: «إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة؛ لأنّ البعوضة علىٰ صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين. فأراد الله أنْ ينبّه بذلك المؤمنين علىٰ لُطْفِ خلقه وعجيب عظم صنعه»[٣].

و: ﴿يَسْتَحِي﴾:

لغة أهل الحجاز، وعامّة العرب بيائين. وبنو تميم يقولون: بياء واحدة، فمن قال: بيائين فلأنّه الأصل، ومن قال: بياء واحدة اختصر، كما قالوا: لم يَكُ، ولا أدْرِ[٤].

---

(١) الملاحظ أنّ كلمة «فوق» من الأضداد مردة بين: أعظم ودون. انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٠، الأضداد للأنباريّ: ٢٤٩ ت١٥٣، الأضداد للحلبيّ: ٥٣٦، الأضداد للسجستانيّ: ١٠١ ت١٣٨ وذيل في الأضداد للصّغانيّ: ٢٤١ ت ٦١٦. وهما ضمن ثلاثة كتب في الأضداد.

(٢) تفسير مجاهد: ١٩٨.

(٣) لعلّ المصنّف رحمه الله انفرد بها عن مصادره المفقودة.

(٤) أُشير إلىٰ هذا في: معاني القرآن للأخفش ١: ٢١٤، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٠٣، إعراب القراءات السبع وعللها ١: ٧٥ ت٢٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ↩

ومعنىٰ ﴿يَسْتَحْى﴾:

قال بعضهم: إنّه لا يخشى أنْ يضرب مثلاً كما قال: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[1] معناه: وتَستحي النـاسَ والله أحـقّ أنْ تستحييه، فيكون الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء.

وقال المفضّل بن سلمة، معناه: لا يمتنع.

وقال قوم: لا يترك. وهو قريب من الثاني[2].

وأصل الاستحياء: الانقباض عن الشيء، والامتناع منه، خوفاً من مواقعة القبيح.

والاستحياء، والانخزال والانقماع، والارتداع متقاربةُ المعنىٰ.

وضدّ الحياء القُحَّة.

ومعنىٰ الاستحياء في الآية: إنّه ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يُستحيىٰ منه. فكأنّه قال: لا يَحُلّ ضرب المثل بالبعوضِ مَحَلَّ ما يستحيي، فوضعَ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْى﴾ الآية موضعه واختاره الرمّانيّ.

١٣٩، والتبيان ١: ٤٢، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ٢٦، وتهذيب اللّغة ٥: ٢٨٨، وبتوسع في لسان العرب ١٤: ٢١٧، تاج العروس ١٩: ٣٥٦. «حيي» فيها.

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٧.

(٢) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في: جامع البيان ١: ١٣٩، النكت والعيون ١: ٨٧، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٤، تفسير الوسيط ١: ١٠٧ ـ ١٠٨، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١: ٩٧، تفسير السمعانيّ ١: ٦١.

وقوله: ﴿**أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً**﴾:

فهو أن يصف ويمثّل ويبيّن، كما قال تعالىٰ: ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾[١] معناه: وصف لكم، كما قال الكُمَيْت[٢]:

---

(١) سورة الروم ٣٠: ٢٨.

(٢) الكُمَيْت بن زيد الأسديّ، أبو المستهلّ، عُدّ في أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، دعا له الإمام زين العابدين عليه السلام بعد ما أنشده قصيدته التي مطلعها:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُسْتَهامِ   غَيْرَ ما صَبْوَةٍ وَلا أَحْلامِ

فلمّا فرغ من هاشميته هذه قال له الإمام: «ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنّ الله لا يعجز عن مكافأتك: اللّهم اغفر للكميت اللّهم اغفر للكميت». ثمّ قسّط له علىٰ نفسه وعلىٰ أهله أربعمائة ألف درهم... إلىٰ أن دعا له ثانية قائلاً: «اللّهم إنّ الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيّك بنفسه حين ضَنّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ ....» إلىٰ آخر الرواية. وهكذا دعاء الإمام الصادق عليه السلام له بعد أنْ أنشده عصماءه الهاشمية التي مطلعها:

ألا هَلْ عَمٍ فِي رَأْيِهِ مُتَأَمِّلُ ؟   وَهَلْ مُدْبِرٌ بَعْدَ الإساءَةِ مُقْبِلُ

قائلاً: «اللّهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر، وما أسرّ، وما أعلن...» إلىٰ آخره.

والحاصل أنّه بعد هذا ما يقال في حقه؟! وعلىٰ أي هو أوّل من ناظر في التشيع جهاراً. كان خطيب بني أسد فقيهاً حافظاً للقرآن شجاعاً سخياً. كان أشعر الأوّلين والآخرين حتّىٰ قيل: لولا شعر الكميت لم يكن للُّغة ترجمان ولا للبيان لسان. بلغ شعره أكثر من خمسة آلاف بيت فُقِدَ أغلبه ولم يصل إلينا إلّا اليسير منه.

ولد عام: ٦٠ هـ، وقتل عام: ١٢٦هـ.

مصادر ترجمته كثيرة منها: تنقيح المقال ٢: ٤١ ت ٩٩٣٧، الغدير في الكتاب والسنة ٢: ١٨٠ وفيه ترجمة مفصّلة، سيَر أعلام النبلاء ٥: ٣٨٨ ت ١٧٧، مشاهير شعراء الشيعة ٤: ٧٤٨ ومصادره، تاريخ دمشق ٥٠: ٢٢٩ ت ٥٨٢٨، وشرح هاشميات الكميت لأبي رياش القيسيّ.

وَذَلِكَ ضَرْبُ أخْماسٍ أُرِيْدَتْ لِأَسْدَاسٍ، عَسى أَنْ لا تَكُوْنَا[١] [١٣١]

والمعنىٰ: وصف أخماس. وضربُ المثل تمثيله. يقال: من أيِّ ضَرْب هذا؟ أي: من أيّ جنس ولون. والضروب: الأمثال. والمَثل: الشَّبه. ويقال: مِثْل ومَثَل. كما يقال: شِبْه وشَبَه. كقول كعب بن زهير:

كانَتْ مَواعِيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً وَما مَواعِيدُه إلّا الأباطِيلُ[٢] [١٣٢]

يعني: شبهاً.

---

(١) بيت من النونيّة المسمّاة بالمذهّبة قيل: إنّها تقارب ثلاثمائة بيت لم تصل الينا كاملة أثار بها الكميت بواعث العصبية القبلية بين العدنانيين والقحطانيين. عارضها جمع وردّ عليها آخرون وشرحها أدباء.

والبيت هو السادس منها بشرح أحمد بن إبراهيم القيسيّ، أبو رياش: ٢٥٤، والملحقة بشرح الهاشميات له أيضاً، والبيت ضمّنه مثلاً مشهوراً يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره مكراً وخديعة.

وقد أشارت مصادر الأمثال إلىٰ ذلك انظر: فصل المقال: ١٠٥ ت ٢٩، جمهرة الأمثال ٢: ٤ ت ١١١٢، مجمع الأمثال ١: ٤١٨ ت ٨١٩٩، المستقصىٰ في الأمثال ٢: ١٤٥ ت ٤٩٠، العقد الفريد ٣: ٨٩. وكذا كتب اللّغة منها: تهذيب اللّغة ٧: ١٩١، لسان العرب ٦: ٦٨.

والخِمْس: حصر الإبل عن الماء ستاً وإيهامها أنّه الخامس.

(٢) بيت من العصماء التي مدح بها النبيّ الأكرم مطلعها:

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليَومَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُجْزَ مَكبولُ

المعنىٰ: أشار إلىٰ أنّ هذه المرأة لا تفي بوعدها إذا وعدت شيئاً فمواعيدها كمواعيد عرقوب الذي سار بخلفه الوعدَ المثل.

هذا وقد اختلف في ضبط بعض ألفاظه ـ بين الشروح، وحتّىٰ بين النسخ، خصوصاً الضمائر ـ ولا ضير فيه.

انظر: الديوان صنعة العسكريّ: ٨. وحاشية البغداديّ علىٰ شرح «بانت سعاد» لابن هشام ٢ق١: ١٩٣.

فمعنى الآية: إنّ الله لا يستحيي أن يصف شَبَهاً لما شبّه به.

وأما إعراب ﴿بَعُوضَةً﴾:

فَنَصْبٌ من وجهين على قول الزجّاج:

أحدهما: أن تكون «ما» زائدة. كأنّه قال: إنّ الله لا يستحيي أنْ يضرب بعوضة مَثَلاً، أو: مثَلاً بعوضةً؛ وتكون «ما» زائدة. نحو قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1].

والثاني: أنْ تكون «ما» نكرة، ويكون المعنى: إنّ الله لا يستحيي أن يضرب شيئاً مثلاً بعوضةً. فكأنّ بعوضةً في موضع وصفي شيء[2]، كأنّه قال: لا يستحيي أنْ يضرِبَ مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضةً فما فوقها[3].

قال الفرّاء: يجوز أنْ يكون معناه: ما بين بعوضةٍ إلى ما فوقها، كما يقول القائل: مُطرنا ما زُبالَة فالثَّعْلَبيّةَ[4]. و: له عشرون ما ناقةً فجملاً.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٢) أي: بيان أو بدل من شيء.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٠٣ ـ ١٠٤، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٠٣، معاني القرآن للكسائيّ «جمع»: ٦٥.

(٤) زُبالَة ـ وزان ثُمالَة ـ من منازل الحجّ على طريق الكوفة. وهي قرية كانت عامرة لها أسواقها وحصنها. سمّيت بذلك لضبطها الماء واخذه منها، وقيل: باسم زُبالة بنت مِسْقر من نساء العمالقة. وإليها ينسب محمّد بن الحسن بن عياش الزّباليّ.

معجم البلدان ٣: ١٢٩، معجم ما استعجم ٢: ٦٩٣.

والثَّعْلَبيّة: وهي من المنازل على طريق مكّة من الكوفة، تعدّ ثلثا الطريق، سمّيت نسبة إلى ثَعْلَبَة بن عمر بن.... ماء السماء.

وقيل غير ذلك.

معجم البلدان ٢: ٧٨، معجم ما استعجم ١: ٣٤١.

و: هي أحسن الناس ما قرناً فقدماً. يعنون (ما بين) في جميع ذلك[1].

وقال بعضهم: «ما» بمعنى الذي. ويكون التقدير: الذي هو بعوضةٌ؛ ونصب بعوضةً؛ لأنّها من صلة الذي، فأعربَها بإعرابه. كما قال حسان بن ثابت:

فَكَفى بِنْا فَخْراً علىٰ مَنْ غَيْرُنا حُبُّ النَّبيِّ محمّدٍ إيانّا[2] [١٣٣]

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٢.

(٢) نظراً للمعاصرة والاشتراك في أغلب مناسبات الشعر بين الأنصاريين مدحاً، أو دفاعاً عن النبيّ الأكرم ﷺ، أو هجواً للمشركين، أو تسجيل نصر للمسلمين، أو إثبات واقعة، نرى هذا البيت ـ وعلىٰ كثرة دورانه في كتب النحو والأدب ـ اختلف في نسبته فتارة إلىٰ:

حسان بن ثابت، كما هنا، وجمل الخليل: ٨٩، معاني القرآن للفرّاء ١: ٢١، الأزهية: ١٠١، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٦٥ م ٩٥ و٢١٩ م ٨٣، شرح شواهد المغني للسيوطيّ ١: ٣٣٧ ت ١٥٣. وانظر ديوانه ١: ٥١٥ ت ٣٥٤.

وأُخرى إلىٰ: كعب بن مالك كما في أمالي ابن الشجريّ ٢: ٤٤١ م ٦١، وديوانه: ٢٨٩.

وثالثة إلىٰ: عبدالله بن رواحة.

ورابعة إلىٰ: بشر بن عبد الرحمن بن كعب أشار إليهما السيوطيّ في شرح الشواهد ١: ٣٣٧، ت١٥٣، والبغداديّ في الخزانة ٦: ١٢٠ ش ٤٣٨.

وخامسة إلىٰ: الأنصاريّ، أو من دونه نسبة، كما في الكتاب ١: ١٠٥، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ١٦٣ ت ٤٠٤، مجالس ثعلب ١: ٢٧٣، الجمل للزجّاجيّ: ٣٢٣، شرحه لابن هشام: ٣٨٥، سرّ صناعة الإعراب ١: ١٣٥، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١: ٤٩٧، شرح المفصّل ٤: ١٢، المقرّب: ٢٢٣، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٢٢٢م ٨٣، كشف المشكل في النحو ٢: ١٨٥، الجنى الداني: ٥٢، رصف المباني: ٢٢٦ ت ١٨٣. هذا والظاهر أنّه بيت مفرد؛ إذ لم تُشر المصادر إلىٰ ما قبله ولا ما بعده حتّىٰ الدواوين، إلا السيوطيّ في شرحه حيث ذكر أنّ قبله:

نَصَروا نَبِيَّهُمُ بِنَصْرِ وَلِيِّهِ فَاللهُ عَزَّ بِنَصْرِهِ سَمّانَا

⇐

فأعرب «غيَرنا» بإعراب «مَنْ»، ويجوز ذلك في «مَنْ» و«ما»؛ لأنّهما يكونان تارةً معرفة وتارةً نكرة[1].

والبعوضة: من صغار البقّ، سميت بذلك لأنّها كبعض البقّ.

وقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾:

(يعني: ما هو أعظم منها ـ على قول قتادة وابن جريج ـ وقيل: فما فوقها)[2]، في الصغر والقلّة، كما يقول القائل: إنّ هذا الأمر لصغير، فيقول المجيب: وفوق ذلك، أي: هو أصغر ممّا قلت.

وكلاهما جائزان، فمن قال بالأوّل، قال: لأنّ البعوضة غاية في الصغر. ومن قال بالثاني، قال: يجوز أن يكون «ما» هو أصغر منها.

وحكي عن رؤبة بن العجّاج: إنّه رفع بعوضة، وأنشد بيت النابغة:

قالَتْ ألا لَيْتَما هذا الحَمامُ لَنا ... إلىٰ حَمامَتِنا أَوْ نِصْفُه فَقَدِ[3] [١٣٤]

الشاهد فيه: ما أشار إليه ﵀ حيث يروى برفع «غيرُ» علىٰ تقدير أنّ «مَنْ» موصولة. وبكسرها علىٰ أن «مَنْ» نكرة موصوفة بغيرنا، أي: علىٰ إنسان هو غيرنا.

(١) أشار إليه جمع منهم: سيبويه في كتابه ٢: ١٠٥، ونسبه إلىٰ الخليل في الجمل: ٨٩، والفرّاء في معانيه ١: ٢١، والزجّاج في معانيه ١: ١٠٤. وانظر تفسير البحر المحيط ١: ١٢٢.

(٢) زيادة من «خ، س» ساقطة من باقي النسخ يساعد علىٰ الإثبات المصادر وما يأتي من قول المصنّف: وكلاهما....

(٣) وبعده:

فَحَسَبُوهُ فأَلْفَوْه كَما ذَكَرَتْ ... ستّاً وَسِتِّينَ لَمْ تُنْقِصْ وَلَم تَزِدِ

بيت شعر كثير الدوران في كتب الأدب، إذ فيه عدّة شواهد منها: إعمال

بالرفع، فأعمل «ما» ولم يُعمل «ليت»، قال: وهي لغة تميم يُعملون آخرَ الأداتين[1].

وقال الزجّاج: الرفع كان يجوز وما قُرئ به إذا كانت «ما» بمعنى الذي، ويقدّر بعدها «هو»، ويكون تقديره: مثلاً الذي هو بعوضةٌ ـ كمن قرأ: ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ﴾[2] وقد قُرئ به ـ وهو ضعيف عند سيبويه، وفي «الذي» أقوى؛ لأنّها أطول؛ ولأنّها لا تستعمل إلّا في الأسماء[3].

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾:

لغة العرب جميعاً بالتشديد، وكثير من بني عامر وتميم يقولون: أيما فلان ففعل الله به، وأنشد بعضهم:

↰ «ليت»، إهمالها، وإعمال «ما» بناءً علىٰ روايتي الرفع والنصب في الحَمَام. استعمال «أو» بمعنى «و» علىٰ رواية «أو نصفه» وهكذا كلّ يجرّ به إلىٰ قرصه.

المعنىٰ: يذكر الشاعرُ زرقاءَ اليمامة ويصفها بدقّة النظر وسرعة الحساب والبداهة، وأنّها نظرت إلىٰ سرب قطا طائر فقالت علىٰ البداهة:

لَيْتَ الحَمامُ لِيَه إلىٰ حَـما مَتِيَهْ
وَنِـصْفُهُ قَـدِيَه تَمَّ الحَـمامُ مِيَهْ

فقد كان الحمام ستّاً وستّين + نصفه ثلاثة وثلاثين + حمامَتها = مئة.

الديوان: ٣٥.

(١) قراءة رؤبة أشار إليها سيبويه في الكتاب ٢: ١٣٧، وأبو عبيدة في المجاز ١: ٣٥، وابن خالويه في مختصره: ١٢، والنحّاس في الإعراب ١: ٢٠٤، وابن جنّي في المحتسب ١: ٦٤، ومن دون نسبه في البيان ١: ٦٦، وإعراب القراءات السبع ١: ١٤٠، التبيان في إعراب القرآن ١: ٤٣ وغيرها.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١٥٤.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه ١: ١٠٤.

مُـــبْتَلَّةٌ هَــيْفاء أَيْــما وِشَــاحَها

فَيَجْرِي، وأيْما الحِجْلُ مِنْها فَلا يَجْرِي[1] [١٣٥]

وقوله: ﴿ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾:

فالفاء جواب لـ﴿أمّا﴾ وفيها معنىٰ الشرط والجزاء.

والمعنىٰ: إنّ المؤمنين بالله علىٰ الحقيقة يعلمون أنّ هذا المثَل حقّ من عند الله ومن كلامه.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

يعني: الجاحدين.

---

(١) ذكرت كتب الأدب والنحو: إنّ العرب فيهم من يبدلّ الميم الأُولى ياءً؛ استثقالاً للتضعيف، ولهم عليه شواهد، وقد ذكر ابن منظور ـ وبشيء من التفصيل ـ ذلك في لسان العرب ١٤: ٤٦، وقبله الجوهريّ في الصحاح ٦: ٢٢٧٢، وكذا ابن هشام في المغني ١: ٧٩، وقبله المبرّد في الكامل ١: ٩٨.

وأمّا بيت الشاهد وعلىٰ رواية المصنّف ﷺ فلم أجده إلّا عند الهرويّ في الأزهية في علم الحروف: ١٤٨.

والملاحظ أنّ للأخطل بيتينِ قريبينِ من هذا هما:

أَسِيْلَةُ مجرى الدمع أمّا وشاحها فجار وأمّا الحجل منها فلا يجري

والآخر:

من الخفرات البيض أمّا وشاحها فيجري وأمّا القلب منها فلا يجري

وهما من دون محلّ الشاهد إلّا علىٰ القول بإمكان الإبدال.

انظر: الديوان: ١٢٩، العُمدة في محاسن الشعر ١: ٥٣٦، الأغاني ٨: ٢٩٧.

المعنىٰ: الشاعر يصف عشيقته أنّها: ناعمة الخدين، ذات خصر دقيق رفيع، والوشاح: قطعة قماش أو جلد ـ أي: الحزام ـ يرصّع بالجوهر، تشدّه المرأة والجارية علىٰ وسطها. وأنّها غليظة الساقين ممتلئة بحيث أنّ الخلخال ـ الحجل ـ لا يتحرك عليه.

الشاهد فيه: إبدال الميم الأُولى من «أمّا» ياءً فقال: «أيما».

﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً﴾ :

علىٰ ما بيّناه[١].

وانتصب ﴿مَثَلاً﴾ عند ثعلب بأنّه قطع. وعند غيره أنّه تفسير. وقال قوم: إنّه نُصب علىٰ الحال[٢].

و(ذا) مع (ما) بمعنى: الذي ومعناه الذي أرادَ اللهُ بهذا مثلاً. فعلى هذا يكون الجواب رفعاً، كقولك: البيانُ لحال الذي ضُرب له المثل.

ويحتمل أن يكون «ما» و«ذا» بمنزلة اسم واحد، فيكون الجواب نصباً كقولك: البيانَ لحال الممثل به.

وورد القرآن بهما جميعاً. قال تعالىٰ: ﴿مَاذَآ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً﴾[٣]، وفي موضع آخر: ﴿مَاذَآ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٤] ذكرهما سيبويه، والأخفش[٥] وهذا إشارة إلىٰ المثل.

و﴿مَثَلاً مَا﴾ :

نون التنوين تدغم في الميم عند جميع القرّاء.

ويكره الوقف علىٰ قوله: ﴿لَا يَسْتَحْيِ﴾ ثمّ يقول: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ وكذلك علىٰ قوله: ﴿واللهُ لَا يَسْتَحَيِ﴾ ثمّ يقول: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٦].

---

(١) في صحيفة: ٣٢٦ عند الكلام علىٰ ﴿مثلاً﴾ الأولى في الآية.

(٢) أشار إلىٰ الآراء النحّاس في إعراب القرآن ١: ٢٠٤، ابن الأنباريّ في البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٦٦، والقيسيّ في مشكل إعراب القرآن ١: ٣٢ ت ٦١.

(٣) سورة النحل ١٦: ٣٠.

(٤) سورة النحل ١٦: ٢٤.

(٥) الكتاب ٢: ٤١٦ وما بعدها، معاني القرآن ١: ٢١٥.

(٦) سورة الأحزاب ٣٣: ٥٣.

وقوله: ﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ**﴾:

إنْ قيل: أليس تقولون: إنّ الله لا يُضلّ أحداً، ولا يهدي خلقاً، وإنّ العباد هم الذين يُضِلّون أنفسهم ويهدونها، وهم يُضِلّون من شاءُوا ويهدون من شاءُوا. وقد قال الله تعالىٰ في غير موضع من كتابه نحو قوله: ﴿**يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ**﴾[1]، ولا يمكنكم أنْ تقولوا: إنّ المراد بالإضلال العقوبة والتسمية؛ لأنّه لو قال: يضلّ كثيراً ويهدي كثيراً، كان ذلك ممكناً، لكن قال: ﴿**يُضِلُّ بِهِ**﴾ و﴿**يَهْدِي بِهِ**﴾ والهاء راجعة إلىٰ القرآن أو المثلِ الذي ضربه فيه. ولا يجوز أنْ يعاقب بالمثل، ولا أنْ يسمّى بالمثل. فعُلم بذلك أنّه أراد أنّه لبس عليهم، وجعله حيرةً لهم؟!.

قلنا: أوّل ما في ذلك أنّا لا نطلق أنّ الله لا يُضلّ أحداً ولا يهدي أحداً. ومن أطلق ذلك فقد أخطأ.

ولا نقول أيضاً: إنّ العباد يُضلّون أنفسهم أو يهدونها مطلقاً، أو يضلّون غيرَهم أو يهدونه. فإنّ إطلاق جميع ذلك خطأ.

بل نقول: إنّ الله يضلّ منْ يشاء ويهدي من يشاء.

ونقول: إنّ من أضلّه الله فهو الضالّ، ومن هداه فهو المهتدي.

ولكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف ممّا يؤدّي إلىٰ التَّظْلِيم والتَّجْوِير لله تعالىٰ في حكمه.

---

(١) وردت في سورة النحل ١٦: ٩٣، سورة فاطر ٣٥: ٨.

فالمخالف يقول: إنّ الله يُضلّ كثيراً من خلقه. بمعنى أنّه يَصُدُّهم عن طاعته، ويحول بينهم وبين معرفته، ويُلبِّس عليهم الأُمور ويحيّرهم ويغلِّطهم، ويشكّكهم، ويوقعهم في الضّلالة، ويجبرهم عليها.

ومنهم من يقول: يخلقها فيهم، ويخلق فيهم قدرة موجبة له، ويمنعهم الأمر الذي به يخرجون منها، فيصفون الله تعالىٰ بأقبح الصفات وأخسّها. وقالوا فيه بشرّ الأقوال(١).

وقلنا نحن: إنّ الله قد هدى قوماً وأضلّ آخرين، وأنّه يُضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء. غير أنّه لفضله وكرمه وعدله ورحمته لا يشاء أن يُضلَّ إلّا من ضلّ وكفر وترك طريق الهدى، وأنّه لا يشاء أنْ يُضلّ المهتدين المتمسّكين بطاعته؛ بل شاء أنْ يهديهم ويزيدهم هدى، فإنّه يهدي المؤمنين بأنْ يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور. كما قال تعالىٰ: **﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدىً وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾**(٢) وقال: **﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾**(٣). وقال: **﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾**(٤) وقال: **﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ * ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ**

(١) هذه الآراء مجمل عقائد الجبرية بفرقها. ينظر للتوسعة ما تقدّم في صحيفة: ١١ هامش: ١.

(٢) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ١٧.

(٣) سورة التغابن ٦٤: ١١.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٥٧.

﴿ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[١] وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٢].

والإضلال علىٰ وجوه كثيرة:

منها: ما نسبه الله تعالىٰ إلىٰ الشيطان: وهو الصدّ عن الخير والرُّشدِ، والدعاءُ إلىٰ الفساد والضّلال، وتزيين ذلك، والحثّ عليه. وهذا يُنَزِّه الله تعالىٰ عنه.

ومنها: تشديد الامتحان والاختبار اللّذين يكون عندهما الضلال ويعقبهما.

ونظير ذلك في اللّغة: أنْ يسأل الرجل غيره شيئاً نفيساً خطيراً يثقل علىٰ طباعه بذله فإذا بخل به، قيل له: نَشْهد لقد بَخَّلَكَ فلان. وليس يريدون بذلك عيب السائل، وإنّما يريدون عيب الباخِل المسؤُول، لكن لمّا كان بُخلُ المسؤول ظهر عند مسألة السائل جاز أنْ يقال في اللّغة: إنّه بخَّلَك.

ويقولون للرجل إذا أدخلَ الفضّةَ النارَ؛ ليعلم فسادها من صلاحِها، فظهر فسادَها: أَفْسَدْتَ فضّتك، ولا يريدون أنّه فعل فيها فساداً، وإنّما يريدون أنّ فسادها ظهر عند محنته.

ويقرب من ذلك قولهم: فلان أَضَلَّ ناقته، ولا يريدون أنّه أراد أن تضلّ[٣]، وإنّما يريدون ضلّت منه لا من غيره.

ويقولون أفْسدتْ فلانةُ فلاناً، وأذْهَبَتْ عقلَه، وهي لاتعرفه؛ لكنّه لمّا

---

(١) سورة البقرة ٢:٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٢٧.

(٣) في النسخ «خ، هـ، ؤ» زيادة لفظها: بل يكون قد بالغ في الاستيثاق منها. وكذا في «ل والحجريّة» علىٰ أنّه صحف الاستيثاق فيهما إلىٰ الاستيناف والاستتار.

فسد وذهب عقلُه من أجلها، وعند رؤيته إيّاها، قيل: هي أفسدته، فأذهبت عقله.

ومنها: التخلية علىٰ جهة العقوبة، وترك المنع بالقهر والإجبار، ومنع الألطاف التي يؤتيها المؤمنين جزاء علىٰ إيمانهم. كما يقول القائل لغيره: أفسدت سيفك. إذا ترك أنْ يُصلحه، لا يريد أنّه أراد أنْ يَفْسد أو أراد سبب فساده، أو لم يُحبّ صلاحَه، لكنّه تركه فلم يُحدث فيه الإصلاح في كلّ وقتٍ بالصَّقل والإحداد.

وكذلك قولهم: جعلتَ أظافيرك سلاحاً. وإنّما يريدون تركت تقليمها.

ومنها: التسميةُ بالإضلال والحكم به يقال: أضلّه، إذ سمّاه ضالاًّ. كما يقولون: أكْفَرَهُ، إذا سمّاه كافراً، ونسبه إليه. قال الكميت:

فطائِفَةٌ قَدْ أكْفَرُوني بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا: مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ[1] [١٣٦]

ومنها: الإهلاك والتدمير. قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] أي: هلكنا.

فيجوز أنْ يكونَ المراد بالآية حكم الله علىٰ الكافرين، وبراءته منهم ولعنه إيّاهم إهلاكاً لهم، ويكون إهلاكه إضلالاً كما كان الضلالُ هلاكاً[3].

---

(١) من هاشمية بائية عصماء في مدح آل البيت عليهم‌السلام مطلعها:

طَرِبْتُ وَماشَوْقاً إلىٰ البِيضِ أَطْرِبُ وَلا لَعِباً مِنّي أَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ ؟!

أراد من الطائفة الأُولى: الحرورية. ومن الثانية: المُرْجِئَة. وقيل: الخوارج؛ إذ أنّ تكفير محبّ آل البيت عليهم‌السلام من مذهبهم.

انظر: شرح هاشميات الكميت لأبي رياش القيسيّ: ٥٣ ق ٢ ب ٢٢.

(٢) سورة السجدة ٣٢: ١٠.

(٣) انظر للمعرفة وزيادة الاطّلاع: «ضَلَلَ» في تهذيب اللّغة ١١: ٤٦٢، المحيط ٧: ☜

وإذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه، فلا يجوز أنْ يُنسب إلى الله تعالى أقبحها وهو ما أضافه إلى الشيطان، بل ينبغي أنْ يُنسب إليه أَحسنها وأَجملها.

فإذا ثبتت هذه الجملة رجعنا إلى تأويل الآية، وهو قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ معناه: إنّ الكافرين لمّا ضرب الله لهم الأمثال قالوا: وما الحاجة إليها؟

قال الله تعالى: فيها أعظم الفائدة؛ لأنّها محنة واختبار، وبهما يُستحقّ الثواب، ويُوصل إلى النعيم. فسمّى المحنة إضْلالاً وهداية؛ لأنّ المحنة إذا اشتدّت على الممتَحَن وثقلت فضلّ عندها جاز أنْ تُسمّى إضلالاً، وإذا سهلت فاهتدى عندها سمّيت هداية، كما أنّ الرجل يقول لصاحبه: ما يفعل فلان؟ فيقول: هو دائباً يُسخّي قوماً ويُبخّل آخرين. أي: يسأل قوماً فيشْتدّ عليهم العطاء فيبخَلُون، ويسأل آخرين، فَيَسْهُل عليهم فيعطون ويجودون. فسمّي سؤاله باسم ما يقع عنده ويعقبه.

فمعنى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً﴾ أي: يمتحن به عباده، فيضلّ به قوم كثير، ويهتدي به قوم كثير. ولا يجب على ذلك أن يكون أراد ضلالهم. كما لا يجب ذلك في السائل أن يريد بخل المسؤول، بل يريد إعطاءه.

فإن قيل: أليس الله تعالى امتحن بهذه الأمثال المؤمنين كما امتحن بها الكافرين، فيجب أن يكون مضلّاً لهم؟

↩ ٤٣٢، المفردات: ٥٠٩، عمدة الحفّاظ ٢: ٣٨٢، الوجوه والنظائر: ٥٠٧، لسان العرب ١١: ٣٩٠، بحار الأنوار ٥: ١٦٢ ـ ٢١٠. والتفاسير عند تفسير الآية الكريمة هذه.

قلنا: إنّما سمّىٰ المحنة الشديدة إضلالاً إذا وقع عندها ضلال كما أنّ السؤال يسمّى تبخيلاً إذا وقع عنده البُخل.

وقال قوم: معنىٰ قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً﴾ يعني: يضلّ بالتكذيب بهذه الأمثال كثيراً ويهدي بالإيمان به كثيراً؛ لأنـه لو كـان سبباً للضلال لما وصفه الله بأنّه هدى، وبيان، وشفاء لما في الصدور[1]. وحذف التكذيب والإقرار اختصاراً؛ لأنّ في الكلام ما يدلّ عليه. كما يقول القائل: نزل السلطان فسعد به قوم وشقي به آخرون. وإنّما يراد به: سعد بإحسانه قوم وشقي بإساءته آخرون. لا بنزول جسمه[2]؛ لأنّ نفسه لا يقع به سعادة ولا شقاء. وكما قال: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[3] وإنّما أراد حبّ العجل. وذلك كثير.

وقد بيّنا أنّ الإضلال والهداية يُعبّر بهما عن العذاب والثواب، فعلى هذا يكون تقدير الآية: ﴿يُضِلُّ﴾ أي: يـعذّب بـتكذيب القـرآن والأمـثال كثيراً، ﴿وَيَهْدِى﴾ أي: يُثيب بالإقرار به كثيراً. والدليل علىٰ ما قلناه قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ فلا يخلو أنْ يكون أراد ما قلناه من العقوبة علىٰ التكذيب، أو أراد به الحيرة والتشكيك، وقد ذكرنا أنّ الحيرة المتقدّمة ـ التي بها صاروا ضُلّالاً فسّاقاً ـ لم يفعلها الله إلّا بحيرة قبلها، وهذا يوجب ما لا نهايةَ له من حيرة قبل حيرة، لا إلىٰ أوّل، أو إثبات إضلال لا ضَلال

---

(١) إشارة إلىٰ الآيات: من سورة يونس ١٠: ٥٧، من سورة آل عمران ٣: ١٣٨، من سورة فصلت ٤١: ٤٤.

(٢) في النسخ: حشمه. في (ؤ) (جيشه) وهي موافقة لنزول السلطان.

(٣) سورة البقرة ٢: ٩٣.

قبله، فإن كان الله قد فعل هذا الضلال الذي لم يقع قبله ضلال فقد أضلّ من لم يكن فاسقاً، وهذا خلاف قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فثبت أنّه أراد أنّه لا يعاقب إلّا الفاسقين، كما قال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[١].

وحكى الفرّاءُ وجهاً آخر مليحاً، قال: قوله: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً﴾ حكاية عمّن قال ذلك، كأنّهم قالوا: ﴿مَاذَآ أَرادَ ٱللَّهُ بِهَٰذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ أي: يضلّ به قوم ويهدي به قوم.

ثمّ قال الله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢].

فبيّن عزّ وجلّ الإضلال، وأنّه لا يُضِلّ إلّا ضالّاً فاسقاً، واقتصر علىٰ الإخبار عنهم وبيان ما بيّن من الإضلال دون ما أراد بالمثل. وهذا وجه حسن تزول معه الشبهة.

وأصل الفِسْقِ في اللّغة: الخروجُ عن الشيء، يقال منه: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ. إذا خَرَجَتْ عنْ قِشْرِها ومن ذلك سُمِّيت الفأرة: فُوَيْسِقَة؛ لخروجها من جُحرها، ولذلك سمّي المنافق والكافر: فاسقين؛ لخروجهما عن طاعة الله. ولذلك قال الله تعالىٰ في صفة إبليس: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٣] يعني خرج من طاعته واتّباع أمره[٤].

---

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٢٧.

(٢) انظر: معاني القرآن ١: ٢٣.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٥٠.

(٤) انظر: جمهرة اللّغة ٢: ٨٤٧، تهذيب اللّغة ٨: ٤١٤، المحيط في اللّغة ٥: ٢٩٣، الصحاح ٤: ١٥٤٣، «فسق»، وانظر: معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٤٧.

قوله تعالىٰ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ آية واحدة (٢٧).

العَهْدُ: العَقْدُ، والإصر مثله، والعَهْدُ: المَوْثِقْ. والعَهْدُ: الالْتِقاءُ، يقال: ما لِفُلانٌ عَهْدٌ بِكَذا، وهو قَرِيبُ الْعَهْدِ بكَذا. والعَهْدُ له معان كثيرة. وسمِّي المُعاهَدَ ـ وهو الذِّمِّيّ ـ بذلك؛ لأنّه بايَع علىٰ ما هَو عَليهِ منْ إعطاء الجزية والكفِّ عنه. والعُهْدَةُ: كتاب الشِّراء، وجمعه عُهَدْ(١).

وإذا أقسم بالعَهْدِ تعلّق به عندنا كفّارة الظِّهار، وقال قوم: كفّارة يمين. وقال آخرون: لا كفّارة عليه(٢).

و: **﴿عَهْدَ الله﴾**:

قال قوم: هو ما عهَدَه إلىٰ جميع خلقه، في: توحيده وعدله، وتصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلّة الدالّة علىٰ ربوبيّته، وعَهَدَ إليهم في أمره ونهيه، وما احتجّ به لرسلِهِ بالمعجزات التي لا يقدر أحد علىٰ الإتيان

---

(١) تلاحظ كتب اللّغة التالية: العين ١: ١٠٢ و٧: ١٤٧، جمهرة اللّغة ٢: ٦٦٨، تهذيب اللّغة ١: ١٣٥ و١٢: ٢٣١، المحيط في اللّغة ١: ١١١ و٨: ١٧٦، الصحاح ٢: ٥١٥ و٢: ٥٧٩، مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩١، عمدة الحفّاظ ٣: ١٣٣، مادة «عَهَدَ، أَصَرَ» فيها.

(٢) انظر: الانتصار: ٣٥٤ مسألة ١٩٦، فقه القرآن ٢: ٢٣٧، كنز العرفان في فقه القرآن ٢: ١١٦، زبدة البيان في أحكام القرآن: ٤٩٥. وانظر أحكام القرآن للجصّاص ٢: ٢٩٤ و٤٥٣.

بمثلها، الشاهدة لهم علىٰ صدقه.

ونقضهم ذلك: تركهم الإقرار بما قد ثبت لهم صحّته بالأدلّة، وتكذيبهم الرسل والكتب.

وقال قوم: هو وصيّة اللهِ إلىٰ خلقه، وأمره ـ علىٰ لسان رسوله ـ إيّاهم فيما أمرهم به من طاعته، ونهيه إيّاهم عمّا نهاهم عنه.

ونقضهم: تركهم العمل به.

وقال قوم: هذه الآية نزلت في كفّار أهل الكتاب، والمنافقين منهم، وإيّاهم عنى الله عزّ وجلّ بقوله: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ...﴾** الآية. وقوله: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾** وكلّ ما في هذه الآية من اللّوم والتوبيخ متوجّه إليهم.

وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو: ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتّباع محمّد ﷺ إذا بُعث، والتصديق بما جاء به من عند ربّهم.

ونقضهم ذلك: جحودهم به بعد معرفتهم بحقيّته وإنكارهم ذلك، وكتمانهم ذلك عن الناس بعد إعطائهم إيّاه تعالىٰ من أنفسهم الميثاق لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه، وأَيْمٰانِهِم أنّهم متى جاءهم نذير آمنوا به، فلمّا جاءهم النذير ازدادوا نفوراً، ونبذوا ذلك وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً. وهذا الوجه اختاره الطبريّ[1].

---

(١) في تفسيره ١: ١٤٢ ـ ١٤٣. وقد أُشير إلىٰ الأقوال في: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم للرازيّ ١: ٧١ ت ٢٨٨، ﻪ

ويُقوّي هذا قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[1].

والإصر: العهد أيضاً.

وقال في موضع آخر: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾[2].

وقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾[3].

وقال قوم: إنّما عنى بذلك العهدَ الذي أخذه الله حين أخرجهم من صُلْب آدم، الذي وصفه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...﴾[4].

وهذا الوجه عندي ضعيف؛ لأنّ الله تعالىٰ لا يجوز أنْ يحتجّ علىٰ عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه. وما ذكروه غير معلوم أصلاً.

والآية سنبيّن القول فيها إذا انتهينا إليها إنْ شاء الله.

✎ تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٩١، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٥، النكت والعيون ١: ٨٩، الوسيط ١: ١٠٩، تفسير السمعانيّ ١: ٦١، تفسير السلميّ ١: ١١١، المحرر الوجيز ١: ١٥٦.

(١) سورة آل عمران ٣: ٨١.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١٠٩.

(٣) سورة فاطر ٣٥: ٤٢.

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

والقطع: هو الفصل بين الشيئين أحدهما من الآخر. والأصل أن يكون في الأجسام ويستعمل في الأعراض تشبيهاً به، يقال: قطع الحبل، وقطع الكلام[١].

والأمر: هو قول القائل لمن هو دونه: افعل. وهو ضدّ النهي.

والوصل: الجمع بين الشيئين من غير حاجز[٢].

وقال قوم: الميثاق هو التَوَثُّق. كما قال: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[٣] كقولهم: أعطيتهم عطاء، يريد إعطاء[٤].

وقوله: ﴿أَن يُوصَلَ﴾ بدل من الهاء التي في ﴿بِهِۦٓ﴾ وتقديره: ما أمر الله بأن يوصل، وهو في موضع خفض.

و: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: موضعه نصب؛ لأنّه صفة للفاسقين.

و: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: رفع بالابتداء.

و: ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ خبره.

و: ﴿هُمُ﴾: فصل عند البصريّين وعماد عند الكوفيّين.

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٦٧٧، عمدة الحفّاظ ٣: ٣٢٢، بصائر ذوي التمييز ٤: ٢٨٢ ت ٢٣. «قطع» فيها.

(٢) بتصرف لأجل زيادة توضيح، انظر: العين ٧: ١٥٢، جمهرة اللّغة ٢: ٨٩٨، تهذيب اللّغة ١٢: ٢٣٤، محيط اللّغة ٨: ١٨٣، الصحاح ٥: ١٨٤٢، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٧٣، بصائر ذوي التمييز ٥: ٢٢٥. «وصل» فيها.

(٣) سورة نوح ٧١: ١٧.

(٤) لاحظ من كتب اللّغة: تهذيب اللّغة ٩: ٢٦٦، المحيط في اللّغة ٥: ٤٩٨، الصحاح ٤: ١٥٦٢، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٥٣، بصائر ذوي التمييز ٥: ١٥٨ ت ٥٠ «وثق» في جميعها.

والظاهر أنّه إشارة إلىٰ ما أورده الأخفش في معاني القرآن ١: ٢١٦ ـ ٢١٧.

ويجوز أن يكون ﴿هُمُ﴾ ابتداءً ثانياً، ﴿وَٱلْخَٰسِرُونَ﴾ خبره، والجملة في موضع خبر أُولئك.

والنقض: ضدّ الإبرام.

والمِيثاق والميعاد والميقات متقاربة المعنىٰ. يقال: وَثِقَ به يَثِقُ ثِقَةً، وأوثَقَه إيثْاقاً. وتَوَثَّقَ تَوَثُّقاً. ويقال: فلان ثِقَةٌ، للذكر والانثى. والواحد والتثنية والجمع بلفظ واحد، فاذا جُمع قيل: ثِقْاتٌ، في الرجال والنساء[1].

و: ﴿من﴾ لابتداء الغاية في الآية. وقيل: إنّها زائدة.

والهاء في قوله ﴿مِيثَٰقِهِ﴾ يحتمل أنْ تكون راجعة إلىٰ العهد ويحتمل أن تكون راجعة إلىٰ اسم الله تعالىٰ.

وقال قَتادة قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: قطيعةُ الرّحم والقرابة.

وقال غيره: معناه الأمر بأنْ يُوصلَ كُلَّ منْ أمر الله بصلته من أوليائه. والقطع: البراءة من أعدائه.

وهذا أقوى؛ لأنّه أعمّ من الأوّل. ويدخل فيه الأوّل.

وقال قوم: أراد صِلة رسوله وتصديقه، فقطعوه بالتكذيب، وهو قول الحسن.

---

(١) النقض، الميثاق، لغةً تجدهما علىٰ الترتيب في: العين ٥: ٥٠ و٢٠٢، جمهرة اللّغة: ٢: ٩١٠ و١: ٤٣٠، تهذيب اللّغة ٨: ٣٤٤ و٩: ٢٦٦، المحيط في اللّغة ٥: ٢٥١ و٤٩٨، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ١٧٨ و٥٤٤، الصحاح ٣: ١١١٠ و٤: ١٥٦٢، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٢١ و٨٥٣. «نَقَضَ، وَثَقَ».

وقال قوم: أراد أن يُوصَلَ القول بالعمل فقطعوا بينهما بأنْ قالوا ولم يعملوا[١].

وما قلناه أوّلاً أولى؛ لأنّا إذا حملناه علىٰ عمومه دخل ذلك فيه.

وقوله: ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

قال قوم: استدعاؤهم [الناس][٢] إلىٰ الكفر.

وقال قوم: إخافتهم السبيل وقطعهم الطريق.

وقال قوم: أراد نقض العهد.

وقال قوم: أراد كلَّ معصية تعدّى ضررها إلىٰ غير فاعلها[٣].

والخسران هو: النقصان. قال جرير:

إنّ سَلِيطاً في الخَسارِ إنّهْ [١٣٧]

أَوْلادُ قَوْمٍ خُلقُوا أَقِنَّهْ[٤]

---

(١) الأقوال متناثرة في: التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه‌السلام: ٢٠٦ ت ٩٦، تفسير القميّ ١: ٣٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٧١، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٥، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٠٦، تفسير كتاب الله العزيز ١: ٩١، النكت والعيون ١: ٨٩، تفسير الوسيط ١: ١٠٩، تفسير السمعانيّ ١: ٦٢، المحرّر الوجيز ١: ١٥٥، وانظر: باهر البرهان (وضح البيان) ١: ٥٢، زاد المسير ١: ٥٧، تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١: ٧٩ ت ٥١.

(٢) يقتضيها السياق، ويساعد عليها زاد المسير ١: ٥٧.

(٣) انظر مصادر الهامش «١» المتقدّم.

(٤) رجز يهجو به غسّان بن ذهل السليطيّ عندما هجا قوم جرير.

أَقِنَّة: جمع قِنّ ـ للذكر والأنثى ـ العبد الذي مُلِكَ وأباه وأُمّه. سَلِيْط: بطن من

ﻪ

يعني بالخسار: ما ينقص من حظوظهم وشرفهم.

وقال قوم: الخسار ههنا: الهلاك، يعني: هم الهالكون.

وقال قوم: كلّ ما نسبَه الله من الخسار إلىٰ غير المسلمين فإنّما عنى به الكفر، وما نسبه إلىٰ المسلمين إنّما عنى به الدنيا؛ روي ذلك عن ابن عبّاس[1].

قوله تعالىٰ:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ آية (٢٨).

﴿كيف﴾:

موضوعة للاستفهام عن الحال. والمعنىٰ ههنا: التوبيخ.

وقال الزجّاج: هو التعجّب للخلق وللمؤمنين. أي: اعجَبوا من هؤلاء كيف يكفرون. وقد ثبتت حجّة الله عليهم.

ومعنىٰ ﴿وَكُنتُمْ﴾:

أي: وقد كنتم. الواو واو الحال. وإضمار (قد) جائز إذا كان في

↰ يربوع من بطون قبيلة الشاعر.

الشاهد: ما أشار إليه الشيخ المصنّف مَدَّظِلُّهُ.

انظر: الديوان بشرح محمّد بن حبيب ٢: ١٠١٧ ق ٥٠، ديوان النقائض ١: ٨ ق ٢.

(١) إضافة لمصادر الهامش: «١» صحيفة ٣٤٦، انظر: تهذيب اللّغة ٧: ١٦٢، المحيط في اللّغة ٤: ٢٦٠، الصحاح ٢: ٦٤٥، «خَسَرَ» فيها.

الكلام ما يدلّ عليه، كما قال: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُم﴾[١] أي: قد حصرت صدورهم، وكما قال: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾[٢] أي: قد قُدَّ من دبر.

ومن قال: هو توبيخ، قال: هو مثل قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[٣][٤].

وقال قَتادة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ﴾ أي: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ـ يعني: نطفاً ـ فأحياهم الله ـ بأن أخرجهم ـ ثمّ أماتهم الموتة التي لا بدّ منها، ثمّ أحياهم بعد الموت. فهما حياتان وموتتان.

وعن ابن عبّاس وابن مسعود أنّ معناه: لم تكونوا شيئاً فخلقكم، ثمّ يميتكم، ثمّ يحييكم يوم القيامة.

وروىٰ أبو الأَحْوَص[٥] عن عبدالله في قوله: ﴿أَمَتَّنَا آثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا آثْنَتَيْنِ﴾[٦] قال: هي كالتي في (البقرة): ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. وهو قول مجاهد وجماعة من المفسِّرين.

وروي عن أبي صالح أنّه قال: كنتم أمواتاً في القبور فأحياكم فيها، ثمَّ يميتكم، ثمَّ يحييكم يوم القيامة.

---

(١) سورة النساء ٤: ٩٠.

(٢) سورة يوسف ١٢: ٢٧.

(٣) سورة التكوير ٨١: ٢٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٠٧، وانظر معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٣.

(٥) عَوْف بن مالك بن نَضْلَة الأشجعي، الكوفيّ أبو الاحوص وبه أشهر من اسمه، روىٰ عن عبدالله بن مسعود وعروة بن المغيرة وغيره، وعنه خلق منهم: الحسن البصريّ والحكم بن عُتَيْبَة، توفي أيّام الحجّاج.

له ترجمة في: تهذيب الكمال ٢٢: ٤٤٥ ت ٤٥٤٨ ومصادره.

(٦) سورة غافر ٤٠: ١١.

وقال قوم: ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتاً﴾:

يعني: خاملي الذكر، دارسي الأثر، فأحياكم بالظهور والذكر، ثمّ يميتكم عند تقضّي آجالكم، ثمّ يحييكم للبعث.

قال أبو نُخَيْلَة السَّعْديّ(١):

فأحْيَيتَ مِنْ ذِكْري ومَا كانَ خامِلاً ولكنَّ بَعْضَ الذكْرِ أنْبَهُ مِنْ بَعْضِ(٢) [١٣٨]

وهذا وجه مليح، غير أنّ الألْيَق بما تقدّمَ قولُ ابن عبّاس وقتادة(٣).

---

(١) قيل: اسمه كنيته، لولادته قرب نخلة، وقيل: اسمه يَعْمُر، شاعر عاصر الدولتين: الأموية ومدح حكّامها، ثمّ انقلب عليهم وهجاهم منصرفاً إلىٰ العباسيين، نفاه أبوه عنه إذ كان عاقاً به، قتل حدود سنة ١٤٥هـ بأمر عيسى بن موسى في طريق خراسان ذبحاً وسلخ وجهه؛ لطلبه من المنصور خلع عيسى وعقد العهد إلىٰ محمّد المهديّ.

له ترجمة في: الأغاني ٢٠: ٣٩٠ مفصّلة. وانظر: مروج الذهب (الفهارس) ٦: ١١٦، معجم الشعراء المخضرمين: ٤٩٣، ومصادر البيت في الهامش الآتي.

(٢) من مقطوعة يمدح فيها مَسْلَمَةَ بن هشام بن عبد الملك، وقد اختلف في ضَبْطه بما يؤثر علىٰ محل الشاهد.

المعنىٰ: يتجه بالشكر إلىٰ مسلمة حيث اهتمّ به وقدّمه إلىٰ الحكّام الأُمويين وبذل له بعد أن كان خاملاً وعليه سُبَّةُ النفي من أبيه.

الشاهد: ما أشار إليه الشيخ ﷺ من استعمال الأحياء مجازاً لما هو ليس بميّت.

انظر لرواية المصنّف: الأغاني ٢٠: ٣٩٢، المؤتلف والمختلف للآمديّ: ٢٩٧، الحيوان ٢: ١٠٠، عيون الأخبار ٣: ١٨٥، مروج الذهب ٤: ١٠٨ ف ٢٣٣٢.

وللرواية الثانية الديوان المجموع والمطبوع في مجلّة المورد العراقية م٧ ع٣٤: ٢٤٩ ق٢٤ ومصادره.

(٣) الأقوال جميعاً ـ مفردة ومجتمعة ـ تجدها في: تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١: ٧٩ ت ٥٢، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٣ ت٩، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٧٣ ت ٣٠٠، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٦، المستدرك ←

وقال قوم: معناه أنّ الله تعالىٰ أحياهم حين أخذ الميثاق منهم وهم في صلب آدم وكساهم العقل ثمّ أماتهم ثمّ أحياهم وأخرجهم من بطون أُمهاتهم. وقد بيّنا أنّ هذا وجه ضعيف في نظائره؛ لأنّ الخبر الوارد بذلك ضعيف(١).

والأقوى في معنىٰ الآية أن يكون المراد بذلك: تعنيف الكفّار، وإقامة الحجّة عليهم بكفرهم، وجحودهم ما أنعم الله تعالىٰ عليهم، بأنّهم كانوا أمواتاً قبل أنْ يُخلقوا في بطون أُمهاتهم وأصلاب آبائهم - يعني نطفاً، والنطفة مَوات - ثمّ أحياهم فأخرجهم إلىٰ دار الدنيا أحياء، ثُمّ يُميتُهُمْ، ثمّ يحييهم في القبر للمساءلة، ثمّ يبعثهم يوم الحشر للحساب، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾: معناه ترجعون للمجازاة علىٰ الأعمال، كقول القائل: طريقك عليّ ومرجعك إليّ. يريد: إنّي مجازيك ومُقْتَدر عليك.

وسمّي الحشرُ رجوعاً إلىٰ الله؛ لأنّه رجوع إلىٰ حيث لا يتولّى الحكم فيه غير الله تعالىٰ، فيجازيكم علىٰ أعمالكم، كما يقال: رجع أمرُ القومِ إلىٰ الأمير أو القاضي، ولا يراد به الرجوع من مكان إلىٰ مكان، وإنّما يراد به أنّ النظر صار له خاصة دون غيره.

فإن قال قائل: لم يذكر الله إحياءً في القبر فكيف تثبتون عذاب القبر؟

قلنا: قد بيّنا أنّ قوله: ﴿ **ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ المراد به إحياؤهم في القبر للمساءلة، وقوله: ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ معناه إحياؤهم يوم القيامة، وحذف

علىٰ الصحيحين ٢: ٤٣٧، وجمعها الطبريّ في جامعه ١: ١٤٦، وأُشير إليها في التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٢١٠ ت ٩٧، تفسير القمّيّ ١: ٣٥، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٩١، تفسير السمعانيّ ١: ٦٢، المحرّر الوجيز ١: ١٥٧.

(١) تقدّم الكلام حولها ضمن تفسير الآية المتقدّمة صحيفة: ٣٤٢.

«ثمّ يميتكم» بعد ذلك؛ لدلالة الكلام عليه؛ على أنّ قوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لو كان المراد به يوم القيامة لم يمنع ذلك من إحياءٍ في القبر وإماتة بعده كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾[١]. ولم يذكر حياة الذين أُحيوا في الدنيا بعد أن ماتوا. وقال في قوم موسى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢] ولم يذكر حياتهم في الدنيا، ولم يدلّ ذلك علىٰ أنّهم لم يحييوا في الدنيا بعد الموت. فكذلك أيضاً لا تدلّ هذه الآية علىٰ أنّ المكلّفين لا يُحيون في قبورهم للثواب أو العقاب، علىٰ ما أخبر به الرسول ﷺ.

وقول من قال: لم يكونوا شيئاً، ذهب إلىٰ قول العرب للشيء الدارس الخامل: إنّه ميّت. يريد به: خموله ودروسه. وفي ضدّ ذلك يقال: هذا أمر حيّ، يراد به أنّه نابه متعالم[٣] في الناس.

ومن أراد الإماتة التي هي خروج الروح من الجسد، فإنّه أراد بقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً﴾ أنّه خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم فيها.

وهذا بعيد؛ لأنّ التوبيخ هنالك إنّما هو توبيخ علىٰ ما سلفَ وفرطَ من إجرامهم لا استعتاب واسترجاع. وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً﴾ توبيخ مسْتَعْتِب، وتأنيب مُسْتَرْجِع[٤] خَلَقَه من المعاصي إلىٰ

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) أي: مشهور معروف، انظر: تهذيب اللّغة ٢: ٤١٥، المحيط في اللُّغة ٢: ٥٩، لسان العرب ٢: ٤١٦، «علم».

(٤) في النسخ زيادة «من» وكيف ما قرأت ـ بفتح الميم أو كسرها ـ لا وجه لها.

الطاعة، ومن الضلالة إلىٰ الإنابة، ولا إنابة في القبر ولا توبة فيها بعد الوفاة.

وأحسن الوجوه ممّا قدّمنا ما ذكره ابن عبّاس، وبعده قول قتادة.

قوله تعالىٰ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. آية بلا خلاف (٢٩).

﴿هُوَ﴾:

كناية عن الله عزّ وجلّ في قوله: **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾** وأراد به تأكيد الحجّة فقال: **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللهِ﴾** الذي أحياكم بعد موتكم **﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** **﴿ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾** يعني: الذي في الأرض.

و: **﴿مَا﴾**:

في موضع نصب؛ لأنّ الأرض وجميع ما فيها نعمة من الله لخلقه إمّا: دينيّة فيستدلّون بها علىٰ معرفته، وإمّا: دنيويّة فينتفعون بها بضروب النفع عاجلاً.

وقوله: **﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾**:

فيه وجوه:

أحدها: ما قاله الفرّاء: من أنّ معناه أقبَلَ عليها. كما يقول القائل: كان فلان مقبلاً علىٰ فلان يشتمه، ثمّ استوى إليّ يشتمني، واستوى عليّ

يشاتمني[١].

قال الشاعر:

أَقُولُ وَقَدْ قَطَعْنَ بِنا شَرَوْرى   ثَوانِيَ واسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ[٢] [١٣٩]

أي: أقبلن وخرجن من الضَّجُوع.

وقال قوم: ليس معنىٰ البيت ما قاله، وإنّما معناه: استوين علىٰ الطريق من الضَّجُوع خارجات، بمعنى: استقمن عليه[٣].

ثانيها: ما قاله[٤] قوم: معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: قصدها لتسويتها، كقول القائل: قام الخليفة يدبّر أمر بني تميم، ثمّ استوى وتحوّل إلىٰ بني ربيعة، فأعطاهم وقسّم لهم. أي: قصد إليهم.

ويقال: مرّ فلان مستوياً إلىٰ موضع كذا ولم يعدل. أي: قصد.

ثالثها: ما قاله قوم: معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: استولى على السماء بالقهر؛ كما قال: ﴿لِتَسْتَوُواْ عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾[٥] أي: تقهروه. ومنه قوله

---

(١) معاني القرآن ١: ٢٥.

(٢) للشاعر تميم بن أُبيّ بن مقبل، البيت ٢٤ من القصيدة ٢٢، الديوان: ١٦٤. وانظر معجم ما استعجم ٣: ٧٩٤ مادة «الشروریٰ».

في بعض المصادر وكما في نسخ «ؤ، هـ، خ»: عوض ثواني: سوامد، أي مسرعات.

المعنىٰ: شروریٰ: جبل في الطريق إلىٰ الكوفة من مكّة المكرّمة. قطعن: أي الإبل والمَطِيّ. ثواني: أي علىٰ مهلهن غير مُجْهدات ولا عَجِلات. الضجوع: وادٍ من بلاد هذيل وبني سُليم.

الشاهد: ما أشار إليه المصنّف ﵀.

(٣) إشارة إلىٰ ما ذكره أبو جعفر الطبريّ في تفسيره ١: ١٥٠.

(٤) من النسخة «هـ» وهو أوفق لتعداد الوجوه، وهكذا إلىٰ خامسها.

(٥) سورة الزخرف ٤٣: ١٣.

تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰ﴾[١] أي: تمكّنَ من أمره وقهر هواه بعقله. فقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ في تفرّده بملكها، ولم يجعلها كالأرض مُلكاً لخلقه. ومنه قول الشاعر:

فَلَمّا عَلَوْنا وَاستَوَيْنا عَلَيهِمُ   تَركْناهُمُ صَرْعى لِنَسْرٍ وَكاسِرِ[٢] [١٤٠]

وقال آخر:

[١٤١] قَدْ اسْتَوى بِشْرٌ علىٰ العِراقِ
مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْراقِ[٣]

---

(١) سورة القصص ٢٨: ١٤.

(٢) لم نجد من نسبه انظر: جامع أحكام القرآن ٣: ٢٧٨، البحر المحيط ١: ١٣٤، الدرّ المصون ١: ١٧٢ ت ٣٢٨.

المعنىٰ: العام واضح.

صرعىٰ: بالمهملات، جمع صريع، أي: مطروح علىٰ الأرض؛ ومَصارعْ: جمع: مَصْرع: المقتل، أي: مكان القتل. النَّسر: مثلث النون والفتح أشهر ثمّ سكون، طائر معروف من جوارح الطير. الكاسر: العُقاب.

والشاهد فيه استعمال «استوينا» بمعنى استولينا. وإرادته من الشعر واضحة.

(٣) في ضبط أوّله اختلاف لا يضرّ. كما في نسبته، إذ هو بيت مردّد النسبة، فقد نسبه الشيخ المصنّف في تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف إلىٰ البُعَيْث وكذا الواحديّ في الوسيط ٢: ٣٧٦ ولم نتحققه. والأغلب استشهد به أو ذكره من دون نسبة، انظر جامع أحكام القرآن ١: ٢٥٥، البحر المحيط ١: ١٣٤، الدرّ المصون ١: ١٧٢ ت ٣٢٧، اللباب ١: ٤٨٨ ت ٣٤٦، رصف المباني: ٤٣٤ ت ٥٠٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ ٣: ١٥٤١، والازمنة والامكنة له أيضاً ١: ٤٩، لسان العرب ١٤: ٤١٤، وقبله الصحاح ٦: ٢٣٨٥، شمس العلوم ٥: ٣٢٨٣، وأمّا الزَبيدي في تاج العروس ١٩: ٥٥١ فقد نسبه إلىٰ الأخطل تبعاً للجوهري، وكذا ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية ٥: ٧. معلقاً: إنّ الجُهَنّية تستدل علىٰ أنّ

رابعها: ما قاله الحسن: ثمّ استوى أمره وصنعه إلىٰ السماءِ؛ لأنّ أوامره وقضاياه تنزل من السماء إلىٰ الأرض.

خامسها: ما قاله بعضهم: استوى بمعنى استوت به السماء، كما قال الشاعر:

[١٤٢] أَقُولُ لَهُ لمَّا اسْتَوى فـي تُـراثِـهِ عَلى أيّ دِينٍ قَتَّلَ النَّاسَ مُصْعَبُ(١)

وأحسن هذه الوجوه أنْ يُحمل علىٰ أنّه علا عليها فقهرها، وارتفع فدبّرها بقدرته، وخلقهنّ سبع سماوات، فكان علوّه عليها علوّ مُلْكٍ وسلطان لا علوّ انتقال وزوال.

وبعد ذلك قول من قال: قصد إليها فخلقها.

ولا يقدح في الأوّل علوّه تعالىٰ علىٰ الأشياء فيما لم يزل؛ لأنّه ـ وإنْ كان كذلك ـ لم يكن قاهراً لها بخلقها؛ لأنّ ذلك متجدّد.

وإنّما قال: ﴿إِلَى السَّمَآءِ﴾ ولا سماء هناك كما يقول القائل: اعمل

الاستواء بمعنى الاستيلاء ببيت الأخطل هذا. ثمّ يعقب عليه قائلاً: بأنّه ليس فيه دليل وأنّه باطل من وجوه والأخطل نصرانيّ.

وأمّا الديوان: ٣٩٠ الطبعة اليسوعية فقد ذكر في الملحقات بيت مفرد ومن دون أن يكون هناك ما يدلّ علىٰ عدم صحة النسبة.

الشاعر يمدح بِشْرَ بن مروان بن الحكم بن أبي العاص حفيد طريد رسول الله ﷺ الذي تولّى الحكم علىٰ المِصْرين ـ الكوفة والبصرة ـ ولم يُطل لأخيه عبد الملك حاكم دمشق سنة ٧٤هـ بعد قتل مصعب بن الزبير. توفي في البصرة عام ٧٥ هـ.

وبِشْرٌ له ترجمة مطوّلة في: تاريخ دمشق ١٠: ٢٥٣ ت ٩٠١، سيَر أعلام النبلاء ٤: ١٤٥ ت ٤٩ ومصادره.

(١) لم نجد من ذكره قبل المصنّف ولا بعده إلّا الطبريّ في جامعه ١: ١٥٠، وانظر ما أفاده محقّق الطبعة الجديدة د. شاكر ١: ٤٢٩.

هذا الثوب، وإنّما معه غَزْل.

وقال قوم: إنّما سوّاهنّ سبع سماوات بعد أنْ كانت دخاناً.

والأوّل أملح.

وقال الرمّانيّ: السموات غير الأفلاك؛ لأنّ الأفلاك تتحرّك وتدور وأمّا السماوات لا تتحرّك ولا تدور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[1].

وهذا ليس بصحيح؛ لأنّه لا يمتنع أنْ تكون السماوات هي الأفلاك وإنْ كانت متحرّكة؛ لأنّ قوله تعالىٰ: ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها. ولولا إمساكه لهوت بما فيها من الاعمالات سفلاً.

ومعنىٰ ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾:

أي هيّأهنّ وخلقهنّ وقوّمهنّ ودبّرهنّ.

والتسوية: التقويم والإصلاح. يقال سوّى فلان لفلان هذا الأمر، أي: قوّمه وأصلحه.

وقال الفرّاء: السماء واحدة تدلّ علىٰ الجمع فلذلك قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فذكرها بلفظ الواحد. ثمّ أخبر عنها بلفظ الجمع في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾[2].

وقال الأخفش: السماء اسم جنس يدلّ علىٰ القليل والكثير، كقولهم:

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ٤١.

(٢) معاني القرآن ١: ٢٥.

أهلك الناس الدينارُ والدرهمُ[١].

وقال بعضهم: السماءُ جمعٌ واحده سماوة، مثل بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وثمرة وثمر ولذلك أُنّثت فقيل: هذه سماء، وذكّرت أُخرى فقيل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾[٢] كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها فيقال: هذا نخل، وهذه نخل، وهذا بقر وهذه بقر[٣].

ومن قال بالأوّل قال: إذا ذكّرت فإنّما هو على مذهب من يذكّر المؤنث. كقول الشاعر:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ... وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَهَا[٤] [١٤٣]

---

(١) معاني القرآن ١: ٢١٧.

(٢) سورة المزمّل ٧٣: ١٨.

(٣) الظاهر إشارة إلىٰ الفرّاء في معاني القرآن ١: ١٢٦ ـ ١٣١ و٢٥. وانظر: المذكر والمؤنث للمبرّد: ٩٤، وقبله: الكتاب لسيبويه ٢: ٤٧ نسب فيها إلىٰ الخليل.

(٤) البيت للشاعر الجاهليّ الفتّاك الخليع عامر بن جوين. يكاد لا يخلو منه كتاب في بحوث العربية حول المذكر والمؤنث.

المعنىٰ: يصف أرضاً مخصبة؛ لكثرة ما نزل فيها من المطر.

المزنة: السحاب المطير. وَدَقَتْ، الوَدَق: المطر، ووَدَقت: أَمْطَرَتْ، يقال: وَدَق، يَدِقُ، ودقاً.

الشاهد: حذف التاء من «أبقل»؛ لأنّ الأرض مؤنث مجازي، وقيل: أراد بالأرض المكان. وقيل: للضرورة.

استشهد به كثير علىٰ مورد الشاهد ناسبيه لعامر، منهم: سيبويه في الكتاب ٢: ٤٦، الفرّاء في معاني القرآن ١: ١٢٧، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢: ٦٧ ت ٦٠٣، والأخفش في معاني القرآن ١: ٢١٨، المبرّد في الكامل في الأدب ٢: ٨٤١ ←

وقال أعشى بني ثعلبة:

فـإمّا تـري لـمّتِي بُدِّلَتْ فإنّ الحَـوادِثَ أَزْرىٰ بـها[1] [١٤٤]

وقال قوم: إنّ السماوات وإنْ كانت سماءً فوق سماءٍ، وأرضاً فوق أرض فهي في التأويل واحدة، وتكون الواحدة جماعاً كما يقال: ثوب أخلاقٌ وأسمالٌ؛ ورمة أعشار، للمتكسرة، وبرمه أكسار وأجبار وأخلاق، أي نواحيه أخلاق، ويقال: أرض أعقال وأرض أخصاب. والمعنىٰ: إنّ كل ناحية منها كذلك، فجمع علىٰ هذا.

ولا ينافي ذلك قول من قال: إنّ السماء كانت دخاناً قبل أن يسوّيها سبع سماوات، ثمّ سوّاها سبعاً بعد استوائه عليها. وذلك أنّه يقول: كُنَّ سبعاً غير مستويات، فسوّاها الله تعالىٰ.

و٩٩٤ المذكر والمؤنث: ١٠٢، وابن يعيش في شرح المفصّل ٥: ٩٤، وبتفصيل حول البحث والمعنىٰ والشاعر انظر خزانة الأدب للبغدادي ١: ٤٥ ش٢.

وأمّا من دوّن نسبة فكثير للمثال انظر: المخصّص لابن سيده ٧: ٤١٨، المقرب لابن عصفور: ٣٣١، المحتسب لابن جنّي ٢: ١١٢، أمالي ابن الشجريّ ١: ٢٤٢ و٢٤٦، البلغة: ٦٦، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ١٤٩ ت ٣٦٨، وشرح الأعلم للكتاب (النكت) ١: ١٥٤ وغيرها.

(١) اختلف في شطره الأوّل، ولا ظير فيه، وأُبدل في بعض الروايات الفعل «أزرى» إلىٰ «ألوى» ولا أثر له على الشاهد، وروايته في الديوان:

فإنْ تَعَهدِينى وَلِي لِمَّةٌ فإنّ الحَوادِثَ ألْوىٰ بها

المعنىٰ: يخاطب جارته ـ حينما رأت شيبة ـ: إنْ تذكريني ولي لمّة سوداء فإنّ حوادث الزمان قد ذهبت بها وغيّرتها.

اللّـمَّة: الشعر الطويل الذي جاوز شحمة الأُذن. أزرى: أثّر وغيّر وأنزل بها الهوان، وغيّرها من السواد إلىٰ البياض، وألوى: ذهب بها وأهلكها.

الشاهد فيه: تذكير الفعل (أزرى) ـ أو ألوى ـ والحوادث مؤنث.

انظر: الديوان: ٢٢١ ق ٢٢ ب٣. وللاستزادة يراجع أغلب مصادر الهامش المتقدّم.

فإن قيل: قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ظاهره يوجب أنّه خلق الأرض قبل السماء؛ لأنّ ﴿ثُمَّ﴾ للتعقيب وللتراخي. وقال في موضع آخر: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَيٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيٰهَا﴾[1] ثمّ قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَيٰهَا﴾[2] هذا ظاهر التناقض.

قلنا: المعنىٰ في ذلك: خلق الأرض قبل السماء غير أنّه لم يَدْحها. فلمّا خلق السماء دحاها بعد ذلك. ودَحْوُها: بَسْطُها، ومدُّها؛ ومنه: أُدْحِيَّة النّعام، سمّيت بذلك؛ لأنّها تبسطها لتبيض فيها[3]. ويجوز أن لا يكون معنىٰ ﴿ثُمَّ﴾ و﴿بَعْدَ﴾ في هذه الآيات الترتب في الأوقات والتقدّم والتأخّر فيها، إنّما هو علىٰ جهة تعداد النعم والإذكار لها. كما يقول القائل لصاحبه: أليس قد أعطيتك، ثمّ حملتك، ثمّ رفعت في منزلتك، ثمّ بعد ذلك كلّه خلطتك بنفسي وفعلت بك وفعلت. وربّما يكون بعض الذي ذكره في اللّفظ متقدّماً، كان متأخّراً؛ لأنّ المراد لم يكن الإخبار عن أوقات الفعل، وإنّما المراد الذكر والتنبيه عليها.

فإن قيل: أيُّ نسبة بين قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وبين قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٍ﴾ وكان يجب أنْ يقول: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) سورة النازعات ٧٩: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) سورة النازعات ٧٩: ٣٠.

(٣) الأُدْحِيُّ: الموضع الذي تدحوه وتبسطه النَّعَامَةُ؛ لأجل أنْ تبيض فيه. يقال: دَحَيْتُ الشيءَ دَحْياً، ودَحَوْتُهُ: إذا بَسَطته.

انظر: تهذيب اللّغة ٥: ١٩٠، المحيط ٣: ١٨٠، «دَحَي» فيها، والمخصّص ٤: ٧٠، عن اصلاح المنطق لابن السكيت: ٣٧٦.

قَدِيرٌ﴾[1].

قيل: إنّما جاز ذلك؛ لأن الله لما وصف نفسه بما يدلّ علىٰ القدرة والاستيلاء وصل ذلك بما يدلّ علىٰ العلم، إذ بهما يصحّ وقوع الفعل علىٰ وجه الإحكام والإتقان.

وأيضاً أراد أنْ يبيّن أنّه عالم بما يؤول إليه حاله، وحال المُنْعَمِ بـهِ عَليهِ، فيستحقّ بذلك النعمة.

وتلخيص معنىٰ الآيـة: أنّ الله تـعالىٰ هـو الذي خـلق لكـم الأرض وما فيها من الجبال والمياه والأشجار، وما قدّر فيها من الأقوات، ثمّ قضىٰ خلق السماء بعد خلقه الأرض.

ومعنىٰ **﴿ٱسْتَوَىٰ﴾**:

أي: عمد لها وقصد إلىٰ خـلقها، وسـوّاهـا سـبع سـماوات فـبناهنّ وركّبهنّ كذلك.

ونظير ذلك قوله: **﴿قُلْ ءَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِـلسَّآئِلِينَ﴾**[2] يعني: يومين بعد اليومين الأوّلين حتّىٰ صار بذلك أربعة أيّام **﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾**.

فمعنىٰ قوله: **﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً﴾**:

---

(١) سورة الملك ٦٧: ١.

(٢) سورة فصلت (حم السجدة) ٤١: ٩ و١٠.

هو الذي بيّنه بقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا..﴾[1] الآية وجعل ذكره لذلك في الآية الأُولىٰ تأكيدَ الحجّة علىٰ عباده؛ لئلّا يكفروا به، ولأن يؤمنوا به ويشكروه.

وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾[2]: يدلّ أنّه تعالىٰ ما أراد الكفر منهم؛ لأنّه لو أراده منهم وخلقه فيهم لما قال ذلك. كما لا يحسن أن يقول: لِمَ كُنتم سوداً وبيضاً وطِوالاً وقصاراً؟

وقوله: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾[3]: فالذي روي في الأخبار أنّ الله تعالىٰ لمّا خلق الأرض، خلق بعدها الماء فصعد منه بخار وهو الدخان، فخلق الله منه السماوات[4]. وذلك جائز لا يمنع منه مانع.

وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

معناه عالم وفيه مبالغة. وإنّما أراد إعلامهم أنه لا يخفىٰ عليه شيء من أفعالهم الظاهرة والباطنة، والسرّ والعلانية.

---

(١) سورة فصلت ٤١: ١٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٨.

(٣) سورة فصلت ٤١: ١١.

(٤) انظر: تفسير القمّيّ ١: ٣٢٢ و٢: ٦٩، التفسير المنسوب إلىٰ الإمام العسكريّ عليه السلام: ١٤٤ ح٧٣ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٠ ح١ ب٢٤، الكافي ٨: ٩٤ ح٦٧ و٦٨، تفسير القرآن للصنعانيّ ١: ٤٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٧٤ ح٣٠٥، الأسماء والصفات: ٣٧٩، كتاب العظمة: ٢٩٣ ت ٨٨٥، المستدرك للحاكم ٢: ٤٩٨، السنن الكبرى للبيهقيّ ٩: ٣، المصنّف لعبد الرزّاق ٥: ٩٠ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١: ٨٥، البدء والتاريخ ١: ١٤٩ و٢: ٢، قصص الأنبياء للثعلبيّ: ٤، النهاية في غريب الحديث ٣: ٨.

مَسْــــرَدُ

الفهـارس الفنيّة

١ ـ فهرس الأحاديث

٢ ـ فهرس الأنبياء والأئمّة عليهم السلام

٣ ـ فهرس الأعلام

(أ)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

٤ ـ فهرس الشعر

أ ـ الأبيات الشعرية

(ءُ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة	البحر
الفِداءُ	حسان	١٢٦	٣٠٠	الوافر
الغِراءُ	مسلم	٨	٥٣	الوافر

(بُ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة	البحر
طِلابُها	الهذلي	١٠٩	٢٦٨	الطّويل
يَتَذَبْذَبُ	النابغة	١٠	٥٦	الطّويل
مُصْعَبُ	ــــــ	١٤٢	٣٥٥	الطّويل
ثاقِبُهْ	لقيط وغيره	١٠٧	٢٦٣	الطّويل
وَتَحْلُبُ	ــــــ	٣٥	١٠٨	الطّويل
وَمُذْنِبُ	الكميت	١٣٦	٣٣٧	الطّويل
شَنَبُ	ذو الرُّمَّة	٥	٤٥	البسيط
طَبيبُ	الهلالي	١٥	٦٩	الطّويل
مُجِيبُ	كعب الغنوي	١٠٦	٢٦٢	الوافر

(بَ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة	البحر
أَشْعبا	ــــــ	٢١	٨٢	الطّويل

(بِ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة	البحر
الواجِبِ	أوس	٦	٤٦	المتّقارب

(رُ)

(رَ)

(رِ)

ب ـ فهرس أنصاف الأبيات مرتبة على أوائلها

ج - فهرس الأرجاز

(تَ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة
أنْ تا	لُقَيمْ بن سعد بن مالك	٦٢	١٥٩

(تْ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة
أُمْثِيَتْ	سليمان بن يزيد العدوي	١٣	٦٠
ثُلِّثَتْ	=	=	=
فُصِّلَتْ	=	=	=

(جَ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة
شَجْا	العجّاج	٥٦	١٥١

(حُ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة
يُفْلَحُ	ــــــ	٧٤	١٨٩

(رَ)

القافية	القائل	رقم الشاهد	الصفحة
الدَردَرا	أبو النجم العجلي	١٠٠	٢٥١
القَفَنْدَرا	أبو النجم العجلي	٥٣	١٤١
تَنَصَّرا	أبو النجم العجلي	١٠٠	٢٥١

٥ ـ فهرس الفرق

٦ ـ فهرس الموضوعات